THE WITCHER

ANDRZEJ SAPKOWSKI

SEASON OF THE STORMS



موسم العواصف

Ai Translator

الجزء ٤

ترجمة غير رسمية

الويتشر

أندريه سابكوسكي

حول هذه الترجمة:

هذا الكتاب هو عملٌ خيالي، إن الأسماء والشخصيات والأماكن والأحداث هي من وحي خيال الكاتب أو تم استخدامها بشكلٍ خيالي، وأي تشابه مع أحداث أو أماكن أو أشخاص حقيقيين، سواء كانوا أحياء أو أمواتًا، هو من قبيل الصدفة.

تم نشر هذا الكتاب في الأصل باللغة البولندية تحت عنوان **Sezon Burz**.

تمت الترجمة العربية بواسطة أدوات الذكاء الإصطناعي لذلك فالترجمة غير مطابقة للنص الأصلي.

تنويه وإخلاء مسؤولية:

هذه الترجمة غير رسمية وغير دقيقة ولاتطابق الرواية أو محتواها. وهي بغرض المراجعة والاطلاع فقط.

لذلك لاتغني عن امتلاك النسخة الأصلية أو ترجمتها الرسمية عند توفرها بالمكتبات العربية علماً أنه لاتوجد ترجمة عربية رسمية حتى الآن.

إن القيام باستخدام شبه الترجمة هذه بخلاف أغراض المراجعة والاطلاع قبل الشراء هي أمانة تقع على عاتق وتحت مسؤولية أصحابها فقط.

نأمل المبادرة بشراء النسخة الأصلية أو ترجمتها الرسمية عند توفرها دعماً للمؤلف وأصحاب الحقوق.

Ai Translator

الفصل الأول

لقد وُجد فقط ليقتل.

كان راقدًا فوق الرمال الدافئة تحت أشعة الشمس.

استطاع أن يستشعر الاهتزازات التي تنتقل عبر زوائده الشعرية وشعيراته الدقيقة. وعلى الرغم من أن الاهتزازات كانت لا تزال بعيدة، إلا أن الإيدِر[1] كان يشعر بها بوضوح ودقة؛ مما مكنه من تحديد ليس فقط اتجاه فريسته وسرعة حركتها، بل ووزنها أيضًا. وكحال معظم المفترسات المشابهة، كان لوزن الفريسة أهمية قصوى. فالتربص، والهجوم، والمطاردة، كلها تعني استهلاكًا للطاقة، والطاقة المستنزفة لا بد أن تُعوَّض بالسعرات الحرارية التي يوفرها الطعام. معظم المفترسات المشابهة لـ الإيدِر كانت تتخلى عن هجومها إذا كانت الفريسة صغيرةً للغاية.

لكن الإيدِر لم يكن مثلها. لم يكن موجودًا ليأكل ويحافظ على بقاء نوعه. لم يُخلَق لذلك.

لقد وُجد ليقتل.

حرك أطرافه بحذر، وخرج من مخبئه، زحف فوق جذع شجرة متعفن، عبر الساحة في ثلاث قفزات، اندفع بين السرخسيات الكثيفة، ثم اندمج مع الأدغال. كان يتحرك بسرعة وصمت، يركض حينًا ويقفز حينًا آخر، أشبه بجندب ضخم.

انغمس في الأدغال، وضغط القشرة المفصلية لبطنه على الأرض. أصبحت الاهتزازات في التربة أكثر وضوحًا وتميزًا. تحولت النبضات من زوائده الحسية إلى صورة. إلى خطة. الآن، عرف الإيدِر من أين يقترب من ضحيته، وأين يقطع طريقها، وكيف يجبرها على الفرار، وكيف ينقض عليها من الخلف بقفزة عظيمة، ومن أي ارتفاع يهاجم، وكيف يغرس أنيابه الحادة كالشفرة في جسدها.

[1] في عالم الويتشر، الإيدر (Idr) هو مخلوق وحشي تم إنشاؤه بشكل اصطناعي من خلال تجارب سحرية وجينية يُصنف هذا المخلوق ضمن الكائنات المسخية التي تمتلك صفات حشرية، مما يجعله أحد أخطر الوحوش.

في داخله، كانت الاهتزازات والنبضات تشعل النشوة المنتظرة، نشوة النضال الذي ستبديه الفريسة تحت وطأة جسده، نشوة الطعم الدافئ للدم المتدفق. نشوة اللذة عندما يمزق الهواء صرخة ألم.

ارتجف قليلاً، وهو يفتح ويغلق كماشته وأطرافه.

كانت الاهتزازات في الأرض واضحة للغاية، بل ومتنوعة أيضًا.

أدرك الإيدِر الآن أن هناك أكثر من فريسة، على الأرجح ثلاث، أو أربع وربما.

اثنتان منهما كانتا تهزان الأرض بشكل طبيعي، بينما أشارت اهتزازات الثالثة إلى كتلة صغيرة ووزن خفيف. أما الرابعة — بافتراض أنها موجودة بالفعل — فكانت تصدر اهتزازات غير منتظمة، ضعيفة ومترددة.

توقف الإيدِر عن الحركة، توترت عضلاته، ومدّ قرون استشعاره فوق العشب، متحسسًا تيارات الهواء بحثًا عن أي إشارة إضافية.

وأخيرًا، أرسلت الاهتزازات في الأرض الإشارة التي كان ينتظرها. لقد انفصلت الفريسة عن المجموعة. أصغرها، كان قد تخلف عن البقية. أما الفريسة الرابعة — المبهمة — فقد اختفت. كانت مجرد إشارة زائفة، أو صدىً مضلل. تجاهلها الإيدِر تمامًا.

ابتعد الهدف الأصغر أكثر فأكثر عن الآخرين. ازداد ارتجاف الأرض قوة. وأصبح أقرب.

ثبّت الإيدِر أطرافه الخلفية، اندفع بقوة، وقفز.

اندفع الويتشر نحوها، مستلًّا سيفه في الهواء أثناء قفزته. وأدرك في الحال أن هناك شيئًا ليس على ما يرام. أنه قد خُدع.

الرجل الذي كان يجر عربة يدٍ محملة بالحطب أطلق صرخةً، ثم ارتفع في الهواء لمسافة ستة أقدام أمام عيني جيرالت، متناثرًا دمُه بغزارة. وسقط، فقط ليرتفع مرة أخرى على الفور هذه المرة كان جسده منقسمًا إلى نصفين، وكلاهما ينفث الدماء. وتوقف عن الصراخ.

أما المرأة فقد كانت تصرخ بشكلٍ حاد، وكانت مثل ابنتها متجمّدة في مكانها ومشلولة تمامًا بسبب الرعب.

على الرغم من أنه لم يكن يعتقد أنه سيفعلها، إلا أن الويتشر تمكن من إنقاذها. قفز ودفعها بقوة، مُلقيًا بها بعيدًا عن الطريق إلى داخل الغابة بين السرخسيات. وأدرك في الحال أن هذه المرة أيضًا كانت خدعة. ومكيدة. لأن الشكل المسطّح، الرمادي، المتعدد الأطراف والسريع بشكلٍ لا يُصدق كان يتحرك مبتعدًا عن عربة اليد وضحيته الأولى، منسابًا باتجاه الضحية التالية. باتجاه الطفلة الصغيرة التي لا تزال تصرخ.

انطلق جيرالت بسرعة البرق خلف الإيدر.

لو بقيت الصغيرة حيث هي، لكان قد تأخر كثيرًا. لكنها أظهرت حضورًا ذهنيًا وبدأت بالركض بسرعةٍ جنونية. إلا أن الوحش الرمادي كان قادرًا بسهولة على اللحاق بها وقتلها، ثم العودة للقضاء على المرأة أيضًا. هذا ما كان سيحدث، لو لم يكن الويتشر هناك.

لحق بالوحش وقفز عليه، مثبّتًا أحد أطرافه الخلفية بكعب قدمه. ولو لم يقفز بعيدًا على الفور، لفَقَد ساقه إذ إن المخلوق الرمادي استدار برشاقةٍ مذهلة، وأطبقت كماشتاه المعقوفتان على الفراغ، مفوِّتةً ساقه بمسافة شعرة. وقبل أن يستعيد الويتشر توازنه، اندفع الوحش من الأرض مهاجمًا إياه. دافع جيرالت عن نفسه غريزيًا بضربةٍ واسعة عشوائية من سيفه أبعدت الوحش عنه. لم يجرحه، لكنه الآن أصبح صاحب الأفضلية.

قفز جيرالت عاليًا وهجم على الوحش، موجهًا ضربةً خلفية شقَّ بها الدرع القشري للصدر الرأسي المسطح. وقبل أن يستفيق المخلوق المذهول من أثر الضربة، وجه إليه جيرالت ضربةً ثانية قطعت الفك الأيسر.

هاجم الوحش ملوِّحًا بأطرافه، محاولًا أن ينطحه بفكه المتبقي كأنه ثورٌ هائج. لكن الويتشر بادر بقطع الفك الآخر أيضًا. ثم وجَّه ضربةً خلفيةً سريعةً قطعت أحد الملامس القدمية للإيدر. وبعدها عاد وضرب مرةً أخرى، فشقَّ الدرع القشري للصدر الرأسي مجددًا.

أدرك الإيدر أخيرًا الخطر، واستوعب أنه في موقفٍ يهدّد حياته. كان يشعر بالخطر يحيط به كشبكةٍ لا فكاك منها. أصبح مدركًا، بكل وضوح، أنَّ الموت يقترب منه.

شعر بضرورة الفرار.

تراجع المخلوق متخبِّطًا، مستشعرًا بحدةٍ الاهتزازات الصادرة عن الأرض التي كانت تصرخ بصوتٍ عالٍ بالخطر والفزع. حاول أن يلتف بسرعة، ليهرب، ليغوص في عمق الغابة، في الأعماق المظلمة حيث الأمان والظلال الباردة. أراد أن يختبئ.

لم يعد يرغب في القتل أو تذوُّق الدم الساخن. كل ما كان يريده الآن هو الهروب. الهروب من الألم، من الهزيمة، ومن الموت المحتوم.

لكن الأوان قد فات. كان الوقت قد تأخر كثيرًا.

إذ أن الويتشر قد اندفع نحو المخلوق مرة أخرى، وثبّت إحدى أرجله الخلفية بكعبه. لو لم يقفز بعيدًا في اللحظة ذاتها، لفقد ساقه، حيث التفت المخلوق الرمادي برشاقةٍ استثنائية، وأطبق فكيه المنحنيين على الفراغ، وكان قريبًا جدًّا من إصابته.

تراجع المخلوق بسرعة، محاولاً الفرار، لكنه لم ينجح هذه المرة. فقد قفز جيرالت وهاجمه بضربةٍ عكسية قوية شقّت درعه الصدري المسطح، فتخبّط الوحش متألمًا، وتلوى على الأرض بطريقة عشوائية، محرّكًا أطرافه بطريقة فوضوية.

رفع جيرالت السيف مجددًا، وسدد ضربةً حاسمة، فقطع بها رأس المخلوق المسطّح عن جسده تمامًا.

توقف الوحش عن الحركة فورًا.

وقف جيرالت في مكانه، متعبًا، يلهث بشدة.

في الأفق، دوى صوت الرعد، فيما بدأت السماء تظلم شيئًا فشيئًا، وأخذت الريح تهب بقوة، مؤذنةً باقتراب عاصفةٍ هوجاء.

* * *

منذ أول لقاءٍ بينهما، ذكّر "ألبرت سمولكا"، رئيس المنطقة المُعيَّن حديثًا، جيرالت بثمرة اللفت؛ فقد كان بدينًا، غير نظيف، سميك الجلد، وبشكلٍ عام محدود الذكاء. بعبارةٍ أخرى، لم يكن يختلف كثيرًا عن بقية موظفي المناطق الذين تعامل معهم جيرالت سابقًا.

قال رئيس المنطقة: «يبدو أن ما يقولونه صحيحٌ فعلًا، لا أحد مثل الويتشر في التعامل مع المشاكل. يوناس، سلفي السابق في المنصب، لم يكُف عن مديحك»، وتابع دون انتظار أي رد فعلٍ من جيرالت: "ولقد ظننته كاذبًا. أعني، لم أصدق كل ما قاله تمامًا. فأنا أعرف كيف تتحول الأمور إلى قصصٍ خرافية، خاصة بين العامة، الذين يَرَون في كل شيءٍ إما معجزة أو أعجوبة أو ويتشرًا ذا قوىً خارقة للطبيعة. ولكن ها نحن نرى الآن أن ما قاله كان حقيقةً لا غبار عليها. لقد مات عددٌ كبير من الناس في تلك الغابة التي تقع خلف النهر الصغير. ولأن الطريق عبرها أقصر للوصول إلى البلدة، كان الحمقى يختارونها... ليلقوا حتفهم بأنفسهم، متجاهلين كل التحذيرات. في أيامنا هذه، من الأفضل ألّا يتسكّع المرء في الأراضي المهجورة أو يتجوّل في الغابات. هناك وحوش وآكلة للبشر في كل مكان. لقد حدث أمرٌ مروّع مؤخرًا في تلال توكاي في تيميريا – غولٌ غابي قتل خمسة عشر شخصًا في مستوطنةٍ لحرّاقي الفحم. اسمها روغوفيزنا. لا بد أنك سمعت بها. ألم تسمع؟ لكنني أقسم بحياتي أن هذا صحيح. يُقال حتى إن السحرة أنفسهم قد بدأوا التحقيق في تلك الواقعة هناك في روغوفيزنا. حسنًا، كفى قصصًا. نحن الآن بأمانٍ هنا في أنسيجيس. بفضلك أنت".

* * *

أخرج صندوقًا صغيرًا من درج الخزانة، وبسط ورقةً على الطاولة، ثم غمس ريشة الكتابة في المحبرة.

قال دون أن يرفع رأسه: «لقد وعدتَ بقتل الوحش. ويبدو أنك لم تكن تمازحني. أنت رجلٌ تفي بكلمتك، رغم أنك متشرّد. لقد أنقذت أرواح أولئك الناس. المرأة والصغيرة. هل شكروك حتى؟ هل عبّروا عن امتنانهم لك؟»

"لا، لم يفعلوا".

شدَّ الويتشر على فكّه واستطرد: "لأنهما لم تستعيدا وعيهما تمامًا بعد، ولأنني سأرحل قبل أن يحدث ذلك، قبل أن يدركا أنني استخدمتهما كطُعم، مقتنعًا بغروري المتعالي بأنني قادرٌ على إنقاذهم جميعًا، سأرحل قبل أن تدرك تلك الصغيرة ما حدث، وقبل أن تفهم أنني السبب في كونها أصبحت يتيمة الأب".

شعر جيرالت بسوءٍ شديد، بالتأكيد بسبب الإكسير الذي تناوله قبل القتال، لا شك في ذلك.

قال رئيس المنطقة وهو ينثر الرمل على الورقة، ثم نفضه على الأرض: «كان ذلك الوحش بشعًا حقًا. لقد ألقيتُ نظرةً على الجثة حين جلبوها إلى هنا... ما هذا الشيء بحق الجحيم؟»

لم يكن جيرالت متأكدًا من هوية المخلوق، لكنه لم يكن ينوي الاعتراف بجهله.

لكنه أجابه: «أراكنومورف».

حرك ألبرت سمولكا شفتيه، محاولًا عبثًا إعادة نطق الكلمة.

قال في النهاية: «حسنًا، لا فرق على أي حال. هل قتلته بذلك السيف؟ بتلك الشفرة؟ هل يمكنني رؤيتها؟»

قال جيرالت بحزم: «لا، لا يمكنك رؤيته»

«ها! ذلك لأنه مسحورٌ بلا شك، وبالتأكيد باهظ الثمن... قطعةٌ فريدةٌ من نوعها.» أكمل رئيس المنطقة مبتسمًا بفتور: «حسنًا، ها نحن نثرثر فيما الوقت يمضي. لقد نُفذت المهمة، حان موعد الدفع. لكن أولًا الإجراءات الرسمية، ضع علامتك على الفاتورة. أقصد، اترك علامةً كصليبٍ أو ما شابه.»

أخذ الويتشر الورقة من سمولكا، ورفعها أمام الضوء.

هز رئيس المنطقة رأسه متجهِّمًا، وقال: «انظروا إليه. ما هذا؟ هل يجيد القراءة؟!»

وضع جيرالت الورقة على الطاولة ودفعها نحوه.

قال بصوت هادئٍ وواضح: «هناك خطأ بسيط في الوثيقة. اتفقنا على خمسين كروناً. بينما هذه الفاتورة مكتوبة بثمانين.»

شبك ألبرت سمولكا يديه وأسند ذقنه إليهما.

خفض صوته هو أيضًا وقال: «ليس خطأ، لِنَقُل أن ذلك هو نوعٌ من التعبير عن الامتنان. لقد قتلتَ الوحش، وأنا متأكد من أنها كانت مهمةً شاقة... لذا فالمبلغ لن يثير شكوك أحد...»

«لا أفهم.»

«كفّ عن التظاهر بالبراءة. أتحاول إقناعي بأن يوناس، عندما كان مسؤولًا، لم يكن يُصدر فواتير مثل هذه؟ أقسم إنني...»

قاطعه جيرالت: «على ماذا تقسم؟ على أنه كان يبالغ في الفواتير، ويقتسم معي الأموال التي يُحرَم منها صندوق المملكة؟»

«يقتسم معك؟» تهكّم رئيس المنطقة ساخرًا. «لا تكن سخيفًا، أيها الويتشر. أتظن أنك بهذه الأهمية؟ ستحصل على ثلث الفرق فقط، عشر كرونات فقط. وهي مكافأة مناسبة لك على كل حال، ولأنني أستحق أكثر منك بالنظر إلى منصبي، يجب أن يكون موظفو الدولة أثرياء، وكلما ازداد ثراء الموظف، ازدادت هيبة الدولة. على أي حال، ما الذي تعرفه أنت عن مثل هذه الأمور؟ لقد بدأت هذه المحادثة تُزعجني. هل ستوقع أم ماذا؟»

انهمر المطر بغزارة على السقف. كان يهطل بشدة في الخارج. لكن صوت الرعد توقف؛ فقد ابتعدت العاصفة.

فاصل

- بعد يومين -

قال بيلوهون، ملك كيراك، مشيرًا بيده بحركة آمرة: «اقتربي أكثر، سيدتي. اقتربي أكثر. أيها الخدم! أحضِروا كرسيًا!»

كانت قبة القاعة مزخرفة بلوحةٍ جدارية تُصوِّر سفينة تبحر وسط البحر، مُحاطةً برجال البحر، ومخلوقات «الهيبوكامبي»[2] الأسطورية، وكائناتٍ أخرى تشبه سرطان البحر. أما الجدارية المرسومة على أحد الجدران، فقد كانت خريطةً للعالم. خريطةً خيالية تمامًا، كما أدركت «كورال» منذ وقت طويل، فلم يكن لها سوى القليل جدًا من التشابه مع المواقع الحقيقية للأراضي والبحار، لكنها كانت لوحةً جذابة وأنيقة.

دخل خادمان يحملان كرسيًا ثقيلًا منحوتًا على الطراز الروماني القديم، ثم وضعاه أمام الملك. جلست الساحرة عليه، واضعةً يديها على مسندي الكرسي بحيث تكون أساورها المرصّعة بالياقوت واضحةً جدًا ولا تغيب عن عينَي الملك. كانت ترتدي تاجًا صغيرًا مرصّعًا بالياقوت فوق شعرها المُصفّف بعناية، وقلادةً ياقوتيةً تلمع في فتحة ثوبها العميقة. كل هذا كان مخصّصًا للمقابلة الملكية. كانت ترغب في ترك انطباعٍ قوي. وقد نجحت في ذلك. كان الملك بيلوهون يحدّق بها بعينين جاحظتين، رغم أنه لم يكن واضحًا تمامًا ما إذا كان يحدّق في أحجار الياقوت أم في فتحة ثوبها.

كان يمكن القول إن بيلوهون، ابن أوسميك، ملكٌ من الجيل الأول. جمع والده ثروةً كبيرة من التجارة البحرية، وربما من بعض القرصنة أيضًا. بعد أن قضى على منافسيه واحتكر تجارة الملاحة الساحلية في المنطقة، أعلن أوسميك نفسه ملكًا. لم تكن تلك المراسم، التي توّج بها نفسه بنفسه، سوى إضفاء الطابع الرسمي على وضعٍ قائمٍ بالفعل، ولهذا لم تُثِر جدلًا أو اعتراضاتٍ كبيرة. من خلال عدة حروب خاصة ومناوشات، حسم أوسميك النزاعات الحدودية والخلافات القانونية مع جيرانه في فيردن وسيداريس. وهكذا تحدّد بشكل قاطع أين تبدأ كيراك، وأين تنتهي، ومن يحكمها. وبما أنه كان الحاكم الفعلي، أصبح الملك، وكان يستحق هذا اللقب بالفعل. ووفقًا للنظام الطبيعي للأمور، تنتقل الألقاب والسلطة من الأب إلى الابن، لذلك لم يتفاجأ أحد عندما تولّى بيلوهون العرش بعد وفاة والده أوسميك. صحيحٌ أن لأوسميك أبناء آخرين، أربعة على الأقل، لكنهم جميعًا تخلوا عن حقوقهم في

[2] الهيبوكامبي "Hippocampus" مشتق من الكلمة اليونانية القديمة وتعني "حصان البحر"

العرش، وأحدهم تخلّى عنها بمحض إرادته، حسبما قيل. وهكذا حكم بيلوهون كيراك لأكثر من عشرين سنة، محققًا أرباحًا من بناء السفن والشحن والصيد والقرصنة، استمرارًا لتقاليد عائلته.

والآن، كان الملك بيلوهون، جالسًا على عرشٍ مرتفع، يرتدي قبعةً ملكيةً من فراء السمّور، وفي يده صولجان، يستقبل ضيوفه ويمنحهم المقابلات، جالسًا بجلالٍ مهيب.

بجلالٍ يليق بخنفساء الروث وهي جالسةٌ على كومة روثٍ ضخمة.

«سيدتنا العزيزة مدام ليتا نيد،» حيَّاها الملك، «ساحرتنا المفضلة، ليتا نيد.»

تابع الملك ببطء: «ساحرتنا المفضلة، ليتا نيد. يسرُّنا كثيرًا أن تعودي إلى كيراك، وبالطبع لكِ أن تقيمي معنا مجددًا لفترةٍ طويلة، ولكن بشرطٍ واحد.»

كانت كورال قد رفعت يدها ونظرت إلى أظافرها بتفاخر واستعراضٍ واضح. كانت الحركة متعمدةً لإظهار اللامبالاة.

ألقى الملك نظرةً نحو ابنيه الجالسين إلى جانبه. كان كلاهما طويلًا ونحيلًا، يختلفان تمامًا عن أبيهما الذي كان عظميًا وذا عضلاتٍ متوترة، لكنه لم يكن ذا قامةٍ مهيبة. ولم يكونا متشابهين حتى كأخوين. الأكبر، إغموند، كان ذا شعرٍ أسود داكن كالغراب، أما الأصغر قليلًا، زاندر، فكان أقرب إلى المهق بشعره الأشقر الفاتح جدًا. تبادلا النظرات المتجهمة تجاه ليتا، وكان من الواضح أنهما كانا مستاءَين من امتياز الساحرات في الجلوس بحضرة الملوك ومنحهنّ هذه اللقاءات الخاصة. ولكن هذا الامتياز كان راسخًا ولم يكن من الممكن تجاهله من قِبل مَن يريد أن يُنظر إليه على أنه متحضر. وابنا بيلوهون كانا حريصين بشدة على أن يُنظَر إليهما على أنهما متحضران.

قال بيلوهون ببطء: «يُزعَم، ويصلنا أن السيدة المحترمة ليتا نيد تساعد النساء اللواتي لا يرغبن في إنجاب الأطفال، وتزوّدهنَّ بالوسائل اللازمة لذلك، بل وتساعد الحوامل منهن في إجهاض الأجنة. نحن هنا في كيراك نرى أن مثل هذه الممارسات غير أخلاقية.»

أجابته كورال بجفاف: «ما تملكه المرأة كحقٍ طبيعي لها، لا يمكن أن يكون — بحد ذاته — غير أخلاقي.»

«المرأة...» اعتدل الملك بيلوهون في جلسته على عرشه، وأبرز جسده النحيل، «... لا يحقُّ لها أن تنتظر من الرجل سوى هديتين اثنتين: طفل في الصيف، وخُفّ خفيف من ألياف الكتّان في الشتاء.

وكلتا الهديتين هدفهما إبقاء المرأة في البيت، لأن البيت هو المكان الطبيعي للمرأة — الذي خُصِّص لها بفطرتها. فالمرأة ذات البطن المنتفخ، والأطفال المتمسّكين بتنورتها، لن تخرج من بيتها، ولن تراودها أفكار حمقاء، وهذا ما يضمن للرجل راحة البال. والرجل الذي يمتلك راحة البال يستطيع أن يعمل بكدٍّ ونشاط لزيادة ثروته وازدهار مَلِكه. كذلك لا تراوده أفكار حمقاء إن كان واثقًا من زواجه أثناء عمله بكدٍّ وبالعرق المنصبِّ من جبينه، وأنفه في طاحونة العمل. لكن إذا قال أحدٌ للمرأة إنها تستطيع إنجاب طفل متى شاءت، وألا تنجبه متى شاءت، ثم يأتيها فوق ذلك بوسيلةٍ لذلك، ويقدّم لها عقاقير، عندها — يا سيدتي المحترمة — تبدأ منظومة المجتمع بالتخلخل.»

قاطع الأمير زاندر، الذي كان منذ فترة ينتظر فرصة للتدخل، قائلًا بحماسة: «صحيح! هذا هو الأمر تحديدًا!»

تابع بيلوهون حديثه قائلًا:

«إن المرأة التي ترفض الأمومة، المرأة التي لا يقيّدها بطن منتفخ ولا مهد ولا مجموعة من الأطفال في البيت، سرعان ما تستسلم لرغبات الجسد. هذا أمر واضح وحتمي. وحينها، يفقد الرجل هدوءه الداخلي وتوازنه النفسي، وتختل الأمور، ويصبح كل شيء في حياته السابقة خارج المسار الطبيعي ومضطربًا، بل ويكتشف أنه لم يعد هناك انسجام أو نظام، خصوصًا ذلك النظام الذي يبرّر الكدح اليومي. وحقيقة الأمر أنني أنا الذي أستحوذ على ثمار ذلك العمل المضني. ومن هذه الأفكار تكون خطوة واحدة نحو الفوضى، نحو الفتنة والتمرد والثورة. أترين الآن يا نيد؟ إن من يعطي النساء وسائل منع الحمل أو يسهّل لهن إجهاض حملهن، إنما يهزّ استقرار المجتمع ويثير الشغب والتمرد.»

تدخّل زاندر قائلًا بحماس: «هذا صحيح، بالتأكيد!»

لم تكن ليتا نيد تكترث بالمظاهر الخارجية لسلطة الملك بيلوهون أو أسلوبه المتسلّط في الحديث. كانت تعلم جيدًا أنها محصّنة، وباعتبارها ساحرة، فكل ما يستطيع الملك فعله هو الكلام فحسب. ومع ذلك، فقد امتنعت عن لفت انتباهه بشكل مباشر إلى أن الأمور كانت مضطربة وفاسدة في مملكته منذ أمد طويل، وأن النظام الذي يتحدث عنه لم يكن موجودًا إلا قليلًا، وأن «التناغم» الوحيد الذي يعرفه رعاياه هو فتاة هوى تحمل نفس الاسم في بيت الدعارة عند الميناء. إضافة إلى أن ربط المرأة والأمومة — أو النفور من الأمومة — بمثل هذا النظام لم يكن سوى دليل على كراهية النساء وحمق بالغ.

وبدلًا من قول ذلك، قالت ما يلي:

«ألاحظ في خطابك الطويل أنك تعود بعناد إلى موضوع زيادة الثراء والرخاء. وأنا أفهمك تمامًا في هذا الشأن، لأن ثرائي الشخصي أيضًا عزيز عليَّ جدًا، ولن أتخلى بأي حال عن أيّ من المكاسب التي يوفرها لي هذا الثراء. أعتقد أن للمرأة الحق في إنجاب الأطفال متى شاءت، وعدم إنجابهم متى لم ترغب في ذلك، لكنني لن أدخل في نقاش حول هذه النقطة. فبعد كل شيء، لكل إنسان الحق في رأيه الخاص. إنما أود فقط الإشارة إلى أنني أتقاضى أجرًا لقاء المساعدة الطبية التي أقدّمها للنساء. وهي في الواقع مصدر دخل مهم للغاية بالنسبة لي. إن اقتصادنا حرٌّ، يا صاحب الجلالة، وأطلب منك ألّا تتدخل في مصادر دخلي. لأن دخلي، كما تعلم جيدًا، هو دخل «لمجلس السحرة» وجميع الساحرات. و«المجلس» يتعامل بسوءٍ بالغ مع أي محاولات للحد من دخله.»

«أتحاولين تهديدي يا نيد؟»

«يا له من تصوُّر! بالطبع لا، بل على العكس، أُعلن استعدادي لتقديم مساعدتي وتعاوني الكامل معك. اِعلم جيدًا يا بيلوهون أنه إذا وقعت اضطرابات في كيراك نتيجة الاستغلال والنهب الذي تمارسه، وإذا اشتعلت — كما تقول بفصاحة — نيران التمرد، أو جاءت رعاع الثورة ليسحبوك من خصيتيك ويُنزلوك من على عرشك ويعلقوك من فورهم على فرع شجرة يابس... حينئذٍ تستطيع الاعتماد على معونة الأخوية التي أنتمي إليها. وكذلك معونة السحرة. سوف نأتي لمساعدتك ولن نسمح بحدوث التمرد أو الفوضى، لأنهما لا يناسباننا أيضًا. لذا، واصل استغلالك وزيادة ثروتك كما تشاء. لك مطلق الحرية. ولا تتدخل في قيام الآخرين بالأمر نفسه. هذا ما أطلبه منك، وهذه هي نصيحتي.»

هبَّ زاندر من مقعده منفعلًا بغضب:

«نصيحة؟ أنتِ تعطين نصيحةً؟ لأبي؟ أبي هو الملك! الملوك لا يستمعون للنصائح، الملوك يُصدرون الأوامر!»

تجهم وجه بيلوهون قائلًا:

«اجلس والتزم الصمت يا بُني.»

ثم تابع موجهًا حديثه إليها: «وأنتِ أيتها الساحرة، استمعي لي جيدًا. لديَّ ما أقوله لكِ.»

«نعم؟»

«سأتزوج امرأة جديدة... عمرها سبعة عشر عامًا... فتاة صغيرة أشبه بثمرة كرز، أقول لكِ. مثل حبة كرز تزين فطيرة.»

«تهانئي لك.»

«أنا أفعل ذلك لأسباب تتعلق بالسلالة الحاكمة. من باب الحرص على الخلافة والنظام في البلاد.»

هنا رفع إغموند رأسه بحركة مفاجئة، بعد أن ظلَّ صامتًا كالقبر طوال الوقت، وقال بصوت غاضب، ولم تفُتْ ليتا تلك النظرة الشريرة التي برقت في عينيه:

«خلافة؟ أي خلافة؟ لديك ستة أبناء وثماني بنات، بمن فيهم الأبناء غير الشرعيين! ما الذي تريده أكثر من ذلك؟»

لوّح بيلوهون بيده النحيلة قائلًا:

«ها أنتِ ترين بنفسكِ يا نيد. لا بد لي من الاعتناء بأمر الخلافة. هل عليَّ أن أترك المملكة والتاج لمن يخاطب والده بهذا الشكل؟ من حسن حظي أنني ما زلت حيًّا وأحكم هذه البلاد. وأنوي أن أظل كذلك لفترة طويلة. كما قلت لكِ، أنا على وشك الزواج...»

«وما المشكلة في ذلك؟»

«لو كانت...» حكّ الملك خلف أذنه ونظر نحو ليتا من بين جفنيه شبه المغمضين. «لو كانت... أعني زوجتي الجديدة الشابة... ستطلب منكِ هذه العقاقير... فإنني أمنعكِ منعًا باتًا من إعطائها إياها. لأنني أعارض مثل هذه العقاقير. لأنها غير أخلاقية!»

ابتسمت كورال بلطف وقالت:

«يمكننا الاتفاق على ذلك. إذا طلبت مني فتاتك الصغيرة أي شيء، فلن أعطيها إياه. أعدك.»

تهلّل وجه بيلوهون قائلًا:

«أفهم. كم من الرائع أننا توصلنا إلى اتفاق بهذه السرعة. إن جوهر الأمر هو التفاهم والاحترام المتبادل. يجب أن يختلف المرء برُقي.»

هنا تدخل زاندر مرة أخرى قائلًا:

«هذا صحيح!» بينما ازداد غضب إغموند وبدأ يغمغم بالسباب في صوت خافت.

واصلت كورال حديثها وهي تلفُّ خصلةً من شعرها الأحمر بإصبعها وتنظر للأعلى نحو اللوحة في السقف:

«وبروح من الاحترام والتفاهم، ومن باب الحرص أيضًا على التناغم والنظام في بلادك... لديَّ معلومات. معلومات سرية. صحيح أنني أكره المخبرين وأشمئز منهم، لكنني أكره المحتالين واللصوص أكثر. ويتعلق الأمر هنا بعملية اختلاس وقحة، يا صاحب الجلالة. هناك مَن يحاول أن يسرق منك.»

مال بيلوهون إلى الأمام من على عرشه، متجهمًا بوجه كأنه ذئبٌ يستعد للهجوم:

«مَن؟ أريد أسماء!»

كيراكي، مدينة تقع في المملكة الشمالية سيداريس، عند مصب نهر أدالات. كانت فيما مضى عاصمة المملكة المستقلة «كيراكي»، التي تدهورت أحوالها نتيجة سوء الحكم وانقراض السلالة الملكية الحاكمة، ففقدت أهميتها، وتجزّأت أراضيها بين جيرانها وضُمَّت إليهم. تضم المدينة ميناءً وعدة مصانع ومنارة، ويبلغ عدد سكانها قرابة ألفي نسمة.

الموسوعة الكبرى للعالم، المجلد الثامن لـ إيفنبرغ وتالبوت

الفصل الثاني

امتلأ الخليج بالصواري المنتصبة والأشرعة المنتشرة، بعضها أبيض والبعض الآخر متعدد الألوان. السفن الأكبر رست بثبات، محمية برأس صخري وحاجز أمواج. وفي المرفأ نفسه، اصطفّت السفن الأصغر حجمًا إلى جانب المراسي الخشبية، وبعضها كان ضئيلًا للغاية. كادت المساحات الخالية على الشاطئ تختفي تمامًا بسبب كثرة القوارب، أو ما تبقّى من حطامها.

عند طرف الرأس الصخري انتصبت منارة مبنية من الطوب الأبيض والأحمر، شُيِّدت أساسًا على يد الإلف ثم رُمِّمت لاحقًا، شامخة وهي تتلقّى ضربات الأمواج البيضاء المتكسّرة.

نخز الويتشر فرسه برفق في خاصرتيها، فرفعت روتش رأسها ووسّعت منخريها كما لو كانت تستمتع هي الأخرى برائحة نسيم البحر. وبدفعٍ لطيف آخر، انطلقت به عبر الكثبان الرملية نحو المدينة التي أصبحت الآن قريبة.

مدينة كيراكي، العاصمة الكبرى للمملكة التي تحمل الاسم ذاته، كانت مُقسّمة إلى ثلاث مناطق متباينة، ممتدة على ضفّتي نهر أدالات عند مصبّه.

يقع المرفأ، بما فيه من أرصفة ومركز صناعي وتجاري، والذي يضم أحواضًا لبناء السفن وورشاتٍ ومصانع لمعالجة الأغذية، بالإضافة إلى المخازن والمتاجر، على الضفة اليسرى من أدالات.

أما الضفة اليمنى للنهر، التي كانت تُعرف باسم «بالميرا»، فكانت مكتظةً بأكواخ وأكشاك العمال والفقراء، ومنازل وبسطات التجار الصغار، والمسالخ والمذابح، وعدد لا يُحصى من الحانات والأوكار التي لا تدبّ فيها الحياة إلا مع حلول الليل، إذ كانت «بالميرا» أيضًا حي الترفيه والملذّات المحظورة. وكان من السهل جدًا، كما عرف جيرالت جيدًا، أن يفقد المرء نقوده هناك، أو يجد نصل سكينٍ يخترق أضلاعه.

كانت كيراكي نفسها، وهي منطقة تتكوّن من شوارع ضيقة تمتد بين منازل التجّار والأثرياء والممولين، والمصانع والبنوك ومتاجر الرهونات، ومحلات صنّاع الأحذية والخياطين، والمخازن الكبيرة والصغيرة، تقع بعيدًا قليلًا عن البحر، على الضفة اليسرى، خلف سياج عالٍ من الأوتاد المتينة. احتوت تلك المنطقة أيضًا على الحانات والمقاهي والنُزل الراقية، والتي كانت تقدم في الواقع نفس الخدمات التي

توفّرها أحياء ميناء بالميرا، لكن بأسعار أعلى بكثير. وكان مركز المنطقة عبارة عن ميدان رباعي الزوايا يضمّ دار البلدية والمسرح وقصر العدالة ومكتب الجمارك، إضافةً إلى مساكن نخبة المدينة. في وسط الميدان، ارتفع تمثال مؤسس المدينة، الملك أوسميك، الذي تشوّهت هيبته بشكل مُهين بسبب فضلات الطيور التي غطّته. وكان التمثال بحدّ ذاته كذبةً صريحة، إذ إن بلدة ساحلية كانت موجودةً في المكان ذاته قبل زمن طويل من قدوم أوسميك من مكانٍ مجهول لا يعلمه سوى الشيطان.

على مرتفعٍ أعلى التل، انتصب القصر الملكي والقلعة، وكانا ذوي تصميمٍ غير مألوف. فالقصر كان في الأصل معبدًا هجره كهنته بعد أن أصابهم الإحباط نتيجة عدم اكتراث سكان المدينة، ثم أعيد بناؤه وتوسيعه لاحقًا. وحتى برج المعبد — أو برج الجرس — وجرسه ظلا قائمين، وكان الملك الحالي بيلوهون قد أمر بأن يُقرع الجرس كل يوم في منتصف النهار، ومن الواضح أن ذلك لم يكن كافيًا، فكان يأمر أيضًا بقرعه عند منتصف الليل إغاظةً لرعيته. وقد دقّ الجرس بينما كان الويتشر يدخل بين أكواخ بالميرا.

كانت بالميرا تعبق بروائح السمك والملابس المغسولة والمطاعم الرخيصة، وكانت الشوارع مزدحمة إلى درجة فظيعة، مما كلّف الويتشر كثيرًا من الوقت والصبر ليشقّ طريقه عبرها. تنفّس الصعداء حين وصل أخيرًا إلى الجسر وعبر إلى الضفة اليسرى لنهر أدالات. كانت مياه النهر كريهة الرائحة، وتطفو عليها طبقات من رغوة كثيفة، نفايات مصدرها مدبغة الجلود الواقعة في أعلى النهر. ومن هناك لم يكن الطريق بعيدًا نحو المدينة المحاطة بالسياج الخشبي العالي.

ترك جيرالت حصانه في إسطبل خارج مركز المدينة، دافعًا أجر يومين مقدمًا، ومنح السائس بعض البقشيش ليضمن تلقّي روتش العناية اللائقة. اتجه نحو برج المراقبة؛ إذ كان من المستحيل دخول كيراكي إلا من خلال هذا البرج، وبعد الخضوع لتفتيشٍ وإجراءاتٍ مزعجة نوعًا ما ترافق ذلك. هذا الأمر أثار استياء الويتشر قليلًا، لكنه أدرك دوافعه جيدًا؛ فالسكان الأرستقراطيون لم يكونوا متحمسين لاستقبال زوار من حي بالميرا، خاصة البحّارة الأجانب الذين يهبطون على الأرصفة.

دخل برج المراقبة، وهو مبنى خشبي يعرف جيدًا أنه يضم مقر الحراسة. ظنّ أنه يعرف ما ينتظره بالداخل. لكنه كان مخطئًا.

فقد زار في حياته الكثير من مقرات الحراسة: الصغيرة والمتوسطة والكبيرة، القريبة والبعيدة، المتحضرة بدرجات مختلفة أو حتى غير المتحضرة إطلاقًا. وكانت جميع مقرات الحراسة في العالم تتشابه في روائح العفن والعرق والجلد والبول، بالإضافة إلى الحديد والشحم المستخدم لحفظه. لم يكن الأمر

مختلفًا في حراسة كيراكي. أو لم يكن ليكون مختلفًا، لولا أن الرائحة التقليدية لمقر الحراسة هنا كانت قد طُمست تمامًا بسبب رائحة ثقيلة وخانقة ملأت المكان من الأرض إلى السقف: رائحة الريح والغازات. لا شك في أن البقوليات – وعلى الأرجح البازلاء والفاصولياء – كانت المكوّن الأساسي في غذاء أفراد الحراسة.

وكانت الحامية تتألف من النساء بالكامل. ست نساء جلسن إلى طاولة منشغلات بتناول وجبة منتصف النهار، يتناولن بشراهةٍ قِطعًا صغيرة طافية في مرقٍ رقيق بنكهة البابريكا من أوعية فخارية.

دفعت أطولهن قوامًا، وهي قائدة المجموعة بوضوح، طبقها جانبًا ونهضت واقفة. عندئذ شعر جيرالت، الذي كان يؤكد دائمًا أنه لا وجود لامرأة قبيحة، بأنه مضطر فجأة لإعادة النظر في هذه القناعة.

«الأسلحة على المقعد!»

كان رأس القائدة حليقًا بالكامل، مثل بقية زميلاتها. لكن شعرها نما قليلًا مرة أخرى، فأصبح رأسها مغطى بشُعيرات غير منتظمة، متناثرة على صلعتها. ومن تحت صدريتها المفتوحة وقميصها المفكوك برزت عضلات بطنها، تُذكِّر بنقش على قطعة لحم ملفوفة في شبكة. أما ذراعا الحارسة، ولو أردنا البقاء في ذات التشبيه، فكانتا ضخمتين كفخذ خنزيرٍ مشوي.

كررت قائلة: «ضع أسلحتك على المقعد! أأصمٌّ أنت؟»

في تلك اللحظة، رفعت إحدى تابعاتها جسمها قليلًا عن وعاء الطعام، وأطلقت ريحًا طويلة وصاخبة، مما دفع الباقيات إلى الضحك عاليًا. لوّح جيرالت بقفازه أمام وجهه محاولًا تبديد الرائحة. نظرت الحارسة إلى سيوفه وقالت:

«هيه، أيتها الفتيات! تعالين هنا!»

وقفت «الفتيات» بتكاسلٍ واضح، ثم تمددن. لاحظ جيرالت أن أسلوب لباسهن كان غير رسمي، هدفه الأساسي إظهار عضلاتهن المفتولة. إحداهن كانت ترتدي سروالًا جلديًا قصيرًا، قد انفتق من الجانبين لإفساح المجال لفخذيها الضخمين. وكانت قد اكتفت بوضع حزامين متقاطعين فوق صدرها دون أي شيء آخر يغطي جذعها العلوي.

قالت إحداهن وهي تتفحصه: «ويتشر، سيفان. فولاذي وفضّي.»

اقتربت أخرى، طويلة وعريضة الكتفين مثل البقية، وشدّت قميص جيرالت بقسوة، ثم أخرجت الميدالية الفضية المعلّقة في عنقه.

قالت بنبرة تقريرية: «يحمل علامة. ذئب يكشّر عن أنيابه. يبدو أنه ويتشر بالفعل. هل نسمح له بالدخول؟»

أجابت القائدة: «القوانين لا تمنع ذلك. وقد سلّم سيوفه...»

تدخل جيرالت في الحوار بصوت هادئ قائلًا: «هذا صحيح، سلّمتها. وأفترض أن السيوف ستبقى محفوظة بأمان إلى حين عودتي لاستلامها، بموجب وصلٍ ستمنحونني إياه الآن؟»

تجمّعت الحارسات حوله مبتسمات ابتسامات ساخرة. دفعته إحداهن بمرفقها، متظاهرةً بأن ذلك حدث عفوًا. بينما أطلقت أخرى ريحًا مدوية، ثم قالت ضاحكة:

«هذا هو وصلك، أيها الويتشر.»

وأضافت أخرى مستهزئةً: «ويتشر! قاتل وحوش مأجور! وسلّم سيوفه! فورًا! وديعٌ كصبيّ مدرسة!»

«أراهن أنه مستعد لتسليم عضوه كذلك، إن أمرناه بذلك.»

«لنأمره إذًا! ها، ما رأيكن يا فتيات؟ اجعليه يخرجه!»

«سنرى كيف تبدو أعضاء الويتشرات!»

هنا تدخّلت القائدة بنبرة حادة: «ها قد بدأن مجددًا، هؤلاء الفاجرات. غونشوريك، تعال هنا! غونشوريك!»

خرج رجلٌ مسنٌّ أصلع، يرتدي عباءة رمادية باهتة وقبعة صوفية، من غرفة مجاورة. وبمجرد دخوله، داهمته نوبة سعال، فنزع قبعته وبدأ يهوّي بها وجهه. تناول السيفين الملفوفين بحزاميهما وأشار لجيرالت أن يتبعه. لم يتأخر الويتشر في اللحاق به، إذ بدأت الغازات المعوية تهيمن بوضوح على المزيج الخانق من الروائح في غرفة الحراسة.

كانت الغرفة التي دخلاها مقسومة إلى نصفين بشبكة متينة من الحديد. استعمل الرجل العجوز مفتاحًا ضخمًا فتح به الشبكة مُصدرًا صوت احتكاكٍ مزعجًا. علّق السيفين على خطافٍ بجانب مجموعة أخرى من السيوف والعتاد: سيوف الفرسان، وسيوف الكليمور الأسكلتندية[3]، والسيوف العريضة، والسيوف البحرية القصيرة.

فتح العجوز سجلًا مهترئًا، ثم شرع يكتب فيه ببطء شديد، يتوقف بين حين وآخر ليطلق نوباتٍ من السعال محاولًا التقاط أنفاسه. أخيرًا، ناول جيرالت الوصل بعد أن انتهى.

سأله جيرالت: «هل يُفترض أن أفهم أن سيفَيَّ في أمان هنا؟ مخزّنان تحت الحراسة؟»

أغلق الرجل المسنّ، وهو يلهث بصعوبة، الشبكة الحديدية وعرض المفتاح على جيرالت. لم يُقنعه ذلك كثيرًا؛ فأي شبكة حديدية يمكن اقتحامها، كما أن ضجيج الغازات المتواصل القادم من «السيدات» في غرفة الحراسة كان قادرًا على التغطية على أي محاولة للسرقة. لكنه لم يكن يملك خيارًا آخر. عليه أن يُنجز في كيراكي ما جاء من أجله. وأن يغادرها في أسرع وقتٍ ممكن.

كانت الحانة — أو كما أعلنت اللافتة، «أوستيريا ناتورا ريروم» — مبنى صغيرًا لكنّه أنيق، مصنوع من خشب الأرز، له سقف منحدر بشدة ومدخنة ترتفع عاليًا فوقه. زُينت واجهة المبنى بشرفة ذات درجات تقود إليها، تحيط بها نباتات صبّار الألوة المورقة داخل أحواض خشبية. فاحت من الحانة رائحة طهي مغرية، لحمٌ يُشوى على الشوايات بشكل رئيس. كانت الروائح شهيةً إلى درجة جعلت الويتشر يشعر على الفور بأن «ناتورا ريروم» هي الفردوس بذاته، حديقةٌ للملذّات، جزيرةٌ للسعادة، وملاذٌ مقدّسٌ تجري فيه أنهار اللبن والعسل.

لكن سرعان ما تبيّن أن هذا الفردوس— شأنه شأن كل فردوس— له حارسه الخاص أو سيربيروسه[4]، الحارس ذو السيف المشتعل. وقد أُتيحت لجيرالت الفرصة ليراه أثناء عمله. أمام عينيه، كان الحارس، وهو رجل قصير القامة لكنّه عريض وقويّ البنية، يطرد شابًا نحيلًا من حديقة الملذات. كان الشاب يحتجّ ويصرخ ويشير بيديه بعصبية، الأمر الذي أزعج الحارس بشكل واضح.

صاح الحارس: «أنت ممنوعٌ من الدخول، يا مووس، وأنت تعلم ذلك جيدًا. هيا انصرف، لن أعيد كلامي!»

---

[3] الكليمور أو الكليمورات (Claymores) «هي سيوف أسكتلندية تقليدية طويلة وثقيلة ذات نصل عريض ذي حدين، كانت تُستخدم باليدين معًا في المعارك.

[4] سيربيروس (Cerberus) هو كلب الجحيم الأسطوري في الميثولوجيا اليونانية، وهو مخلوق خيالي حارس للعالم السفلي، يتم تصويره عادةً على شكل كلب ضخم بثلاثة رؤوس، ولكل رأس تعبير مختلف، إضافةً إلى ذيل يشبه الثعبان وأحيانًا أفاعٍ تلتف حول جسده.

ابتعد الشاب عن الدرج بسرعة كافية لتجنّب أن يُدفع بالقوة. لاحظ جيرالت أن الشاب كان يعاني صلعًا مبكرًا، إذ لم يبدأ شعره الطويل والخفيف إلا من أعلى رأسه تقريبًا، مما منحه مظهرًا بائسًا للغاية.

صاح الشاب من مسافةٍ آمنة: «اللعنة عليك وعلى حظرك! لست بحاجة إلى منّة منكم! أنتم لستم الوحيدين! سأذهب إلى منافسيكم! يا أصحاب الرؤوس الكبيرة! أيها المتغطرسون! قد تكون لافتتكم مطليةً بالذهب، لكنّ الوحل ما زال عالقًا بأحذيتكم! أنتم لا تساوون عندي سوى هذا الوحل! والبراز سيبقى برازًا مهما حدث!»

شعر جيرالت بالقلق قليلًا؛ فقد كان الشاب الأصلع، رغم مظهره القبيح، يرتدي ملابس أنيقةً نوعًا ما، ربما ليست غاليةً جدًا، لكنها بالتأكيد أكثر أناقةً من ملابس الويتشر. وهكذا، إن كانت الأناقة هي المعيار الحاسم في السماح بالدخول...

قاطعه صوت الحارس الجليديّ، مؤكدًا مخاوفه:

«هل لي أن أسألك إلى أين تتجه؟»

أكمل الحارس، وهو يقف حاجبًا الدرج: «هذه حانةٌ حصرية. هل تفهم معنى الكلمة؟ ممنوع دخولها، إن جاز القول، على بعض الأشخاص.»

سأله جيرالت بهدوء: «ولماذا أنا تحديدًا؟»

أجابه الحارس: «لا تحكم على الكتاب من غلافه.» ونظر إليه بازدراء من علو درجتين إضافيتين، ثم تابع: «أنت أجنبيّ، مثال حي على تلك الحكمة الشعبية القديمة. غلافك لا يوحي بالثقة، وربما تكون صفحاتك تخفي شيئًا آخر، لكنني لن أتطفّل عليك. أكرّر، هذه حانة حصرية. نحن لا نقبل أشخاصًا يرتدون مثل قطاع الطرق هنا. أو يحملون أسلحة.»

قال جيرالت بهدوء: «أنا لا أحمل أسلحة.»

رد الحارس بصرامة: «لكن مظهرك يوحي بذلك، لذا، تفضل وابحث لك عن مكان آخر.»

«سيطر على نفسك، يا تارب.» ظهر رجل أسمر الوجه في مدخل الحانة، يرتدي سترة قصيرة من المخمل. كانت حواجبه كثّة، وعيناه حادّتين، وأنفه معقوفًا وطويلًا بشكل لافت.

تحدّث الأنف المعقوف مخاطبًا الحارس: «من الواضح أنك لا تعرف مع من تتعامل. أنت لا تعلم من جاء لزيارتنا.»

صمت الحارس مطوّلًا، مما أكد بالفعل أنه لم يكن يعرف.

تابع الرجل ذو الأنف المعقوف: «جيرالت من ريفيا. الويتشر، المعروف بحماية الناس وإنقاذ أرواحهم. كما فعل قبل أسبوعٍ هنا في منطقتنا، في أنسيغيس، حين أنقذ أمًا وطفلها. وقبل بضعة أشهر، اشتهر بقتل ليوكروت آكل للبشر في سيزمار، وأصيب حينها بجراح. كيف لك أن تمنع شخصًا يمتهن هذه المهنة النبيلة من دخول حانتي؟ بل على العكس، يشرفني استقباله كضيف، وأراه شرفًا لي أن يختار زيارتنا. المعلم جيرالت، «أوستيريا ناتورا ريروم» ترحب بك بحرارة. أنا فيبوس رافينغا، مالك هذا المكان المتواضع.»

الطاولة التي جلس إليها بتوجيهٍ من كبير الخدم كانت مُغطاة بمفرش أنيق. في الواقع، جميع الطاولات في «ناتورا ريروم» — التي كانت أغلبها ممتلئة — مغطاة بالمفارش. لم يستطع جيرالت تذكُّر آخر مرة رأى فيها مفرشًا في حانة.

ورغم فضوله الشديد، لم يلتفت حوله كي لا يبدو ريفيًا أو فظًّا. ومع ذلك، كشفت له نظرةٌ خاطفة أن المكان كان ذا ديكور متواضع، لكنه أنيق وذو ذوق رفيع. الزبائن، الذين قدّر أنهم تجّار وحرفيون بالأساس، كانوا أنيقي المظهر وإن لم يكونوا دائمًا ذوي ذوق رفيع. كان هناك قادة سفن ذوو وجوه سمراء محروقة بالشمس ولحى كثيفة، كما لم يخلُ المكان من النبلاء الذين يرتدون ملابس لافتة للنظر. كانت تفوح من المكان روائح شهية وراقية: اللحم المشوي، والثوم، والكراوية، والثراء الفاحش.

شعر جيرالت بأعينٍ تحدّق به. فحواس الويتشر كانت دائمًا تنبّهه عندما يكون تحت المراقبة. ألقى نظرة سريعة وحذرة حوله.

كانت هناك امرأة شابة بشعرٍ أحمر كلون فراء الثعالب تراقبه هي الأخرى، بشكل حذِر وغير ملحوظ بالنسبة للبشر العاديين. تظاهرت بأنها منغمسة تمامًا في تناول طعامها، الذي بدا لذيذًا وأثار شهيته برائحته العطرة من بعيد. أسلوبها وحركات جسدها لم تترك له مجالًا للشك، ليس لويتشر مثله. كان مستعدًا للمراهنة على أنها ساحرة.

أيقظه كبير الخدم من تأملاته المفاجئة وحنينه العابر، وهو يعلن بلهجة احتفالية فيها لمسة واضحة من الفخر:

«اليوم، نقدم لك: ساق العجل مطهية مع الخضروات والفطر والفاصولياء، أو سرج الحمل المشوي مع الباذنجان. لحم مقدّد منقوع في الجعة مع الخوخ المُكرمَل، أو كتف الخنزير البري المشوي مع التفاح المطهو. صدور البط المقلية مع الملفوف الأحمر والتوت البرّي، أو الحبار المحشو بالهندباء في صلصة بيضاء يُقدم مع العنب. سمكة الراهب المشوية في صلصة الكريمة مع الإجاص المطهو، أو تخصصنا المعتاد: أفخاذ الأوز في النبيذ الأبيض مع الفاكهة المشوية، وسمك الترس المطهو بحبر الحبار المُكرمَل مع أعناق جراد البحر.»

فجأة ظهر فيبوس رافينغا من العدم عند طاولته وقال بحماس:

«إن كنت تفضّل السمك، فإني أنصحك بحرارة باختيار سمك الترس. من صيد الصباح، طبعًا. إنه فخر كبير الطهاة لدينا.»

قال الويتشر، وهو يقاوم رغبة لا عقلانية في طلب عدة أطباق دفعةً واحدة، وهو يدرك أن ذلك لن يكون لائقًا:

«إذًا ليكن سمك الترس مع حبر الحبار. شكرًا على اقتراحك؛ كنت قد بدأت أعاني عذاب الاختيار.»

سأل كبير الخدم: «وأي نوع من النبيذ يفضّل السيد؟»

أجاب جيرالت: «من فضلك اختر لي ما يناسب الطبق. لست خبيرًا بالنبيذ.»

ابتسم فيبوس رافينغا قائلًا: «قليلون هم الخبراء، في الواقع. سأتركك تستمتع بوجبتك في هدوء، شهية طيبة.»

لكن تلك الأمنية لم تكن لتتحقق. ولم تتح الفرصة لجيرالت ليكتشف نوع النبيذ الذي كان سيختارونه له. كما أن مذاق سمك الترس في حبر الحبّار كان مقدرًا له أن يظل لغزًا في ذلك اليوم.

فالمرأة ذات الشعر الأحمر تخلّت فجأة عن تحفّظها السابق، بينما ظهر ثلاثة رجال بجانب طاولته.

قال أحدهم: «أنت معتقل باسم القانون»

رد جيرالت بهدوء: «أنا هو.»

لم تتحقق أمنية «الشهية الطيبة» إذًا.

"أي عذابٍ أخشاه وأنا لم أذنب قط؟"

تشارلز ديكنز، تاجر البندقية

الفصل الثالث

كانت المحامية التي عيّنتها المحكمة لجيرالت تتجنب النظر في عينيه، تقلّب الملف أمامها بإصرار مبالغ فيه، ملف لا يحتوي سوى على أوراق قليلة للغاية. ورقتين، على وجه الدقة. من المرجّح أنها حفظتهما عن ظهر قلب. كي تبهرهم بخطاب الدفاع، هكذا أمِل. لكنه ظنّ، على الأغلب، أنّ هذا الأمل عبثيّ تمامًا.

رفعت المحامية عينيها أخيرًا وقالت:

"لقد اعتديت على اثنين من زملائك في الزنزانة أثناء اعتقالك. هل عليّ أن أعرف السبب؟"

أجابها ببرود ولا مبالاة:

«أولًا، رفضتُ محاولاتهما للتحرش بي جنسيًا. ولم يرغبا في فهم أن كلمة (لا) تعني (لا).

ثانيًا، أنا أحب ضرب الناس. ثالثًا، هذه كذبة صريحة. لقد ألحقا الجراح بنفسيهما عن قصد، بضرب رأسيهما بالحائط، لتشويه سمعتي.» تحدّث ببطء وإهمال شديدين. بعد أسبوعٍ قضاه في السجن، بات غير مكترث تمامًا.

أغلقت المحامية الملف، ثم فتحته على الفور مرة أخرى، ورتّبت تسريحة شعرها الأنيقة والمعقّدة.

تنهدت وقالت: «حسنًا، الضحايا قرروا عدم رفع دعوى ضدك. لنتحدث الآن عن الاتهام الرسمي للادعاء. المحقق القضائي يتهمك بجريمة خطيرة، وهي جريمة تستوجب عقوبة صارمة«.

فكّر ساخرًا: «وهل يمكن أن يكون الأمر غير ذلك؟» وهو يتأمل وجه المحامية. راح يتساءل كم كان عمرها حين التحقت بمدرسة السحرة، وكم بلغت من العمر حين غادرتها.

كانت المدرستان الشهيرتان للسحرة — مدرسة «بان أرد» للبنين ومدرسة «آريتوزا» للبنات، وكلتاهما تقعان على جزيرة ثانيد — تُخرِّجان إلى جانب الساحرات والسحرة الناجحين، مجموعةً من المنبوذين والفاشلين أيضًا. فعلى الرغم من دقّة إجراءات القبول والامتحانات الصارمة، التي وُضعت من أجل تسهيل غربلة الحالات الميؤوس منها وإقصائها، إلا أن الفصول الدراسية الأولى وحدها هي التي كانت تكشف وتفضح أولئك الذين تمكّنوا من الإفلات سابقًا. أولئك الذين ثبت أن التفكير بالنسبة لهم تجربة

شاقّة ومزعجة. المعتوهون الكامنون، والكسالى، والمتقاعسون فكريًا من كلا الجنسين، الذين لم يكن لهم مكان في مدارس السحر. كانت المشكلة أن هؤلاء غالبًا ما يكونون أبناءً لأثرياء أو ذوي شأن لأسباب أخرى. فبعد طردهم، كان لا بد من إيجاد مكان لهؤلاء الشبان المشاغبين. لم يكن هناك مشكلة في توظيف الفاشلين من مدرسة «بان أرد»؛ إذ كانوا يُلحَقون بالخدمة الدبلوماسية، أو الجيش أو البحرية أو الشرطة، بينما السياسة تُترك لأكثرهم غباءً. أما الفاشلات من مدرسة السحر، فكان الأمر أشد صعوبة. فالفتيات المطرودات كن قد دخلن عتبة مدرسة السحر، وذاقن طعم السحر بدرجةٍ أو بأخرى، كما أن نفوذ الساحرات في الممالك ومختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية كان قويًا للغاية، بحيث لا يمكن ترك الفتيات هكذا بلا مصير. ولهذا خُصص لهن ملاذ آمن. انضممن إلى السلك القضائي. أصبحن محاميات.

أغلقت محاميته ملف القضية. ثم أعادت فتحه مجددًا.

قالت: «أنصحك بالاعتراف بالذنب. فهذا سيضمن لك عقوبة أخف...»

قاطعها الويتشر: «أعترف بماذا تحديدًا؟»

«عندما يسألك القاضي إن كنت تقرّ بذنبك، ستجيب بالإيجاب. الاعتراف بالذنب سيُعتبر ظرفًا مخففًا.»

«وكيف تنوين الدفاع عني إذًا؟»

أغلقت المحامية الملف بحركةٍ أشبه بمن يُغلق غطاء تابوت.

«لنذهب. القاضي في انتظارنا.»

وكان القاضي بانتظارهم بالفعل. ففي تلك اللحظة بالذات، كانوا يخرجون المتهم السابق من قاعة المحكمة. «لا يبدو سعيدًا إطلاقًا»، فكّر جيرالت.

على الجدار كان معلّقًا درعٌ تملؤه الذبابات، يحمل شعار كيراكي: دلفينٌ أزرق سابح. تحت شعار النبالة كانت هناك المنصّة يجلس خلفها ثلاثة أشخاص. كاتب المحكمة النحيل، ومستشار قضائيّ باهت الملامح، والقاضي: امرأة ذات وجهٍ هادئ ومتزن.

وعلى يمين هيئة القضاة، كان هناك مقعدٌ يجلس عليه المدّعي العام، ويؤدي دور المدّعي. وكان وجهه جادًّا وقاسيًا، بحيث لا يرغب المرء في مقابلته ليلًا في زقاقٍ مظلم.

أما على الجهة الأخرى، يسار القضاة، فكانت منصة الاتهام. المكان المخصص لجيرالت.

تسارعت الأحداث بعدها بسرعة كبيرة.

«المتهم جيرالت، المعروف باسم جيرالت من ريفيا، المشتغل بمهنة الويتشر، متهمٌ باختلاس أموال الدولة والاستيلاء غير المشروع على ممتلكات التاج. وبالاتفاق والتواطؤ مع أشخاص آخرين قام بإفسادهم، عمد المتهم إلى تضخيم الأجور المذكورة في الفواتير الصادرة مقابل خدماته، بهدف الاستيلاء على تلك الأموال الفائضة، مما تسبب في خسائر مالية لخزينة الدولة. والدليل على ذلك هو تقرير (إبلا غ عن وقوع جريمة) أرفقته النيابة العامة بملف القضية، وهذا التقرير...»

بدا واضحًا من تعابير وجه القاضية المنهكة، ومن نظرتها الغائبة، أن هذه السيدة المحترمة كانت غارقة في عالمٍ آخر، منشغلةً تمامًا بقضايا ومشاكل مختلفة تمامًا: الغسيل، الأطفال، لون الستائر، عجين كعكة بذور الخشخاش، وتلك التشققات الجلدية على مؤخرتها الكبيرة التي تبشر بأزمة زوجية قادمة. قَبِل الويتشر بتواضعٍ حقيقةَ أنه أقل أهمية من تلك الأمور كلها، وأنه لا يستطيع منافسة أي منها.

تابع المدعي العام كلامه ببرود: «إن الجريمة التي ارتكبها المتهم لا تضر بمصالح الدولة فحسب، بل تزعزع النظام الاجتماعي وتنشر الفوضى. والقانون يطالب...»

قاطعته القاضية فجأةً: «التقرير الوارد في الملف سيُعامل من المحكمة باعتباره شهادة منقولة، أي دليلًا واردًا من طرف ثالث. هل لدى الادعاء أدلةٌ أخرى؟»

«لا توجد أدلةٌ أخرى... في الوقت الراهن. المتهم كما ذُكر آنفًا ويتشر، أي أنه متحوّل، يعيش خارج إطار المجتمع البشري، يزدري القوانين الإنسانية ويعتبر نفسه فوقها. وفي إطار مهنته الإجرامية والمناهضة للمجتمع، فهو يتعامل مع المجرمين ومع غير البشر، بما في ذلك الأجناس المعادية تقليديًا للإنسانية. مخالفة القانون جزء من طبيعة الويتشرات العدمية. في حالة هذا الويتشر تحديدًا، سيادة القاضية، فإن انعدام الأدلة هو أفضل دليلٍ لدينا... وهو دليل على خبثه وغدره و...»

قاطعت القاضية كلام المدعي العام دون اهتمام واضح: «هل يعترف المتهم بذنبه؟» من الواضح أنها لم تكن مهتمة على الإطلاق بمعرفة ما يُثبته نقص الأدلة.

تجاهل جيرالت الإشارات اليائسة لمحاميته، وقال بحزم: «لا أعترف بالذنب. أنا بريء، ولم أرتكب أي جريمة.»

كان يمتلك خبرةً لا بأس بها، وتعامل سابقًا مع القانون. كما كان قد اطلع على بعض الكتابات المتعلقة بهذا المجال.

أكمل قائلًا: «إن الاتهام الموجه ضدي مبني على تحيّز مسبق...»

صاح المدّعي العام محتجًّا: «اعتراض! المتهم يُلقي خطابًا!»

ردّت القاضية بهدوء شديد: «الاعتراض مرفوض.»

«...إن الاتهام الموجّه إليّ مبنيّ على تحيُّزٍ مسبق ضد شخصي ومهنتي، أي أنه مبنيّ على ما يُعرف بالحكم المسبق، أي اتهامًا قائمًا في جوهره على الزيف والتلفيق من البداية. بالإضافة إلى ذلك، فأنا متّهم بناءً على وشايةٍ مجهولة المصدر، وشاية واحدة فقط، والشهادة الفردية لا يُعتدُّ بها قانونًا: كون في حالة الشك فالشك يفسر لصالح المتهم».

انتفضت محامية الدفاع فجأةً من سكونها وصاحت: «في حالة الشك لصالح المتهم! في حالة الشك لصالح المتهم، يا حضرة القاضية!»

قرعت القاضية المنصة بمطرقتها، فأيقظت المستشار القضائي الباهت بجانبها: «قررت المحكمة الإفراج عن المتهم بكفالة قدرها خمسمائة كراون نوفيغرادي.»

تنهد جيرالت، متسائلًا إن كان المبلغ متوفرًا لديه حقًا.

ما المدينة سوى أهلها؟

ويليام شكسبير - كوريولانوس

الفصل الرابع

عند حافة السوق المكتظ، كانت هناك كشكٌ صغير رُكّب على عجلٍ من ألواح خشبية، تديره امرأة عجوز لطيفة ترتدي قبعةً من القش، كانت ممتلئةً وذات وجهٍ متورّد مثل ساحرةٍ خيّرة خرجت للتوّ من قصةٍ خرافية. تعلو رأسها لافتةٌ تقول:

«تعال إليّ طلبًا للفرح والسعادة. الخيار المخلل مجانًا.»

توقّف جيرالت، وأخرج بعض العملات النحاسية من جيبه.

قال لها بعبوس: «اسكبي لي مقدارًا صغيرًا من السعادة، يا جدّة.»

أخذ نفسًا عميقًا، ثم ابتلع الشراب دفعةً واحدة، وزفر بقوة. مسح الدموع التي جلبها المشروب الحادّ لعينيه.

كان حرًّا الآن. وغاضبًا.

المثير للاهتمام أنه عرف بإطلاق سراحه من شخص كان يعرفه بالوجه؛ إنه الشاب نفسه ذو الصلع المبكر، الذي رآه سابقًا يُطرد من درجات حانة «ناتورا ريروم»، والذي تبيّن أنه كاتب المحكمة.

قال له الشاب الأصلع، وهو يشبك ويفك أصابعه النحيلة الملطخة بالحبر:

«أُطلق سراحك. لقد دفع أحدهم الكفالة.»

«من؟»

تبيّن أن هذه المعلومة سرية للغاية، ورفض الكاتب الأصلع إعطاءه إياها. كما رفض — بشكلٍ فظّ — إعادة محفظة جيرالت المصادرة، التي كانت تحتوي على نقود وشيكات مصرفية وأشياء أخرى. وأعلن بلهجة لا تخلو من الشماتة أن السلطات تعاملت مع ممتلكات الويتشر الشخصية باعتبارها ضمانًا للمصاريف القضائية والغرامات المتوقعة.

لم يكن الجدال مجديًا أو نافعًا. واضطر جيرالت بعد الإفراج عنه إلى الاكتفاء بما بقي في جيوبه عند القبض عليه، مقتنيات تافهة وعملات زهيدة، زهيدةٌ جدًا لدرجة أن أحدًا لم يكلّف نفسه عناء سرقتها.

عدّ ما تبقى من العملات النحاسية، ثم ابتسم للعجوز قائلًا:

«والآن اسكبي لي مقدارًا صغيرًا من الفرح، من فضلك. لكنني سأستغني عن الخيار المخلل هذه المرة.»

بعد شراب العجوز، صار العالم أجملَ قليلًا في عينيه. لكنه أدرك أن هذا الشعور سيزول سريعًا، لذا أسرع الخطى. كانت لديه أمور عليه إنجازها.

لحسن الحظ، نجت «روتش»، فرسه، من انتباه المحكمة، ولم تُدرَج ضمن حسابات ضمان المصاريف القضائية، وكانت في المكان الذي تركها فيه تمامًا؛ في الإسطبل، نظيفة ومُعتنى بها جيدًا ومُطعَمة. لم يستطع الويتشر قبول مثل هذه العناية دون مكافأة، بغض النظر عن وضعه المالي. سلّم السائس بضع قطع فضية من تلك التي نجا بها داخل مخبأ سري خِيط في سرجه. كادت سخاء جيرالت أن يقطع أنفاس الرجل من المفاجأة.

كان الأفق فوق البحر يزداد ظُلمة، وبدت لجيرالت ومضات بعيدة من البرق هناك.

قبل أن يدخل إلى مقرّ الحراسة، ملأ رئتيه بحذر بهواء نقي. لكنه لم يجدِ نفعًا؛ إذ يبدو أن حارسات المقر تناولن ذلك اليوم كميةً من الفاصولياء أكثر من المعتاد، كميةً هائلة في الواقع. من يدري، ربما كان اليوم هو الأحد.

كانت بعضهن يأكلن كالعادة، بينما انشغلت أخريات بلعب النرد. نهضن من الطاولة بمجرد رؤيته، وأحطن به من جميع الجهات.

اقتربت القائدة منه بشدة وقالت: «انظرن من أتى! إنه الويتشر! حضر بنفسه!»

قال جيرالت بهدوء: «سأغادر المدينة. جئت لاستعادة ممتلكاتي.»

دفعت به حارسة أخرى بمرفقها، متظاهرةً بأن الأمر عفوي:

«هذا إن سمحنا لك بذلك. ماذا ستعطينا مقابلها؟ سيكون عليك أن تشتري حريتك، يا صغيري. أليس كذلك يا فتيات؟ ماذا سنجعله يفعل؟»

صرخت إحداهن ضاحكة: «يجثو ويقبّل مؤخراتنا جميعًا!»

وأضافت أخرى: «مع لعق! ومع عضّ أيضًا!»

«لا شيء من هذا القبيل! قد ينقل إلينا عدوى.»

صاحت أخرى وهي تقترب منه وتضغط عليه بصدرها الصلب:

«ولكن عليه أن يسعدنا قليلًا، أليس كذلك؟»

قالت إحداهن بصوتٍ مرتفع: «يمكنه أن يغنّي لنا أغنية.» ثم أطلقت ريحًا مدويةً وأضافت: «وعليه أن يلحّن الأغنية على إيقاع صوتي!»

صاحت حارسة أخرى بصوتٍ أعلى، مطلقةً ريحًا أشد قوة: «أو إيقاعي أنا! إيقاعي أكثر عمقًا وجمالًا!»

انفجرت الأخريات ضحكًا حتى أمسكن خواصرهن من شدته.

شقّ جيرالت طريقه بين الحارسات، محاولًا بكل جهده ألا يستخدم عنفًا مفرطًا. في تلك اللحظة، فُتح باب غرفة الودائع، وظهر الرجل العجوز ذو العباءة الرمادية والقبعة الصوفية؛ كان ذلك هو غونشوريك، المسؤول عن الودائع. حين رأى الويتشر، اتسعت عيناه وفغر فمه من الدهشة.

غمغم متلعثمًا: «أنت، يا سيدي؟ كيف ذلك؟ سيوفك...»

قاطعه جيرالت ببرود: «بالضبط، سيوفي. هل يمكنني استعادتها؟»

«ولكن... ولكن...» اختنق غونشوريك، ممسكًا صدره ومحاولًا التقاط أنفاسه، «لكنها ليست معي!»

«عفوًا، ماذا تقول؟»

«ليست لدي...» احمر وجه غونشوريك بشدة وتقلص من الألم كأنه أصيب بنوبة مفاجئة. «لقد... أُخذت السيوف...»

قبض جيرالت على ثياب الرجل بغضب: «ماذا تعني بأنها أُخذت؟ أُخذت مِن قِبَل مَن بحق الجحيم؟ ماذا يعني كل هذا الهراء؟»

«الوصل...»

قاطعته قائدة الحارسات فجأةً وهي تقبض بقبضة حديدية على ذراع جيرالت، وتدفعه بعيدًا عن غونشوريك المختنق:

«بالضبط! أرنا الوصل!»

لم يكن لدى الويتشر وصل. الوصل من مخزن الأسلحة كان في محفظته التي صادرتها المحكمة، كضمانٍ للمصاريف والغرامات المحتملة.

«الوصل!»

«ليس معي، ولكن...»

قاطعته القائدة بقسوة: «لا وصل، لا سيوف. أُخذت سيوفك، ألم تسمع؟ ربما أنت من أخذها، وتقوم الآن بهذا العرض المسرحي لخداعنا؟ لن تحصل على شيء. هيا، انصرف من هنا.»

قال جيرالت بغضب: «لن أغادر قبل أن...»

لكن القائدة لم تستمع، وبقبضتها القوية سحبته بقوة، ثم أدارته ليواجه الباب.

«انصرف من هنا!»

كان جيرالت عادةً يتحاشى ضرب النساء. لكنه لم يكن يجد غضاضة في الأمر حين تكون المرأة لها كتفا مصارعٍ، وبطنها كقطعة لحم مشوية ملفوفة بالشبكة، وعضلات ساقيها كقوائم لاعب رمي القرص، وتطلق الريح كالبغل. دفع القائدة بعيدًا عنه، ثم وجّه لها لكمةً قاسية إلى فكّها بيده اليمنى المفضلة.

تجمّدت الحارسات الأخريات في أماكنهن، لكن لمدة ثانية واحدة فقط. حتى قبل أن تسقط القائدة على الطاولة وتنثر الفاصولياء وصلصة البابريكا في كل مكان، كنّ قد هجمن عليه. دون تفكير، لكم إحداهن بقوة في أنفها، وضرب أخرى بشدة حتى سمع صوت تكسر أسنانها. ثم أطلق علامة «آرد» على اثنتين أخريين، فحلّقتا في الهواء مثل دُميتين وسقطتا على منصة الأسلحة، وأحدثتا ضجيجًا مروعًا لا يوصف من ارتطام الأسلحة المتساقطة.

في تلك اللحظة، تلقى ضربة قوية على أذنه من القائدة التي كانت تقطر صلصة. وقبضت عليه من الخلف حارسة أخرى، تلك التي تتمتع بصدر صلب كالحديد، محاوِلةً تثبيته بإحكام. دفعها جيرالت بمرفقه بقوة حتى أطلقت صرخة ألم، ثم دفع القائدة مرةً أخرى نحو الطاولة ووجّه إليها لكمة عنيفة. ضرب الحارسة ذات الأنف المهشم في معدتها فسقطت على الأرض، ثم تقيأت بصوت مرتفع. أما

أخرى فقد اصطدم رأسها بعامود بعد لكمة قوية على صدغها، فترنّحت فاقدةً وعيها، واغرورقت عيناها على الفور.

لكن بقيت أربع حارسات واقفات، وكان ذلك يعني نهاية تفوقه. تلقى ضربةً على رأسه من الخلف، وأخرى على أذنه، ثم على أسفل ظهره. أوقعت به إحداهن أرضًا، وما إن سقط حتى ارتمت اثنتان عليه، تُثبتانه على الأرض وتنهالان عليه ضربًا بقبضتيهما، بينما تكفلت الاثنتان الأخريان بركله بقوة.

بضربة رأس مباغتة أصاب وجه واحدة منهن وأسقطها عنه، لكن الأخرى سارعت بتثبيته بقوة أكبر. فوقه، كانت القائدة التي تعرّف عليها من الصلصة التي ما زالت تقطر منها، وجّهت إليه لكمة قوية على أسنانه، فبصق الدم في عينيها مباشرةً.

صرخت القائدة بغضب وهي تهز رأسها الحليق: «سكّين! أعطني سكينًا! سأقطع خصيتيه!»

صرخت حارسة أخرى ضاحكة: «لماذا السكين؟ سأعضهما بأسناني!»

«توقّفن! انتباه! ما معنى هذا؟ قلت انتباه!»

اخترق صوتٌ جهوري، قويّ النبرة ومُطالب بالاحترام، ضجة المعركة، ما جعل الحارسات يتوقفن فورًا. تركن جيرالت من قبضتهن، فنهض بصعوبة، متألمًا قليلًا. ومع ذلك، تحسّن مزاجه قليلًا حين ألقى نظرةً على ساحة المعركة. تأمّل نتائج عمله بشيء من الرضا؛ الحارسة التي كانت مستلقية بجانب الجدار فتحت عينيها للتو، لكنها لم تستطع حتى الجلوس. وحارسة أخرى كانت تنحني وتبصق الدم وتتفقد أسنانها المكسورة بأصابعها. أمّا التي كُسر أنفها، فكانت تحاول النهوض مرارًا وتسقط في كل مرة من جديد في بركة قيئها المليء بالفاصولياء. ثلاث فقط من أصل ست حارسات تمكنَّ من الوقوف بصعوبة. كانت نتائج مرضية تمامًا، رغم أنه كان يدرك أنه لولا هذا التدخل الأخير، لكانت الإصابات التي سيتلقاها أخطر بكثير، ولربما لم يكن قادرًا على النهوض دون مساعدة.

كان الشخص الذي تدخّل رجلًا ذا مظهرٍ نبيل وملابس أنيقة، يشعّ هيبةً وسلطة. لم يكن جيرالت يعرف من يكون هذا الرجل، لكنه عرف جيدًا من كان رفيقه. شابٌ متأنّق يرتدي قبعةً مزخرفةً بريشة مالك الحزين، وشعره الأشقر الطويل مموج بعناية. كان يرتدي سترة بلون النبيذ الأحمر وقميصًا مزيّنًا بالدانتيل، ويحمل في يده قيثارته الأبدية، وعلى شفتيه ابتسامة وقحة دائمة الحضور.

«مرحبًا، يا ويتشر! ما هذا الذي تبدو عليه؟ يا لهذا الوجه المهشّم! سأموت من الضحك!»

ردّ جيرالت بهدوء: «مرحبًا، دانديليون. أنا أيضًا سعيدٌ برؤيتك.»

سأل الرجل ذو المظهر النبيل، واضعًا يديه على خصره بغضب واضح: «ماذا يجري هنا؟ هيا تكلّمن، ما الذي تفعلنه؟ أريد تقريرًا مفصّلًا الآن!»

صرخت قائدة الحارسات وهي تمسح ما تبقى من الصلصة من أذنيها، مشيرةً بإصبع الاتهام نحو جيرالت: «إنه هو! هو المذنب، أيها المحقّق المحترم! لقد فقد أعصابه وأحدث فوضى، ثم بدأ بالضرب، وكل هذا بسبب سيوف في المخزن ليس معه وصلٌ بها. غونشوريك سيؤكد كلامي... هيه، غونشوريك! لماذا أنت متكوّر في الزاوية هكذا؟ هل تبرّزت في سروالك؟ انهض من مكانك وأخبر السيد المحقق المحترم... غونشوريك؟ ماذا أصابك؟»

كانت نظرة واحدة كافية لمعرفة ما أصابه. لم تكن هناك حاجة لفحص نبضه؛ وجهه الأبيض الشاحب كان كافيًا. لقد كان غونشوريك ميتًا. ببساطة، لقد فارق الحياة.

* * *

«سنبدأ تحقيقًا رسميًا، يا سيّد ريفيا،» قال فيران دي ليتنهوف، المُحقق القضائي للمحكمة الملكية. «وبما أنك تقدمت بشكوى رسمية، فلا خيار لدينا سوى فتح التحقيق؛ هذا ما يأمر به القانون. سنستجوب كل شخص أُتيح له الوصول إلى المكان أثناء اعتقالك ومحاكمتك.»

«أتقصد المشتبه بهم المعتادين؟»

«عفوًا؟»

«لا شيء، لا شيء.»

تابع فيران: «بالتأكيد ستتضح الأمور، وسيُقدّم المتهمون بسرقة السيوف إلى العدالة، هذا إن كانت السرقة قد وقعت حقًا. أعدك أننا سنكشف الغموض ونُظهر الحقيقة كاملة.»

ردّ جيرالت ببرود: «أفضّل أن يحدث ذلك بسرعة. إنّ سيوفي هي مصدر رزقي، ولا أستطيع ممارسة مهنتي من دونها. كما أنني مدرك جيدًا أن مهنتي تعرضني للكثير من التحيز السلبي الناتج عن الجهل، والخرافة، وكراهية الغرباء. آمل ألّا تؤثر هذه الأمور على التحقيق.»

ردّ فيران دي ليتنهوف بجفاف: «لن تؤثر. فالقانون والنظام هما السائدان هنا.»

بعد أن أخرج الخدم جثة غونشوريك، أمر المحقق بتفتيش غرفة الودائع بالكامل. وكما كان متوقعًا، لم يُعثر على أي أثر لسيوف الويتشر. بعد ذلك، أشارت قائدة الحارسات — التي ما زالت غاضبة — إلى مكانٍ كان غونشوريك يحتفظ فيه بوصولات الودائع المُستلمة. سُرعان ما عُثر على وصل الويتشر من بينها. قلّبت قائدة الحارسات مجموعة الأوراق، ثم دفعته أمام أنفه بعد لحظةٍ واحدة.

«ها هو ذا، واضحٌ أمامكم بالأبيض والأسود!» أشارت القائدة بانتصار، «التوقيع يقول: غيرلاند من ريبليا. ألم أقل لكم إن الويتشر جاء وأخذ سيوفه بنفسه؟ والآن هو يكذب، بلا شك ليطالبنا بتعويضات. لقد مات غونشوريك المسكين بسبب قلقه منه! انفجرت مرارته وتوقف قلبه!»

لكن لا هي ولا أيّ من الحارسات الأخريات وافقن على الإدلاء بشهادة تثبت أن إحداهن قد رأت بالفعل جيرالت وهو يستلم أسلحته. والتبرير كان جاهزًا على لسانهن: «هناك دومًا من يتحرّك هنا ويذهب ويجيء،» أو أنهن «كنّ منشغلات بالطعام في ذلك الوقت».

كانت طيور النورس تحلّق فوق سطح المحكمة وهي تطلق صيحاتها الحادة المُزعجة. وقد دفعت الرياح بالسحب نحو الجنوب فوق البحر، وعاودت الشمس الظهور.

قال جيرالت محذّرًا:

«اسمحوا لي أن أنبّهكم مسبقًا إلى أن سيوفي محمية بتعويذات سحرية شديدة القوة. لا يستطيع لمسها سوى الويتشرات، أما الآخرون فتُستنزَف قواهم الحيوية إذا لمسوها. وتظهر آثار ذلك بشكل رئيس في فقدان الرجولة والقوة الجنسية. أتحدّث هنا عن عجزٍ جنسيّ تام ودائم.»

قال المحقق القضائي وهو يهز رأسه:

«سنعمل على أخذ ذلك بعين الاعتبار. لكن في هذه اللحظة، أطلب منك ألا تغادر المدينة. أما بالنسبة للشجار الذي حدث في مقر الحراسة، فأنا مستعد لغضّ الطرف عنه مؤقتًا؛ إذ إنه أمر معتاد هناك، والحارسات عصبيات الطباع. وبما أن جوليان — أقصد اللورد دانديليون — يضمنك بنفسه، فأنا على ثقة بأن قضيتك ستُحل في المحكمة بشكلٍ مُرضٍ.»

ضيّق الويتشر عينيه وقال:

«إن قضيتي هذه ليست سوى مضايقة واضحة، وترهيب نابع من التعصب والكراهية...»

قاطعه المحقق القضائي قائلًا بحزم:

«سيتم فحص الأدلة، وستُتّخذ الإجراءات وفقًا لما تقضي به تلك الأدلة. هذا ما يفرضه القانون والنظام. القانون والنظام نفسهما اللذان منحوك حريتك، وإن كان ذلك بكفالة، أي بصورة مشروطة. وأنت ملزم، يا سيد ريفيا، باحترام هذه الشروط.»

«من الذي دفع الكفالة؟»

رفض فيران دي ليتنهوف ببرود أن يكشف هوية الشخص الذي دفع كفالة الويتشر، ثم ودّعه وتوجّه نحو مدخل المحكمة، مصحوبًا بخدمه. وهذا بالضبط ما كان ينتظره دانديليون. فما إن خرجوا من ساحة المحكمة ودخلوا شارعًا ضيقًا، حتى كشف دانديليون كل ما كان يعرفه:

«إنها سلسلة حقيقية من الصدف المؤسفة والأحداث سيئة الحظ، يا جيرالت العزيز. وبالنسبة للكفالة، فقد دفعتها عنك امرأة تُدعى ليتا نيد، تُعرف بين أصدقائها باسم (كورال)، نسبةً إلى لون أحمر الشفاه الذي تضعه. وهي ساحرة تعمل في خدمة (بيلوهون)، الملك المحلي هنا. الجميع محتارون تمامًا حول دوافعها للقيام بذلك. لأنّها، ببساطة، الشخص نفسه الذي تسبّب في إدخالك السجن.»

«ماذا؟»

«استمع جيدًا. كورال هي التي أبلغت عنك. في الحقيقة، لم يفاجئ ذلك أحدًا؛ فمن المعروف عمومًا أن السحرة والساحرات يضمرون لك الضغينة. ثم فجأةً، ودون سابق إنذار، تأتي الساحرة نفسها وتدفع كفالتك، وتُخرجك من الزنزانة التي دخلتها بسببها. المدينة كلها...»

«معروف عمومًا؟ المدينة كلها؟ عمَّ تتحدث يا دانديليون؟»

«أنا أستخدم مجازات وتعبيرات رمزية. لا تتظاهر بأنك لا تفهمني، أنت تعرفني جيدًا. بالتأكيد ليست (المدينة كلها)، بل بعض الأشخاص المتصلين جيدًا بالبلاط.»

«وأنت منهم، على ما أظن؟»

«بالضبط. فيران هو ابن عمي، ابن شقيق والدي. جئت لزيارته، كما يفعل الناس مع أقربائهم، وعندها علمت بورطتك. وعلى الفور تدخلت من أجلك، ولا يمكنك أن تشك في ذلك إطلاقًا. لقد كفلتك وتحدثت عن نزاهتك. وتحدّثت كذلك عن ينيفر...»

«شكرًا جزيلًا.»

«كُفّ عن السخرية! اضطررت للحديث عنها لأساعد قريبي على فهم أن الساحرة المحلية تفتري عليك وتشوه سمعتك بدافع الغيرة والحسد. وأن جميع الاتهامات باطلة، وأنك لست من النوع الذي ينحدر إلى الاحتيال والنصب. وبفضل تدخّلي، أصبح فيران دي ليتنهوف، المحقق القضائي الملكي والمسؤول القانوني رفيع المستوى، مقتنعًا تمامًا ببراءتك...»

قال جيرالت: «لم يترك في نفسي هذا الانطباع. بل على العكس تمامًا، شعرت أنه لم يُصدّقني، لا في قضية الاختلاس المزعومة ولا في قضية السيوف المختفية. هل سمعت ما قاله عن الأدلة؟ الأدلة هي هوسه. بالنسبة له، الوشاية ستكون دليلًا على الاحتيال، وتوقيع (غيرلاند من ريبليا) على وصل الاستلام هو برهان على كذبة سرقة السيوف. ناهيك عن تعابير وجهه حين حذّرني من مغادرة المدينة...»

قال دانديليون: «أنت تقسو عليه أكثر من اللازم. أنا أعرفه أفضل منك. حقيقة أنني ضمنتك أمامه تساوي لديه أكثر من عشرات الأدلة الملفّقة. لقد كان محقًا حين حذّرك. لماذا تظن أننا ذهبنا معًا إلى مقر الحراسة؟ كي نمنعك من ارتكاب حماقة. أنت تقول إن هناك من يُدبّر لك مكيدة ويُلفّق أدلةً زائفة؟ إذًا لا تمنح ذلك الشخص دليلًا لا يمكن دحضه على ذنبك، والهرب هو الدليل الذي ينتظره.»

قال جيرالت: «ربما أنت على حق. لكن حدسي يخبرني بغير ذلك. أشعر أن عليَّ الهروب فورًا قبل أن يوقعوا بي في فخّهم بالكامل. أولًا الاعتقال، ثم الكفالة، وبعدها مباشرة السيوف... ماذا بعد ذلك؟ تبًا، بدون السيوف أشعر... أشعر كالحلزون الذي فقد صدفته.»

«أعتقد أنك تُضخّم الأمر كثيرًا. المدينة مليئة بالمحالّ التجارية. انسَ أمر تلك السيوف واشترِ غيرها.»

«ولو افترضنا أن شخصًا سرق قيثارتك؟ التي حصلت عليها، كما أتذكّر، في ظروف درامية إلى حدٍّ ما؟ ألم تكن لتقلق؟ هل كنت ستنسى أمرها ببساطة وتشتري أخرى من المتجر المجاور؟»

شدّ دانديليون قبضته على قيثارته لا شعوريًا، وأخذ يُقلّب عينيه بين المارة بقلق. إلا أن أيًا منهم لم يبدُ كأنه لصّ محتمل، كما لم يُبدِ أحدٌ منهم اهتمامًا مريبًا بآلته الموسيقية الفريدة.

تنهد وقال: «نعم، حسنًا. فهمتك الآن. مثل قيثارتي تمامًا، سيوفك هي أيضًا فريدة ولا تُعوّض. أضف إلى ذلك... ماذا قلت عنها؟ إنها مسحورة؟ تُسبّب عجزًا جنسيًا سحريًا؟ اللعنة، جيرالت! الآن تقول لي هذا؟ لقد قضيتُ الكثير من الوقت بصحبتك، وكانت سيوفك دائمًا قريبة جدًا مني، وأحيانًا كانت قريبة للغاية! الآن فهمتُ سبب الصعوبات التي كنتُ أعانيها مؤخرًا... تبًا...»

ابتسم جيرالت قائلًا: «اهدأ. تلك القصة عن العجز الجنسي مجرد هراء اخترعته في حينها، آملًا أن تنتشر الشائعة، فيرتعب السارق ويُعيدها بسرعة.»

قال دانديليون، وهو ما يزال شاحبًا بعض الشيء:

«إذا شعر السارق بالخوف فقد يُلقي بالسيوف في كومة قمامة، ولن تراها مرة أخرى. من الأفضل أن تعتمد على ابن عمي فيران. فهو يعمل كمحقق قضائي منذ سنوات طويلة، ولديه جيش كامل من المأمورين، والوكلاء، والمخبرين. سيعثرون على السارق في لمح البصر، سترى ذلك بنفسك.»

«هذا إن كان السارق ما يزال في المدينة،» قال جيرالت من بين أسنانه بغضب. «ربما هرب أثناء وجودي في السجن. بالمناسبة، ما اسم تلك الساحرة التي ورطتني في هذا كله؟»

«ليتا نيد، وتلقّب بـ(كورال). أظن أنني أعرف ما تخطط له يا صديقي، لكنني لا أعتقد أنه فكرة جيدة. إنها ساحرة. ساحرة وامرأة في آنٍ واحد، أي أنها جنس غريبٌ لا يخضع للمنطق العقلاني، وتتصرف وفق آلياتٍ ومبادئ يستحيل فهمها على الرجال العاديين. على أي حال، لماذا أخبرك بهذا؟ أنت تعرف ذلك جيدًا، ولديك خبرة كبيرة في هذا المجال... مهلاً، ما هذا الضجيج؟»

كانا قد وصلا، أثناء تجولهما بلا هدف في شوارع المدينة، إلى ساحة صغيرة يملؤها صوت الطرق المتواصل للمطارق. اتضح أن هناك ورشةً كبيرة لصنع البراميل. كانت حِزم من الألواح الخشبية المقطوعة بعناية مكدسةً تحت مظلة على جانب الطريق، ومنها كان الصبية حفاة الأقدام يحملون الألواح إلى طاولاتٍ يثبّتونها فيها، ثم يُشكلونها بأدوات نحت خاصة. بعد ذلك تنتقل هذه القطع إلى حرفيين آخرين يُتمّمون العمل على منصات طويلة، وهم يقفون فوقها وسط أكوام من نشارة الخشب تصل إلى كواحلهم. في النهاية، تصل الألواح المُعدة إلى صانعي البراميل، الذين يجمعونها معًا. راقب جيرالت لفترة كيف تتشكل البراميل تدريجيًا تحت ضغط الكماشات والمشابك المبتكرة التي تُشدّ بمسامير. ثم تأتي الأطواق المعدنية التي تُطرق على البرميل لتمنحه شكله النهائي.

تصاعد البخار من أوعية نحاسية كبيرة تُستخدم لتبخير البراميل، وانطلق إلى الشارع مباشرة. أما رائحة الخشب المحمّص بالنار — إذ كانت البراميل تُقوّى بالنار قبل المرحلة التالية من التصنيع — فتصاعدت من فناء الورشة لتملأ المكان.

أعلن دانديليون بحماس:

«كلما رأيت برميلًا، شعرت برغبة شديدة في شرب الجعة. تعال، أعرف نُزلًا لطيفًا قريبًا من هنا.»

قال جيرالت: «اذهب وحدك. أنا ذاهب لزيارة الساحرة. أظن أنني أعرف أي ساحرة هي؛ لقد رأيتها بالفعل من قبل. أين يمكنني العثور عليها؟ لا تتجهم هكذا، دانديليون. يبدو أنها هي أصل كل مشاكلي وسببها المباشر. لا أنوي الانتظار حتى تتفاقم الأمور أكثر؛ سأذهب وأسألها مباشرة. لا يمكنني البقاء في هذه المدينة لوقت أطول، ولو لسبب بسيط، وهو أنني أصبحتُ مُفلسًا تقريبًا.»

أعلن دانديليون بفخر: «سنجد حلًا لذلك. سأساعدك ماليًا بكل سرور... جيرالت؟ ماذا هناك؟»

«عُد بسرعة إلى صانع البراميل وأحضر لي لوحًا خشبيًا.»

«ماذا؟»

«اجلب لي لوحًا، بسرعة.»

كانت الطريق قد سُدّت بثلاثة رجال ضخام الأجسام ذوي وجوه قبيحة متسخة لم يحلقوها منذ فترة طويلة. أحدهم، وكان عريض الكتفين حتى بدا شبه مربع الشكل، يمسك هراوةً ذات رأس معدني غليظة كقضيب رفع المرساة. الثاني، يرتدي معطفًا من جلد الخراف بفروه الخارجي، ويحمل ساطورًا كبيرًا، ويتدلّى من حزامه فأس قرصان صغير. أما الثالث، وكان ذا بشرة سمراء كلون البحارة، فكان مُسلّحًا بخنجر طويل ذي مظهر مرعب.

بدأ الرجل المربّع الشكل: «هيه، أنت أيها الوغد الريفياني! كيف تشعر دون سيوفك على ظهرك؟ مكشوف المؤخرة للرياح، أليس كذلك؟»

لم يُجِب جيرالت، بل انتظر. سمع دانديليون يساوم صانع البراميل على لوحٍ خشبي.

أكمل الرجل المربع الذي بدا أكثرهم براعة في فن الخطابة: «أصبحت بلا أنياب الآن، أيها الوحش، يا ضفدع الويتشرات السام. لم يعد أحد يخاف من زاحف بلا أنياب! فالزواحف التي لا تملك أنيابًا ليست سوى ديدان لزجة. وهذا النوع من القذارة نسحقه بأحذيتنا حتى لا يجرؤ مجددًا على دخول مدننا والتجوّل بين الناس المحترمين. لن تسمّم شوارعنا بلزوجتك بعد الآن، يا زاحف. هيا يا شباب!»

«جيرالت! التقط هذا!»

أمسك جيرالت باللوح الذي رماه إليه دانديليون، ثم تفادى ضربة الهراوة، وضرب الرجل المربع على جانب رأسه، واستدار بسرعة ضاربًا الرجل الذي يرتدي جلد الخراف على مرفقه، فصرخ هذا الأخير من الألم وأسقط الساطور. بعدها ضربه خلف ركبتيه فأسقطه أرضًا، ثم عاجله بضربة على صدغه. دون أن

ينتظر سقوط الرجل، ودون أن يبطئ حركته، تفادى مجددًا هجوم الرجل المربع بالهراوة وضربه بقوة على أصابعه التي كانت تقبض عليها. أطلق الرجل المربع عواء ألم وسقطت منه الهراوة، ثم تلقّى ضربة قوية على أذنه اليمنى، ثم على أضلاعه، ثم على أذنه اليسرى، وأخيرًا ركلة عنيفة بين ساقيه. سقط الرجل المربع على الأرض متكوّرًا على نفسه، وجبهته تلامس الأرض وهو يئنّ من الألم.

كان الرجل الأسمر، وهو الأكثر رشاقة وخفّة من بين الثلاثة، يدور حول الويتشر بخطواتٍ راقصة. ألقى سكينه ببراعة من يدٍ إلى أخرى، ثم انقضّ عليه فجأة بانحناءة خاطفة، محاولًا طعنه بضربةٍ مائلة. تجنّب جيرالت الضربة بسهولة. وعندما تراجع المهاجم للوراء، عاجله جيرالت بضربةٍ خاطفة باللوح أصابت يده التي تحمل السكين، فسقط السلاح من يده وهو يتأوه ألمًا. استغلّ الويتشر الموقف ووجّه إليه ضربةً قوية في كليته اليمنى، فأطلق المهاجم صرخةً مروّعة، وانحنى جسده من الألم، فأتبعها جيرالت بضربةٍ دقيقة أسفل أذنه مباشرةً، على العصب الحسّاس الذي يُطلق عليه الأطباء اسم «الضفيرة النكفية».

قال جيرالت بهدوء: «يا للأسف.»

سقط الرجل أرضًا، وتشنّج جسمه من الألم. أما الثالث فقد تلقى ضربةً خلف عنقه أفقدته وعيه على الفور.

بعد قليل وصل أفراد حرس المدينة مسرعين، يدفعون أمامهم جمهورًا متزايدًا من المتفرجين الفضوليين. سارع دانديليون إلى تهدئة الموقف مستخدمًا علاقاته الشخصية، شارحًا بصوتٍ مرتفع من كان المعتدي ومن كان يدافع عن نفسه. شرح الأمر بحماسة، مستعرضًا صلاته بالعائلة الحاكمة، مؤكدًا أن جيرالت كان هو الضحية.

همس جيرالت لدانديليون: «أعد اللوح إلى صانع البراميل.»

«في الحقيقة، اضطررت لشرائه.» اعترف دانديليون، «لكن يبدو أنني كنتُ على حق. أنت تجيد استخدام اللوح، ويجدر بك حمل واحدٍ معك باستمرار بدلًا من سيوفك.»

«كانوا ليهاجموني بالسكاكين لو رأوا سيفي معي. كانوا يعلمون أنني أعزل، لهذا تجرؤوا.»

نظر إلى الحشد المتزايد من الفضوليين الذين وقفوا لمشاهدة المعركة، ثم أضاف بنبرةٍ هادئة:

«أرشدني الآن إلى مكان الساحرة. لديّ معها حديث طويل.»

«سأرشدك بكل سرور،» قال داندیليون بابتسامةٍ واسعة. «لكن أولًا، اسمح لي أن أقترح عليك نصيحة ودّية...»

«نعم؟»

«اذهب إلى الحمّام أولًا. ثم إلى الحلّاق.»

احذر خيبات الأمل، فالمظاهر قد تكون خادعة.

نادرًا ما تكون الأشياء على حقيقتها.

والمرأة... ليست أبدًا كما تبدو.

نصف قرن من الشعر - دانديليون

الفصل الخامس

كانت المياه في النافورة تدور وتغلي، متناثرة حولها قطرات ذهبية صغيرة.

مدّت ليتا نيد، المعروفة باسم كورال، يدها وردّدت تعويذة استقرار. هدأت المياه فجأة، ملساء كما لو أنّ الزيت قد سُكب فوقها، ثم بدأت تتوهّج بوميض خافت. ظهرت الصورة في البداية ضبابية وغير واضحة، لكنها سرعان ما ازدادت وضوحًا، حتى استقرت أخيرًا. ورغم التشوّه الطفيف الذي أحدثته حركة الماء، إلا أن المشهد كان دقيقًا وجليًّا تمامًا.

انحنت كورال للأمام.

في سطح المياه الهادئ، رأت السوق الرئيسي للمدينة، سوق التوابل، وشاهدت رجلاً أبيض الشعر وهو يعبر الشارع. حدّقت الساحرة بتركيز، راقبت، بحثت عن دلائل، عن إشارات، عن تفاصيل مهما بدت ضئيلة، قد تمكّنها من التقييم الصحيح، وتسمح لها بالتنبؤ بما قد يحدث لاحقًا.

كان لليتا نيد رأي ثابت، صقلته سنوات من التجربة والخبرة، حول مفهوم الرجولة الحقيقية.

كانت تعرف كيف تميّز الرجل الحقيقي وسط جموع الرجال الذين لا يزيدون عن مجرد محاولات غير مكتملة، أو نسخ باهتة. ولم تكن بحاجة إلى اختبار ذلك من خلال الاتصال الجسدي، فقد اعتبرت، مثل معظم الساحرات، أن هذا الأسلوب ليس فقط سطحيًا ومبتذلًا، بل قد يكون مضلّلًا أيضًا، وقد يقود المرء إلى قرارات كارثية.

فالتجربة المباشرة، كما أثبتت محاولاتها السابقة، قد تكون مؤشرًا على الذوق، لكنها في كثير من الأحيان تترك مذاقًا مريرًا، وتصاحبها اضطرابات في الهضم، وحموضة في المعدة، وأحيانًا حتى التقيؤ.

كان بإمكان ليتا التعرف على الرجل الحقيقي حتى من بعيد، اعتمادًا على معايير طفيفة قد تبدو غير ذات أهمية.

فالرجل الحقيقي، وفقًا لما خبرته، هو صيّاد متحمّس، لكن فقط باستخدام الطُعم الطائر. وهو جامع شغوف لتماثيل الجنود العسكريين، والرسوم الإيروتيكية[5]، ونماذج السفن الشراعية التي يصنعها بنفسه،

[5] الرسوم الإيروتيكية هي نوع من الفنون البصرية التي تصور موضوعات جنسية أو حسية بأسلوب فني، وهي تختلف عن الإباحية في كونها تركز على الجمال والجاذبية والتعبير الفني أكثر من التركيز المباشر على الفعل الجنسي نفسه.

بما في ذلك تلك المحشورة داخل زجاجات زجاجية ضيقة. كما أن منزله لا يخلو أبدًا من زجاجات المشروبات الكحولية الفاخرة الفارغة.

إنه أيضًا طاهٍ بارع، قادر على إبداع روائع الطهي.

وبالطبع، فإن مجرد رؤيته كافٍ لإثارة الرغبة.

أما جيرالت من ريفيا، الويتشر الذي سمعت عنه الكثير، وجمعت عنه معلومات وافرة، والذي كانت تراقبه الآن في سطح المياه المتلألئة، فلم يستوفِ من تلك الشروط إلا شرطًا واحدًا فقط، على ما يبدو.

صرخت بصوت حازم:

«موزاييك!»

«نعم، سيدتي.»

«سنستقبل ضيفًا. أريد أن يكون كل شيء مُعدًّا بعناية وأناقة. لكن أولًا، أحضري لي ثوبًا.»

«ثوب الوردة الشايية؟ أم الأزرق البحري؟»

«الأبيض. هو يرتدي الأسود، سنقدّم له مزيج الين واليانغ. وأحضري لي صندلًا يناسبه، تأكّدي من أن كعبه لا يقل عن أربع بوصات. لا أريده أن ينظر إليّ من علٍ أكثر من اللازم.»

«سيدتي... ذلك الثوب الأبيض...»

«ماذا عنه؟»

«إنه، حسنًا...»

«بسيط؟ خالٍ من الزينة والتطريزات؟ آه، موزاييك، موزاييك... هل ستتعلمين يومًا؟»

* * *

عند المدخل، كان في انتظاره رجل ضخم الجثة، كرشُه بارز، وأنفه مكسور، وعيناه صغيرتان كعيني خنزير. تفحّص جيرالت من رأسه إلى قدميه، ثم أعاد تفحّصه في الاتجاه المعاكس. وأخيرًا، تنحّى جانبًا، مشيرًا له بالدخول.

في الردهة، كانت تنتظره فتاةٌ ذات شعرٍ ممشط بعناية حتى بدا وكأنه مصقول بالزيت. أشارت له بالدخول بصمت، دون أن تنطق بكلمة واحدة.

دخل الويتشر إلى فناءٍ داخلي مزين بالأزهار، وفي وسطه نافورة تنثر الماء في الهواء. وسط النافورة، كانت هناك تمثال رخامي صغير يصوّر فتاة عارية ترقص. لكن الأمر لم يكن مجرّد عمل فني متقن الصنع فحسب، بل إن هناك تفصيلًا آخر لفت انتباهه على الفور فالتمثال كان متصلًا بقاعدته عند نقطة واحدة فقط: طرف إصبع قدمها الكبير.

من المستحيل أن يكون التمثال ثابتًا دون الاستعانة بالسحر.

«جيرالت من ريفيا. مرحبًا بك. تفضّل بالدخول.»

لم تكن الساحرة ليتا نيد تمتلك ملامح ناعمة بالدرجة التي تُصنّفها كجمالٍ كلاسيكي.

ظلّت حِدّة ملامحها واضحة رغم أن مسحة الخوخ الدافئة من أحمر الخدود على وجنتيها حاولت تخفيفها دون جدوى. شفاهها — التي أُبرزت بأحمر شفاه بلون المرجان — كانت مثالية الشكل إلى حدٍّ يجعلها أكثر من مثالية، وكأنها مُبالغٌ في دقتها. لكن ذلك لم يكن الأمر الأهم.

كانت ليتا نيد ذات شعرٍ أحمر. أحمرٌ طبيعي، أصيل، نقيّ.

لون شعرها البُنيّ الفاتح الدافئ كان يُذكّر بلون معطف الثعلب الصيفي. بل إن جيرالت كان مقتنعًا تمامًا أنه لو أمسك بثعلبٍ أحمر ووضعه بجانبها، فلن يكون هناك أدنى فرق بينهما، حتى ليصبحا متطابقين تمامًا، لا يمكن تمييز أحدهما عن الآخر. وعندما كانت الساحرة تُحرّك رأسها، كانت درجات صفراء فاتحة تومض بين خصلات الأحمر، تمامًا كما في فراء الثعالب.

شعرٌ كهذا عادةً ما يكون مصحوبًا بالنمش كثير من النمش. لكن ليتا نيد لم يكن لديها أيّ منه.

شعر جيرالت بشيءٍ ما يوقظ داخله إحساسًا قديماً كان قد نسيه، إحساسًا راقدًا في أعماقه.

لطالما كان لديه ميلٌ غريب لا يمكن تفسيره نحو النساء ذوات الشعر الأحمر، ولطالما قاده هذا الميل إلى القيام بأمور حمقاء. لذا، كان عليه أن يكون أكثر حذرًا هذه المرة. عقد العزم على أن يظل يقظًا. وكان ذلك أسهل قليلًا الآن، فقد مرّ قرابة العام منذ أن توقّف عن الانجراف وراء مثل تلك الأخطاء السخيفة.

لكن الجاذبية المثيرة لشعرها الأحمر لم تكن السلاح الوحيد في ترسانة إغرائها.

فقد ارتدت فستانًا أبيض نقيًّا، بسيطًا بلا أي زينة أو تفاصيل ملفتة، وكان ذلك مُتعمدًا بلا شك، مخططًا له بدقة. بساطته لم تكن تُشتّت انتباه الناظر، بل كانت تجذبه مباشرةً نحو جسدها الفاتن. ونحو ذلك الانحناء العميق عند نحرها.

بعبارةٍ موجزة، كان بإمكان ليتا نيد بسهولة أن تكون النموذج المثالي لنقشٍ يرافق الفصل المُعنون بـ"الرغبة غير الطاهرة" في الطبعة المصوّرة من كتاب النبي ليبيودا المقدّس.

ولأكون أكثر وضوحًا، ليتا نيد كانت امرأة لا يرغب أيّ رجل عاقل في البقاء معها أكثر من يومين.

لكن الأمر الغريب أن هذا النوع من النساء عادةً ما يكون مُلاحقًا بجحافل من الرجال، جميعهم راغبون في البقاء لمدّة أطول بكثير.

كانت رائحتها تفوح برائحة الفريزيا والمشمش.

انحنى جيرالت تحيةً، ثم تظاهر بأن التمثال في النافورة أكثر إثارة للاهتمام من قوامها أو فتحة صدرها العميقة.

«ادخل.» كررت ليتا، مشيرةً إلى طاولة ذات سطح من الملكيت وكرسيين مصنوعين من الخيزران.

انتظرت حتى جلس، ثم جلست بدورها، كاشفةً عن ساقٍ ممشوقة وحذاءٍ مصنوع من جلد السحالي. ظلّ الويتشر يركز انتباهه على القوارير البلورية وطبق الفاكهة، متجاهلًا المشهد المتعمّد أمامه.

«نبيذ؟ إنه نوراغوس من توسّان، في رأيي أكثر إغراءً من (إست إست) المبالغ في تقديره. هناك أيضًا كوت دي بليسور، إن كنت تفضّل الأحمر. صبّي له، موزاييك.»

«شكرًا.» تناول جيرالت الكأس من الفتاة ذات الشعر الأملس المشدود للخلف، وابتسم لها قليلًا.

«موزاييك. اسم جميل.»

رأى الذعر في عينيها.

وضعت ليتا نيد كأسها على الطاولة بضربة قوية، قاصدةً جذب انتباهه.

«ما الذي أتى بالسيد الشهير، جيرالت من ريفيا، إلى مسكني المتواضع؟» لوّحت بشعرها الأحمر اللامع. «أنا أموت شوقًا لمعرفة ذلك.»

قال ببرود متعمد: «لقد دفعتِ كفالتي. أنتِ من أخرجني من السجن. بفضل كرمك، كما يُقال. لكنكِ أنتِ أيضًا من أرسلتني إلى هناك في المقام الأول. صحيح؟ هل كان بسببكِ قضيتُ أسبوعًا في الزنزانة؟»

«أربعة أيام.»

«أربعة أيام إذن. وأودّ أن أعرف، إن أمكن، ما الدوافع وراء هذين الفعلين. كليهما.»

«كلاهما؟» رفعت حاجبيها وكأسها. «هناك دافع واحد فقط. واحد لا غير.»

«أوه.» تظاهر بأنه منشغل بمتابعة موزابيك وهي تتحرك بصمت على الجانب الآخر من الفناء. «إذن، أبلغتِ عني، وتسببتِ في حبسي، ثم أخرجتِني لاحقًا... للسبب نفسه؟»

«برافو.»

«إذن، أسأل: لماذا؟»

«لأريكَ أنني أستطيع ذلك.»

ارتشف جرعةً من النبيذ. كان بالفعل ممتازًا.

«لقد أثبتِ أنكِ تستطيعين فعل ذلك.» أومأ برأسه. «لكن من حيث المبدأ، كان بإمكانكِ إخباري بذلك مباشرة، بلقاءٍ عابر في الشارع مثلًا. كنتُ سأصدقكِ. لكنكِ فضّلتِ طريقة مختلفة، أكثر قسرًا. لذا، أسأل: ماذا الآن؟»

«أنا نفسي أتساءل.» رمقته بنظرة جائعة من تحت أهدابها. «لكن دع الأمور تأخذ مجراها الطبيعي. في الوقت الحالي، لنقل إنني أتصرف نيابةً عن عددٍ من زملائي، سحرة لديهم خططٌ معينة تتعلق بك. هؤلاء السحرة، الذين يقدّرون مهاراتي الدبلوماسية، اختاروني لأكون الوسيط المناسب لإبلاغك بمخططاتهم. هذا، في الوقت الراهن، كل ما يُسمح لي بالكشف عنه.»

«هذا قليلٌ جدًا.»

«أنت محق. لكن في الوقت الحالي، وللأسف، لا أعرف أكثر من ذلك. لم أتوقع أن تصل إليّ بهذه السرعة، ولم أتوقع أن تكتشف بهذه السرعة من الذي دفع كفالتك، والتي كان يُفترض أن تبقى سرية تمامًا، أو هكذا أُخبرت. عندما أعرف المزيد، سأكشف لك المزيد. تحلَّ بالصبر.»

«ومسألة سيوفي؟ هل هي جزءٌ من هذه اللعبة؟ من خطط هؤلاء السحرة الغامضين؟ أم أنها مجرد إثبات آخر لقدراتكِ؟»

«لا أعرف شيئًا عن مسألة سيوفك، أيًا كانت طبيعتها أو خلفيتها.»

لم يكن مقتنعًا تمامًا، لكنه لم يُلح في الأمر.

«سحرتكِ وزملاؤهم مؤخرًا يتنافسون في إظهار عدائهم لي.» قال ببرود. «يتسابقون على مضايقتي وجعل حياتي أكثر صعوبة. بتُّ أتوقع بصماتهم في كل مأزقٍ أقع فيه. كأنني أعيش سلسلةً من المصادفات التعيسة. يزجون بي في السجن، ثم يُخرجونني، ثم يبلغونني أن لديهم خططًا لي، ترى ما الذي سيبتكرونه هذه المرة؟ أخشى حتى أن أتكهن، وأنتِ تطلبين مني الصبر. أعترف أن طلبكِ دبلوماسي للغاية. لكن لا خيار لديّ، عليّ الانتظار حتى تُعرض قضيتي، التي بدأتها تلك الوشاية، أمام المحكمة»

«لكن في هذه الأثناء،» ابتسمت الساحرة، «يمكنك الاستمتاع بحريتك والاستفادة من مزاياها بالكامل، لقد أُطلق سراحك إلى حين المحاكمة، إن عُرضت قضيتك على المحكمة أصلًا، وهذا ليس أمرًا مؤكدًا بأي حال، وحتى لو حدث ذلك، فلا داعي للقلق، صدّقني.. ثق بي.»

«الثقة قد تكون أصعب قليلًا» ردّ بابتسامةٍ باردة. «تصرفات زملائكِ السحرة مؤخرًا استنزفت قدرتي على الثقة بشدة، لكنني سأحاول، والآن، سأذهب لأثق وأنتظر بصبر.. يومكِ سعيد»

«لا ترحل بعد. ابقَ قليلًا. موزابيك، المزيد من النبيذ»

غيّرت وضعية جلوسها في المقعد، لكن الويتشر واصل بعناد تظاهره بعدم ملاحظة ركبتها وفخذها المكشوفين من شقّ ثوبها.

«حسنًا إذن،» قالت بعد لحظة «لا فائدة من المراوغة. لم يكن الويتشرز يحظون أبدًا بتقديرٍ في دوائرنا، وكان من السهل تجاهلكم ببساطة، على الأقل حتى نقطة معينة.»

«حتى...» قرر أنه اكتفى من الغموض والتلميحات «حتى بدأتُ علاقتي مع ينيفر؟»

«لا، لا، أنت مخطئ.» ثبتت عينيها اليشمويتين[6] عليه. «بل مخطئٌ مرتين، في الواقع. أولًا، أنت لم تبدأ علاقة مع ينيفر، بل هي من بدأتها معك. وثانيًا، لم تُصدم أغلبنا بتلك العلاقة، فنحن لسنا غرباء عن مثل هذه التجاوزات. نقطة التحوّل لم تكن العلاقة نفسها، بل انفصالكما. متى حدث ذلك؟ قبل عام؟ آه، كيف يمرّ الزمن سريعًا...»

توقّفت لحظة بشكلٍ مسرحي، متوقعةً منه ردّ فعل.

«بالضبط قبل عام،» تابعت حينما أدركت أنه لن يرد. «عندها، بدأ بعض أفراد جماعتنا — ليسوا كُثرًا، لكنهم ذوو نفوذ — في ملاحظتك. لم يكن أحد يعرف بالضبط ما الذي جرى بينكما. بعضنا اعتقد أن ينيفر، بعد أن استعادت رشدها، أنهت علاقتها بك وطردتك. بينما تجرّأ آخرون على الافتراض بأنك أنت من كشف حقيقتها، ثم هجرتها وهربت. وبناءً على ذلك، كما ذكرت، أصبحتَ موضع اهتمام. وكما خمنتَ، موضع عداء كذلك. هناك من أراد معاقبتك بطريقة ما. لكن لحسن حظك، رأى أغلبهم أن الأمر لا يستحق العناء»

«وماذا عنكِ؟ إلى أي جزء من المجتمع تنتمين؟»

«إلى أولئك الذين وجدوا في علاقتك العاطفية مجرد تسلية، إن كنت تستطيع تخيّل ذلك.» لوّت ليّتا شفتيها المطلية بلون المرجان. «وأحيانًا مصدرًا للضحك. وأحيانًا أخرى، إثارةً حقيقية لا تقل عن متعة الرياضة. في الواقع، عليَّ أن أشكرك، أيها الويتشر، على تدفّق ماليّ كبير بفضلك. كانت هناك رهانات على المدة التي ستستمر فيها علاقتك مع ينيفر وكانت الرهانات مرتفعة جدًا. وكما اتضح، كان توقّعي هو الأدق، وحصدت الجائزة كاملة»

«في هذه الحالة، من الأفضل أن أذهب. لم يكن ينبغي أن أزوركِ، ولا ينبغي أن يُرى أحدنا مع الآخر. قد يظن الناس أننا رتّبنا الأمر معًا»

«هل يهمّك ما قد يظنه الناس؟»

«ليس كثيرًا. ويسعدني فوزكِ. كنتُ قد خططتُ لتعويضكِ عن الخمسمئة كراون التي دفعتِها ككفالةٍ لي. لكن بما أنكِ حصدتِ الجائزة من المراهنة عليَّ، لم يعد ذلك واجبًا عليّ. لنعتبر الأمر محسوبًا»

«آمل ألا يكون حديثك عن تعويض الكفالة دلالةً على خطةٍ للفرار والهروب؟ دون انتظار المحاكمة؟»

---

[6] عني أن لون عينيها يشبه لون حجر اليشم (Jade)، وهو حجر كريم يتميز بدرجاته المختلفة من اللون الأخضر، وأحيانًا يكون مائلًا إلى الأبيض أو الأزرق المخضر.

ظهر بريقٌ خبيث في عيني ليّتا نيد الخضراوين.

«لا، لا، لا بد أنكَ لا تفكر بذلك؛ لا يمكنك أن تفكر بذلك. أنت تعلم، بلا شك، أن ذلك سيعيدك إلى السجن فورًا. أنت تعلم ذلك، أليس كذلك؟»

«لستِ بحاجةٍ لإثبات قدرتكِ على فعل ذلك.»

«وأفضّل ألا أضطر لذلك. وأعني ذلك بصدقٍ تام.»

وضعت يدها على فتحة صدرها، بنيّة واضحة لجذب انتباهه إلى هناك. لكنه تظاهر بعدم الملاحظة، وحوّل عينيه نحو موزاييك مجددًا.

تنحنحت ليّتا بصوتٍ خفيف.

«فيما يخص مسألة التسوية أو توزيع أرباح الرهان،» قالت ليّتا، «فأنت محق تمامًا. تستحق شيئًا في المقابل. لن أجرؤ على عرض المال عليك... ولكن، ما رأيك في الحصول على حساب مفتوح في ناتورا ريروم طوال فترة إقامتك هنا؟ بسبب تدخلي، انتهت زيارتك الأخيرة هناك قبل أن تبدأ فعليًا، لذا...»

«لا، شكرًا لكِ.»

«أنا أقدّر عرضكِ ونواياكِ الطيبة. لكن لا، شكرًا»

«هل أنت متأكد؟ لا بد أنك كذلك. لقد ذكرت مسألة إعادتك إلى السجن دون داعٍ... لقد استفززتني. وسحرتني أيضًا. عيناك، هاتان العينان الغريبتان المتحوّرتان، تبدوان صادقتين إلى ما لا نهاية، تتجولان بلا توقف... وتسحران. لكنك لست صادقًا، لا على الإطلاق. أعلم ذلك، أعلم ذلك جيدًا، وهذه في الواقع مجاملة عندما تأتي من ساحرة. كنتَ على وشك قول ذلك، أليس كذلك؟»

«لمست الهدف.»

«وهل تستطيع أن تكون صادقًا؟ لو طلبتُ منك ذلك؟»

«لو طلبتِ»

«أوه. ليكن إذن. أسألك مباشرة: لماذا ينيفر؟ لماذا هي دون غيرها؟ هل يمكنك أن تفسّر ذلك؟ أن تسميه؟»

«إن كان هذا رهانًا آخر...»

«ليس كذلك. لماذا تحديدًا ينيفر من فينغيربيرج؟»

ظهرت موزاييك كالشبح، حاملةً قنينة جديدة وصحنًا من البسكويت. التقت عيناها بعيني جيرالت، لكنه ما إن نظر إليها حتى أدارت رأسها سريعًا بعيدًا.

«لماذا ينيفر؟» كرر، محدقًا في موزاييك. «لماذا هي بالذات؟ سأجيب بصراحة: لا أعرف بنفسي. هناك بعض النساء... يكفي نظرة واحدة...»

فتحت موزاييك فمها، ثم هزّت رأسها برفق، يملؤها الذعر. كانت تعلم. وكانت تتوسّل إليه، بلا كلمات، أن يتوقف. لكنه كان قد اندفع بعيدًا داخل اللعبة.

«بعض النساء يجذبنك كالمغناطيس،» قال، وعيناه تواصلان الانزلاق على قوام الفتاة. «لا تستطيع أن تُشيح بنظرك عنهن...»

«غادري، موزاييك»

صوت ليّتا نيد كان باردًا كالجليد المتكسر فوق الحديد.

«أما أنت، جيرالت من ريفيا، فلك مني الشكر. على الزيارة. وعلى صبرك. وعلى صدقك»

سيف الويتشر (الشكل 40) يمتاز بكونه، إن جاز التعبير، مزيجًا متكاملًا من أنواع السيوف الأخرى، جوهرًا خامسًا يجمع أفضل ما في الأسلحة المختلفة.

إن الفولاذ الممتاز وطريقة السبك والتشكيل التي تُستخدم في مسابك وأفران الأقزام تمنح النصل خفّةً استثنائية، إلا أنها في الوقت ذاته تجعله يتمتع بصلابة فائقة.

يتم شحذ سيف الويتشر وفق الأسلوب القزمي، وهو أسلوبٌ سري ونضيف هنا أنه سيبقى سرًّا إلى الأبد، إذ إن أقزام الجبال يحمون فنونهم بحرصٍ شديد.

فالسيف الذي يتم شحذه بأيدي الأقزام يمكنه أن يقطع وشاحًا حريريًا يُلقى في الهواء إلى نصفين.

وقد وردتنا شهاداتٌ من شهود عيان يؤكدون أن الويتشرات أنفسهم كانوا قادرين على تنفيذ ذات الحيلة بسيوفهم.

أطروحة في الأسلحة الحادّة - لـ باندفولو فورتيغويرا

الفصل السادس

أضفى زَخٌّ سريع من المطر الصباحي انتعاشًا مؤقتًا على الهواء، لكن سرعان ما عادت رائحة القمامة، والشحم المحترق، والأسماك المتعفنة القادمة مع النسيم من حيّ بالمايرا لتُصبح كريهة من جديد.

أمّن دانديليون لجيرالت مكانًا للمبيت في النُزل.

الغرفة التي كان يشغلها البارد كانت مريحة... بالمعنى الحرفي للكلمة، إذ كان عليهما التلاصق حرفيًا ليتمكنا من المرور بجانب بعضهما البعض.

لحسن الحظ، كان السرير كبيرًا بما يكفي لشخصين، وكان في حالة جيدة، رغم أنه كان يصرّ ويصدر صريرًا مروعًا، وكان فراشه قد تماسك وتراصّ بفعل تجار الرحلات كثيري التنقل، والمعروفين بحماسهم للهو خارج نطاق الزواج.

لسببٍ يعلمه الله وحده، راوده في نومه حلمٌ عن ليتا نيد.

في الصباح، ذهبا ليتناولا إفطارهما في سوق الطعام القريب، حيث اكتشف دانديليون مسبقًا مكانًا يُقدّم سردينًا ممتازًا. كان دانديليون هو من يتكفّل بالدفع، وهو ما لم يُزعج جيرالت، إذ كان العكس يحدث كثيرًا حين كان الشاعر يعتاش على كرم جيرالت كلما أفلس.

جلسا إلى طاولةٍ غير مصقولةٍ جيدًا، وشرعا في التهام السردين المقلي، الذي قُدّم لهما على طبق خشبي بحجم عجلة عربة. لاحظ جيرالت أن دانديليون كان يُلقي نظراتٍ قلقة حوله بين الحين والآخر، بل إنه تجمّد للحظة عندما بدا له أن أحد المارّة كان يتفحصهما بإمعانٍ أكثر مما ينبغي.

«أعتقد أنه يجدر بك أن تحصل على سلاحٍ ما،» تمتم دانديليون أخيرًا. «وأن تحمله علنًا، من المفترض أن نتعلم شيئًا من حادثة الأمس، ألا ترى ذلك؟ آه، انظر هناك، هل ترى تلك الدروع وقمصان الزرد المعروضة؟ إنها لمتجر حدّاد دروع. من المؤكد أن لديهم سيوفًا أيضًا»

«الأسلحة محظورة في هذه المدينة.» التقط جيرالت أشواك سمكة سردين نظّفها تمامًا، وبصق زعنفة جانبية. «يتم مصادرة أسلحة الزوار. يبدو أن المجرمين وحدهم هم من يمكنهم التجوّل هنا وهم مسلحون»

«ربما يستطيعون ذلك.» أومأ دانديليون برأسه نحو أحد المتشردين المارّين، وكان يحمل فأس معركة طويلة على كتفه «لكن في كيراك، القوانين تُصدر وتُنفّذ، والعقوبات تُفرض لمن يخالفها، بأمر من فيران دي ليتنهوف، وهو كما تعلم، ابن عمي. وبما أن العلاقات العائلية هي قانونٌ مقدسٌ في الطبيعة، يمكننا ببساطة تجاهل هذه القوانين المحلية. أعلن هنا وبكل وضوح أننا نمتلك الحق في حمل الأسلحة. لذا، دعنا ننهي إفطارنا ونذهب لنشتري لك نصلًا جديدًا. سيدتي! هذه الأسماك لذيذة! أرجو أن تقلي لنا اثني عشر أخرى!»

«وأنا أتناول هذا السردين، أُدرك أن فقداني لسيوفي لم يكن إلا عقوبةً على جشعي وتكبّري.» رمى جيرالت هيكل سمكة مُنظّفًا بالكامل. «رغبةً مني في بعض الرفاهية. كنت أعمل بالقرب من هنا، فقررتُ المرور عبر كيراك للاستمتاع بوليمةٍ في ناتورا ريروم، تلك الحانة التي يتحدث عنها الجميع. بينما كان يمكنني ببساطة تناول وجبة بسيطة من الكرشة، أو الملفوف، أو الحساء بالسمك...»

«بالمناسبة...» لحس دانديليون أصابعه ببطء. «ناتورا ريروم، رغم شهرته العادلة، ليس المكان الوحيد للطعام الفاخر. هناك مطاعم تقدّم طعامًا ليس أسوأ، بل وربما أفضل. على سبيل المثال، الزعفران والفلفل في غورز فيلين، أو هين سيربين في نوفيغراد، والذي يملك مخمرةً خاصةً به. أو على نحوٍ آخر، سوناتينا القريب في سيداريس، والذي يُقدّم أفضل المأكولات البحرية على طول الساحل بأكمله. أو ريفولي في ماربور، حيث يُقدّمون طبق طائر الخشب على طريقة بروكيلون، المُشبّع بدهن الخنزير المقدد.. وجبةٌ سماوية. أو فير دي مولين في ألديرسبرغ، حيث يُقدّمون سرج الأرنب البري مع فطر المورلات، على طريقة الملك فيديمنت. أو هوفماير في هيروندوم... آه، ما أجمل زيارة هذا المكان في الخريف، بعد احتفالات الساوين، لتناول إوزة مشوية بصلصة الكمثرى... أو حتى السمكتان الطقسيتان، على بعد أميال قليلة من آرد كارايغ، مجرد حانةٍ عادية على مفترق الطرق، لكنها تُقدّم أفضل سيقان الخنزير المشوية التي تذوّقتها في حياتي...»

«يا إلهي! انظر من جاء لزيارتنا! الحديث عن الشيطان! تحياتي، فيرانت... أقصد، هممم... حضرة المحقق القضائي...»

اقترب فيران دي ليتنهوف وحده، مشيرًا لخدمه بالبقاء في الشارع.

«جوليان. اللورد ريفيا. جئتُ ومعي أخبار»

«لا أنكر أنني بدأت أفقد صبري.» ردّ جيرالت. «كيف أدلى المجرمون بشهاداتهم؟ أولئك الذين هاجموني بالأمس، مستغلين كوني غير مسلح؟ لقد تحدثوا عن ذلك علنًا وبوضوح. وهذا دليل على أنهم متورطون في سرقة سيوفي.»

«للأسف، لا يوجد دليل على ذلك» هزّ فيرانت دي ليتنهوف كتفيه بلا اكتراث «الموقوفون الثلاثة هم مجرد أوغاد عاديين، وفوق ذلك أغبياء. نعم، لقد قاموا بالاعتداء، جرأتهم كانت بسبب علمهم أنكَ كنت أعزل...

الشائعات حول السرقة انتشرت بسرعة مذهلة، ويبدو أن ذلك بفضل سيدات دار الحراسة. ولم يمضِ وقتٌ طويل حتى ظهر من يرغبون في استغلال الأمر... وهو أمر غير مستغرب...

في الواقع. أنتَ لست محبوبًا كثيرًا... ولا يبدو أنك تسعى لأن تكون كذلك. أثناء احتجازك، قمت بالاعتداء على زملائك في الزنزانة...»

«هذا صحيح.» أومأ الويتشر برأسه. «كل شيء بسببي، أليس كذلك؟ لكن مهاجمي الأمس أصيبوا هم أيضًا، أليس كذلك؟ ألم يشتكوا؟ ألم يطالبوا بتعويض؟»

ضحك دانديليون، لكنه سرعان ما التزم الصمت.

«الشهود على حادثة الأمس،» قال فيرانت دي ليتنهوف بحدة، «أكّدوا أن الرجال الثلاثة تعرّضوا لضربٍ مبرح بعصاٍ خشبية من صانع البراميل. بل إن الضرب كان عنيفًا جدًا، لدرجة أن أحدهم...»

«تبول على نفسه من الخوف؟» قاطعه جيرالت ساخرًا.

«بل لوّث نفسه بالكامل.»

«ربما من شدّة الإثارة.»

«لقد تم ضربهم حتى بعد أن أصبحوا غير قادرين على المقاومة، ولم يعودوا يشكّلون تهديدًا.» لم يتغيّر تعبير المحقق القضائي. «مما يعني أنك تجاوزت حدود الدفاع المشروع عن النفس.»

«لستُ قلقًا. لديّ محامية ممتازة.»

ساد صمتٌ ثقيل.

«أيريد أحدكم سردينًا؟» قال دانديليون، قاطعًا الأجواء المتوترة.

«أحيطكم علمًا بأن التحقيق جارٍ،» قال فيرانت دي ليتنهوف أخيرًا. «الموقوفون الثلاثة من الأمس ليس لهم علاقة بسرقة السيوف. لقد تم استجواب عدة أشخاص قد يكونون متورطين في الجريمة، لكن لم يتم العثور على أي دليل. المخبرون لم يتمكنوا من تقديم أي خيوط. ومع ذلك، وهذا هو السبب الرئيسي لوجودي هنا، فإن الشائعات حول السيوف قد أثارت اضطرابًا في الأوساط الإجرامية المحلية. حتى أن غرباء قد ظهروا، راغبين في اختبار قوتهم ضد ويتشر، خاصةً إذا كان أعزل. لذا، أوصي بالحذر. لا أستبعد وقوع حوادث أخرى. كما أنني متأكد، جوليان، أنه في ظل هذه الظروف، فإن مرافقة اللورد ريفيا...»

«لقد رافقتُ جيرالت في أماكن أكثر خطورة بكثير،» قاطعه دانديليون بتحدٍّ. «وفي مواقف لم يكن بإمكان مجرمي هذه المدينة حتى تخيلها. قدّم لنا حرسًا مسلحًا، أيها القريب العزيز، إن كنت ترى ذلك مناسبًا. ليكون ذلك رادعًا. وإلا، عندما نقوم أنا وجيرالت بإعطاء الدفعة القادمة من الحثالة درسًا قاسيًا، سيبدؤون في التذمر حول تجاوز حدود الدفاع المشروع عن النفس.»

«إذا كانوا مجرد حثالة، وليسوا قتلةً مأجورين استأجرهم أحدهم،» قال جيرالت. «هل يأخذ التحقيق هذا الاحتمال في الاعتبار؟»

«يتم النظر في جميع الاحتمالات.» قطع فيرانت حديثه. «سيستمر التحقيق. وسأُخصّص لكم مرافقةً مسلحة.»

«نحن ممتنون.»

«وداعًا. وأتمنى لكما الحظ الجيد.»

* * *

علا صياح النوارس فوق أسطح المدينة.

لم يكن هناك داعٍ لزيارة متجر الحدّاد. بمجرد نظرةٍ واحدة على السيوف المعروضة، عرف جيرالت أن الأمر مضيعة للوقت. وعندما سمع الأسعار، اكتفى بهز كتفيه والخروج من المتجر دون أن ينبس بكلمة.

«ظننتُ أننا متفقان.» تبعه دانديليون إلى الشارع. «كنتَ ستشتري أي سيفٍ عادي، حتى لا تبدو أعزل!»

«لن أرمي المال على أي قطعة معدنية رديئة، حتى لو كان مالك أنت.» قال جيرالت ببرود. «تلك الأسلحة كانت مجرد خردة، دانديليون. سيوفٌ بدائية، مُصنّعة بالجملة. أو رماحٌ مزخرفة للنبلاء، تصلح لحفلات الأقنعة إذا أراد أحدهم أن يتنكر كسياف. وأسعارها تجعلك تنفجر ضاحكًا من شدة السخرية.»

«سنبحث عن متجر آخر! أو ورشة حدادة!»

«سيكون الوضع نفسه في كل مكان. السوق يعجّ بأسلحةٍ رخيصة منخفضة الجودة، مصممة لتُستخدم في قتالٍ واحدٍ فقط، ولا حتى لخدمة المنتصر، لأن عند جمعها من ساحة المعركة، تكون قد أصبحت غير صالحة. وهناك أيضًا سوقٌ للزينة البراقة، تلك التي يتفاخر بها المترفون، والتي لا تصلح حتى لتقطيع النقانق. إلا إذا كانت نقانق كبد»

«أنت تبالغ كالمعتاد»

«عندما تقولها أنت، فهي مجاملة»

«لم تكن كذلك!»

«إذن، أخبرني، أين يمكننا العثور على سيفٍ جيد؟ لا يقلّ جودة عن السيوف التي سُرقت؟ أو حتى أفضل؟»

«هناك بالفعل صانعو سيوف ماهرون.» قال جيرالت بلهجة محايدة. «وربما يمتلك أحدهم نصلًا جيدًا في مخزونه. لكنني بحاجة إلى سيفٍ مُعدّ ليدي. سيفٍ مصنوعٌ ومُعدّ خصيصًا لي. وذلك يستغرق بضعة أشهر، وربما عامًا كاملًا. وليس لديّ كل هذا الوقت.»

«لكنكَ بحاجة إلى الحصول على سيفٍ ما،» علّق دانديليون بجديّة. «وعلى وجه السرعة، كما أرى. ما الخيارات المتبقية؟ ربما...»

خفض صوته وألقى نظرة حذرة حوله.

«ربما... ربما كاير مورهن؟ لا بد أن هناك...»

«بالتأكيد.» قاطعه جيرالت، مشدّدًا على أسنانه. «بلا شك. لا تزال هناك سيوف كافية، وخياراتٌ متعددة، بما فيها السيوف الفضية. لكن المكان بعيدٌ جدًا، وبالكاد يمر يومٌ دون عاصفةٍ أو أمطار غزيرة. الأنهار ممتلئة والطرق موحلة. ستستغرق الرحلة شهرًا.»

ثم، وبغضب، ركل صندوقًا مهترئًا كان مُلقى على الأرض.

«لقد سُرقت يا دانديليون. خُدعت وسُرقت مثل أي مغفلٍ تافه. فسيمير سيسخر مني بلا رحمة. ورفاقي — إن صادفتهم في القلعة — لن يدعوا الأمر يمر، سيُمازحونني بشأنه لسنوات. لا. هذا غير وارد إطلاقًا. يجب أن أحل هذه المسألة بطريقة أخرى. وبنفسي.»

دَوّى صوتُ مزمارٍ وطبلة.

دخلا ساحةً صغيرة، حيث كان سوق الخضار منعقدًا، وكانت مجموعة من المُشعوذين المتجولين يقدمون عرضًا. كان برنامج الصباح يعني عرضًا سخيفًا بدائيًا، لا يثير الضحك أبدًا.

في هذه الأثناء، كان دانديليون يسير بين الأكشاك، وبمهارةٍ مدهشة — بل مذهلة — بدأ بتقييم وتذوّق الخيار، والبنجر، والتفاح المعروض على الطاولات، كل ذلك بينما كان يمازح الباعة ويغازل النساء.

«الملفوف المخلل!» أعلن، وهو يغرف بعضه من برميل باستخدام ملقط خشبي.

«جربه، جيرالت. أليس رائعًا؟ إنه طعامٌ لذيذ وصحي جدًا، هذا النوع من الملفوف. في الشتاء، عندما تنخفض الفيتامينات، يحمي الجسم من مرض الإسقربوط. علاوة على ذلك، إنه مضادٌ ممتاز للاكتئاب.»

«كيف ذلك؟»

«تتناول قدرًا كبيرًا من الملفوف المخلل، ثم تشرب إبريقًا من الحليب الحامض... وبعدها، سرعان ما تُصبح الاكتئاب هو آخر همومك. ستنسى أمر الاكتئاب تمامًا. وأحيانًا، لوقتٍ طويل جدًا.»

«في مَن تحدّق؟ من تكون تلك الفتاة؟»

«صديقةٌ قديمة. انتظر هنا. سأحادثها قليلًا وأعود.»

الفتاة التي لمحها كانت موزاييك، تلك التي التقاها في منزل ليّتا نيد.

التلميذة الخجولة للساحرة، ذات الشعر المشدود للخلف بعناية، في ثوبٍ بسيطٍ لكنه أنيق، بلون خشب الورد.

وحذاءٍ بكعبٍ إسفينيّ، تتحرك فيه برشاقةٍ ملحوظة، رغم طبقة بقايا الخضروات الزلقة التي تغطي الشارع المرصوف غير المستوي.

اقترب منها، مفاجئًا إياها عند أحد أكشاك الطماطم، بينما كانت تملأ سلّةً معلّقة على ذراعها.

«تحياتي.»

شحبت قليلًا عند رؤيته، رغم أن بشرتها كانت شاحبة بالفعل.

ولولا وجود الكشك خلفها، لكانت قد تراجعت خطوة أو خطوتين.

تحركت وكأنها تحاول إخفاء السلة خلف ظهرها.

لا، ليس السلة. كانت تحاول إخفاء يدها.

كانت تخفي ساعدها ويدها اليسرى، الملفوفة بعناية في وشاحٍ حريري.

لاحظ تصرفها، ودفعه حدس غريب إلى التصرف على الفور.

أمسك بيدها.

«اتركني.» همست، محاولةً تحرير نفسها.

«أريني يدك قلت لك.»

«ليس هنا...»

سمحت له بأن يقودها بعيدًا عن السوق، إلى مكانٍ أكثر عزلة.

عندما فكّ الوشاح، لم يستطع كبح نفسه.

أطلق سُبابًا فاحشًا، طويلًا، وقاسيًا.

كانت يد الفتاة اليسرى ملتوية بالكامل.

معصمها كان مقلوبًا، إبهامها بارزٌ إلى اليسار، والجزء الخلفي من يدها متجهٌ لأسفل، بينما راحت راحة يدها تشير للأعلى.

لاحظ، رغمًا عنه، الخطوط التي تعبر راحة يدها.

خط الحياة كان طويلًا ومنتظمًا.

أما خط القلب فكان واضحًا، لكنه متقطع ومهشم.

«من فعل هذا بك؟ هل هي من فعلتها؟»

«أنتَ فعلت»

«ماذا؟»

«أنتَ من فعل ذلك!» سحبت يدها بعنف. «لقد استخدمتني لإهانتها. وهي لا تنسى الإهانات.»

«لم أكن...»

«...تتوقع ذلك؟» نظرت مباشرةً في عينيه. كان قد أخطأ في الحكم عليها فهي لم تكن خجولة، ولا قلقة.

«كان يمكنك أن تتوقع. وكان عليك ذلك. لكنك فضّلت اللعب بالنار. هل كان الأمر يستحق ذلك؟ هل منحك الرضا؟ هل جعلك تشعر بتحسن؟ هل حصلت على شيءٍ تتفاخر به أمام رفاقك في الحانة؟»

لم يُجب. لم يجد الكلمات المناسبة.

لكن موزابيك، وبشكل أذهله، ابتسمت فجأة.

«أنا لا أحمل ضغينة.» قالت بنبرة خفيفة. «في الواقع، أضحكني ما فعلتَ. كنتُ سأضحك لو لم أكن خائفة»

مدّت يدها.

«أعطني السلة، أنا في عجلةٍ من أمري. لا يزال أمامي تسوّق كثير. كما أن لديّ موعدًا عند الكيميائي...»

«انتظري. لا يمكنكِ ترك الأمر هكذا.»

«أرجوك.» تغيّر صوت موزاييك قليلًا. «لا تتدخل. لن تجلب سوى الأسوأ... على أي حال، لقد نجوت.»

«نجوتِ؟»

«لقد عاملتني برفق.»

«برفق؟!»

«كان بإمكانها أن تقلب كلتا يديّ. كان بإمكانها أن تلوّي قدمي، بحيث يصبح كعبي مواجهًا للأمام. كان بإمكانها أن تبدّل قدميّ، اليمنى مكان اليسرى والعكس. لقد رأيتها تفعل ذلك بأحدهم.»

«وهل كان...»

«...مؤلمًا؟ للحظة فقط. لأنني فقدتُ الوعي على الفور تقريبًا.»

نظرت إليه بتركيز.

«لماذا تحدّق هكذا؟ هذا ما حدث. وأتمنى أن يكون الأمر مماثلًا حين تعيد يدي إلى وضعها الطبيعي... خلال بضعة أيام، بعد أن تشبع رغبتها في الانتقام.»

«سأذهب لمواجهتها. حالًا.»

«فكرة سيئة. لا يمكنكَ...»

أوقفها بإشارة سريعة من يده.

سمع همهمة الحشد، ورآه يتفرّق. توقّف المشعوذون عن العزف.

رأى دانديليون على مسافة، يرسل إليه إشارات مفاجئة ويائسة.

«أنت! أيها القذر، الويتشر النجس! أتحداك في نزال! سنقاتل!»

«اللعنة. تنحّي جانبًا، موزاييك.»

خرج من بين الحشد رجلٌ قصير ممتلئ، يرتدي قناعًا جلديًا وصدريةً من جلد الثور المغلي.

هزّ الرمح الثلاثي الذي كان يحمله، وبحركةٍ مفاجئة بيده اليسرى، أطلق شبكة صيدٍ في الهواء، ولوّح بها بفخر.

«أنا تونتون زرُوغا، الملقب بالمُقاتل بالشبكة! أتحداك في معركة، بـ...»

رفع جيرالت يده وضربه بعلامة "أرد" بقوةٍ هائلة.

تعالت صرخات الحشد.

طار تونتون زرُوغا في الهواء، متشابكًا داخل شبكته، وركل الهواء بساقيه قبل أن يَكتسح كشكًا لبيع خبز "البايغل"، ويهوي بقوة على الأرض، حيث ارتطم رأسه المعدني بتمثالٍ صغير من الحديد الزهر لغنومٍ جاثٍ، كان يقف لسببٍ غير مفهوم أمام متجرٍ لبيع مستلزمات الخياطة.

كافأ المشعوذون الحاضرون المشهد بتصفيقٍ مدوٍّ.

كان المُقاتل بالشبكة مُلقىً على الأرض، ما زال على قيد الحياة، لكن بالكاد تظهر عليه أي إشاراتٍ للوعي.

تقدّم جيرالت نحوه ببطء، دون عجلة، ثم ركله بقوة في منطقة الكبد.

أحسّ بيدٍ تمسك بذراعه.

كانت موزابيك.

«لا. أرجوك. أرجوك، لا تفعل ذلك.»

كان ليواصل ركل ذلك المتباهي بالشبكة، لأنه كان يعرف تمامًا ما لا يجوز فعله، وما يجوز، وما يجب عليه فعله. ولم يكن معتادًا على الإصغاء لأي شخصٍ في مثل هذه الأمور. خاصةً من لم يختبر الضرب من قبل.

«أرجوك،» كرّرت موزابيك. «لا تفرّغ غضبك عليه. افعلها لأجلي. بسببها. لأنك خلطت كل شيء.»

فعل كما طلبت.

ثم أمسكها من ذراعيها، ونظر مباشرةً في عينيها.

«سأذهب لمقابلة سيدتك،» أعلن بصرامة.

«هذا ليس جيدًا.» هزّت رأسها. «سيكون هناك عواقب.»

«لكِ؟»

«لا. ليس لي.»

كان على ورك الساحرة وشمٌ متقن التفاصيل، نابضٌ بألوانٍ رائعة، يصوّر سمكةً مخططة بألوان زاهية.

"لا تتعجب ولا تنبهر" أكمل الويتشر في سره "لا شيء يدعو للدهشة"

الفصل السابع

«لا أصدق عينيّ،» قالت ليتا نيد.

كان هو — دون سواه — المسؤول عما حدث، وعن حدوثه بتلك الطريقة تحديدًا.

في طريقه إلى فيلتها، مرّ بجوار حديقة، ولم يستطع مقاومة إغراء قطف زهرة فريزيا من إحدى أحواض الزهور.

تذكر أنها كانت الرائحة الطاغية في عطرها.

«لا أصدق عينيّ،» كررت ليتا نيد.

استقبلته بنفسها؛ لم يكن الحارس الضخم موجودًا. ربما كان يوم راحته.

«أفترض أنك أتيت لتعنفني بسبب يد موزاييك. لكنك جلبت لي زهرة. فريزيا بيضاء. ادخل قبل أن تتحول المسألة إلى فضيحة، وتنطلق الشائعات في أنحاء المدينة. رجل يقف عند بابي ممسكًا بزهرة! هذا لا يحدث أبدًا.»

كانت ترتدي فستانًا فضفاضًا أسود، مزيجًا من الحرير والشيفون، شديد الشفافية، ينساب مع كل حركةٍ للهواء.

تجمد الويتشر في مكانه، يحدق، لا تزال الفريزيا ممدودةً في يده، راغبًا في الابتسام لكنه غير قادرٍ على ذلك، مهما حدث.

"لاشيء يدعو للدهشة" كرر في ذهنه العبارة التي تذكرها محفورة على نقشٍ فوق مدخل كلية الفلسفة في جامعة أوكسينفورت.

كان يكررها طوال الطريق إلى فيلا ليتا.

«لا تصرخ في وجهي.»

انتزعت الفريزيا من بين أصابعه.

«سأصلح يد الفتاة بمجرد أن تحضر. دون ألم. وربما حتى أعتذر لها. أعتذر لك. فقط لا تصرخ في وجهي.»

هزّ رأسه، محاولًا ألا يبتسم مجددًا. لكنه فشل في ذلك.

«أتساءل...» رفعت الفريزيا إلى وجهها، وثبّتت عينيها ذات اللون اليشبي عليها.

«هل تعرف رمزية الأزهار؟ هل تفهم لغتها السرية؟ هل تدرك ما تقوله هذه الفريزيا، وبالتالي توصله لي عن وعي؟ أم أن الزهرة مجرد مصادفة، والرسالة... لاواعية؟»

"لاشيء يدعو للدهشة"

«لكن هذا بلا معنى على أي حال.» اقتربت منه، اقتربت كثيرًا.

«إما أنك تُظهر علنًا، بوعيٍ وحسابٍ دقيق، ما ترغب في إيصاله لي... أو أنك تُخفي رغبةً يفضحها عقلك الباطن. وفي كلتا الحالتين، أدين لك بالشكر. على الزهرة. وعلى ما تقوله. شكرًا لك. وسأرد الجميل. سأقدم لك شيئًا أيضًا. هناك، ذلك الخيط المربوط. اسحبه. لا تخجل.»

هذا ما أجيده، فكر بينما كان يسحب الخيط.

انزلق الشريط المنسوج بسلاسة من الثقوب المطرزة.

حتى النهاية.

ثم انساب فستان الحرير والشيفون من جسدها كالماء، متجمّعًا حول كاحليها بهدوءٍ تام.

أغمض عينيه للحظة، إذ أن عريها أذهله كوميضٍ مباغتٍ من الضوء.

"ما الذي أفعله؟" تساءل بينما لفّ ذراعه حول عنقها.

"ما الذي أفعله؟" تساءل وهو يتذوّق أحمر شفاهها القرمزي على شفتيه.

ما أفعله ضربٌ من العبث التام، فكر وهو يسحبها بلطفٍ نحو خزانةٍ في الباحة، ويرفعها برقة فوق سطحها المصقول بالملكيت.

كانت رائحتها تفوح بالفريزيا والمشمش.

ورائحة أخرى أيضًا.

ربما المندرين.

وربما عشبة الليمون.

* * *

وبالفعل، كان لديها سرير.

سريرٌ ضخم. بحجم سطح فرقاطة.

قادته نحوه، فتبعها، غير قادرٍ على إبعاد نظره عنها.

لم تلتفت وراءها.

لم يكن لديها أدنى شك في أنه يتبعها.

وأنه سيمضي معها دون تردد، أينما قادته.

دون أن يشيح بنظره عنها ولو للحظة.

* * *

كان السرير واسعًا، ذو مظلة،

مفروشًا بملاءاتٍ من الحرير، وأغطيةٍ من الساتان.

ليس من المبالغة القول إنهما استغلا السرير بأكمله، كل شبرٍ منه.

كل طيّةٍ في الملاءات.

وكل ثنيةٍ في الأغطية.

* * *

«ليتا...»

«يمكنك مناداتي بكورال. ويمكنك فعل ذلك بي مجددًا.»

* * *

كان على ورك الساحرة وشمٌ معقد التفاصيل، زاهٍ بألوان نابضة بالحياة، يصوّر سمكةً مخططة بألوان زاهية، زعانفها الكبيرة تمنحها شكلًا مثلثًا.

كانت تلك الأسماك — المعروفة باسم السمكة الملاك — شائعةً في الأحواض المائية الفاخرة لدى الأثرياءِ والمتباهين حديثي النعمة.

ولهذا السبب، كان جيرالت — مثل كثيرين غيره — يربطها دومًا بالتصنّع والادّعاء الفارغ.

ولهذا، فقد أدهشه أن كورال اختارت وشمًا كهذا تحديدًا.

دامت دهشته للحظة، وسرعان ما جاءه التفسير.

ليتا نيد كانت تبدو شابة، بل وكانت تتصرف كذلك. لكن ذلك الوشم يعود إلى زمن شبابها الحقيقي.

إلى الأيام التي كانت فيها أسماك الملاك المستوردة نادرةً بالفعل، حين كان الأثرياء قلّة، وحين كان حديثو النعمة لا يزالون في طور تكوين ثرواتهم، ولم يكن امتلاك حوض مائي أمرًا شائعًا سوى عند قلةٍ محظوظة.

إذن، وشمها هذا أشبه بشهادة ميلاد، فكر جيرالت، بينما كان يمرر أصابعه على السمكة الموشومة.

من المدهش أنها لا تزال تحتفظ به، ولم تقم بمسحه بالسحر.

ولكن لماذا؟

لأن الذكريات التي ترتبط بالشباب شيءٌ جميل.

ليس من السهل محو مثل هذا التذكار. حتى لو بات الآن قديمًا، ومبتذلًا، ولا يحمل ذات الأهمية التي كان يحملها في الماضي.

رفع نفسه قليلًا مستندًا على كوعه، وألقى نظرةً فاحصة، يبحث في جسدها عن أي وشوم أخرى

تذكارات أخرى من زمنها الماضي.

لم يجد شيئًا.

لم يكن يتوقع أن يجد.

كان يريد فقط أن ينظر.

تنهدت كورال.

وقد بدا عليها الضجر من التجوال العشوائي ليده.

أمسكت بها بحزم، ووجهتها مباشرةً إلى حيث ينبغي لها أن تكون إلى المكان الوحيد الذي تراه مناسبًا.

"أحسنتِ."

فكر جيرالت، وهو يجذبها نحوه، ويغرق وجهه في شعرها.

تبًا للأسماك المخططة.

وكأن هناك أشياءً أكثر أهمية تستحق الانتباه.

وأكثر جدارةً بالتفكير فيها.

* * *

ربما كانت نماذج السفن الشراعية أيضًا، فكرت كورال باضطراب، وهي تحاول جاهدًة السيطرة على أنفاسها المتسارعة. وربما كانت أيضًا تماثيل الجنود، أو حتى صيد الأسماك بالطُعم الصناعي.

لكن ما يهم حقًا...

ما يهم بحق...

هو الطريقة التي يحتضنني بها.

* * *

عانقها جيرالت. وكأنها كل العالم بالنسبة له.

* * *

لم ينالا قسطًا وافرًا من النوم في الليلة الأولى.

وعندما غفت ليتا أخيرًا، وجد الويتشر صعوبة في النوم.

كانت ذراعها تحيط بخصره بإحكامٍ شديد، حتى أنه بالكاد يستطيع التنفس، وساقها ممتدة فوق فخذيه.

في الليلة الثانية، كانت أقل امتلاكًا له.

لم تمسك به أو تعانقه بنفس القوة كما في الليلة السابقة.

بحلول ذلك الوقت، كانت قد توقفت عن الخوف من أن يفرّ قبل الفجر.

* * *

«أنت شارد الذهن. تحمل على وجهك تعبيرًا ذكوريًا كئيبًا. ما السبب؟»

«أتأمل... همم... طبيعة علاقتنا.»

«ماذا تعني؟»

«كما قلت. طبيعتها.»

«يبدو أنك استخدمت كلمة علاقة؟ إن السعة الدلالية لهذا المفهوم مدهشة حقًا. علاوةً على ذلك، أسمع في نبرتك أثرًا لما يُعرف بالحزن ما بعد العلاقة. إنه شيءٌ طبيعي، يصيب جميع المخلوقات العليا. لقد تسللت دمعةٌ غريبة إلى عيني أيضًا، أيها الويتشر... لا عليك، لا عليك. كنت أمزح.»

«لقد أغويتِني... كما يُغوى الظبي.»

«ماذا؟»

«لقد أغويتني. مثل الحشرات، بالفريزيا والمشمش... عبر فرمونات سحرية.»

«هل أنت جاد؟»

«لا تغضبي. أرجوكِ، كورال.»

«لستُ غاضبة. على العكس تمامًا. بل وعلى نحوٍ أعمق، عليّ الاعتراف بأنك على صواب.»

«كيف ذلك؟»

«نعم، إنه تجسيد للطبيعة في أنقى صورها. لكنه عكس ذلك تمامًا. لأنك أنت من أغواني وسحرتني. من النظرة الأولى. لقد قدّمت لي، بأسلوبٍ طبيعي وغريزي تمامًا، عرضًا ذكوريًا للإغواء.»

«لم أفعل.»

«لقد قفزت، وخبطت الأرض بقدميك، ونفشت ريشك كما يفعل طائر الطهيوج الأسود.»

«هذا ليس صحيحًا.»

«نفشت ريشك، ورفرفت بجناحيك، وصِحت مثل الديك، وقرقرت كما تفعل الطيور...»

«لم أفعل!»

«بلى، فعلت.»

«لم أفعل.»

«بل فعلت. عانقني.»

* * *

«كورال؟»

«ماذا؟»

«ليتا نيد... هذا ليس اسمكِ الحقيقي، أليس كذلك؟»

«اسمي الحقيقي كان مزعجًا.»

«لماذا؟»

«حاول أن تقوله بسرعة: أسترِيد ليتنييد آسغَيرفينبيورنزدوتير.»

«فهمت.»

«أشك في ذلك.»

«كورال؟»

«همم؟»

«وموزابييك؟ من أين أتى لقبها؟»

«هل تعلم ما الذي لا أحبه، أيها الويتشر؟ الأسئلة عن نساءٍ أخريات. وخصوصًا عندما يكون السائل مستلقيًا في سريري. ويسأل الكثير من الأسئلة، بدلًا من التركيز على الأمور المهمة. ما كنت لتجرؤ على فعل ذلك لو كنت في السرير مع ينيفر.»

«وأنا أيضًا لا أحب سماع بعض الأسماء. خصوصًا عندما...»

«هل أتوقف؟»

«لم أقل ذلك.»

قبلت كورال ذراعه برقة.

«عندما وصلت إلى المدرسة، كان اسمها الحقيقي "آيك". لا أذكر اسم عائلتها. لم يكن اسمها غريبًا فحسب، بل كانت تعاني أيضًا من فقدان صبغة الجلد. كانت وجنتاها مرقّطتين ببقع فاتحة، بدت بالفعل كأنها فسيفساء. بالطبع، تم علاجها بعد الفصل الدراسي الأول، فلا يمكن لساحرة أن تحمل أي عيوبٍ ظاهرة. لكن اللقب اللئيم التصق بها. وسرعان ما توقف عن كونه لئيمًا. بل إنها أحبته بنفسها.»

0لكن كفى حديثًا عنها. تكلم عني. تكلم لي، عني، الآن.»

«ماذا، الآن؟»

«تحدث عني. كيف أبدو. جميلة، أليس كذلك؟ هيا، قلها!»

«جميلة. حمراء الشعر. مليئة بالنمش.»

«أنا لستُ مليئة بالنمش. لقد أزلتهم بالسحر.»

«ليس جميعهم. لقد نسيتِ بعضهم. لكنني وجدتهم.»

«أين... أوه. حسنًا، صحيح. إذن، أنا مليئة بالنمش. وماذا أيضًا؟»

«رقيقة.»

«عذرًا؟»

«رقيقة. مثل كعكة العسل.»

«أنت لا تسخر مني، أليس كذلك؟»

«انظري إليّ. في عينيّ. هل ترين فيهما أدنى قدر من عدم الصدق؟»

«لا. وهذا ما يقلقني أكثر.»

* * *

«اجلسي عند حافة السرير.»

«و إلا؟»

«أريد أن أرد لكِ الجميل.»

«عذرًا؟»

«على النمش الذي وجدته حيث وجدته. على جهدك، وعلى... الاستكشاف الشامل. أريد أن أسترد حقي، وأرد لكِ الجميل. هل لي بذلك؟»

«بالطبع.»

* * *

كانت فيلا الساحرة، مثل معظم الفيلات في ذلك الجزء من المدينة، تحتوي على شرفة تطلّ على البحر الممتد أدناها.

لطالما أحبت ليتا الجلوس هناك، وقضاء ساعات في مراقبة السفن الراسية باستخدام تلسكوب ضخمٍ مثبت على حامل ثلاثي الأرجل.

جيرالت، رغم أنه لم يشاركها شغفها بالبحر أو السفن التي تبحر فوقه، كان يستمتع بمرافقتها على الشرفة.

يجلس قريبًا، خلفها مباشرة، يحيط وجهه بخصلات شعرها الحمراء، متلذذًا بعبق الفريزيا والمشمش.

«انظر إلى تلك السفينة الكبيرة وهي تلقي مرساتها، هناك — أشارت كورال — تلك التي تحمل الصليب الأزرق على رايتها. إنها فخر سنترا. ربما تبحر نحو كوفير.

أما تلك السفينة المسطحة هناك، فهي ألكِ من سيداريس، على الأرجح تأخذ شحنة من الجلود.

وهناك، تلك، هي تيتيدا، سفينة ضخمة من هنا، سعتها أربعمائة طن، تعمل في نقل البضائع بين كيراك وناستروغ.

وهناك، انظر، السفينة الشراعية النوفغرادية باندورا بارفي، تلقي مرساتها الآن.

إنها سفينة جميلة، جميلة بحق. انظر من خلال العدسة... سترى بنفسك...»

«يمكنني الرؤية دون تلسكوب. أنا متحول.»

«أوه، صحيح. لقد نسيت ذلك.»

«وهناك، تلك السفينة المجدافية فوشيا، اثنان وثلاثون مجدافًا، ويمكنها حمل شحنةٍ تزن ثمانمائة طن.

وتلك السفينة الأنيقة ذات الصواري الثلاث هي فيرتيغو؛ أبحرت من لان إكسيتر.

وفي الأفق هناك، بتلك الراية الأمارانتية، إنها السفينة الجاليون الرِدانية القطرس. ثلاث صواري، وعرضها مائة وعشرون قدمًا...

انظر هناك، هناك، سفينة البريد السريعة إيكو تستعد للإبحار والخروج إلى البحر. أعرف القبطان، إنه يتناول طعامه في مطعم رافينغا عندما يرسو هنا.

وهناك أيضًا، انظر، سفينة جاليون من بوفيس بأشرعةٍ ممتلئة...»

أزاح جيرالت شعر ليتا عن ظهرها برفق.

ببطء، وبحركةٍ متأنية، فكّ الأزرار، واحدًا تلو الآخر، وسحب فستان الساحرة عن كتفيها.

ثم كرّس يديه وانتباهه بالكامل لزوجٍ من الجاليونات ذات الأشرعة الممتلئة.

جاليونات لن يجدها المرء في أي من طرق الملاحة البحرية، ولا في أي ميناء، ولا حتى في سجلات الأميرالية.

لم تعترض ليتا. ولم ترفع عينيها عن عدسة التلسكوب.

«أنت تتصرف كصبيٍ في الخامسة عشرة،» قالت بعد لحظة.

«وكأنك لم ترَ صدرًا من قبل.»

«إنها دائمًا المرة الأولى بالنسبة لي.»

اعترف بذلك على مضض.

«ولم أكن في الخامسة عشرة قط.»

* * *

«أنا من سكان سكيلغا،» أخبرته لاحقًا، وهما في السرير. «البحر يجري في عروقي. وأنا أعشقه.»

* * *

«أحلم بالإبحار ذات يوم،» تابعت، عندما ظلّ صامتًا.

«أن أبحر وحدي. أرفع الأشرعة وأنطلق إلى البحر... بعيدًا، بعيدًا جدًا. حتى الأفق. لا شيء حولي سوى الماء والسماء. تتناثر عليّ رذاذ الأمواج المالحة، ويجذب الريح شعري بمداعبة رجولية خالصة. وأنا وحدي، تمامًا وحدي، وحيدة بلا نهاية وسط العناصر الغريبة والعدائية. عزلة وسط بحرٍ من الغربة. ألا تحلم بذلك؟»

لا، لا أحلم، فكر جيرالت.

أنا أعيش ذلك كل يوم.

* * *

حلّ الانقلاب الصيفي، وأعقبته ليلةٌ ساحرة، أقصر ليالي العام، حين تزهر زهرة السرخس في الغابة، وحين ترقص الفتيات العاريات، وقد تدلّكت أجسادهن بعشبة لسان الأفعى، في المروج المرشوشة بالندى.

ليلةٌ قصيرة كطرفة عين.

ليلةٌ جامحة، مضيئةٌ ببريق البرق.

* * *

استيقظ وحيدًا في صباح ما بعد الانقلاب الصيفي.

كان الإفطار في انتظاره في المطبخ. ولم يكن الإفطار وحده.

«صباح الخير، موزابيك. الطقس جميل، أليس كذلك؟ أين ليتا؟»

«لديك يوم راحة،» ردّت دون أن تنظر إليه. «سيدتي التي لا تُضاهى ستكون مشغولة. حتى وقتٍ متأخر. خلال الوقت الذي خصصته لـ... المتعة، تراكمت قائمة المرضى.»

«مرضى؟»

«إنها تعالج العقم. والاضطرابات النسائية الأخرى. ألم تكن تعلم؟ حسنًا، الآن أصبحت تعلم. يوم سعيد.»

«لا تخرجي بعد. أودّ...»

«لا أعلم ما الذي تودّ فعله،» قاطعته. «لكنها على الأرجح فكرة سيئة. من الأفضل ألا تتحدث إليّ. تصرف كما لو أنني لستُ هنا.»

«كورال لن تؤذيكِ مجددًا، أعطيكِ كلمتي. على أي حال، هي ليست هنا، لا يمكنها رؤيتنا.»

«إنها ترى كل شيء تود رؤيته؛ كل ما تحتاجه هو بضع تعاويذ وأداة سحرية. ولا تخدع نفسك بالظن أنك تمتلك أي نفوذ عليها. ذلك يتطلب أكثر من...»

أشارت برأسها نحو غرفة النوم.

«أرجوك، لا تذكر اسمي أمامها. حتى لو كان عرضيًا. لأنها لن تدعني أنساه. حتى لو استغرق الأمر عامًا، ستجد وسيلة لتذكيري.»

«بما أنها تعاملُكِ هكذا... ألا يمكنكِ ببساطة الرحيل؟»

«إلى أين؟» قالت بحدّة. «إلى مصنع نسيج؟ لقضاء حياتي عاملةً لدى خيّاطة؟ أم أتوجه مباشرةً إلى بيت دعارة؟ ليس لدي أحد. أنا لا شيء. وسأظل دائمًا لا شيء. وحدها هي من يمكنها تغيير ذلك. أستطيع تحمل كل شيء... لكن أرجوك، لا تجعل الأمر أسوأ.»

«قابلتُ صديقك في المدينة.» نظرت إليه بعد لحظة. «ذلك الشاعر، دانديليون. سأل عنك. كان قلقًا.»

«هل طمأنته؟ أخبرته أنني بخير؟ لستُ في خطر؟»

«ولماذا أكذب؟»

«عذرًا؟»

«أنت لستَ في أمان هنا. أنت معها بدافع الحزن على الأخرى. حتى عندما تكون بقربها، فإنك تفكر في الأخرى. إنها تعلم ذلك. لكنها تتظاهر بأنها لا تعلم، لأن الأمر يعجبها، وأنت بارع في التمثيل؛ مقنعٌ إلى أبعد حد. لكن هل فكرت فيما سيحدث عندما تفضح نفسك؟»

* * *

«هل ستبقى معها الليلة أيضًا؟»

«نعم،» أكد جيرالت.

«سيكون هذا أسبوعًا كاملًا، هل كنت تعلم؟»

«أربعة أيام.»

عزف دانديليون على أوتار عوده بانزلاق درامي.

تأمل أرجاء الحانة. رشَف من كوزه، ومسح الرغوة عن أنفه.

«أعلم أن هذا ليس من شأني،» قال، بنبرةٍ غير معتادة من الحزم والجديّة. «أعلم أنني لا ينبغي أن أتدخل. وأعلم أنك تكره التدخل في شؤونك. لكن هناك أشياء، يا جيرالت، يا صديقي، لا ينبغي أن تترك دون أن تُقال.

كورال، إن أردت رأيي، هي واحدة من تلك النساء اللواتي ينبغي أن يحملن دائمًا لافتة تحذير واضحة. لافتة تقول: "أنظر، لكن لا تلمس." في حدائق الحيوان، يضعون تحذيرات مماثلة على الأحواض التي تحتوي على الأفاعي الجرسية.»

«أعلم.»

«إنها تلعب بك، وتتسلى بك.»

«أعلم.»

«وأنت، في المقابل، لا تفعل سوى ملء الفراغ الذي خلّفته ينيفر، التي لا تستطيع نسيانها.»

«أعلم.»

«إذن لماذا...؟»

«لا أعلم.»

* * *

كانا يخرجان في المساء. أحيانًا إلى المنتزه، وأحيانًا إلى التل المطل على الميناء. وأحيانًا كانا يكتفيان بالتجول في سوق التوابل.

زارت مع جيرالت مطعم ناتورا ريروم عدة مرات. كان فيبوس رافينغا مسرورًا بشكل لا يُصدّق. وبأمرٍ منه، كان النُدُل يسارعون لخدمتهم بامتياز.

وأخيرًا، تذوّق جيرالت طعم سمك التربوت في حبر الحبار. ثم ساق الإوز المطهو في النبيذ الأبيض، وسيقان العجل مع الخضار.

في البداية، وبشكلٍ عابر، كان يزعجه اهتمام الضيوف المفرط والمتظاهر. لكنّه سرعان ما تبع مثال ليتا وتجاهلهم تمامًا. ساعده نبيذ القبو المحلي في ذلك كثيرًا.

ثم كانا يعودان إلى الفيلا.

كانت كورال تتخلص من فستانها في الردهات، وتقوده — عارية تمامًا — إلى غرفة النوم.

تبعها. لم يرفع عينيه عنها أبدًا. كان يعشق النظر إليها.

«كورال؟»

«ماذا؟»

«يُقال إنكِ تستطيعين دائمًا رؤية ما تريدين رؤيته. كل ما تحتاجينه هو بعض التعاويذ وأداة سحرية.»

«أعتقد أنني سأضطر إلى التواء مفصل آخر من مفاصل تلك الإشاعة،» رفعت نفسها على مرفقها ونظرت في عينيه. «لعلها تتعلم ألا تنقل القيل والقال.»

«أرجوكِ...»

«كنت أمزح.» قاطعته، ولم يكن في صوتها أدنى أثر للمرح.

«وما الذي تودّ رؤيته؟» تابعت، بعدما ساد الصمت بينهما.

«أو أن يُتنبّأ لك به؟ كم ستعيش؟ متى وكيف ستموت؟ أي حصان سيفوز في تريتيوريان العظيم؟ من ستنتخبه الهيئة الانتخابية ليكون الهيرارخ القادم لنوفغراد؟ مع من هي ينيفر الآن؟»

«ليتا.»

«ما الذي يزعجك، إن كان لي أن أسأل؟»

أخبرها عن سرقة السيوف.

* * *

كان هناك وميض من البرق. وبعد لحظة، دويّ صوت الرعد.

تطايرت رذاذات الماء بهدوء من النافورة. وكان الحوض يفوح برائحة الحجر الرطب.

أما الفتاة الرخامية، فبقيت متحجرة، مبللة ولامعة، في وضعية رقصها الأزلية.

«التمثال والنافورة،» سارعت كورال لتوضيح، «ليسَا هنا بسبب حبي للزخارف المتكلفة، ولا هما تعبير عن خضوعي للموضات المتعجرفة. إنهما يؤديان وظائف أكثر تحديدًا. التمثال يصورني. بنسخة مصغرة. حين كنت في الخامسة عشرة.»

«من كان ليظن حينها أنكِ ستنضجين بهذا الجمال؟»

«إنه أداة سحرية شديدة الارتباط بي. بينما النافورة، أو بالأحرى الماء، تُستخدم للعرافة. أنت تعلم، كما أعتقد، ما هي العرافة؟»

«بصورة غامضة.»

«سرقة أسلحتك حدثت قبل حوالي عشرة أيام. أفضل وأدق طريقة لتفسير وتحليل الأحداث الماضية، حتى تلك البعيدة جدًا، هي الرؤى الحلمية لكنها تتطلب موهبة نادرة في قراءة الأحلام، وهي موهبة لا أمتلكها.

أما العرافة القرعية فلن تفيدنا كثيرًا، وكذلك العرافة النارية (Pyromancy) والعرافة الهوائية، حيث إنهما أكثر فعالية في التنبؤ بمصائر الأشخاص، بشرط امتلاك شيءٍ يخصهم... شعر، أظافر، قطعة من ملابسهم أو شيء مشابه. لكنهما لا تصلحان مع الأشياء وفي حالتنا، السيوف.»

«وهكذا، لم يبقَ أمامنا سوى العرافة التقليدية.»

أزاحت ليتا خصلةً حمراء عن جبهتها.

«كما تعلم على الأرجح، العرافة تتيح لنا رؤية الأحداث المستقبلية وتنبؤها. ستساعدنا العناصر، فقد بدأ بالفعل موسم عواصف عارم. سنقوم بدمج العرافة مع التنبؤ بالبرق.

اقترب. أمسك يدي ولا تتركها. انحنِ وانظر في الماء، ولكن لا تلمسه تحت أي ظرف. ركز. فكّر في سيوفك! ركّز عليها بعمق!»

سمعها تتلو تعويذة. تفاعل الماء في الحوض، متحركًا بشكل أعنف مع كل جملة نُطِقت. بدأت فقاعات كبيرة تتصاعد من القاع.

أصبح الماء ناعمًا وضبابيًا. ثم صار شفافًا تمامًا.

عينان بنفسجيتان داكنتان تطلان من الأعماق.

خصلات سوداء كجناح الغراب تتدلى فوق الأكتاف في شلالات متألقة، تعكس الضوء مثل ريش الطاووس، تتماوج وتتموج مع كل حركة...

«السيوف،» ذكّرته كورال، بهدوء وتهكم. «كان من المفترض أن تفكر في السيوف.»

تدوّمت المياه، واختفت المرأة ذات الشعر الأسود والعينين البنفسجيتين في الدوامة. تنهد جيرالت بخفة.

«فكّر في السيوف،» همست ليتا بغضب. «ليس فيها!»

تلت تعويذة في لحظة برق أخرى. أضاء التمثال في النافورة بوميض حليبي، وهدأت المياه مرة أخرى وأصبحت شفافة. وعندها رأى...

رأى سيفه. أيدٍ تلامسه. خواتم تزين الأصابع.

... مصنوع من نيزك. توازن رائع، وزن النصل يساوي تمامًا وزن المقبض...

السيف الآخر. فضي. الأيدي ذاتها.

... نصل فولاذي محاط بالفضة... حروف رونية تمتد على طوله...

«أراهم،» همس بصوت مسموع، ضاغطًا على يد ليتا. «أرى سيوفي... حقًا...»

«اصمت.» شدّت على قبضته بقوة أكبر. «اصمت وركّز.»

تلاشت السيوف. وبدلًا منها رأى غابة سوداء. امتدادًا من الصخور. صخورًا شاهقة. إحداها ضخمة، شامخة، طويلة ونحيلة... نحتتها الرياح العاتية إلى شكل غريب...

فار الماء للحظة.

رجل أشيب ذو ملامح نبيلة، يرتدي سترة من المخمل الأسود وصديريًا مزخرفًا بخيوط ذهبية، يستند بكلتا يديه إلى منصة خشبية من الماهوجني. يُعلن بصوت عالٍ: «القطعة العاشرة! تحفة نادرة، اكتشاف استثنائي، سيفان لوحش قاتل...»

قط أسود كبير يستدير في مكانه، يحاول جاهدًا بمخالبه أن يصل إلى ميدالية متأرجحة على سلسلة أعلاه.

المينا على الشكل البيضاوي الذهبي للميدالية يُظهر دلفينًا أزرقًا يسبح...

نهر يتدفق بين الأشجار، تحت مظلة من الأغصان المتدلية فوق المياه.

امرأة ترتدي ثوبًا طويلاً ضيقًا تقف بلا حراك على أحد الأغصان.

فار الماء للحظة ثم عاد إلى هدوئه على الفور تقريبًا.

رأى بحرًا من العشب: سهلًا شاسعًا يمتد بلا حدود حتى الأفق. رآه من الأعلى، كما لو كان ينظر من عين طائر... أو من قمة تل.

ومنحدر التل كانت تنزل صفوف من الأشكال الغامضة. وعندما أداروا رؤوسهم، رأى وجوهًا ساكنة، وعيونًا مفتوحة دون أن ترى.

إنهم موتى، أدرك فجأة.

إنه موكب الموتى...

قبضت أصابع ليتا على يده مجددًا. بقوة تشبه كماشة من الحديد.

أضاء وميض برق السماء.

هبّت عاصفة فجائية ناثرة شعرهم. تلاطمت المياه في الحوض، غلت، احتدمت بالرغوة، ارتفعت كموجة شاهقة مثل الجدار. ثم انهارت عليهم مباشرة.

قفزا مبتعدين عن النافورة. تعثرت كورال، فأمسك بها ليستعيد توازنها.

دوى الرعد بقوة.

صرخت الساحرة بتعويذة ولوّحت بيدها. أضاءت الأنوار في جميع أنحاء المنزل.

الماء في الحوض، الذي كان دوامة عاصفة قبل لحظة، صار الآن ناعمًا، هادئًا، تحركه فقط تيارات ضعيفة من النافورة.

ورغم أن موجة قوية اجتاحتهم، لم تكن هناك أي قطرة ماء على الأرض.

تنهد جيرالت بعمق. ونهض واقفًا.

«في النهاية...»، تمتم وهو يساعد الساحرة على النهوض. «تلك الصورة الأخيرة... التل وذلك الموكب... من الأشخاص... لم أتعرف عليه... لا فكرة لدي عمّا يمكن أن يكون...»

«ولا أنا،» أجابت بصوت مضطرب. «لكنها لم تكن رؤيتك. تلك الصورة كانت موجهة لي. لا فكرة لدي عمّا تعنيه أيضًا. لكن لدي شعور غريب بأنها لا تحمل شيئًا جيدًا.»

خفت صوت الرعد. ابتعدت العاصفة. نحو الداخل.

* * *

«شعوذة، كل هذا التنجيم الذي تقوم به،» كرر دانديليون، وهو يعدل الأوتار على عوده. «رؤى احتيالية للسذج. مجرد قوة الإيحاء، لا أكثر. كنت تفكر في السيوف، فرأيت سيوفًا. ماذا أيضًا تعتقد أنك رأيت؟ موكبًا من الجثث؟ موجة مروعة؟ صخرة ذات شكل غريب؟ وماذا يعني ذلك؟»

«شيء يشبه مفتاحًا ضخمًا،» تأمل الويتشر. «أو صليبًا شعاريًا بثلاثة أذرع...»

تأمل الشاعر لحظة، ثم غمس إصبعه في البيرة، ورسم شيئًا على سطح الطاولة.

«هل يشبه هذا؟»

«أوه. يشبهه كثيرًا.»

«اللعنة!» نقر دانديليون على الأوتار، جاذبًا انتباه الجميع في الحانة. «وتبا! هاها، جيرالت، يا صديقي! كم مرة أنقذتني من مأزق؟ كم مرة ساعدتني؟ وأسديت لي معروفًا؟ دون حتى أن تحسبها! حسنًا، حان دوري الآن. ربما أساعدك في استعادة أسلحتك الشهيرة.»

«آه؟»

نهض دانديليون بحماس.

«السيدة ليتا نيد، فتنتك الجديدة، والتي أعيد لها شرفها هنا وأعلنها عرافة عظيمة وصاحبة رؤية لا مثيل لها، قد حددت — من خلال تنجيمها — مكانًا أعرفه. وبطريقة واضحة وجلية، لا مجال فيها للشك.

علينا التوجه إلى فيرانت فورًا. سيضطر إلى ترتيب لقاء لنا، باستخدام اتصالاته المشبوهة. وسيتعين عليه إصدار تصريح لك لمغادرة المدينة عبر البوابة الرسمية، لتجنب مواجهة أولئك العجائز الشرسات في حرس المدينة. نحن على وشك القيام برحلة صغيرة. وفي الواقع، ليست بعيدة جدًا من هنا.»

«إلى أين؟»

«لقد تعرفتُ على الصخرة التي رأيتها في رؤيتك. شيء يسميه الخبراء 'موغوتي'، ويسميه السكان المحليون 'غريفون'. إنها علامة واضحة، مجرد إشارة توجهنا نحو منزل شخص قد يعرف شيئًا عن سيوفك.»

«والمكان الذي سنتوجه إليه يحمل اسم رافلين. هل يبدو هذا مألوفًا؟»

* * *

ليس الإتقان في الصنع ولا براعة الحرفة وحدهما هما ما يحددان جودة سيف الويتشر. فكما هو الحال مع الشفرات الغامضة المصنوعة من قِبل الإلف أو الجينوم، التي فُقد سرها منذ زمن، فإن القوة الغامضة لسيف الويتشر تظل مرتبطة بيد الويتشر الذي يحمله وبمهارته في استخدامه.

وبالفعل، فإن بفضل تلك الأسرار السحرية، يمتلك هذا السيف قوة عظيمة ضد قوى الظلام.

"مقالة عن الأسلحة الحادة" — لـ باندليلفو فورتغيرا،

«سأكشف لك سرًا واحدًا. حول سيوف الويتشر. إن كل هذا الهراء عن امتلاكها لقوة خفية هو مجرد كلام فارغ. وكذلك ما يُقال عن أنها أسلحة رائعة، وأنه لا يوجد أفضل منها. كل ذلك مجرد خيال، اختُرع للحفاظ على مظهر معين.»

"نصف قرن من الشعر"— دانديليون

الفصل الثامن

لقد تعرفوا على الصخرة المسماة ب"الغريفون" على الفور، إذ كانت مرئية من مسافة بعيدة.

كان المكان الذي يقصدانه يقع تقريبًا في منتصف الطريق بين كيراك وسيداريس، بعيدًا قليلًا عن الطريق الرئيسي الذي يربط المدينتين، وهو طريق يلتف بين الغابات والبراري الصخرية. استغرقت الرحلة بعض الوقت، وقد أمضياها في حديث عابر، كان معظمه من نصيب دانديليون.

* * *

قال الشاعر:

"من المعروف على نطاق واسع أن السيوف التي يستخدمها الويتشر تمتلك خصائص سحرية. متجاوزين الخرافات التي تتحدث عن العجز الجنسي، لا بد أن في الأمر بعض الحقيقة. سيوفك ليست عادية، أليس كذلك؟ هل تود التعليق على ذلك؟"

شد غيرالت لجام فرسه. كانت "روتش"، وقد ضجرت من بقائها الطويل في الإسطبل، تتململ شوقًا للركض.

"نعم، أود ذلك. سيوفنا ليست سيوفًا عادية."

واصل دانديليون حديثه، متجاهلًا سخرية غيرالت:

"يُقال إن القوة السحرية التي تميز سلاح الويتشر، وتجعلها مميتة للوحوش التي يقاتلها، تكمن في الفولاذ الذي صُنع منه. أي أن المعدن نفسه مستخرج من شظايا نيازك سقطت من السماء. لكن كيف يمكن لذلك أن يكون سحريًا؟ فالنيازك ليست سوى ظاهرة طبيعية، يمكن تفسيرها علميًا. من أين إذن يأتي هذا السحر؟"

رفع غيرالت نظره نحو السماء، التي كانت تزداد قتامة من جهة الشمال. بدا أن عاصفة جديدة كانت في طريقها إليهم، وعليهم أن يتوقعوا بللًا قريبًا.

قال، وهو يجيب عن السؤال بسؤال:

"إذا لم تخنني الذاكرة، فقد درست الفنون السبعة الحرة، أليس كذلك؟"

"نعم وقد تخرجت بمرتبة الشرف العليا،" أجاب دانديليون بفخر.

"وهل حضرت محاضرات الأستاذ ليندنبرغ ضمن دورة علم الفلك في قسم الكوادريفيم؟"

"العجوز ليندنبرغ، المعروف بلقب فيدل-فادل؟" ضحك دانديليون وأكمل:

"بالطبع! لا زلت أراه وهو يحك مؤخرته ويضرب بمؤشره على الخرائط والكرات السماوية، متحدثًا بلهجة رتيبة: "دي سفيرا موندي، آه، تنقسم إلى أربعة أجزاء أساسية. الجزء الأرضي، الجزء المائي، الجزء الهوائي، والجزء الناري. الأرض والماء يشكلان الكرة الأرضية، التي يحيط بها من كل جانب، آه، الهواء، وفوق الهواء، آه، يمتد الأثير، الهواء الناري أو النار. وفوق النار، نجد السماوات النجمية الدقيقة، المعروفة بال"فيرمانتوم"، وهي ذات طابع كروي. وفيها تقع النجوم المتجولة، "إيرانت سيديريا"، والنجوم الثابتة، "فيكسا سيديريا..."

"لا أعلم ما الذي أعجب به أكثر؛ موهبتك في تقليد الأصوات أم ذاكرتك الحادة،" زمجر غيرالت. "والآن، لنعد إلى موضوعنا الأساسي: النيازك، التي كان فيدل-فادل الطيب يسميها النجوم الساقطة، "سيديريا كادينس"، أو شيء من هذا القبيل، تتكسر عن الفيرمانتوم وتهبط للأسفل، لتغوص في أعماق أرضنا العجوز الطيبة. وفي طريقها، تخترق جميع المستويات الأخرى، أي المستويات الأولية، وكذلك المستويات شبه الأولية، والتي يُقال إنها موجودة أيضًا. العناصر وشبه العناصر، كما هو معروف، مشبعة بطاقة عظيمة، وهي مصدر كل السحر والقوة الخارقة، وعندما تخترق النيازك هذه المستويات، فإنها تمتص تلك الطاقة وتحتفظ بها. الفولاذ المستخرج من النيازك، وكذلك الشفرات المصنوعة منه، تحتوي على قدر كبير من هذه العناصر. إنه فولاذ سحري. والسيف بأكمله يصبح سحريًا. كواد إيرات ديمونستراندوم. هل فهمت؟"

"بالتأكيد."

"إذن، انسَ الأمر. لأن هذا هراء."

"ماذا؟"

"هراء. محض خرافة. النيازك ليست شيئًا تجده تحت كل شجيرة. أكثر من نصف السيوف التي يستخدمها الويتشر مصنوعة من فولاذ مستخرج من خامات مغناطيسية. لقد استخدمتها بنفسي. وهي

بنفس جودة تلك التي سقطت من السماء فيما يخص اختراق الحديد للعناصر. لا يوجد فرق مطلقًا. لكن أبقِ هذا الأمر سرًا، دانديليون، رجاءً. لا تخبر أحدًا."

"ماذا؟ أن أبقي فمي مغلقًا؟ لا يمكنك أن تطلب ذلك! ما فائدة معرفة شيء إن لم تتمكن من التفاخر به؟"

"رجاءً. أفضل أن يُنظر إليّ على أنني كائن خارق مسلح بسلاح خارق. فهم يوظفونني لأكون كذلك ويدفعون لي لأكون كذلك. أما العادية، فهي تعني الابتذال، والابتذال رخيص. لذا أطلب منك أن تغلق فمك. هل تعدني بذلك؟"

"حسنًا، ليكن. أعدك."

* * *

لقد تعرفوا على الصخرة المسماة "غريفون" على الفور، إذ كانت مرئية من مسافة بعيدة.

وبقليل من الخيال، كان بالإمكان تفسيرها على أنها رأس غريفون منصوب على عنق طويل. غير أن دانديليون لاحظ أنها تشبه في الواقع لوحة مفاتيح عود أو آلة وترية أخرى أكثر مما تشبه مخلوقًا أسطوريًا.

كان "الغريفون"، كما اتضح، تلًا منعزلًا يهيمن على فوهة بركانية عملاقة. وقد تذكَّر غيرالت القصة: كانت الفوهة تُعرف باسم "قلعة الجان"، نظرًا لشكلها المنتظم نسبيًا، الذي يوحي بآثار مبنى قديم، بأسواره وأبراجه ومعاقله وجميع تفاصيله الأخرى. لكن لم تكن هناك قلعة في ذلك المكان، لا للجان ولا لغيرهم. كانت تلك التكوينات الجيولوجية من صنع الطبيعة تحفة رائعة بلا شك.

"هناك في الأسفل." أشار دانديليون، واقفًا على ركابي سرجه. "هل ترى؟ هذا هو هدفنا. رافيلين."

وكان الاسم مناسبًا تمامًا، حيث شكَّل التل انعزالًا ذا شكل مثلثي منتظم بشكل مذهل، ممتدًا من "قلعة الجان" مثل حصن متقدم. وفي قلب ذلك المثلث، ارتفع مبنى شبيه بالقلعة، محاطًا بما يشبه معسكرًا محصنًا بأسوار عالية.

استرجع غيرالت الشائعات التي كانت تتردد عن رافيلين. وعن الشخص الذي يسكن هناك.

تركوا الطريق الرئيسي واتجهوا نحو المكان.

كان هناك العديد من المداخل خلف الجدار الأول، جميعها محروسة من قبل حراس مدججين بالسلاح، ويمكن تمييزهم بسهولة كمرتزقة من خلال ملابسهم المتنوعة متعددة الألوان. تم إيقافهم عند نقطة التفتيش الأولى. وعلى الرغم من أن دانديليون أعلن بصوت عالٍ عن ترتيب لقاء مسبق وأكد بشدة على علاقاته الطيبة مع القادة، فقد أُمِروا بالنزول عن خيولهم والانتظار.

انتظروا طويلًا. بدأ غيرالت يفقد صبره بعض الشيء، حتى ظهر أخيرًا رجل ضخم الجثة يشبه مجدفًا على سفينة جاليون، وأمرهم بأن يتبعوه. وسرعان ما اتضح أنه يقودهم في طريق ملتوية إلى الجزء الخلفي من المجمع، حيث كانت أصوات الصخب والموسيقى تتردد من المركز.

عبروا جسرًا متحركًا. وكان على مقربة منه رجل مستلقٍ على الأرض، شبه فاقد للوعي، يتحسس المكان حوله بيديه. كان وجهه مغطى بالدم ومتورمًا إلى درجة أن عينيه كادتا تُخفيان تمامًا تحت الانتفاخ. كان يتنفس بصعوبة، ومع كل شهيق، كانت فقاعات من الدم تتصاعد من أنفه المهشم.

لم يُعر الرجل الذي كان يقودهم أي اهتمام لهذا المشهد، لذا تظاهر غيرالت ودانديليون بعدم رؤية أي شيء أيضًا. كانا في مكان لا يُستحب فيه إظهار فضول زائد. فقد كان معروفًا أن التطفل في شؤون رافيلين لا يُفضي إلا إلى كارثة. فمن يُدخل أنفه فيما لا يعنيه هناك، غالبًا ما يضطر إلى مغادرة المكان من دونه.

قادهم الرجل الضخم عبر المطبخ، حيث كان الطهاة يعملون بهلع ونشاط. كانت القدور تغلي، ورأى غيرالت السرطانات البحرية والكركند والقريدس تُطهى فيها. كانت ثعابين البحر تتلوى في الأحواض، بينما كانت المحار وبلح البحر تنضج في أوانٍ ضخمة. وعلى المواقد، كانت قطع اللحم تصدر أزيزًا وهي تُطهى في مقالي ضخمة.

كان الخدم يلتقطون الصواني والسلطانيات المليئة بالطعام المطهو لحملها عبر الممرات.

في الغرف التالية، وعلى سبيل التغيير، امتلأ الجو برائحة العطور ومستحضرات التجميل النسائية. أكثر من اثنتي عشرة امرأة، في مراحل مختلفة من التعري، بما في ذلك العري التام، كنّ منشغلات بإصلاح مكياجهن أمام صف من المرايا، وهنّ يثرثرن بلا توقف. في هذا المكان أيضًا، حافظ غيرالت ودانديليون على تعبيرات وجوه غامضة ولم يتركا أعينهما تتجول بشكل غير لائق.

في الغرفة التالية، خضعوا لتفتيش جسدي دقيق. الأشخاص الذين قاموا بذلك بدوا صارمين في المظهر، محترفين في الأداء، وحازمين في التنفيذ. تمّت مصادرة خنجر من غيرالت، بينما دانديليون، الذي لم

يكن يحمل أسلحة قط، تخلّى عن مشط وفتاحة زجاجات. لكن — بعد لحظة تفكير — سُمح له بالاحتفاظ بعُوده.

"هناك كراسي أمام سيادة سعادته." تم توجيههم أخيرًا. "اجلسوا عليها. اجلسوا ولا تقفوا حتى يأمركم سعادته بذلك. لا تقاطعوا سعادته أثناء حديثه. لا تتكلموا حتى يعطيكم إشارة بالكلام. والآن ادخلوا. عبر هذا الباب."

"سعادته؟" تمتم غيرالت.

"كان كاهنًا ذات يوم." تمتم الشاعر دانديليون ردًا. "لكن لا تقلق، لم يكن يومًا متدينًا بحق. مرؤوسوه بحاجة إلى مناداته بشيء ما، وهو لا يحتمل أن يُدعى 'الرئيس'. لحسن الحظ، لسنا مضطرين لاستخدام لقبه الرسمي."

عند دخولهم، اعترض طريقهم شيء ضخم.

كان ذلك الشيء بحجم جبل، وكان يشعّ منه عطر قوي من المسك.

"مرحبًا، ميكيتا." حيّا دانديليون الجبل الحي.

كان العملاق المدعو ميكيتا، والذي كان من الواضح أنه الحارس الشخصي لسعادة الرئيس، نصف سليل — نتيجة تهجين بين غولف وأحد الأقزام. والنتيجة كانت قزمًا أصلعًا طوله يتجاوز السبعة أقدام، عديم الرقبة، ذو لحية كثيفة مجعدة، بأسنان بارزة كأنياب الخنزير البري، وأذرع تصل حتى ركبتيه.

كان من النادر رؤية مثل هذا التهجين: فالسلالتان، كما كان واضحًا، تختلفان جذريًا ووراثيًا. لم يكن لشيء مثل ميكيتا أن ينشأ بشكل طبيعي. كان ذلك مستحيلًا دون تدخل سحر قوي للغاية. سحر محظور، بالمناسبة. كانت الشائعات تقول إن العديد من السحرة يتجاهلون هذا الحظر. وكان الدليل على صحة تلك الشائعات يقف أمام غيرالت.

جلسا على كرسيين مصنوعين من الخيزران، ملتزمين بالبروتوكول السائد. راقب غيرالت ما حوله.

في الزاوية الأبعد من الغرفة، كانت فتاتان شِبه عاريتين تتلذذان ببعضهما على أريكة طويلة. يراقبهما رجل صغير الحجم، غير ملفت للنظر، محدودب الكتفين، يرتدي رداءً فضفاضًا مطرزًا بأزهار، وقبعة فيزية تتدلى منها شرّابة، بينما كان يُطعم كلبًا في الوقت نفسه. بعد أن قدّم للكلب آخر قطعة من جراد البحر، مسح الرجل يديه واستدار نحوهم.

"تحياتي، دانديليون،" قال، جالسًا أمامهم على شيء يشبه العرش، رغم أنه مصنوع من الخيزران. "طاب يومك، سيد غيرالت من ريفيا."

بيرال برات، المعروف — وليس بدون سبب — بأنه الرأس المدبر للجريمة المنظمة في المنطقة بأسرها، بدا كأنه تاجر حرير متقاعد. لم يكن ليبدو في غير مكانه لو حضر نزهة لتجار الحرير المتقاعدين، ولم يكن ليُكشف أمره كدخيل. على الأقل من بعيد.

لكن نظرة عن قرب كانت كفيلة بكشف ما يميّزه عن غيره من تجار الحرير. ندبة قديمة باهتة على عظم وجنته، علامة تركها نصل خنجر. تقطيبة فم رفيع قبيحة وشريرة. زوج من العيون الصفراء الساطعة، جامدة كعيني أفعى الأصلة.

ساد الصمت لفترة طويلة. كان صوت الموسيقى يأتي من مكان ما بالخارج، مصحوبًا بضجيج وهمهمات.

"أنا سعيد للغاية لرؤيتكما وترحيبكما،" قال بيرال برات أخيرًا، بصوت كشف عن علاقة قديمة لم تنقطع مع المشروبات الكحولية الرخيصة المقطرة بطريقة خشنة.

"وأنا سعيد بشكل خاص بقدومك، أيها الشاعر." ابتسم بيرال برات لدانديليون. "لم نرك منذ زفاف حفيدتي، حين شرّفتنا بغنائك. وكنت أفكر فيك مؤخرًا، لأن حفيدتي الأخرى مستعجلة للزواج. أرجو ألا ترفض هذه المرة، من باب الذكرى الطيبة. حسنًا؟ هل ستغني في الزفاف؟ لن تضطرني إلى التوسل لك كما في المرة الماضية؟ لن أُضطر إلى ... إقناعك؟"

"سأغني، سأغني،" أسرع دانديليون بالتأكيد، شاحبًا قليلًا.

"واليوم جئت لتسأل عن صحتي، أليس كذلك؟" واصل بيرال برات حديثه. "حسنًا، صحتي في الحضيض."

لم يعلّق دانديليون أو غيرالت بشيء. كان مزيج القزم والغول الضخم ينبعث منه عبير المسك.

تنهد بيرال برات بعمق.

"أُصبت بقرحة في المعدة ورهاب من الطعام،" أعلن بيرال برات، "لذلك لم تعد متع الحياة على المائدة تناسبني. شُخِّصتُ أيضًا بمرض في الكبد، وأُمرت بالامتناع عن الشرب. لديّ انزلاق غضروفي، يؤثر بالتساوي على فقراتي العنقية والقطنية، مما حرمني من هواياتي السابقة، مثل الصيد والرياضات

الخطرة. العلاجات والأدوية تلتهم جزءًا كبيرًا من أموالي، التي كنت أنفقها سابقًا على القمار. أما فيما يخص... عضوي الذكري، فلنقل إنه لا يزال ينهض، لكن ما مقدار الجهد الذي يتطلبه الإبقاء عليه! الأمر كله يصيبني بالملل قبل أن يمنحني المتعة... فما الذي تبقى لي؟ هاه؟"

"السياسة؟"

ضحك بيرال برات حتى اهتزت الشرابة على قبعته الفيزية.

"أحسنت، دانديليون. دائمًا بديع في ملاحظاتك. السياسة، نعم، هذا هو ما يناسبني الآن. في البداية، لم أكن متحمسًا للأمر. فكرتُ في كسب رزقي من تجارة البغاء والاستثمار في بيوت الدعارة. تنقلتُ بين السياسيين وتعرفتُ على الكثير منهم، واقتنعتُ أنه من الأفضل التخلي عن عالم البغايا، فحتى البغايا لديهن شرف ونوع من المبادئ. لكن، من ناحية أخرى، من الأفضل إدارة الأمور من قاعة المدينة بدلًا من بيت الدعارة. والمرء يرغب في إدارة، إن لم يكن الدولة، فعلى الأقل المقاطعة. وكما يقول المثل القديم: إن لم تستطع هزيمتهم، فانضم إليهم..."

توقف لحظة وألقى نظرة على الأريكة الطويلة، مائلًا برأسه قليلًا.

"لا تتظاهرا بالخجل، أيتها الفتاتان!" صرخ. "أعطوا الأداء قليلًا من الحماس! هه... أين كنت؟"

"السياسة."

"آه، نعم. لكن، لنترك السياسة جانبًا. أنتَ، أيها الويتشر، قد سُرقت سيوفك الشهيرة. أليس هذا هو السبب الذي أتشرف بزيارتك من أجله؟"

"بالفعل، لهذا السبب."

"إذًا، لقد سُرقت سيوفك." أومأ بيرال برات. "خسارة مؤلمة، أليس كذلك؟ مؤلمة بلا شك. ولا يمكن تعويضها. آه، لطالما قلتُ إن كيراك تعج باللصوص. فقط أعطِ الناس هناك فرصة واحدة، وسوف يسرقون أي شيء غير مثبت بإحكام، هذا أمر معروف. وإن صادفوا شيئًا مثبتًا، فهم يحملون دائمًا عتلة للطوارئ.

التحقيق، كما أظن، لا يزال جاريًا؟"

تابع بعد لحظة:

"هل يتحرك فيرانت دي ليتنهوف؟ لنكن صادقين، أيها السادة. لا تتوقعوا المعجزات من فيرانت. لا أقصد الإهانة، دانديليون، لكن قريبك سيكون محاسبًا أفضل من كونه محققًا. بالنسبة له، لا شيء سوى الكتب، والقوانين، والمقالات، واللوائح. حسنًا، وأيضًا الأدلة، الأدلة، ثم الأدلة مجددًا. كأنها قصة الماعز والكرنب. هل تعرفونها؟

لقد حبسوا ماعزًا في حظيرة مع رأس من الكرنب. في الصباح، لم يبقَ له أثر، والماعز كانت تتغوط باللون الأخضر. لكن، لم تكن هناك أدلة أو شهود، لذا تم إسقاط القضية، قضية مغلقة، لا أريد أن أكون نذير شؤم، ويتشر جيرالت، لكن قضية سرقة سيوفك قد تنتهي بنفس الطريقة."

لم يُعلِّق جيرالت هذه المرة أيضًا.

حكَّ بيرال برات ذقنه بيده المحلاة بالخواتم وأكمل:

"السيف الأول من الفولاذ. فولاذ نيزكي، خام الحديد مأخوذ من نيزك. صُنع في ماهكام، في ورشات الطرق القزمة. طوله الإجمالي أربعون ونصف بوصة، أما النصل وحده فيبلغ سبعًا وعشرين وربع بوصة. توازن رائع، وزن النصل متساوٍ تمامًا مع وزن المقبض، والوزن الكلي للسلاح لا يتجاوز أربعين أونصة. تصميم المقبض والحاجز بسيط، لكنه أنيق.

أما السيف الثاني، فطوله ووزنه مشابهان، لكنه فضي. جزئيًا بالطبع. فهو ذو نصل فولاذي مغلف بالفضة، وكذلك الحواف من الفولاذ، لأن الفضة النقية لينة جدًا بحيث لا يمكن شحذها بفعالية. توجد على الحاجز وعلى طول النصل علامات رونية ونقوش غامضة اعتبرها خبرائي غير قابلة للفك، لكنها بلا شك ذات طبيعة سحرية."

"وصف دقيق للغاية." لم تتغير ملامح جيرالت المتحجرة. "كأنك قد رأيت السيوف بنفسك."

"بالفعل، لقد رأيتها. أُحضِرت إليّ وعُرِض عليَّ شراؤها. الوسيط الذي يمثل مصالح المالك الحالي — وهو شخص ذو سمعة لا تشوبها شائبة وأعرفه شخصيًا — أكّد أن السيوف حصل عليها بشكل قانوني، وأنها جاءت من اكتشاف أثري في 'فين كارن'، وهي مقبرة قديمة في سودين. وقد استُخرجت كنوز وآثار لا حصر لها من فين كارن، لذلك لم يكن هناك سبب مبدئي للشك في صحة المصدر. لكنني كنتُ مرتابًا. ولم أشترِ السيوف. هل تسمعني جيدًا، ويتشر؟"

"أُصغي لكلامك حرفيًا." قال جيرالت ببرود. "وأنتظر الخاتمة... والتفاصيل."

"الخاتمة هي كما يلي: اكسبني وسأكسبك... التفاصيل لها ثمن. المعلومات لها مقابل."

"لا تكن سخيفًا." قال دانديليون بضيق. "لقد جئتُ بك إلى هنا بناءً على صداقتنا القديمة، ومعي صديق في حاجة..."

"الأعمال هي الأعمال." قاطعه بيرال برات. "قلتُ إن المعلومات التي بحوزتي لها ثمن. إذا أردت أن تعرف شيئًا عن مصير سيوفك، يا ويتشر ريفيا، عليك أن تدفع."

"وما هو الثمن المطلوب؟"

أخرج برات قطعة ذهبية كبيرة من تحت ردائه وسلّمها إلى القزم الغول، الذي كسرها بين أصابعه بسهولة كما لو كانت بسكويتًا. هزّ جيرالت رأسه.

"كليشيه مسرحي مستهلك." قال بلهجة ساخرة. "تُعطيني نصف القطعة، ثم يظهر لي شخص ما، يومًا ما، ربما بعد سنوات، وهو يحمل النصف الآخر. ثم يطلب مني تنفيذ رغبته، التي سيتوجب عليّ تحقيقها دون قيد أو شرط. لا، لن يحدث هذا. إذا كان هذا هو الثمن، فلا صفقة بيننا. ولتكن قضية مغلقة. هيا، دانديليون، لنذهب."

"ألستَ مهتمًا باستعادة سيوفك؟"

"ليس إلى هذه الدرجة."

"كنتُ أظن ذلك. لكن لا ضرر في المحاولة. سأقدِّم لك عرضًا آخر. هذه المرة، عرضًا لن ترفضه."

"لنذهب، دانديليون."

"يمكنك المغادرة، لكن من باب آخر." أشار برات برأسه. "ذاك الباب. بعد أن تتعرى. ستخرج مرتديًا ملابسك الداخلية فقط."

اعتقد جيرالت أنه يسيطر على تعابير وجهه، لكنه كان مخطئًا، لأن القزم الغول صرخ فجأة محذرًا وتقدَّم نحوه، رافعًا يده، تفوح منه رائحة نفاذة ضعف ما كانت عليه.

"هل هذه مزحة؟" نطق دانديليون بصوت عالٍ، جريئًا كعادته وهو يقف بجانب الويتشر. "أنت تسخر منا، بيرال. ولهذا، سنقول الآن وداعًا ونغادر. ومن الباب الذي دخلنا منه. لا تنسَ من أكون! أنا راحل!"

"لا أعتقد ذلك." هزَّ بيرال برات رأسه. "أثبتَّ لي ذات مرة أنك لستَ ذكيًا جدًا. لكنك أذكى من أن تحاول الخروج الآن."

ولإبراز أهمية كلمات رئيسه، رفع القزم الغول قبضته الهائلة بحجم ثمرة البطيخ. لم يقل جيرالت شيئًا. كان يراقب العملاق منذ فترة طويلة، يبحث عن نقطة حساسة لتوجيه ركلة، لأنه بدا أن المواجهة باتت حتمية.

"حسنًا." هدَّأ برات حارسه الشخصي بإشارة. "سأتنازل قليلًا، سأظهر حسن النية ورغبة في التسوية. النخبة الصناعية والتجارية في المنطقة، من ممولين وسياسيين ونبلاء ورجال دين، بل وحتى أمير متنكر، اجتمعوا هنا. لقد وعدتهم بعرض لم يروا مثله من قبل، ولم يسبق لهم أن رأوا ويتشرًا بملابسه الداخلية. لكن حسنًا، سأخفف من طلبي قليلًا: ستخرج عاري الصدر فقط. وفي المقابل، ستتلقى المعلومات الموعودة على الفور. علاوة على ذلك، كمكافأة ..."

التقط بيرال برات ورقة صغيرة من على الطاولة.

"... كمكافأة، مئتا كراون نوفيغرادي. لصندوق تقاعد الويتشر. هاك، صك لحامله، مسحوب على بنك جيانكاردي، يمكن صرفه من أي فرع. ما رأيك؟"

"لماذا تسأل؟" ضيَّق جيرالت عينيه. "لقد أوضحتَ، وفهمتُ، أنني لا أستطيع الرفض."

"فهمتَ جيدًا. قلتُ إنه عرض لا يمكنك رفضه. لكنه متبادل الفائدة، أليس كذلك؟"

"خذ الشيك، دانديليون." فك جيرالت أزرار سترته وخلعها. "تكلم، برات."

"لا تفعل ذلك." شحب وجه دانديليون أكثر. "إلا إذا كنتَ تعرف ما ينتظرك خلف الباب الآخر؟"

"تكلم، برات."

"كما ذكرتُ." استرخى صاحب السعادة على عرشه المصنوع من الخيزران. "رفضتُ شراء السيفين من الوسيط. ولكن نظرًا لأنه كان، كما قلتُ بالفعل، شخصًا معروفًا لديّ وموثوقًا، اقترحتُ عليه طريقة أخرى أكثر ربحية لبيعها. نصحتُه بأن يعرضهما للبيع في مزاد. في دار مزادات الإخوة بورسودي في

نوفيغراد. إنه أكبر وأشهر سوق للمقتنيات النادرة. يتوافد عليه عشاق التحف، والأعمال الفنية النادرة، والقطع الفريدة، وجميع أنواع النوادر من جميع أنحاء العالم. في سبيل امتلاك تحفة ما لإضافتها إلى مجموعاتهم، يزايد هؤلاء المجانين كما لو أنهم أصيبوا بالهوس. وغالبًا ما تُباع العجائب الغريبة بأرقام فلكية في دار بورسودي. لا يوجد مكان آخر تُباع فيه الأشياء بمثل هذه الأسعار الباهظة."

"تابع، برات." خلع الويتشر قميصه. "أنا منصت لك."

"يُقام المزاد في بورسودي مرة واحدة كل ثلاثة أشهر. وسيُعقد المزاد القادم في يوليو، في الخامس عشر من الشهر. لا شك أن اللص سيظهر هناك مع سيفيك. مع قليل من الحظ، قد تتمكن من استعادتهما منه قبل أن يعرضهما للبيع في المزاد."

"وهذا كل شيء؟"

"وهذا كثير بما فيه الكفاية."

"ماذا عن هوية اللص؟ أو الوسيط...؟"

"لا أعرف هوية اللص." قاطع حديثه برات، وأكمل: "ولن أكشف عن الوسيط. هذه تجارة، تحكمها قوانين وقواعد، ولا تقل العادات أهمية عن ذلك. سأفقد سمعتي إن أفشيتُ كل شيء. لقد أخبرتك بشيء كبير بما يكفي مقابل ما أطلبه منك. خذه إلى الساحة، ميكيتا. وأنت تعال معي، دانديليون، يمكننا أن نشاهد. ما الذي تنتظره، ويتشر؟"

"أفهم أنني سأدخل بلا سلاح؟ ليس فقط نصف عارٍ، بل أيضًا أعزل؟"

"لقد وعدتُ ضيوفي بشيء لم يروا مثله من قبل." شرح برات ببطء، كما لو كان يخاطب طفلًا. "لقد رأوا ويتشرًا يحمل سيفًا من قبل."

"بالطبع."

* * *

وجد نفسه في ساحة مغلقة، الأرض مغطاة بالرمال، محاطة بأعمدة مغروسة في الأرض، مضاءة بضوء المصابيح المتأرجحة المعلقة على قضبان حديدية. سمع صرخات، هتافات، تصفيقًا وصفيرًا. رأى وجوهًا متحمسة، أفواهًا مفتوحة، وأعينًا متلهفة تنظر إليه من فوق الساحة.

شيء ما تحرك على الجانب الآخر من الحلبة. ثم قفز فجأة.

بشق الأنفس تمكن جيرالت من رفع ساعديه مشكلًا علامة الهليوتروب[7] صدّ السحر الوحش المهاجم. صرخت الجماهير بصوت واحد.

السحلية ذات القدمين كانت تشبه الوايفيرن، لكنها أصغر حجمًا، بحجم كلب صيد ضخم. لكن رأسها كان أكبر بكثير من رأس الوايفيرن. وكان فكها مليئًا بأسنان أكثر حدة ووحشية. وذيلها كان أطول بكثير، ينتهي بطرف رفيع.

راحت السحلية تلوّح بذيلها بقوة، ممسحةً الرمال، ضاربةً الأعمدة المحيطة بالساحة بعنف. ثم خفضت رأسها قليلًا، واستعدت للانقضاض عليه مرة أخرى.

كان جيرالت مستعدًا، فضرب السحلية بإشارة آرد[8] وأبعدها عنه، لكن الطرف المدبب من ذيلها تمكن من لسعه. تعالى صراخ الحشد مجددًا، وصرخت النساء بذعر. شعر الويتشر بانتفاخ بحجم النقانق ينمو ويتورم على كتفه العاري. أدرك حينها لماذا أُمِر بخلع قميصه، كما تعرف على خصمه كان فيجيلوصور، وهو سحلية تم تهجينها بطريقة خاصة وتغييرها سحريًا لتستخدم في الحراسة والدفاع.

بدت الأمور سيئة. اعتبر الفيجلوصور أن الساحة عرينه الخاص، مما جعل جيرالت دخيلاً يجب تحييده، وإن لزم الأمر، القضاء عليه.

دارت السحلية حول الحلبة، محتكة بالأعمدة، نافثةً هسيسًا غاضبًا. ثم هاجمت مرة أخرى، بسرعة خاطفة، دون أن تترك له وقتًا لاستخدام إشارة سحرية. تفادى الويتشر أنيابها الحادة برشاقة، لكنه لم يتمكن من تفادي الذيل، الذي لسعه مجددًا. شعر بتورم جديد بجانب الأول.

مرة أخرى، شكل إشارة هيليوتروب ليصد هجوم الفيجلوصور المنطلق نحوه. كان الذيل يلف حوله بسرعة مرعبة، لكن أذنه التقطت تغييرًا طفيفًا في الصوت، قبل لحظة واحدة من أن يضربه طرف الذيل على ظهره. الألم كان كاسحًا، وبدأ الدم يتدفق على جلده. تعالى صياح الجمهور بجنون.

---

[7] الهليوتروب: علامةٌ يستخدمها السحرة. تُصنع بتشابك المعصمين، بالإضافة إلى تشابك الخنصرين، وتعمل كدرعٍ واقي ضد الهجمات الجسدية، وسحر القتال، والاصطدامات بالجدران والأرض، إلخ. على عكس كوين، الذي يبقى فعالًا حتى يُكسر أو يُبدد، فإن الهليوتروب لا ينشط إلا للحظة، ويخفف من تأثير هجوم قوي واحد أو ضرر.

[8] علامة آرد: يستخدمها السحرة لتوجيه دفعة من طاقة التحريك الذهني تُصعق الخصوم، تاركةً إياهم عرضة لهجوم لاحق. كما يمكن لآرد إطفاء الحرائق الموجودة، وفتح الأبواب غير المحكمة، أو اختراق الجدران المتشققة أو التالفة.

بدأت الإشارات السحرية تضعف. كان الفيجلوصور يتحرك بسرعة حوله، بالكاد استطاع جيرالت متابعته. تفادى ضربتين من الذيل، لكن الثالثة أصابته بقوة في لوح كتفه، ليزداد نزيف الدم المتدفق على ظهره.

راح المتفرجون يهتفون، يقفزون، يتدافعون عند الحاجز للحصول على رؤية أوضح. أحدهم مال بشدة على قضيب حديدي يحمل فانوسًا، فانكسر القضيب وسقط مع الفانوس مباشرة في الحلبة.

غرز القضيب في الرمل، وسقط الفانوس على رأس الفيجلوصور، وانفجر لهبًا.

هدر الوحش وهز رأسه بغضب، ناثرًا شرارات حوله، محاولًا إطفاء اللهب بفرك رأسه في الأعمدة الخشبية. رأى جيرالت فرصته الوحيدة.

انتزع القضيب الحديدي من الرمل، أخذ خطوة للوراء، ثم اندفع قافزًا، دافعًا القضيب بقوة في جمجمة الوحش.

اخترق الحديد رأس السحلية تمامًا.

بدأ الفيجلوصور يرتجف بشكل عشوائي، وراح يلوح بذراعيه الأماميتين بلا تنسيق، محاولًا نزع القضيب المغروز في رأسه. قفز مرتجفًا في الهواء، ثم تهاوى وارتطم بالأعمدة، مغرزًا أنيابه في الخشب.

استمر بالتلوي بعنف، محفرًا الرمال بمخالبه، وذيله يخبط في كل اتجاه بجنون.

ثم توقف عن الحركة تمامًا.

اهتزت الجدران بصيحات الجمهور، بالهتافات والتصفيق.

تسلق جيرالت خارج الحلبة عبر سلم حبل أنزله أحدهم. احتشد المتفرجون حوله بحماس.

صفعه رجل على كتفه المتورم، وكاد جيرالت يلكمه في وجهه لولا أنه تمالك نفسه.

قبلته فتاة شابة على خده.

أخرى، أصغر سنًا، مسحت الدم عن ظهره بمنديل كامبريك، ثم رفعته عاليًا، ملوحة به أمام صديقاتها كغنيمة.

امرأة مسنة جدًا، نزعت قلادتها عن عنقها المجعد وحاولت إعطاءها له. لكن نظرته الحادة جعلتها تتراجع بسرعة داخل الحشد.

انتشر في المكان عطر المسك، وشق ميكيتا، القزم-الغول، طريقه عبر الجمهور كالسفينة تخترق الأعشاب البحرية.

وقف أمام جيرالت، حاجبًا إياه عن الناس، ثم أخذه بعيدًا.

* * *

تم استدعاء طبيب، قام بتضميد جراح جيرالت وخياطتها بعناية. كان دانديليون شاحبًا جدًا، بينما ظل بيرال برات هادئًا تمامًا، وكأن شيئًا لم يحدث. لكن ملامح الويتشر لا بد أنها قالت الكثير، لأن برات سارع إلى التوضيح:

"على فكرة، ذلك القضيب الحديدي، الذي تم برده وشحذه مسبقًا، سقط في الحلبة بأمري."

"شكرًا على تسريع الأمور."

"ضيوفي كانوا في قمة نشوتهم. حتى العمدة كوبينراث كان سعيدًا ومبتسمًا، وهو أمر نادر، فهذا النذل لا يرضيه شيء، دائم العبوس، كأنك وضعت شمعة في بيت دعارة يوم الاثنين. الآن، أضمن لنفسي مقعدًا في المجلس البلدي، ها! وربما أصعد إلى منصب أعلى، إذا ..."

"هل ستؤدي عرضًا آخر بعد أسبوع، جيرالت؟ بشيء مماثل؟"

"فقط إذا كنتَ أنت في الحلبة بدلًا من الفيجلوصور، برات."

قالها جيرالت وهو يحرك كتفه المصاب بغضب.

"هاها! هذا جيد! هل سمعت ذلك، دانديليون؟"

"سمعتُ."

أكد الشاعر، وهو يحدق في جراح جيرالت ويكز على أسنانه.

"لكنها لم تكن مزحة، بل كانت في غاية الجدية. وأعلن لك، بكل جدية أيضًا، أنني لن أؤدي في زفاف حفيدتك. تستطيع نسيان الأمر، بعد الطريقة التي عاملت بها جيرالت. وينطبق ذلك على جميع المناسبات الأخرى، بما في ذلك حفلات التعميد والجنازات. بما في ذلك جنازتك."

حدق بيرال برات في الشاعر، وشيء ما اشتعل في عينيه الزاحفتين.

"أنت لا تحترمني، أيها المغني،" تمتم ببطء.

"أنت لا تحترمني مجددًا. يبدو أنك بحاجة إلى درس في هذا الشأن. درس لن تنساه ..."

اقترب جيرالت منه ووقف وجهًا لوجه أمامه. ميكيتا شهق بعمق، ورفع قبضته، وانتشرت رائحة المسك الثقيلة.

لكن بيرال برات أشار له أن يهدأ.

"أنت تخسر هيبتك، برات."

قال الويتشر بصوت هادئ لكن حاد.

"لقد عقدت صفقة، وفقًا للقواعد المتبعة، ووفقًا للعادات التي لا تقل أهمية عنها. ضيوفك راضون عن العرض، واكتسبتَ هيبة، وفرصةً للانضمام إلى المجلس البلدي. وأنا حصلت على المعلومات التي أحتاجها. لقد خدشنا ظهري بعضنا البعض، وكلانا راضٍ. وبالتالي، علينا أن نفترق دون ضغينة أو غضب. لكنك بدلًا من ذلك تلجأ إلى التهديدات. أنت تخسر هيبتك."

شحب وجه بيرال برات قليلًا، ثم أدار ظهره لهما.

"كنت أنوي دعوتكما للعشاء،" قال بلا اكتراث وهو يلقي كلماته فوق كتفه.

"لكن يبدو أنكما على عجلة من أمركما. إذن، وداعًا. لكن اعتبرا نفسيكما محظوظين، فأنا أسمح لكما بمغادرة رافلين سالمين. عادةً، لا أترك قلة الاحترام دون عقاب. لكنني لن أوقفكما."

"هذا هو التصرف الصحيح."

استدار برات، محدقًا.

"ماذا قلتَ؟"

نظر إليه جيرالت في عينيه مباشرة.

"لستَ ذكيًا جدًا، رغم أنك تحب أن تعتقد العكس. لكنك أذكى من أن تحاول إيقافي."

* * *

ما إن تجاوزا التل الصغير ووصلوا إلى أولى أشجار الحور على جانب الطريق، حتى أوقف جيرالت حصانه وأرهف السمع.

"إنهم يتبعوننا."

"اللعنة!" ارتجفت أسنان دانديليون. "من؟ رجال برات؟"

"لا يهم من هم. واصل طريقك بأقصى سرعة إلى كيراك. اختبئ عند ابن عمك. أول شيء صباح الغد، اذهب إلى البنك وصرف ذلك الشيك. بعدها، سنلتقي في نزل 'السلطعون وسمك القرش'."

"وماذا عنك؟"

"لا تقلق بشأني."

"جيرالت..."

"اصمت، واضرب مهرك بالسياط، انطلق! هيا بسرعة!"

امتثل دانديليون، انحنى فوق السرج، وضغط كعبيه في جنبي جواده، فانطلق بأقصى سرعته. أما جيرالت، فقد استدار وانتظر بهدوء.

خرج الفرسان من العتمة. ستة فرسان.

"الويتشر جيرالت؟"

"أنا هو."

"ستأتي معنا،" قال أقربهم بصوت أجش، وهو يمد يده نحو لجام حصان جيرالت. "لكن لا تفكر في أي حماقة، هل فهمت؟"

"إنزع يدك عن اللجام، وإلا سأؤذيك."

"لا حماقات!" سحب الفارس يده متراجعًا. "ولا تتسرع. نحن رجال شرعيون، ولسنا قطاع طرق. نحن نتصرف بأمر الأمير."

"أي أمير؟"

"ستعرف قريبًا. تحرك معنا."

انطلقوا في الطريق. تذكر جيرالت أن برات ذكر وجود أمير ما يقيم في رافلين متخفيًا. لم يكن الوضع يبشر بالخير. فالتعامل مع الأمراء نادرًا ما يكون ممتعًا، ونادرًا جدًا ما ينتهي بشكل جيد.

لم يسافروا لمسافة بعيدة. فقط إلى حانة عند مفترق طرق، تفوح منها رائحة الدخان، وأضواءها تتلألأ في الظلام. دخلوا القاعة الرئيسية، التي كانت شبه خالية، باستثناء بضعة تجار يتناولون عشاءً متأخرًا. كان مدخل الغرف الخاصة يحرسه رجلان مسلحان يرتديان عباءات زرقاء، متطابقة في اللون والتصميم مع عباءات حرس جيرالت. دخلوا إلى الداخل.

"جلالتك الأميرية..."

"اخرجوا. وأنت، اجلس، ويتشر."

الرجل الجالس إلى الطاولة كان يرتدي عباءة مماثلة لحرسه، لكنها مزينة بتطريز فاخر. وجهه كان مخفيًا تحت غطاء رأس. لم يكن هناك داعٍ لذلك؛ فالمصباح على الطاولة كان يضيء جيرالت فقط، بينما بقي الأمير الغامض مختبئًا في الظلال.

"رأيتك في حلبة برات،" قال بصوت هادئ. "عرض مثير للإعجاب، بلا شك. تلك القفزة، والضربة من الأعلى مستعينًا بكل وزن جسدك... السلاح، رغم كونه مجرد قضيب معدني، اخترق جمجمة التنين كما لو كان سكينًا يمر عبر الزبد. أعتقد أنه لو كان رمح دب أو رمحًا عسكريًا، لكان قد اخترق درعًا معدنيًا، وربما حتى درعًا مصفحاً... ما رأيك؟"

"الوقت متأخر. من الصعب التفكير عندما يكون المرء يشعر بالنعاس."

تنهد الرجل الجالس في الظلال ساخرًا.

"إذن، لن نطيل الحديث. ولننتقل إلى جوهر الموضوع. أنا بحاجة إليك. أنت، ويتشر. لتنفيذ مهمة تليق بمثلك. ويبدو أنك أيضًا بحاجة إليّ. ربما أكثر مما أحتاج إليك."

"أنا الأمير زاندر من كيراك. أرغب، وبشدة، في أن أصبح الملك زاندر الأول لكيراك. في الوقت الحالي، وللأسف الشديد، ملك كيراك هو والدي، بيلوهون. العجوز المتصابي لا يزال سليم العقل والجسد، وقد يحكم لعشرين عامًا أخرى، اللعنة! لا أملك لا الوقت ولا الرغبة في الانتظار لهذه المدة. بل وحتى لو انتظرت، لا يمكنني أن أكون واثقًا من وراثة العرش، لأن العجوز قد يختار وريثًا آخر في أي لحظة؛ فهو يملك عددًا وفيرًا من الأبناء. بل وهو منشغل حاليًا بإنجاب المزيد؛ لقد خطط لحفل زفاف ملكي فخم بمناسبة مهرجان لوجناساد، رغم أن البلاد بالكاد تستطيع تحمله. إنه بخيل لدرجة أنه يذهب إلى الحديقة لقضاء حاجته حتى لا يُهلك طلاء المبصقة في غرفته، ومع ذلك، فهو ينفق جبلًا من الذهب على الوليمة الملكية! إنه يدمر خزينة المملكة. أما أنا، فسأكون ملكًا أفضل."

"بيت القصيد هو أنني أريد أن أصبح الملك الآن. في أسرع وقت ممكن. وأحتاجك لتحقيق ذلك."

"الخدمات التي أقدمها لا تشمل تنفيذ الانقلابات الملكية. أو الاغتيال. وهذا، على الأرجح، ما يدور في خلد جلالتك."

"أريد أن أصبح ملكًا. ولكي أعتلي العرش، يجب أن يتوقف والدي عن كونه ملكًا. كما يجب استبعاد إخوتي من وراثة العرش."

"اغتيال ملكي بالإضافة إلى قتل الأخوة. لا، يا صاحب السمو. عليّ أن أرفض. يؤسفني ذلك."

"هذا غير صحيح،" قال الأمير بحدة من بين الظلال. "لم تندم بعد. ليس بعد. لكنك ستندم، أعدك بذلك."

"سيتفضل جلالتك بملاحظة أن تهديدي بالموت لن يحقق الهدف المنشود."

"من يتحدث عن الموت؟ أنا أمير، لست قاتلًا. أنا أتحدث عن اختيار. إما أن تحظى برضاي، أو بسخطي. ستفعل ما أطلبه منك، وستنعم برضاي. وأنت بحاجة ماسة إليه، صدقني. فالقضية التي تنتظرك في المحكمة، والحكم الذي قد يصدر عليك بتهمة الاحتيال المالي، يجعلان من المرجح أنك ستقضي السنوات القادمة مجدفًا على متن سفينة مجداف."

"كنت تظن أنك تخلصت من ذلك، أليس كذلك؟ تظن أن قضيتك قد أُغلقت بالفعل، وأن تلك الساحرة، نيد، التي تسمح لك بمشاركتها فراشها متى شاءت، ستسحب اتهامها، وكل شيء سينتهي ببساطة؟ أنت مخطئ. لقد أدلى ألبرت سمولكا، مأمور أنسيجيس، بشهادته. وتلك الشهادة تدينك."

"الشهادة كاذبة."

"سيكون من الصعب إثبات ذلك."

"من المفترض أن يتم إثبات الذنب، لا إثبات البراءة."

"نكتة جيدة. ممتعة حقًا. لكنني لو كنت مكانك، لما كنت لأضحك."

ألقى الأمير رزمة من الأوراق على الطاولة. "ألقِ نظرة على هذه. إنها وثائق. شهادات مصدّقة، إفادات شهود. بلدة سيزمار، استُؤجر فيها أحد الويتشر، تم القضاء على لوكروت. سبعون تاجًا في الفاتورة، بينما في الواقع تم دفع خمسة وخمسين فقط، والفرق تم تقسيمه مع أحد الكتبة المحليين. مستوطنة سوتونين، عنكبوت عملاق، قُتل مقابل تسعين تاجًا حسب الفاتورة، بينما في الواقع، وفقًا لشهادة العمدة، كان المبلغ خمسة وستين فقط. هاربي قُتلت في تيبرجيان، تم إصدار فاتورة بمئة تاج، بينما لم يُدفع في الواقع سوى سبعين. ثم هناك مغامراتك السابقة وألاعيبك: مصاص دماء في قلعة بيتريلستاين لم يكن موجودًا أصلًا، وكلف قائد القلعة ألف أورين كاملة. مستذئب من غواميز أُزيلت عنه اللعنة بطريقة سحرية، مقابل مئة تاج مزعومة. أمر مشكوك فيه للغاية، لأن هذا النوع من إزالة اللعنات يكلف أكثر من ذلك بكثير. هناك أيضًا إيكينوبس، أو بالأحرى شيء جلبته لعمدة مارتينديلكامبو وأطلقت عليه اسم إيكينوبس. ومجموعة من الغيلان من مقبرة بالقرب من بلدة زغراغين، والتي كلفت المجتمع ثمانين تاجًا، رغم أنه لم يرَ أحد الجثث، لأنها، هاها، التهمتها غيلان أخرى. ماذا تقول عن هذا، ويتشر؟ هذه أدلة!"

"جلالتك لا تزال تقع في الخطأ،" رد جيرالت ببرود. "هذه ليست أدلة، بل افتراءات ملفقة، وملفقة بشكل سيئ أيضًا. لم أعمل يومًا في تيبرجيان. لم أسمع حتى عن مستوطنة سوتونين. لذا، أي فواتير صادرة من هناك هي بلا شك تزوير فاضح، ولن يكون من الصعب إثبات ذلك. أما الغيلان التي قتلتها في زغراغين، فقد التهمتها، هاها، غيلان أخرى بالفعل، لأن هذه هي طبيعة الغيلان. ومنذ ذلك الحين، الجثث المدفونة في تلك المقبرة تتحلل بسلام، لأن الغيلان الباقية رحلت من هناك. أما باقي الهراء الوارد في تلك الوثائق، فلا يستحق حتى التعليق عليه."

"سيتم رفع دعوى قضائية ضدك استنادًا إلى هذه الوثائق." وضع الأمير يده عليها. "وستستغرق وقتًا طويلًا. هل ستتبيّن صحة الأدلة؟ من يدري؟ ما الحكم الذي سيصدر في النهاية؟ لا يهم. هذا كله بلا معنى. الأهم هو السمعة السيئة التي ستنتشر حولك، وستلازمك حتى نهاية أيامك."

"كان هناك من وجدك مقززًا، لكنهم تحملوك بدافع الضرورة، باعتبارك الشر الأقل، باعتبارك قاتل الوحوش التي تهددهم،" واصل الأمير حديثه ببرود. "كان هناك من لم يستطع تحملك كمتحول، وشعر تجاهك بالاشمئزاز والاحتقار كما لو كنت مخلوقًا غير بشري. وآخرون كانوا يخشونك بشدة، وكرهوا أنفسهم بسبب خوفهم منك. كل ذلك سيندثر في طيات النسيان. سمعتك كقاتل ماهر، وشهرتك كساحر شرير، ستتلاشى كالغبار في مهب الريح، وسيُنسى الاشمئزاز والخوف. لن يتذكرك أحد إلا باعتبارك محتالًا جشعًا، لصًا مخادعًا. من كان بالأمس يخشاك ويهاب تعاويذك، من كان يشيح بوجهه عنك، من كان يبصق حين يراك أو يمسك بتميمته، سيضحك غدًا ويغمز لصاحبه: 'انظر، إنه الويتشر جيرالت، ذلك الدجال الوضيع المحتال!' إذا لم تقبل بالمهمة التي أطلب منك تنفيذها، فسأدمرك، ويتشر. سأدمر سمعتك. ما لم تخدمني. قرر الآن. نعم أم لا؟"

"لا."

"لا تتوهم أن علاقاتك — فيرانت دي ليتينهوف أو عشيقتك الساحرة ذات الشعر الأحمر — ستنفعك بشيء. المحقق لن يخاطر بمسيرته المهنية، والمجلس سيمنع الساحرة من التدخل في قضية جنائية. لن يساعدك أحد عندما تسحقك آلة القضاء بين تروسها. لقد أمرتك أن تقرر. نعم أم لا؟"

"لا. وبشكل قاطع، يا سموك. الرجل المختبئ في غرفة النوم يمكنه الخروج الآن."

لدهشة جيرالت، انفجر الأمير ضاحكًا، وصفع الطاولة بكفه. صرير الباب ملأ الغرفة، وخرج شخص من الغرفة المجاورة. شخصية مألوفة رغم العتمة.

"لقد فزت بالرهان، فيرانت،" قال الأمير، "توجه إلى أمين سرّي غدًا لاستلام أرباحك."

"أشكرك، سموك،" أجاب فيرانت دي ليتينهوف، المحقق الملكي، بانحناءة خفيفة. "لكنني اعتبرت الرهان رمزيًا فقط. أردت فقط أن أثبت مدى ثقتي المطلقة بصدقي. لم أكن مهتمًا بالمال على الإطلاق..."

"المال الذي كسبته،" قاطعه الأمير، "هو أيضًا رمز بالنسبة لي، تمامًا مثل شعار دار سك العملة النوفيغرادية، ووجه الملك الحاكم المنقوش عليه. واعلما أيضًا، كلاكما، أنني أنا أيضًا ربحت. لقد استعدت شيئًا كنت أظن أنه ضاع بلا رجعة. ألا وهو الإيمان بالناس. جيرالت من ريفيا، فيرانت كان متأكدًا تمامًا من رد فعلك. أما أنا، فأعترف بأنني كنت أظنه ساذجًا. كنت مقتنعًا أنك ستخضع."

"يبدو أن الجميع قد فاز بشيء،" علق جيرالت بمرارة. "وماذا عني؟"

"أنت أيضًا،" قال الأمير بجدية. "أخبره، فيرانت. وضّح له الأمر وما الذي كان على المحك هنا."

"صاحب السمو الأمير إغموند، الحاضر بيننا الآن،" أوضح المحقق، "تفضل للحظة بأن يتقمص شخصية زاندر، شقيقه الأصغر. وأيضًا، بشكل رمزي، شقيقه الآخر، الطامحين إلى العرش. كان الأمير يشتبه في أن زاندر أو أحد إخوته قد يحاول استغلال هذا الويتشر الملائم من أجل الاستيلاء على العرش. لذا قررنا تنظيم هذا... العرض. والآن نعلم أنه لو حدث ذلك بالفعل... لو تقدم إليك أحدهم بعرض مماثل، فلن تُغوى بوعود الأميرية. ولن تُرهَب بالتهديدات أو الابتزاز."

"تمامًا." أومأ الويتشر برأسه. "وأعترف بموهبتكم. لقد دخل جلالتكم الدور ببراعة. لم ألحظ أي تصنّع فيما تفضلتم بقوله عني، في رأيكم عني. على العكس. شعرت بصدق مطلق..."

"للمسرحية غايتها." قاطع إغموند الصمت المحرج. "حققت هدفي ولا أنوي تبرير نفسي أمامك. وستستفيد من هذا. ماليًا. إذ أنني بالفعل أعتزم استئجار خدماتك. وسأكافئك بسخاء. أخبره، فيرانت."

"الأمير إغموند،" قال المحقق، "يخشى وقوع محاولة اغتيال تستهدف والده، الملك بيلهون، خلال حفل زفافه المزمع في عيد لوغناساد. سيشعر الأمير براحة أكبر إذا كان هناك شخص... كويتشر... مسؤول عن سلامة الملك في ذلك الوقت. نعم، نعم، لا تقاطعني، نحن نعلم أن الويتشرات ليسوا حراسًا شخصيين، وأن هدفهم الأساسي هو الدفاع عن البشر ضد الوحوش السحرية، الخارقة للطبيعة وغير الطبيعية..."

"هذا ما تذكره الكتب،" قاطعه الأمير بنفاد صبر. "لكن الحياة ليست بهذه البساطة. لقد تم توظيف الويتشرات لحماية القوافل خلال رحلاتها عبر البراري والغابات المليئة بالوحوش. وقد حدث، مع ذلك، أن تلك القوافل لم تتعرض لهجوم من الوحوش، بل من قطاع الطرق العاديين، ومع ذلك لم يكن من دور الويتشر مهاجمتهم، ولكنه فعل. لدي أسباب تدعوني للاعتقاد بأنه خلال الزفاف، قد يتعرض الملك لهجوم من... البازيليسكات. هل ستقبل الدفاع عنه من البازيليسكات؟"

"ذلك يعتمد."

"على ماذا؟"

"على ما إذا كان هذا لا يزال فخًا. وما إذا كنت هدفًا آخر لمؤامرة جديدة. ربما من أحد الإخوة الآخرين، على سبيل المثال. أراهن أن الموهبة في التنكر ليست نادرة في عائلتكم."

احمرّ وجه فيرانت غضبًا، وطرق إغموند الطاولة بقبضته.

"انتبه لما تقول،" قال بحدة. "ولا تتجاوز حدودك. سألتك إن كنت ستقبل المهمة أم لا. أجبني!"

"قد أتولى الدفاع عن الملك ضد البازيليسكات الافتراضية." أومأ جيرالت برأسه. "لكن للأسف، سُرقت مني سيوفي هنا في كيراك. ولم تتمكن السلطات الملكية حتى الآن من تعقب اللص، وعلى الأرجح أنها لم تبذل جهدًا كافيًا في ذلك. لا أستطيع الدفاع عن أحد دون أسلحتي. لذا، لا بد لي من الرفض، لأسباب عملية بحتة."

"إذا كان الأمر مجرد استعادة سيوفك، فهذه ليست مشكلة. سنستردها لك. أليس كذلك، أيها المحقق الملكي؟"

"بالتأكيد."

"كما ترى. المحقق الملكي يؤكد الأمر بشكل قاطع. حسنًا؟"

"دعهم يستعيدون السيوف أولًا. بشكل قاطع."

"أنت عنيد، لكن لا بأس. أؤكد لك أنك ستنال أجرًا لقاء خدماتك، وأضمن لك أنني لن أكون بخيلًا. أما فيما يخص المنافع الأخرى، فبعضها ستحصل عليه فورًا، كمقدمة، وكدليل على حسن نيتي، إن شئت. يمكنك اعتبار قضيتك القانونية مغلقة. بالطبع، يجب إتمام الإجراءات الرسمية، فالبيروقراطية لا تعترف بمفهوم السرعة، لكن يمكنك أن تعتبر نفسك الآن بريئًا من الشبهات، وحراً في التنقل."

"أنا ممتن جدًا. وماذا عن الشهادات والفواتير؟ عن الليوكروت في سيزمار والمذؤوب من غواميز؟ ماذا عن الوثائق؟ تلك التي تفضل سموك باستخدامها كإكسسوارات مسرحية؟"

"الوثائق ستبقى معي." نظر إليه إغموند بعينين ثاقبتين. "في مكان آمن. مكان آمن تمامًا."

تم قرع جرس الملك بيلوهون في منتصف الليل تمامًا عند عودته.

كان لا بد من الاعتراف بأن كورال حافظت على هدوئها وتحكمت في أعصابها. كانت تعرف كيف تسيطر على نفسها. حتى نبرة صوتها لم تتغير. حسنًا، تقريبًا.

"من فعل بك هذا؟"

"فيجلوصور. نوع من السحالي ..."

"سحلية وضعت لك هذه الغرز؟ هل سمحت لسحلية أن تخيطك؟"

"الغرز وضعتها طبيبة. أما السحلية..."

"لتذهب إلى الجحيم السحلية! موزابيك! أحضري لي مشرطًا، مقصًا وملقطًا. إبرة وخيط قطني. خلاصة نبتة الجراح، مغلي الألوة، مرهم الأورطولاني. ضمادة معقمة وضغط طبي. وأعدّي كمادة من بذور الخردل والعسل. تحركي، يا فتاة!"

أنجزت موزابيك الأمر بسرعة. ثم بدأت ليتا في العلاج، بينما جلس الويتشر صامتًا يعاني بصبر.

"يجب حظر الأطباء الذين لا يجيدون السحر من ممارسة الطب،" تمتمت الساحرة وهي تضع الغرز. "يمكنهم إلقاء المحاضرات في الجامعات، لا بأس. أو خياطة الجثث بعد تشريحها، بكل تأكيد. لكن لا ينبغي لهم الاقتراب من المرضى الأحياء. لكني، على الأرجح، لن أعيش لأرى ذلك يتحقق، فكل شيء يسير في الاتجاه المعاكس."

"ليس السحر وحده هو الذي يشفي،" خاطر جيرالت بإبداء رأيه. "والأطباء ضروريون. هناك عدد قليل فقط من السحرة المتخصصين في العلاج، والسحرة العاديون لا يريدون علاج المرضى. إما لأنهم لا يملكون الوقت، أو لأنهم لا يرون الأمر مجديًا."

"وهم على حق. نتائج الاكتظاظ السكاني قد تكون كارثية. ما هذا؟ ذلك الشيء الذي تعبث به؟"

"كان ملتصقًا الفيجلوصور. كان مثبتًا على جلده بشكل دائم."

"مزقته كغنيمة جديرة بالمنتصر؟"

"مزقته لأريك إياه."

فحصت كورال اللوحة النحاسية البيضاوية، بحجم كف طفل، والتعويذات المحفورة عليها.

"مصادفة غريبة،" قالت وهي تضع كمادة الخردل على ظهره، "خصوصًا إذا أخذنا بعين الاعتبار أنك في طريقك إلى هناك."

"أنا؟ آه، نعم، صحيح، لقد نسيت. زملاؤك السحرة وخططهم المتعلقة بي. هل اتضحت تلك الخطط بعد؟"

"نعم. لقد تلقيت خبرًا. لقد طُلب منك الذهاب إلى قلعة ريسبرغ."

"طُلب مني؟ يا لها من شرف. إلى ريسبرغ. مقر أورطولان الشهير. طلبٌ، أفترض أنه لا يمكنني رفضه."

"لا أنصحك بذلك. لقد طُلب منك الذهاب فورًا. وبالنظر إلى إصاباتك، متى ستكون قادرًا على الانطلاق؟"

"بالنظر إلى إصاباتي، أخبريني أنتِ. أيتها الطبيبة."

"سأخبرك. لاحقًا ... ولكن الآن ... لن تكون هنا لبعض الوقت وسأفتقدك ... كيف تشعر الآن؟ هل ستكون قادرًا ...؟ هذا كل شيء، موزابيك. اذهبي إلى غرفتك ولا تزعجينا. ما معنى هذه الابتسامة الساخرة؟ هل عليَّ أن أجمدها على فمك بشكل دائم؟"

فاصل

(مقطع من مسودة غير منشورة رسميًا)

داندیلیون، نصف قرن من الشعر

حقًا، كان الويتشر مدينًا لي كثيرًا. وكل يوم تزداد ديونه أكثر فأكثر.

لكن الزيارة إلى بيرال برات في رافلين، التي انتهت كما تعلمون بفوضى دموية، لم تخلُ من بعض الفوائد. إذ أن جيرالت قد التقط أثر سارق سيفيه. وذلك بفضلي، بطريقة ما، فأنا من قاده بدهائي إلى رافلين. وفي اليوم التالي، كنت أنا، ولا أحد غيري، من زوّد جيرالت بسلاح جديد. لم أستطع تحمّل رؤيته أعزل. ستقولون إن الويتشر لا يكون أعزل أبدًا؟ إنه متحول بارع في كل أشكال القتال، أقوى مرتين من الرجل العادي وأسرع منه بعشر مرات؟ يمكنه القضاء على ثلاثة بلطجية مسلحين بعصا برميل خشبية في لحظة؟ بل ولديه القدرة على استخدام السحر من خلال إشاراته، وهي في حد ذاتها سلاح لا يُستهان به؟ صحيح. ولكن السيف يظل سيفًا. لقد كان يكرر بلا كلل أنه يشعر بالعري من دونه. لذلك، زوّدته بواحد.

برات، كما تعلمون الآن، كافأ الويتشر وأنا ماليًا، وإن لم يكن بسخاء شديد، ولكن لا ينبغي لي التذمر. وفي اليوم التالي، وكما أوصاني جيرالت، أسرعت إلى فرع جيانكاردي لصرف الشيك. كنت واقفًا هناك، أنظر حولي. وفجأة، لاحظت أن شخصًا ما يراقبني باهتمام. كانت سيدة، ليست كبيرة في السن، لكنها أيضًا ليست في ريعان الشباب، أنيقة وذكية المظهر. أنا لست غريبًا عن نظرات الإعجاب النسائية؛ فالكثير من النساء يجدن ملامحي الرجولية والذئبية لا تُقاوَم.

اقتربت السيدة مني فجأة، وقدمت نفسها باسم إتنا أسيدر، وادعت أنها تعرفني. ها! يا له من أمر! الجميع يعرفني، فأنا مشهور أينما ذهبت.

"لقد بلغني، أيها الشاعر النبيل،" قالت، "بأن حادثًا مؤسفًا قد وقع لصديقك، الويتشر، جيرالت من ريفيا. أعلم أنه فقد سيفيه وبحاجة ماسة إلى سلاح جديد. وأدرك أيضًا أن العثور على سيف جيد أمر صعب. ويحدث أنني أملك واحدًا. ورثته عن زوجي الراحل، رحمه الله. وقد جئت إلى المصرف في

هذه اللحظة بالذات لبيعه؛ فما الذي يمكن أن تفعله أرملة بسيف؟ لقد قدّره المصرف وعرض أخذه للبيع بالعمولة، لكنني بحاجة ماسة إلى المال السائل لسداد ديون المرحوم، وإلا فسوف يطاردني الدائنون بلا هوادة. وهكذا..."

عندها التقطت السيدة لفة من الداماسك وكشفت عن سيف داخلها.

يا له من إعجاز، دعوني أخبركم. خفيف كريشة. غمده أنيق ومصقول، ومقبضه مغطى بجلد السحالي، أما الحاجز العرضي فمطلي بالذهب، وفي قبضة السيف جوهرة يَشَب بحجم بيضة حمامة. استللتُه من غمده ولم أصدق عينيّ.

كان هناك ختم على شكل شمس على النصل، فوق الحاجز العرضي مباشرة. وبعده مباشرة، نُقِشت العبارة: "لا تستلني بلا سبب، ولا تغمدني بلا شرف."

وهذا يعني أن النصل صُنع في مدينة فيروليدا النيلفجاردية، الشهيرة عالميًا بورش حداديها. لمستُ حدّه بأطراف إبهامي .. حاد كالموسى، أقسم بذلك.

وبما أنني لست مغفلًا، لم أُبدِ أي انفعال، بل بقيت أنظر ببرود بينما انشغل كتبة المصرف بأعمالهم، وكانت امرأة مسنة تمسح مقابض الأبواب النحاسية بصبر.

"مصرف جيانكاردي" قالت الأرملة الصغيرة، "قدّر ثمن السيف بمئتي تاج عند بيعه رسميًا. ولكن مقابل النقد الفوري، سأتخلى عنه بمئة وخمسين."

"هو، هو"، أجبتها. "مئة وخمسون؟ مبلغ لا يُستهان به. يمكنك شراء منزل بهذا المبلغ. منزل صغير. في الضواحي."

"يا لورد دانديليون،" تنهدت المرأة وهي تلوّي يديها، ثم أرسلت دمعة حارة. "أنت تسخر مني. إنك قاسٍ يا سيدي، تستغل أرملةً بهذه الطريقة. حسنًا، بما أنني محاصرة، فليكن: مئة تاج."

وهكذا، أعزائي، حللت مشكلة الويتشر.

ركضتُ إلى حانة السرطان والسمك العجوز، وكان جيرالت يجلس هناك بالفعل، مستمتعًا بشرائح اللحم المقدد والبيض المخفوق، ها! لا شك أنه تناول الجبن الأبيض والثوم المعمر على الإفطار عند الساحرة ذات الشعر الأحمر. تقدمتُ نحوه ووضعت السيف على الطاولة، مدهشًا إياه.

أسقط ملعقته، ثم استلّ السلاح من غمده وفحصه. كانت ملامحه جامدة كالصخر. لكنني اعتدتُ طبيعته المتحولة وأعرف أن العواطف لا تؤثر عليه. مهما كان سعيدًا أو مسرورًا، فهو لا يُظهر ذلك أبدًا.

"كم دفعتَ مقابله؟"

كنتُ على وشك أن أرد بأنه ليس من شأنه، لكنني تذكرتُ في اللحظة الأخيرة أنني دفعته من ماله. لذا اعترفتُ بالحقيقة.

ضغط على ذراعي ولم يقل كلمة واحدة، وظل تعبير وجهه بلا تغيير. ذلك هو جيرالت بكل بساطة، بسيط، لكنه صادق.

ثم أخبرني أنه سيغادر. وحده.

"أريدك أن تبقى في كيراك،" قال متوقعًا احتجاجي، "وأن تُبقي عينيك وأذنيك مفتوحتين."

روى لي ما حدث في اليوم السابق، عن محادثته المسائية مع الأمير إغموند. وبقي يعبث بسيف فيروليدا طوال الوقت، مثل طفل بلعبة جديدة.

"لا أنوي خدمة الدوق،" أعاد جيرالت تلخيص الأمر. "ولا المشاركة في زفاف الملك في أغسطس بصفة حارس شخصي. إغموند وابن عمك مقتنعان بأنهما سيقبضان على سارق السيف فورًا. لا أشاركهما هذا التفاؤل. وهذا يناسبني في الواقع. بوجود سيفيّ، سيكون لإغموند ميزة عليّ. أفضل أن أقبض على السارق بنفسي، في نوفيغراد في يوليو، قبل المزاد في دار بُورسودي. سأستعيد سيفيّ ولن أظهر في كيراك مرة أخرى. وأنت، دانديليون، أبقِ فمك مغلقًا. لا يمكن لأحد أن يعلم بما أخبرنا به برات. لا أحد. حتى ابن عمك المحقق الملكي."

وعدتُه بأن أكون صامتًا كالقبر. لكنه كان يحدّق بي بنظرة غريبة. وكأنه لا يثق بي تمامًا.

"ولأن أي شيء قد يحدث،" واصل حديثه، "لا بد أن يكون لديّ خطة بديلة. أودّ معرفة أكبر قدر ممكن عن إغموند وإخوته، عن جميع المطالبين المحتملين بالعرش، عن الملك نفسه، وعن هذه العائلة المالكة العزيزة بأكملها. أريد أن أعرف ما يخططون له ويدبرونه. من هم المتحالفون؟ ما الفصائل النشطة هنا؟ وهكذا. هل هذا واضح؟"

"لا تريد أن تُقحم ليتا نيد في هذا، كما أرى،" أجبتُه. "وهذا قرار صائب، برأيي. الفاتنة ذات الشعر الأحمر بلا شك لديها رؤية واضحة لكل ما يثير اهتمامك، لكن ارتباطها بالنظام الملكي المحلي قوي

جدًا بحيث لا يمكنها التفكير في ولاء مزدوج، من ناحية. ومن ناحية أخرى، لا تدعها تكتشف أنك ستفر قريبًا ولن تعود. لأن رد فعلها قد يكون عنيفًا. كما تعلم جيدًا، لا تحب الساحرات أن يختفي الناس فجأة من حياتهن."

"أما بخصوص الباقي،" وعدتُه، "فيمكنك الاعتماد عليّ. سأكون منتبهًا بسمعي وبصري، موجّهاهما إلى حيث يلزم. لقد تعرّفتُ على العائلة المالكة المحلية وسمعت ما يكفي من الأقاويل. ملكنا المعظّم بيلوهون أنجب عددًا لا يحصى من الأبناء. وقد بدّل زوجاته مرارًا. ففي كل مرة يضع عينيه على واحدة جديدة، ترحل السابقة عن هذا العالم في ظروف غامضة، حيث تعجز كل وسائل الطب عن إنقاذها. وبهذا، فإن للملك اليوم أربعة أبناء شرعيين، لكل منهم أم مختلفة. هذا دون احتساب بناته اللواتي لا يحق لهن المطالبة بالعرش، أو أبنائه غير الشرعيين. ومن الجدير بالذكر، مع ذلك، أن جميع المناصب والمكاتب المهمة في كيراك يشغلها أزواج بناته — ما عدا ابن عمي فيرانت، فهو استثناء. بينما يدير أبناؤه غير الشرعيين التجارة والصناعة."

كان الويتشر يُنصت إليّ بانتباه شديد.

"الأبناء الأربعة الشرعيون"، واصلتُ، "هم حسب ترتيب العمر: الابن البكر، واسمه مجهول بالنسبة لي، إذ يُحظر ذكره في البلاط الملكي. بعد شجار مع والده، غادر واختفى دون أثر، ولم يره أحد منذ ذلك الحين. الثاني، إلمر، مدمن خمر معتوه، محتجز تحت الحراسة المشددة. يُفترض أن يكون ذلك سرًّا للدولة، لكنه في كيراك معلوم للجميع. أما إغموند وزاندر، فهما الوريثان الفعليان. وبينهما كراهية متبادلة، يستغلها الملك بيلوهون بدهاء، مُبقياً كلاً منهما في حالة دائمة من عدم اليقين. كما أنه يلوّح أحيانًا بتفضيله لأحد أبنائه غير الشرعيين، ويغريه بوعودٍ فارغة. بل يُشاع في الأروقة المعتمة أنه وعد بمنح التاج للابن الذي ستنجبه زوجته الجديدة، التي سيتزوجها رسميًا في لوغناساد."

"لكنني وابن عمي فيرانت نرى أن ذلك مجرد كلام فارغ،" واصلتُ، "فالعجوز الماكر يستخدمه فقط لإثارة رغبة الفتاة الجنسية، لأن إغموند وزاندر هما الوريثان الحقيقيان للعرش. وإذا حدث انقلاب، فسيكون على يد أحدهما. لقد قابلتُ كليهما، عن طريق ابن عمي. وكلاهما — بحسب انطباعي — أملس كفضلات في المايونيز. إذا كنتَ تفهم قصدي."

أكد جيرالت أنه يفهم، وأن انطباعه عن إغموند كان مماثلًا، لكنه لم يكن قادرًا على التعبير عنه بهذه الكلمات الجميلة. ثم غرق في التفكير العميق.

"سأعود قريبًا،" قال أخيرًا. "وأنت، لا تظل جالسًا بلا فعل شيء، وابقَ متيقظًا."

"قبل أن نفترق،" قلتُ له، "كن لطيفًا وأخبرني شيئًا عن تلميذة ساحرتك. تلك ذات الشعر المصفف بإحكام. إنها كزهرة برعم، تحتاج فقط لبعض العناية وستتفتح بشكل رائع. لذا قررتُ أن أكرس نفسي"

لكن وجه جيرالت تغيّر فجأة. وبدون أي تحذير، ضرب الطاولة بقبضته، ما جعل الأقداح تقفز من مكانها.

"أبعد يديك تمامًا عن موزابيك، أيها العازف المتجول،" بدأ في توبيخي دون أدنى احترام. "انزع هذه الفكرة من رأسك. ألا تعلم أن تلميذات الساحرات ممنوعات تمامًا حتى من أبسط أنواع المغازلة؟ لأدنى زلة، ستقرر كورال أنها لا تستحق التدريب، وستعيدها إلى المدرسة، وهو ما يُعد خزيًا شديدًا وإحراجًا قاتلًا للطالبة. لقد سمعتُ عن حالات انتحار بسبب ذلك. ولا مجال للعبث مع كورال، فهي لا تملك حس الفكاهة."

كنتُ على وشك أن أقترح عليه أن يجرب دغدغتها بريشة دجاجة في شق ما بين الأرداف. فمثل هذا الأسلوب يمكن أن يُضفي البهجة حتى على أشد الكئيبين. لكنني صمتُّ، لأني أعرفه. لا يحتمل أن يتحدث أحد بوقاحة عن نسائه. حتى تلك العلاقات العابرة. لذا، أقسمتُ بشرفي أنني سأتخلى تمامًا عن فكرة إغواء موزابيك أو حتى مغازلتها.

"إذا كان الأمر يُؤلمك إلى هذا الحد،" قال بابتسامة وهو يغادر، "فاعلم أنني قابلتُ محامية شابة في المحكمة المحلية. تبدو مهتمة. ربما تلاحقها بدلًا من ذلك؟"

لا وألف لا.

هل يتوقع مني أن أنام مع القضاء؟

ولكن، من جهة أخرى ...

فاصل

إلى السيدة الموقرة للغاية، ليتا نيد

كيراك، البلدة العليا، فيلا سيكلامين

قلعة ريسبرغ، الأول من يوليو، عام 1245 بعد الانشقاق

عزيزتي كورال،

آمل أن تصلك رسالتي وأنتِ في أتم صحة وأفضل حال، وأن تكون الأمور كما تشتهين.

أسرع إليكِ بهذا الخطاب لإبلاغكِ بأن الويتشر، المدعو جيرالت من ريفيا، قد تكرّم أخيرًا بالحضور إلى قلعتنا. ولم تمضِ ساعة واحدة على وصوله حتى أثبت أنه لا يُطاق، وتمكّن بمهارة مدهشة من تنفير الجميع، بمن فيهم القس أورتولان، الرجل الذي يُمكن اعتباره تجسيدًا للطيبة ذاتها، والمشهود له بكرمه وحسن استقباله للناس. يبدو أن الآراء المتداولة حول هذا الشخص لم تكن مبالغًا فيها ولو بأقل القليل، وأن النفور والعداوة اللذين يواجههما في كل مكان لهما أسباب عميقة الجذور.

ومع ذلك، وبما أن الاحترام واجب، فسأكون أول من يمنحه هذا الاحترام بحياد تام ودون تحامل. فهو بلا شك محترف حتى النخاع، ويُعتمد عليه تمامًا في مجاله. فلا شك في أنه ينجز ما يشرع فيه، أو يهلك وهو يحاول.

وبهذا، يمكننا اعتبار هدف مشروعنا قد تحقق، بفضل جهودكِ، عزيزتي كورال، قبل أي شيء آخر. نحن جميعًا ممتنون لكِ على ما قدمتِه، وستجدينا، كما عهدتنا دائمًا، شاكرين لكِ. لكنني شخصيًا أشعر بامتنان خاص لكِ، فأنا، كصديق قديم، مدرك تمامًا لما قدمتِه من تضحيات. أعلم جيدًا كم كان لا بد أن تعاني من قرب ذلك الرجل، ذلك الكيان المتألف من كل الصفات التي تكرهينها.

سخرية نابعة من عقدة عميقة، مصحوبة بطبيعة متعجرفة ومنطوية، وشخصية غير صادقة، وذهن بدائي، وذكاء متوسط، وغرور عظيم. ولن أتطرق، حتى لا أزعجكِ، إلى حقيقة أنه يملك يدين قبيحتين وأظافر متشققة، فأنا أعرف مدى اشمئزازكِ من مثل هذه الأمور.

ولكن، كما قيل سابقًا، ها قد انتهى كل ذلك. انتهت معاناتكِ ومضايقاتكِ ومشاكلكِ. ولم يعد هناك أي شيء يمنعكِ من قطع علاقتكِ بذلك الشخص تمامًا، وإنهاء أي اتصال به نهائيًا. وبهذا، ستضعين حدًا نهائيًا للأكاذيب الوقحة التي ينشرها ألسنة الحقد، تلك التي حاولت بجسارة أن تصوّر لطفكِ — الذي كان في الحقيقة مجرد تظاهر مصطنع — على أنه علاقة مبتذلة بالويتشر.

ولكن يكفي حديثًا عن ذلك، فالأمر لا يستحق مزيدًا من التكرار.

سيكون أسعد أيام حياتي، عزيزتي كورال، لو زرتني في ريسبرغ. لا حاجة لأن أقول إن كلمة واحدة منكِ، أو إشارة، أو حتى مجرد ابتسامة، كافية لأن تجعلني أسرع إليكِ في الحال.

لكِ مني كل التقدير والاحترام،

بينتي

ملحوظة:

الألسنة الحاقدة التي ذكرتها تزعم أن لطفكِ تجاه الويتشر لم يكن إلا بغرض إغاظة أختنا ينيفر، التي يُقال إنها لا تزال مهتمة بالويتشر.

يا للسذاجة والجهل اللذين تتسم بهما تلك الادعاءات! فمن المعروف أن ينيفر تعيش علاقة مشتعلة مع رجل أعمال شاب في تجارة المجوهرات، وهي لا تكترث بأمر الويتشر وعلاقاته العابرة أكثر مما تكترث بثلوج العام الماضي..

فاصل

إلى اللورد الموقر للغاية ألجرنون غوانكامب

قلعة ريسبرغ

من مدينة كيراك، في اليوم الخامس من شهر يوليو، عام 1245 بعد الانشقاق

عزيزي بينتي،

شكرًا على رسالتك، فقد مرّ زمن طويل منذ أن كتبت إليّ آخر مرة. ويبدو أنه لم يكن هناك شيء يستحق الكتابة عنه، أو أي سبب يدفعك لذلك.

إن اهتمامك بصحتي ومزاجي أمر يُقدَّر، وكذلك تساؤلك عمّا إذا كانت الأمور تسير كما أريد. ويسرّني أن أُطمئنك إلى أن كل شيء يجري كما يجب، وأنا أبذل قصارى جهدي في ذلك. فكما تعلم، كل إنسان هو رُبّان سفينته، وأنا أُبحر بسفينتي بثبات، وسط العواصف والصخور، مرفوعة الرأس، مهما بلغت قوة العاصفة حولي.

أما فيما يخص صحتي، فهي على ما يرام تمامًا، جسدياً ونفسياً أيضًا، منذ بعض الوقت، بعدما حصلت أخيرًا على ما كنت أفتقده لزمن طويل. ولم أدرك مدى حاجتي إليه إلا حينما توقفت عن افتقاده.

يسرّني أن المهمة التي تطلّبت مشاركة الويتشر تسير نحو النجاح، وإن كان لي إسهام متواضع فيها، فإنني أشعر بالفخر لذلك. أما عن أسفك، يا عزيزي بينتي، واعتقادك بأن الأمر قد تضمن معاناة وتضحيات ومشقّة، فليس الأمر كما تتصور. صحيح أن جيرالت يُجسّد خليطًا مذهلًا من الرذائل، لكنني، بدون تحامل أو تحيز، وجدت فيه أيضًا بعض الفضائل. فضائل عظيمة، لا شك في ذلك. وأؤكد لك أن كثيرًا من الرجال، لو علموا، لأُصيبوا بالقلق، وكثيرون لحسدوه.

لقد اعتدنا على القيل والقال، والشائعات، والخرافات، والمكائد التي تحدّثت عنها في رسالتك، ونعرف تمامًا كيف نتعامل معها. والطريقة بسيطة للغاية: تجاهلها تمامًا. أتذكُر الشائعات التي انتشرت

عنك وعن سابرينا غليفسيغ عندما قيل إن بيننا شيئًا؟ لقد تجاهلتها ببساطة. وأنصحك بفعل الأمر ذاته الآن.

ابقَ بخير، كورال

ملاحظة: أنا مشغولة للغاية. أي لقاءٍ مستقبلي يبدو مستحيلًا في الوقت القريب.

إنهم يجوبون مختلف الأراضي، وتتطلب أذواقهم وأهواؤهم أن يكونوا بلا أي تبعية.

وهذا يعني أنهم لا يعترفون بأي سلطة سواء بشرية أو إلهية.

إنهم لا يحترمون أي قوانين أو مبادئ، ويعتقدون أنهم بريئون من أي طاعة وغير ملوثين بها.

وهم بطبيعتهم محتالون، يعيشون على التنجيم والعرافة، يخدعون بها العامة السذج، ويعملون كجواسيس، كما يروجون التمائم المزيفة، والعقاقير المحتالة، والمنشطات والمخدرات. بل ويغوصون في الفجور، حيث يوفرون الزانيات للراغبين في المتع الدنيئة مقابل المال.

وعندما يعرفون الفقر، لا يخجلون من التسول أو السرقة العادية، لكنهم يفضلون الاحتيال والخداع.

إنهم يوهمون السذج بأنهم يحمون الناس، وبأنهم يقتلون الوحوش حفاظًا على سلامة العامة، لكن ذلك مجرد كذب.

لقد أُثبت منذ زمن طويل أنهم يفعلون ذلك لمحض تسليتهم، إذ إن القتل بالنسبة لهم متعة من الطراز الأول.

وفي تحضيرهم لما يسمونه عملهم، يمارسون بعض التعاويذ السحرية، لكنها مجرد حيل لخداع أعين الناظرين.

وقد كشف الكهنة الأتقياء زيفهم وسحرهم الكاذب، مما جعل هؤلاء الخدام الأبالسة، الذين يسمون أنفسهم الويتشرز، يقعون في الحيرة والارتباك.

عن كتاب الوحش أو وصف للويتشرز - لمؤلف"مجهول،

الفصل التاسع

لم تكن قلعة ريسبرغ تبدو مكاناً مهيبًا ولا مخيفًا.

كانت مجرد قلعة صغيرة كغيرها، متوسطة الحجم، بُنيت بعناية على منحدرات الجبل الحادة، متشبثة بجرف صخري،

حيث تباينت جدرانها الساطعة مع الخضرة الداكنة لغابات التنوب،

وتوّجها برجان رباعيا الزوايا — أحدهما شاهق، والآخر أقصر — يطلان فوق قمم الأشجار.

أما السور الذي يحيط بالقلعة، فلم يكن، عند الاقتراب منه، مرتفعًا جدًا، ولم يُزوّد بتحصينات قتالية، بينما كانت الأبراج الصغيرة المنتشرة عند الزوايا وفوق بوابة القلعة أقرب إلى الزخرفة منها إلى الدفاع.

الطريق المتعرج حول التل حمل آثار استخدام مكثّف. وقد كان يعجّ بالمارة، وسرعان ما بدأ الويتشر بتجاوز العربات، والعجلات، والفرسان المنفردين، والمشاة.

كما كان هناك عدد كبير من المسافرين في الاتجاه المعاكس، مبتعدين عن القلعة.

خمّن جيرالت وجهة هذه الرحلات، ولم يخطئ.

إذ تأكد من تخمينه فور خروجه من الغابة.

على قمة التل المسطّحة، أسفل جدران القلعة، امتدت بلدة صغيرة مشيدة من الخشب، والقصب، والقش.

مجموعة متكاملة من المباني الكبيرة والصغيرة، والأسقف، محاطة بسياج وحظائر مخصصة للخيول والماشية.

كان الجو يعجّ بالحركة، والناس يتنقلون بنشاط، وكأنها سوق أو مهرجان.

وكانت كذلك بالفعل.

سوقٌ، بازار، متجرٌ مفتوح؛ لكن لم تكن الطيور، أو الأسماك، أو الخضروات هي ما يُباع هناك.

البضاعة المعروضة أسفل القلعة كانت سحرية، تمائم، تعاويذ، إكسير، أفيونات، جرعات، خلاصات، مقطرات، مركبات، بخور، شرابات، عطور، مساحيق، ومراهم،

إضافةً إلى أدوات سحرية عملية، تجهيزات منزلية مسحورة، زينة، وحتى ألعاب للأطفال.

كان الطلب كبيرًا، والعرض متوفرًا، والتجارة مزدهرة بوضوح.

نقسم الطريق إلى فرعين.

اتجه الويتشر نحو الممر المؤدي إلى بوابة القلعة، والذي كان أقل وعورة بكثير من الطريق الآخر، الذي يقود المشترين نحو السوق.

عبر المنطقة المرصوفة بالحصى أمام برج البوابة، متقدّمًا بين صفٍ من أحجار المِنْهِير التي وُضعت هناك بعناية، معظمها كان أطول منه وهو على صهوة حصانه.

لم يمض وقت طويل حتى وصل إلى بوابة ذات تصميم أشبه ببوابات القصور أكثر من قلاع الدفاع،

حيث كانت مزينة بأعمدة مستدقة وتيجان منحوتة بدقة.

اهتزَّت ميداليته بقوة.

وصهلت رواش، محدثة بأرجلها صوتاً نتيجة توقفها المفاجئ على الحجارة، ثم توقفت فجأة.

"الهوية وسبب الزيارة."

رفع رأسه.

كان صوتاً خشناً، أجوفاً، وإن كان بلا شك أنثوياً، قد خرج من الفم المفتوح على مصراعيه لنحت رأس تمثال الهاربي المحفور على القوس الزخرفي أعلى البوابة.

اهتزت الميدالية مرة أخرى، وشهقت الفرس بغضب. وشعر جيرالت بضغط غريب عند صدغيه.

"الهوية وسبب الزيارة."

تردد الصوت مجددًا، أعلى من قبل بقليل.

"جيرالت من ريفيا، ويتشر. متوقّع حضوري."

أطلقت رأس الهاربي المحفورة صوتًا أشبه بنداء البوق.

تلاشى السحر الذي كان يحجب المدخل، توقف الضغط عند صدغيه فجأة،

ثم انطلقت الفرس من تلقاء نفسها دون حاجة إلى دفعها.

حوافرها أحدثت ضجيجًا على الحجارة بينما اجتاز البوابة.

وجد نفسه داخل زاوية مسدودة محاطة برواق مقبب.

ركض نحوه خادمان شابّان، يرتديان ملابس بسيطة بألوان بنية ورمادية عملية.

تولى أحدهما العناية بالحصان، بينما تولى الآخر دور المرشد.

"من هنا، سيدي."

"هل هذا المشهد طبيعي هنا؟ كل هذه الفوضى؟ أسفل التل في الضواحي؟"

"لا، سيدي."

رمقه الخادم بنظرة قلقة، ثم أضاف:

"إنما يكون هكذا فقط أيام الأربعاء. يوم الأربعاء هو يوم السوق."

على الزخرفة المقوسة للبوابة التالية كان هناك نقش بارز يحمل نقشًا بارزًا آخر، من المؤكد أنه سحري، يصور فم أفعى ثنائية الرأس.

كانت البوابة مغلقة بشبكة حديدية متينة ومزخرفة، لكنها انفتحت بسلاسة ودون مقاومة عندما دفعها الخادم برفق.

الفناء التالي كان أكبر بكثير.

ومن هنا فقط أمكن تقدير القلعة بحق.

إذ اتضح أن مظهرها من بعيد كان خادعًا للغاية.

كانت ريسبيرغ أكبر بكثير مما بدت عليه.

كان مجمعًا من المباني القاسية القبيحة — نادرًا ما تُشاهد في هندسة القلاع — يمتد بعمق داخل جدار الجبل.

بدا أن المباني أشبه بالمصانع، وربما كانت كذلك بالفعل.

إذ كانت المداخن وأنابيب التهوية تبرز منها، وكانت رائحة الاحتراق والكبريت والأمونيا تملأ الهواء، بينما اهتزَّت الأرض برفق، مما يدل على أن نوعًا ما من الآلات تحت الأرض كانت تعمل.

سعل الخادم فأيقظ انتباه جيرالت بعيدًا عن أفكار بالمجمع الصناعي.

لم يكونوا متجهين نحو المجمع الصناعي، بل إلى البرج الأقل ارتفاعًا من البرجين اللذين كانا يعلوان المباني ذات الطراز المعماري الكلاسيكي، الذي يليق أكثر بالقصور.

حتى الداخل كان يشبه القصور: رائحة الغبار والخشب والشمع والأشياء العتيقة تملأ المكان.

كان المكان مضيئًا، حيث كانت كرات سحرية محاطة بهالات ضوئية - الإضاءة القياسية في مساكن السحرة - تطفو تحت السقف ببطء، أشبه بالأسماك في حوض مائي.

"مرحبًا، ويتشر."

كان المستقبلون ساحرين اثنين.

كان يعرفهما كليهما، وإن لم يكن بشكل شخصي.

ينيفر كانت قد أشارت له ذات مرة إلى هارلان تسارا، وكان يتذكره لأنه كان ربما الساحر الوحيد الذي حلق رأسه بالكامل.

أما الآخر، ألجرنون جينكامب، الملقب ب"بينتي"، فقد تذكره من أكاديمية أكسنفورت.

"مرحبًا بك في ريسبيرغ،" قال بينتي. "نحن سعداء بموافقتك على المجيء."

"هل تسخر مني؟ أنت تعلم أني لم آتِ بإرادتي. لقد أجبرتني على الحضور، قامت ليتا نيد بحبسي..."

"لكنها أخرجتك لاحقًا،" قاطعه تسارا، "وكافأتك بسخاء. عوضتك عن إزعاجك بأسلوب شديد - هممم - التفاني. تقول الأقاويل إنك كنت تستمتع بـ... صحبتها لمدة لا تقل عن أسبوع."

كافح جيرالت الرغبة العارمة في لكمه في وجهه.

لابد أن بينتي لاحظ ذلك.

"سلام." رفع يده. "سلام، هارلان. دعنا نُنهي هذه المشاحنات. لنُنهِ هذه المعركة من التلميحات اللاذعة والتعليقات اللاذعة.

نحن نعلم أن جيرالت يكن لنا بعض الضغينة، يمكن سماعها في كل كلمة ينطق بها. نعرف السبب، ونعرف كيف أحزنته القضية مع ينيفر. وكذلك رد فعل مجتمع السحرة على الأمر. لا يمكننا تغيير ذلك. لكن جيرالت محترف، وسيعرف كيف يسمو فوق ذلك."

"سيعرف،" أقرَّ جيرالت ساخرًا. "لكن السؤال هو ما إذا كان سيرغب في ذلك. هل يمكننا أخيرًا الدخول في صلب الموضوع؟ لماذا أنا هنا؟"

"نحن بحاجة إليك،" قال تسارا بجفاف. "إليك تحديدًا."

"إليَّ تحديدًا؟ هل ينبغي لي أن أشعر بالفخر؟ أم أن أبدأ بالشعور بالخوف؟"

"أنت شخصية مرموقة، جيرالت من ريفيا،" قال بينتي. "إن أعمالك وبطولاتك تُعتبر، وفقًا للإجماع العام، مذهلة وجديرة بالإعجاب. قد لا تتمكن من الاعتماد على إعجابنا، كما تستنتج. فنحن لا نميل إلى إظهار تقديرنا بسهولة، لا سيما لشخص مثلك. لكننا قادرون على الاعتراف بالاحترافية واحترام الخبرة. الحقائق تتحدث عن نفسها. أنت، أجرؤ على القول، شخص بارع... هممم..."

"نعم؟"

"... مُزيل." وجد بينتي الكلمة دون صعوبة؛ كان من الواضح أنه قد أعدها مسبقًا. "شخص يقضي على الوحوش والبهائم التي تشكل خطرًا على الناس."

لم يُعلِّق جيرالت. انتظر.

"هدفنا، هدف جميع السحرة، هو أيضًا رخاء الناس وأمنهم. وبالتالي، يمكننا الحديث عن تقاطع في المصالح. ينبغي ألا تحجب بعض سوءِ الفهم العرضي هذه الحقيقة. لقد أوضح لنا سيد هذه القلعة ذلك مؤخرًا. إنه على دراية بك ويرغب في لقائك شخصيًا. هذه رغبته."

"أورتولان."

"السيد الكبير أورتولان. وأقرب معاونيه. سيتم تقديمك إليهم. لاحقًا. سيأخذك الخدم إلى مقر إقامتك. يمكنك أن تنتعش بعد رحلتك. وتستريح. سنستدعيك قريبًا."

* * *

أخذ جيرالت يُفكِّر. استعاد كل ما سمعه على الإطلاق عن السيد الكبير أورتولان، الذي كان — وفقًا للإجماع العام — أسطورة حيّة.

كان أورتولان أسطورة حية، شخصًا قدَّم خدمات استثنائية لفنون السحر.

كانت هوسه هو تعميم السحر ونشره.

على عكس معظم السحرة، كان يعتقد أن الفوائد والمزايا المستمدة من القوى الخارقة يجب أن تكون متاحة للجميع، وأن تُستخدَم لتعزيز الرفاهية العامة والراحة والسعادة الشاملة.

كان حُلم أورتولان أن يحصل كل شخص على إمكانية الوصول المجاني إلى الإكسير السحري والعلاجات الطبية السحرية.

يجب أن تكون التمائم السحرية، والتعاويذ، وجميع أنواع القطع الأثرية متاحة للجميع بحرية. يجب أن تكون التخاطر، والتحريك الذهني، والانتقال الآني، والاتصال السحري من حقوق كل مواطن.

ولتحقيق ذلك، كان أورتولان لا يتوقف عن الابتكار.

بمعنى آخر، كان مخترعًا.

وقد كانت بعض ابتكاراته أسطورية بقدر ما كان هو نفسه. لكن الواقع صدم أحلام الساحر المُبجَّل بقسوة.

لم ينتقل أي من اختراعاته — المُصممة لنشر السحر وجعله في متناول الجميع — إلى مرحلة الإنتاج الفعلي. كل ما اخترعه أورتولان، وكل ما كان يجب أن يكون بسيطًا من حيث المبدأ، اتضح أنه معقد بشكل مرعب.

كل ما كان من المفترض أن يكون متاحًا للإنتاج على نطاق واسع، تبين أنه مُكلِّف بشكل شنيع، لكن أورتولان لم يفقد الأمل، وبدلاً من أن تُحبطه الإخفاقات، كانت تُشعل حماسته لبذل جهود أكبر.

مما أدى به إلى مزيد من الإخفاقات.

كان يُشتبه — مع أنه، بطبيعة الحال، لم يخطر هذا على بال أورتولان نفسه — أن السبب وراء إخفاقات المخترع كان غالبًا مجرد تخريب متعمد. ولم يكن السبب — أو لم يكن فقط — الغيرة الصرفة من قِبَل جماعة السحرة، ولا حتى رفضهم لفكرة تعميم فن السحر، حيث كان السحرة والساحرات يفضلون أن يبقى في أيدي النخبة، أي في أيديهم هم. بل كانت المخاوف تدور حول اختراعات ذات طبيعة عسكرية وقاتلة.

وكانت هذه المخاوف مبررة. فمثل أي مخترع، مرَّ أورتولان بمراحل من الهوس بالمواد المتفجرة والقابلة للاشتعال، والمقاليع الحربية، والعربات المدرعة، والأسلحة النارية البدائية، والعصي التي تضرب من تلقاء نفسها، والغازات السامة.

حاول العجوز أن يبرهن على رأيه: "السلام العالمي بين الأمم هو الشرط الأساسي لازدهارها والسلام لا يتحقق إلا بالتسلح. والطريقة الأكثر ضمانًا لمنع الحروب هي امتلاك سلاح رهيب كرادع؛ فكلما كان السلاح أشد رعبًا، كان السلام أكثر دوامًا وأمانًا."

ولأن أورتولان لم يكن معتادًا على الاستماع إلى الحجج المضادة، كان هناك مُخرِّبون مندسون بين فريقه الهندسي يعملون سرًا على إفشال اختراعاته الخطيرة.

لم يرَ معظم اختراعاته النور.

لكن كان هناك استثناء واحد: قاذف القذائف الشهير، الذي أصبح موضوعًا للعديد من النوادر والطرائف.

كان هذا الجهاز نوعًا من القوس المستعرض التوكينيتيكي، مزودًا بحاوية كبيرة للقذائف الرصاصية.

وكما يوحي الاسم، كان من المفترض أن يقذف القذائف نحو الهدف في سلسلة متتابعة.

وللمفاجأة، تمكن النموذج الأولي من مغادرة أسوار ريسبيرغ، بل وتم اختباره في إحدى المناوشات.

لكن كانت النتائج كارثية.

فقد قال المدفعي الذي استخدم الاختراع، عندما سُئل عن مدى فاعلية السلاح، قائلًا: "قاذف القذائف هذا مثل حماتي: ثقيل، قبيح، عديم الفائدة تمامًا، والشيء الوحيد الذي يصلح له هو أن يُؤخذ ويُلقى في النهر."

لم يُصَب الساحر العجوز بخيبة أمل عندما نُقل إليه هذا التعليق. بل كان جوابه:

"السلاح مجرد لعبة." وأضاف بفخر "أن لديه العديد من المشاريع الأكثر تطورًا على طاولته، كلها قادرة على تحقيق دمار شامل. فهو، أورتولان، سيمنح البشرية نعمة السلام، حتى لو كان عليه أولًا أن يُدمر نصفها."

* * *

كانت جدران الغرفة التي أُدخل إليها مزدانةٌ بنسيج جداري ضخم، تحفةٌ فنية في فن النسيج، تصور مشهدًا من الخضرة الأركادية. غير أن النسيج كان مشوهًا ببقعة كبيرة، تشبه إلى حد ما حبَّارًا عملاقًا، لم تُغسل تمامًا. لا بد أن أحدهم، فكَّر الويتشر، قد تقيأ على هذه التحفة الفنية منذ وقت قريب.

سبعة أشخاص كانوا جالسين حول طاولة طويلة تشغل وسط الغرفة.

"السيد أورتولان." انحنى بينتي قليلًا. "اسمح لي أن أقدم لك جيرالت من ريفيا. الويتشر."

لم يفاجئ مظهر أورتولان جيرالت. فقد كان يُعتقد أنه أكبر السحرة سنًّا في العالم. وربما كان ذلك صحيحًا، وربما لم يكن كذلك، ولكن الحقيقة التي لا جدال فيها هي أنه كان يبدو أكبر السحرة سنًّا.

وكان هذا أمرًا غريبًا، نظرًا لكون أورتولان هو مُخترع مَغْلِيِّ جذور الماندريك الشهير، الإكسير السحري الذي يستخدمه السحرة لإبطاء الشيخوخة. غير أن أورتولان نفسه، حينما توصَّل أخيرًا إلى صيغة موثوقة لهذا السائل العجيب، لم يكن قد استفاد منه كثيرًا، إذ كان قد تقدَّم في السن بالفعل.

الإكسير يمنع الشيخوخة، لكنه لا يعيد الشباب. ولهذا السبب، ظل أورتولان يبدو كعجوزٍ هرم، خصوصًا عند مقارنته بزملائه السحرة: أفرادٌ موقرون، لكنهم يبدون في ريعان الشباب، والساحرات اللواتي يبدين كأنهن في ربيع العمر، رغم سنواتهن المديدة.

الساحرات المتوهجات بالشباب والسحر، والسحرة الذين اشتعلت شعيرات رمادية بين خصلاتهم دون أن يُعرف متى وُلدوا حقًا، كانوا يحرسون سر إكسير أورتولان بحرص، بل وفي بعض الأحيان ينكرون وجوده تمامًا.

وفي الوقت نفسه، كانوا يُيقون أورتولان مقتنعًا بأن الإكسير مُتاح للجميع، وبفضل ذلك، أصبحت البشرية عمليًا خالدة، وبالتالي، سعيدة تمامًا.

"جيرالت من ريفيا." كرر أورتولان وهو يسحق خصلة من لحيته الرمادية بين أصابعه. "حقًّا، حقًّا، لقد سمعنا عن الويتشر. مدافع، كما يُقال، حارس، يحمي الناس من الشر. عامل وقائي ومضاد مُعتبر لكل شر مخيف."

اتخذ جيرالت تعبيرًا متواضعًا، وانحنى بأدب

"حقًّا، حقًّا ..." تابع الساحر وهو يجذب لحيته. "نعلم، نعلم. وفقًا لكل الشهادات، أنت لا تبخل بقوتك في الدفاع عن الناس، يا فتى، لا تبخل بها أبدًا. وممارستك حقًا جديرة بالاحترام، وحرفتك تستحق التقدير. نرحب بك في قلعتنا، راضين بأن الأقدار قد جلبتك إلينا. فلربما لم تكن تدرك ذلك بنفسك، لكنك قد عدت كما يعود الطائر إلى عشه ... حقًّا، مثل الطائر. يسعدنا أن نراك، ونأمل أن تكون أنت أيضًا سعيدًا برؤيتنا، أليس كذلك؟"

كان جيرالت مترددًا في كيفية مخاطبة أورتولان. فالسحرة لا يعترفون بالألقاب الرسمية ولا يتوقعونها من الآخرين. لكنه لم يكن متأكدًا مما إذا كان ذلك مقبولًا مع رجل عجوز بلحية وشعر رماديين، علاوة على كونه أسطورة حية. فاختار الصمت وانحنى مجددًا.

بدأ بينتي بتقديم السحرة الجالسين إلى الطاولة واحدًا تلو الآخر. وكان جيرالت قد سمع ببعضهم من قبل.

أكسل إسبارزا، المعروف على نطاق واسع باسم "أكسل الموشوم"، كان جبينه وخداه مغطّيين حقًّا بندوب محفورة عميقة. ويُشاع أنه لم يزلها عنادًا لا أكثر. أما مايلز تريثيفي، الذي بدأت عليه أولى علامات الشيب، و ستوكو زانجينيس، الذي بدا أشيب بدرجة أكبر، فقد كانا ينظران إلى الويتشر باهتمام معتدل.

أما اهتمام بيروتا إيكارتي، وهي شقراء ذات جمال متوسط، فقد بدا أكبر قليلًا. في حين أن تارفكس ساندوفال، رجل عريض المنكبين، ذو بنية أكثر ملاءمة لفارس منها لساحر، كان ينظر إلى جانب الطاولة، نحو النسيج الجداري، وكأنه يتأمل البقعة ويتساءل كيف وصلت إلى هناك ومن كان مسؤولًا عنها.

أما المقعد الأقرب إلى أورتولان فكان يحتله سوريل ديغيرلوند، الذي كان يبدو أصغر الموجودين سنًّا، وكان شعره الطويل يمنحه مظهرًا أنثويًّا بعض الشيء.

"نحن أيضًا نرحب بالويتشر الشهير، المدافع عن الناس،" قالت بيروتا إيكارتي. "يسعدنا أن نرحب بك، حيث إننا نحن أيضًا نعمل في هذه القلعة تحت إشراف المعلم الكبير أورتولان، لكي نجعل حياة الناس أكثر أمانًا وسهولة بفضل التقدم. فمصالح البشر العليا هي هدفنا الأسمى أيضًا.

عمر المعلم الكبير لا يسمح لنا بإطالة هذه المقابلة كثيرًا. لذلك، سأطرح عليك ما هو مناسب: هل لديك أي طلبات، يا جيرالت من ريفيا؟ هل هناك شيء يمكننا فعله من أجلك؟"

"أشكرك، أيها المعلم الكبير أورتولان." انحنى جيرالت مجددًا. "وأشكركم، أيها السحرة الموقرون. وبما أنكم تجرؤونني بطرح هذا السؤال ... نعم، هناك شيء يمكنكم فعله لأجلي. يمكنكم توضيح أمر ما لي ... هذا الشيء."

رفع يده ليُريهم شيئًا انتزعه من الفيجلوصور الذي قتله.

وضع جيرالت اللوحة البيضاوية على الطاولة، بحجم كفِّ طفل، وكانت الحروف محفورة عليها.

قرأ أكسل الموشوم بصوت عالٍ، ثم مرَّر اللوحة إلى ساندوفال.

"إنها طفرة، مُبتكرة هنا، عندنا، في ريسبيرغ،" صرَّح ساندوفال بنبرة مباشرة. "في قسم الزواحف الكاذبة. إنها سحلية حراسة. النسخة الرابعة، السلسلة الثانية، العينة الخامسة والعشرون. نموذج قديم، لقد بدأنا تصنيع إصدار مُحسَّن منذ زمن طويل. ما الذي يحتاج إلى تفسير أكثر من ذلك؟"

"يقول إنه قتل الفيجلوصور" قال ستوكو زانجينيس وهو يعقد حاجبيه. "إذن، الأمر لا يتعلق بتوضيح، بل بمطالبة. نحن لا نقبل ولا نُحقق في الشكاوى، أيها الويتشر، إلا من المشترين القانونيين، وفقط على أساس إثبات الشراء. نحن لا نقدم خدمات الصيانة أو إزالة العيوب إلا بوجود إثبات شراء ..."

"ضمان هذا الطراز انتهى منذ فترة طويلة،" أضاف مايلز تريثيفي. "وعلى أي حال، لا يشمل أي ضمان العيوب الناتجة عن الاستخدام غير المناسب للمنتج أو في حال انتهاك تعليمات التشغيل. إذا استُخدم المنتج بشكل غير ملائم، فإن ريسبيرغ لا تتحمل المسؤولية. بأي شكل من الأشكال."

"وهل تتحملون المسؤولية عن هذا؟"

أخرج جيرالت لوحةً أخرى من جيبه وألقاها على الطاولة.

كانت اللوحة الثانية مماثلة في الشكل والحجم للأولى، لكنها كانت داكنة ومُتآكلة. تراكمت الأوساخ وامتزجت في الحُفَر، لكنها لم تُخفِ الأحرف المحفورة:

IDR UL Ex IX 0012 BETA

ساد الصمت لوهلة طويلة.

"إيداران من أوليفو،" نطق بينتي أخيرًا، بصوت مُفاجئ في هدوئه وتردده. "أحد تلاميذ ألزور ... لم أكن أتوقع ..."

"من أين حصلت عليها، أيها الويتشر؟" انحنى أكسل الموشوم فوق الطاولة، محدقًا في جيرالت بحدة. "كيف وصلت إليك؟"

"تسأل كما لو أنك لا تعلم،" ردّ جيرالت ببرود. "لقد استخرجتها من قوقعة مخلوق قتلته. مخلوقٍ قتلَ ما لا يقل عن عشرين شخصًا في المنطقة. عشرين على الأقل وأعتقد أن العدد أكبر من ذلك. أظن أنه كان يقتل منذ سنوات."

"إيداران ..." تمتم تارفكس ساندوفال. "وقبله مالاسبينا، وألزور ..."

"لكننا لم نفعل ذلك،" قال زانجينيس. "لم نكن نحن. ليس ريسبيرغ."

"النموذج التجريبي التاسع،" أضافت بيروتا إيكارتي وهي تحدق في اللوحة. "النسخة بيتا. العينة الثانية عشرة ..."

"العينة الثانية عشرة،" ردَّ جيرالت، ولم يخلُ صوته من السخرية. "وكم كان العدد الإجمالي؟ كم تم تصنيعهم؟ من الواضح أنني لن أحصل على إجابة عن سؤالي حول المسؤولية، لأنكم لم تفعلوا ذلك، لم تكن ريسبيرغ، أنتم نظيفون وتريدون مني أن أصدق ذلك. لكن أخبروني على الأقل، لأنكم بلا شك تعرفون: كم منهم لا يزال يتجول في الغابات، يقتل الناس؟ كم منهم يجب أن يُعثر عليه؟ ويُقطع إربًا؟ أعني، أن يُزال."

"ما الأمر؟ ما الأمر؟" فجأة، اشتعل الحماس في صوت أورتولان. "ماذا لديك هناك؟ أرني! آه ..."

اقترب سوريل ديجيرلوند من أذن الرجل العجوز وهمس طويلًا، بينما مايلز تريثيفي، ممسكًا باللوحة المعدنية، همس من الجهة الأخرى.

شد أورتولان لحيته، ثم فجأة صرخ بصوت حاد ونحيل:

"لقد قتلها؟ الساحر؟ دمر تحفة إيداران العبقرية؟ قتلها؟ دمَّرها دون تفكير؟"

لم يستطع جيرالت السيطرة على نفسه. أطلق ضحكة ساخرة. كل احترامه للشيخوخة والشعر الرمادي تلاشى تمامًا. ضحك مجددًا، ثم انفجر ضاحكًا، بقوة، بلا توقف.

الوجوه الصارمة للسحرة الجالسين حول الطاولة، بدلًا من أن تكبح ضحكه، جعلته يضحك أكثر. "تبًا،" فكر، "لا أذكر آخر مرة ضحكت فيها هكذا بحرارة. ربما في كاير مورهن، نعم، في كاير مورهن. عندما انكسرت تلك اللوحة الخشبية المهترئة تحت قدمي فيسيمير في المرحاض."

"إنه لا يزال يضحك، هذا الجرو!" صرخ أورتولان، "يضحك كالحمار! هذا الغُر الأبله! تخيلوا، لقد دافعت عنه عندما كان الآخرون يشوهون سمعته! 'وماذا في ذلك إن كان قد وقع في حب الصغيرة ينيفر؟' كنت أقول. 'وماذا في ذلك إن كانت الصغيرة ينيفر تهيم به عشقًا؟' القلب لا يُؤمر، قلتُ، دعوهما وشأنهما!"

توقف جيرالت عن الضحك.

"وماذا فعلت، أيها القاتل الأحمق؟" صرخ العجوز. "ماذا فعلت؟ هل تدرك أي عمل فني، أي معجزة من معجزات الجينات قد دمرتها؟ لا، لا، لا يمكنك أن تستوعب ذلك بعقلك الضحل، أيها الجاهل! لا يمكنك أن تفهم أفكار العظماء! أمثال إيداران وألزور، معلمه، اللذين حباهم القدر بالعبقرية والموهبة الفريدة! لقد ابتكروا وأبدعوا أعمالًا عظيمة، لم يكن هدفهم منها الربح، ولا كانوا يفكرون في المال القذر، ولا في التسلية أو اللهو، بل كانوا يسعون فقط إلى التقدم والصالح العام! لكن ماذا تفهم أنت من كل ذلك؟ أنت لا تفهم شيئًا، لا شيء، لا شيء، لا حتى ذرة واحدة!"

"وأزيدك من الشعر بيتًا،" لهث أورتولان، "لقد دنّست عمل آبائك بهذه الجريمة الطائشة. فقد كان كوزيمو مالاسبينا، ومن بعده تلميذه ألزور، نعم، ألزور، هما من خلقا السحرة. هما من اخترعا الطفرة التي أنتجت رجالًا مثلك. بفضلهما أنت موجود، بفضلهما تسير على هذه الأرض، أيها الناكر للجميل. كان عليك أن تبجل ألزور، وتوقر تلاميذه وأعمالهم، لا أن تدمرها! آه، يا للأسى ... يا للأسى ..."

فجأة، توقف الساحر العجوز عن الكلام، تدحرجت عيناه إلى الخلف، وأطلق أنينًا ثقيلاً.

"يجب أن أذهب إلى المرحاض،" أعلن بصوت يائس. "يجب أن أذهب حالًا! سوريل! يا ولدي العزيز!"

هبَّ ديجيرلوند وتريثيفي من مقاعدهما، وساعدا العجوز على النهوض، وقاداه إلى خارج الغرفة.

بعد لحظات قصيرة، وقفت بيروتا إيكارتي. ألقت نظرة ذات مغزى عميق على جيرالت، ثم غادرت دون أن تنبس بكلمة. تبعها ساندوفال وزانجينيس، دون حتى أن يلقيا نظرة على جيرالت.

أما أكسل ذو الندوب، فقد وقف متشابك الذراعين، محدقًا في جيرالت لوقت طويل. طويل جدًا. وبطريقة غير مريحة على الإطلاق.

"كان من الخطأ دعوتك،" قال أخيرًا. "كنت أعلم ذلك. لكنني خدعت نفسي في التفكير أنك ستبدي ولو قليلًا من حسن التصرف."

"وكان من الخطأ قبول دعوتكم،" ردَّ جيرالت ببرود. "كنت أعلم ذلك أيضًا. لكنني خدعت نفسي في الظن أنني سأتلقى إجابات على أسئلتي. كم عدد هذه التحف المرقّمة التي لا تزال طليقة؟ كم عدد الروائع المشابهة التي صنعها مالاسبينا، وألزور، وإيداران؟ وماذا عن السيد أورتولان الموقر؟ كم عدد الوحوش الأخرى التي تحمل أختامكم وسأضطر إلى قتلها؟ أنا، الساحر، العلاج الوقائي والترياق؟ لم أتلقَ أي إجابة، وأفهم جيدًا السبب وراء ذلك. أما عن حسن التصرف؟ فاذهب إلى الجحيم، إسبارزا."

إسبارزا ذو الندوب صفع الباب بقوة وهو يغادر، حتى تساقط بعض الجصّ من السقف.

"لا أظن أنني تركت انطباعًا جيدًا،" استنتج جيرالت. "لكنني لم أكن أتوقع ذلك، لذا فلا خيبة أمل. لكن هذا ليس كل شيء، أليس كذلك؟ بذلتم كل هذا الجهد لإحضاري إلى هنا ... وهذا كل ما في الأمر؟ إن كان كذلك ... هل سأجد حانة تبيع الكحول في الضاحية؟ هل يمكنني الذهاب الآن؟"

"لا،" أجاب هارلان تزارا. "لا، لا يمكنك."

"لأن الأمر لم ينتهِ بعد،" أضاف بينتي.

* * *

"الغرفة التي اقتيد إليها لم تكن نموذجية لغرف السحرة التي يستقبلون فيها طالبيهم عادةً.

عادةً — وكان جيرالت على دراية جيدة بهذه العادة — كان السحرة يمنحون المقابلات في قاعات كبيرة ذات ديكور رسمي جدًا، وغالبًا ما تكون كئيبة وخالية من البهجة. كان من غير المعقول تقريبًا أن يستقبل ساحر أي شخص في غرفة خاصة ذات طابع شخصي، غرفة يمكن أن تكشف عن ميوله وذوقه واهتماماته وخاصة عن نوع السحر الذي يمارسه وطبيعته الفريدة.

لكن هذه المرة كانت الأمور مختلفة تمامًا.

كانت جدران الغرفة مزينة بالعديد من الرسومات والطباعة المائية، وكلها ذات طابع إيروتيكي أو حتى إباحي صريح. على الرفوف، كانت هناك نماذج مصغّرة لسفن شراعية، تبهر العين بدقة تفاصيلها. الأشرعة المصغرة كانت منتفخة بفخر على سفن صغيرة موضوعة داخل زجاجات. كما كانت هناك العديد من الخزائن الزجاجية، بمختلف الأحجام، مليئة بتماثيل الجنود: فرسان ومشاة، في تشكيلات عسكرية متنوعة.

مقابل المدخل، خلف زجاج، كانت هناك سمكة تروتة بنية محنطة ومثبتة، بحجم كبير بالنسبة لسمكة من هذا النوع.

"اجلس، ياوتشر."

اتضح فورًا أن بينتي هو المسؤول هنا.

جلس جيرالت، وعيناه مثبتتان على سمكة التروتة المحنطة. لا بد أنها كانت تزن خمسة عشر رطلاً على الأقل وهي حية. هذا إن لم تكن مجرد نسخة جبسية مزيفة.

"السحر يمنع أي تنصت،" مرّر بينتي يده في الهواء. "وبالتالي يمكننا أخيرًا التحدث بحرية عن الأسباب الحقيقية لاستدعائك إلى هنا، يا جيرالت من ريفيا. سمكة التروتة التي تثير اهتمامك تم اصطيادها بصنارة في نهر ريبون، وكان وزنها أربعة عشر رطلاً وتسع أوقيات. تم إطلاقها حيّة، والنسخة المعروضة داخل الزجاج مخلوقة بطريقة سحرية."

ثم مال إلى الأمام قليلاً.

"والآن ركّز. على ما سأخبرك به."

"أنا مستعد. لأي شيء."

"نريد أن نعرف خبرتك في التعامل مع الشياطين."

رفع جيرالت حاجبيه. لم يكن يتوقع ذلك.

قبل لحظات فقط، كان يظن أنه لم يعد هناك شيء يمكن أن يفاجئه.

"وما هو الشيطان؟"

"برأيك؟"

قطّب هارلان تزارا جبينه وتحرك باضطراب. لكن بينتي هدّأه بنظرة.

"هناك قسم مختص بالظواهر الخارقة في أكاديمية أوكسنفورت،" قال بينتي. "أساتذة السحر يلقون محاضرات هناك. وبعضها يتناول موضوع الشياطين وعلم الشيطانية، بجميع جوانب هذه الظاهرة، بما في ذلك الجوانب الفيزيائية والميتافيزيقية والفلسفية والأخلاقية. لكنني أظن أنني أخبرك بذلك بلا داعٍ، فأنت حضرت تلك المحاضرات، بعد كل شيء. أذكرك جيدًا، رغم أنك كطالب زائر كنت تجلس عادةً في الصفوف الخلفية من قاعة المحاضرات. لذا، أكرر سؤالي حول خبرتك مع الشياطين. كن كريماً بما يكفي للإجابة. دون أن تتذاكى، رجاءً. أو تتظاهر بالدهشة."

"لا يوجد أي تظاهر في دهشتي،" أجاب جيرالت بجفاف. "إنها صادقة تمامًا لدرجة تؤلمني. كيف لا أندهش عندما يتم طرح أسئلة كهذه على شخص مثلي، فأنا مجرد ويتشر بسيط، مجرد عامل وقائي بسيط، ومجرد ترياق أكثر بساطة من قبل أساتذة السحر، الذين يُلقون المحاضرات عن علم الشياطين وجوانبه في الجامعة؟"

"أجب عن السؤال."

"أنا ساحر وحوش، لست ساحرًا. وهذا يعني أن خبرتي لا تقارن بخبرتكم في التعامل مع الشياطين. حضرت محاضراتكم في أوكسنفورت، غوينكامب. أي شيء مهم كان يصل إلى الصفوف الخلفية في قاعة المحاضرات. الشياطين مخلوقات تنتمي إلى عوالم أخرى غير عالمنا. طائرات عنصرية ... أبعاد، زمكان، أو أيًا كان ما يُطلق عليها. ولكي تمتلك أي خبرة فعلية مع شيطان، عليك أن تستحضره، أي أن تجبره على مغادرة مستواه الوجودي. ولا يمكن تحقيق ذلك إلا باستخدام السحر..."

"ليس السحر، بل الشعوذة الغويتية،" قاطعه بينتي. "هناك فرق جوهري. ولا تُخبرنا بما نعرفه بالفعل. أجب عن السؤال الذي طُرح. أطلب ذلك للمرة الثالثة، مندهشًا من صبري على هذا."

"سأجيب عن السؤال: نعم، لقد تعاملت مع الشياطين. تم استئجاري مرتين من أجل ... القضاء عليها. تعاملت مع شيطانين. أحدهما تسلل إلى جسد ذئب. والآخر استحوذ على إنسان."

"لقد 'تعاملت' معهما؟"

"نعم، فعلت. لم يكن الأمر سهلاً..."

"لكنه كان ممكنًا،" قاطعه تزارا "رغم ما يُقال. ويُقال إن القضاء على شيطان أمر مستحيل."

"لم أدّعِ يومًا أنني قضيتُ على شيطان. لقد قتلت ذئبًا وإنسانًا. هل تهمكم التفاصيل؟"

"جدًا."

"لقد تصرفتُ جنبًا إلى جنب مع كاهنٍ في قضية الذئب الذي قام، في وضح النهار، بقتل أحد عشر شخصًا وتمزيقهم إربًا. لقد انتصر السحر والسيف معًا. وعندما، بعد معركة شاقة، قتلتُ الذئب أخيرًا، تحرر الشيطان الذي كان يمتلكه على هيئة كرة متوهجة ضخمة. ودمّر جزءًا كبيرًا من الغابة، ناشرًا الأشجار في كل الاتجاهات. لم يلقِ بالًا لي أو للكاهن، بل انطلق عبر الغابة في الاتجاه المعاكس. ثم اختفى، على الأرجح عائدًا إلى بُعده الخاص. أصرّ الكاهن على أن الفضل يعود له، وأن طقوسه لطرد الأرواح الشريرة قد أرسلت الشيطان إلى العالم الآخر. رغم أنني أعتقد أن الشيطان رحل ببساطة لأنه شعر بالملل."

"وماذا عن الحالة الأخرى...؟"

"...كانت أكثر إثارة للاهتمام.

"قتلتُ رجلًا كان مسكونًا،" تابع دون أن يُضطر للاستطراد. "وهذا كل ما في الأمر. لا تأثيرات جانبية مذهلة. لا كرات برق، لا شفق قطبي، لا رعود أو أعاصير؛ ولا حتى رائحة كريهة. ليس لديّ أدنى فكرة عمّا حدث للشيطان. قام بعض الكهنة والسحرة — رفاقكم — بفحص الجثة. لم يجدوا شيئًا، ولم يكتشفوا أي أثر له. تم حرق الجثة، لأن عملية التحلل كانت تسير بشكل طبيعي، وكان الطقس شديد الحرارة..."

توقف عن الحديث. تبادل السحرة النظرات فيما بينهم. كانت تعابير وجوههم مبهمة لا يمكن قراءتها.

"يبدو، كما أفهم، أن الطريقة الوحيدة الصحيحة للتعامل مع الشيطان،" قال هارلان تزارا أخيرًا، "هي قتل الشخص المسكون، أي المستحوذ عليه. الشخص، أُشدد. يجب قتله فورًا، دون انتظار أو تردد. ينبغي تمزيقه بالسيف. وهذا كل شيء. هل هذه هي طريقة السحرة؟ أسلوب السحرة؟"

"أنت تؤدي أداءً سيئًا، تزارا. ليس هذا هو الأسلوب الصحيح لفعلها. لكي تُهين شخصًا بشكل صحيح، أنت بحاجة إلى أكثر من مجرد رغبة جامحة، وحماسة متقدة، واندفاع مفرط. تحتاج إلى تقنية."

"هدوء ياسادة." تدخل بينتي مجددًا ليتجنب نشوب جدال. "نحن ببساطة نتحقق من الوقائع. لقد أخبرتنا بأنك قتلت رجلًا، هذه كانت كلماتك بالضبط. يُفترض أن مدونة قواعد السحرة تمنع قتل البشر. أنت تزعم أنك قتلت شخصًا مسكونًا، رجلًا استحوذ عليه شيطان. وبعد ذلك، أي بعد تنفيذ الإعدام على الشخص، 'لم يتم ملاحظة أي تأثيرات مذهلة،' لأقتبس كلماتك من جديد. إذًا، أين هي يقينيتك بأنه لم يكن..."

"يكفي،" قاطعهم جيرالت. "يكفي من هذه التلميحات، غينكامب، فكلها لا تؤدي إلى شيء. تريدون الحقائق؟ بكل تأكيد، ها هي أمامكم. لقد قتلته، لأن ذلك كان ضروريًا. قتلته لإنقاذ حياة آخرين. وحصلت على تصريح قانوني للقيام بذلك. مُنح لي على عجل، لكنه كان يحمل كلمات فخمة: 'حالة من الضرورة المطلقة، ظرف يستبعد اللاشرعية عن فعل محظور، التضحية بخير من أجل إنقاذ خير آخر، تهديد حقيقي ومباشر.' وقد كان، بالفعل، تهديدًا حقيقيًا ومباشرًا. يجب أن تندموا لأنكم لم تروا الرجل الممسوس وهو يتحرك، ما كان يفعله، وما كان قادرًا عليه. لا أعلم الكثير عن الجوانب الفلسفية والميتافيزيقية للشياطين، لكن جوانبهم المادية مذهلة بحق. قد تكون مدهشة، صدقوني."

"نصدقك،" أكد بينتي، متبادلًا النظرات مع تزارا مرة أخرى. "بالطبع، نصدقك. لأننا أيضًا رأينا أشياء كثيرة."

"أنا لا أشك في ذلك." قطّب جيرالت حاجبيه. "ولم أشك في ذلك أثناء محاضراتكم في أكسنفورت. كان واضحًا أنكم تعرفون عما تتحدثون. الأساس النظري كان مفيدًا حقًا في التعامل مع ذلك الذئب وذلك الرجل. كنت على دراية بما يجري. الحالتان كانتا متطابقتين في الأساس. ماذا أسميتها، تزارا؟ طريقة؟ تقنية؟ وهكذا، كانت الطريقة سحرية والتقنية أيضًا كانت سحرية. لقد استدعى أحد السحرة شيطانًا باستخدام التعويذات، واستخرجه قسرًا من بُعده، بهدف واضح يتمثل في استغلاله لتحقيق أهدافه السحرية الخاصة. هذا هو جوهر السحر الشيطاني..."

"... غويتيا."

"...هذا هو جوهر الغويتيا: استدعاء شيطان، واستخدامه، ثم تحريره. من الناحية النظرية. لكن في الممارسة، يحدث أن يقوم الساحر، بدلًا من إطلاق سراح الشيطان بعد استخدامه، بسجنه سحريًا في جسد. جسد ذئب، مثلًا. أو جسد إنسان. لأن الساحر — كما أظهر لنا ألزور وإيداران — يحب التجارب. يحب أن يراقب ما يفعله الشيطان حين يكون محبوسًا في جسد آخر بعد إطلاق سراحه. لأن الساحر — مثل ألزور — هو منحرف مريض، يستمتع ويرتوي بمشاهدة الدمار الذي يسببه الشيطان. وقد حدث ذلك، أليس كذلك؟"

"أشياء مختلفة قد حدثت،" قال هارلان تزارا بصوت بطيء وساخر. "من الغباء التعميم، ومن الدناءة توجيه اللوم. وأذكرك بالويتشرز الذين لم يترددوا في السرقة. والذين لم يمانعوا العمل كقتلة مأجورين. هل أذكّرك بالمختلين الذين كانوا يرتدون ميداليات برأس قطة، وكانوا أيضًا يستمتعون بالمذابح التي تحدث من حولهم؟"

"أيها السادة." رفع بينتي يده، قاطعًا جيرالت الذي كان على وشك الرد. "هذا ليس اجتماعًا لمجلس المدينة، فلا تحاولوا التفوق على بعضكم في تعداد الرذائل والانحرافات. من الأجدر أن نعترف بأنه لا أحد مثالي، وأن الجميع لديهم عيوبهم، وحتى الكائنات السماوية ليست بمنأى عن الانحرافات. على ما يبدو. لنتفرغ للمشكلة التي أمامنا والتي تحتاج إلى حل."

"الغويتيا محظورة،" بدأ بينتي بعد صمت طويل، "لأنها ممارسة شديدة الخطورة. وللأسف، فإن استدعاء شيطان لا يتطلب معرفة عظيمة ولا قدرات سحرية كبيرة. يكفي امتلاك كتاب شعوذة نيكروماني، وهي متوفرة بكثرة في السوق السوداء. ومع ذلك، من الصعب جدًا السيطرة على شيطان تم استدعاؤه دون امتلاك المعرفة أو المهارات الكافية. الممارس الذي يعلّم نفسه بنفسه فنون الغويتيا يمكن أن يعتبر نفسه محظوظًا إن كان كل ما حدث هو أن الشيطان الذي استدعاه هرب ببساطة وتحرر. فكثير منهم ينتهي بهم الأمر ممزقين إلى أشلاء. لهذا السبب، تم حظر استدعاء الشياطين أو أي كائنات أخرى من العوالم الأولية والعوالم الشبه-أولية، وفرضت عليه عقوبات قاسية. هناك نظام رقابة يضمن الالتزام بهذا الحظر. ولكن هناك مكان واحد تم استثناؤه من هذا النظام."

"قلعة ريسبيرغ. بالطبع."

"بالطبع. ريسبيرغ لا يمكن السيطرة عليها. لأن نظام الرقابة على الغويتيا الذي كنت أتحدث عنه تم إنشاؤه هنا، في النهاية. كنتيجة للتجارب التي أجريت هنا. وبفضل الاختبارات التي أجريت هنا، لا يزال النظام في طور التحسين. تُجرى أبحاث أخرى هنا، وتُنفذ تجارب أخرى. من أنواع مختلفة. تُدرس أشياء وظواهر متنوعة هنا، ويتعاملون مع أشياء كثيرة. ليست كلها قانونية، وليست كلها أخلاقية. الغاية تبرر الوسيلة. يمكن أن يكون هذا الشعار معلقًا فوق بوابة ريسبيرغ."

"وتحت هذا الشعار ينبغي إضافة: 'ما يحدث في ريسبيرغ يبقى في ريسبيرغ'،" أضاف تزارا. "التجارب هنا تتم تحت الإشراف. كل شيء مراقب."

"من الواضح أن ليس كل شيء،" قال جيرالت بمرارة. "لأن شيئًا ما قد أفلت."

"شيء أفلت." كان بينتي هادئًا بشكل مسرحي. "يوجد حاليًا ثمانية عشر أستاذًا يعملون في القلعة. وعلاوة على ذلك، هناك أكثر من ثمانين متدربًا ومستجدًا. معظمهم لا يفصلهم سوى بضع إجراءات رسمية عن الحصول على لقب 'أستاذ'. نحن نخشى ... لدينا أسباب تدفعنا للاعتقاد بأن أحدهم أراد أن يلعب بالغويتيا."

"ألا تعرفون من هو؟"

"لا نعرف،" رد هارلان تزارا دون أن يرف له جفن. لكن جيرالت عرف أنه يكذب.

"في مايو وبداية يونيو، وقعت ثلاث جرائم واسعة النطاق في المناطق المجاورة." لم ينتظر الساحر المزيد من الأسئلة. "في المناطق المجاورة، أي هنا، في التلال، بين اثني عشر وعشرين ميلًا من ريسبيرغ. في كل مرة، كانت المستوطنات الحرجية، والمزارع التابعة لحراس الغابات والعاملين في الغابة، هي المستهدفة. قُتل جميع السكان في هذه المستوطنات، ولم ينجُ أحد. أكدت الفحوصات بعد الوفاة أن الجرائم لا بد أنها ارتُكبت بواسطة شيطان. أو بالأحرى، بواسطة إنسان ممسوس، شخص استحوذ عليه شيطان. شيطان تم استدعاؤه هنا، في القلعة."

"لدينا مشكلة، جيرالت من ريفيا. علينا حلها. ونأمل أن تساعدنا في ذلك."

"إرسال المادة هو أمر معقد، متقن، ودقيق، ولهذا، قبل الشروع في التنقل الآني، يجب بلا شك قضاء الحاجة وإفراغ المثانة."

نظرية وممارسة استخدام البوابات الآنية لـ جيفري مونك

الفصل العاشر

كعادتها، شخرت "روتش" وأبدت احتجاجها عندما رأت الغطاء، وكان الخوف والاعتراض واضحين في شخيرها. لم تكن تحب أن يغطي الويتشر رأسها، وكانت تكره أكثر ما يحدث فور أن يُغطى. لم يكن "جيرالت" متفاجئًا من رد فعل الفرس، لأنه لم يكن يحب الأمر أيضًا. بطبيعة الحال، لم يكن يليق به أن يشخر أو يتذمر مثلها، لكنه لم يكن يتردد في التعبير عن استيائه بطريقة أخرى.

قال "هارلان تزرا"، مظهرًا دهشته للمرة الألف:

"نفورك من الانتقال الآني أمر مذهل بالفعل."

لم يشارك الويتشر في النقاش، ولم يكن تزرا يتوقع منه ذلك.

"ننقلك عبر البوابات منذ أكثر من أسبوع،" تابع الساحر، "وفي كل مرة ترتسم على وجهك ملامح شخص يُقاد إلى المشنقة. يمكنني تفهم خوف العامة، بالنسبة لهم، نقل المادة لحظيًا يظل أمرًا مروعًا وغير مفهوم. لكنني كنت أظن أنك، كويتشر، لديك خبرة أكبر في شؤون السحر. لم نعد في أيام بوابات جيفري مونك البدائية! اليوم، الانتقال الآني شائع وآمن تمامًا. البوابات السحرية آمنة، والبوابات التي أفتحها أنا تحديدًا آمنة تمامًا."

تنهد "جيرالت". لقد رأى بأم عينه آثار ما يسمى "العمل الآمن للبوابات السحرية" أكثر من مرة، بل وساعد في جمع أشلاء أولئك الذين استخدموها. ولهذا السبب، كان يعلم أن تصريحات كهذه لا تختلف عن وعود مثل:

"كلبي لا يعض"، "ابني ولد صالح"، "هذا الحساء طازج"، "سأعيد لك المال بعد غد على أبعد تقدير"، "لقد كان فقط يزيل شيئًا من عيني"، "مصلحة الوطن فوق كل شيء"، و"أجب عن بعض الأسئلة فقط، وستكون حرًا في الحال".

لكن لم يكن هناك خيار آخر، ولا بديل. وفقًا للخطة الموضوعة في "ريسبرغ"، كان على "جيرالت" أن يقوم يوميًا بدوريات في منطقة مختارة من التلال، تشمل المستوطنات والمزارع والبيوت الريفية فيها، وهي الأماكن التي خشي "بينتي" و"تزرا" من احتمال تعرضها لهجوم آخر من الكائن الممسوس. كانت تلك المستوطنات منتشرة عبر التلال بأكملها، وأحيانًا متباعدة للغاية عن بعضها البعض. وكان على

"جيرالت" أن يعترف بحقيقة لا مفر منها: لا يمكن القيام بدوريات فعالة دون الاستعانة بالسحر الانتقالي.

للحفاظ على السرية، قام "بينتي" و"تزرا" بإنشاء البوابات في نهاية مجمع "ريسبرغ"، في غرفة كبيرة فارغة تفوح منها رائحة العفن وتحتاج إلى ترميم. كانت خيوط العنكبوت تلتصق بالوجه، وكانت فضلات الفئران المتصلبة تتكسر تحت الأحذية. تم تفعيل تعويذة على جدار متشقق تغطيه بقع الرطوبة وآثار لزجة، فظهر فجأة محيط متوهج لباب — أو بالأحرى بوابة — خلفها كانت دوامة من ضوء معتم يتلألأ بألوان الطيف.

قاد "جيرالت" الفرس المعصوبة العينين نحو التوهج ثم بدأ الجزء غير المريح. اندلعت ومضة، وفجأة، لم يعد يرى أو يسمع أو يشعر بشيء باستثناء البرد. البرد كان الشيء الوحيد الذي شعر به داخل هذا العدم الأسود، وسط صمت مطبق، وانعدام الشكل، وانعدام الزمن، لأن الانتقال اللحظي يخمد كل الحواس الأخرى. لحسن الحظ، لم يدم ذلك إلا لجزء من الثانية. ثم انتهت اللحظة، وأضاء العالم الحقيقي من جديد، و"روتش"، مذعورة، شخرت وهي تضرب الأرض بحوافرها بقوة.

"فزع الحصان مفهوم،" علق "تزرا" مرة أخرى. "أما قلقك، أيها الويتشر، فهو غير منطقي إطلاقًا."

القلق لا يكون غير منطقي أبدًا، فكر "جيرالت" في نفسه. إلا في حالات الاضطرابات النفسية.

كان ذلك من أولى الدروس التي يتعلمها صغار الويتشرات. من الجيد أن تشعر بالخوف. إن شعرت بالخوف، فهذا يعني أن هناك ما يستحق أن تخاف منه، لذا كن متيقظًا. الخوف لا ينبغي التغلب عليه، بل يجب عدم الاستسلام له. ويمكنك التعلم منه.

"إلى أين اليوم؟" سأل "تزرا"، وهو يفتح صندوقًا مطليًا بالورنيش، بداخله عصاه السحرية.

"الصخور الجافة."

"حاول أن تصل إلى "غابة القيقب" قبل الغروب. سيأتي أحدنا — أنا أو "بينتي" — لأخذك من هناك. مستعد؟"

"مستعد لأي شيء."

رفع "تزرا" يده وعصاه في الهواء كما لو كان يقود أوركسترا، ولفترة وجيزة، خُيِّل لـ "جيرالت" أنه يسمع موسيقى فعلًا. بدأ الساحر ينشد تعويذة طويلة بصوت إيقاعي، وكأنه يقرأ قصيدة. اشتعلت خطوط نارية على الجدار، ثم التحمت معًا، مكونة إطارًا مستطيلاً متوهجًا.

تمتم "جيرالت" بلعنات خافتة، وهو يحاول تهدئة مداليته المرتعشة، ثم نقر بقدميه على جنب "روتش"، ودفعها نحو الفراغ الحليبي.

ظلام، صمت، انعدام الشكل، انعدام الزمن. برد قارس. ثم فجأة، وميض وصدام، ووقع حوافر على أرض صلبة.

* * *

الجرائم التي اشتبه السحرة في أن "المتلبِّس" — أي الشخص الذي استحوذ عليه شيطان — قد ارتكبها، وقعت في محيط "ريسبرغ"، في منطقة غير مأهولة تُعرف باسم "تلال توكاي"، وهي سلسلة من المرتفعات المغطاة بالغابات القديمة، تفصل "تيميريا" عن "بروج".

اكتسبت هذه التلال اسمها — كما أصر البعض — نسبة إلى بطل أسطوري يدعى "توكاي"، أو ربما من شيء مختلف تمامًا، كما زعم آخرون. وبما أنه لم يكن هناك أي تلال أخرى في المنطقة، فقد صار من الشائع الإشارة إليها ببساطة بـ "التلال"، وهو الاسم المختصر الذي ظهر أيضًا في العديد من الخرائط.

امتدت "التلال" في نطاق واسع بطول يقارب مئة ميل، وعرض يتراوح بين عشرين وثلاثين ميلًا. كان الجزء الغربي منها، على وجه الخصوص، محل نشاط مكثف لعمال الغابات. حيث تم تنفيذ عمليات قطع الأشجار على نطاق واسع، وازدهرت الصناعات والحرف المرتبطة بالغابات وقطع الأخشاب.

نشأت في البرية مستوطنات بأحجام مختلفة — كبيرة، متوسطة، صغيرة، وأخرى ضئيلة للغاية — منها ما كان دائمًا ومنها ما كان مؤقتًا، ومنها ما كان مبنيًا بشكل مقبول، ومنها ما كان سيئ البناء. هذه المستوطنات، والمزارع، والمخيمات، كانت مأهولة بأشخاص يكسبون رزقهم من العمل في الغابات.

قدَّر السحرة أن هناك حوالي أربعين مستوطنة من هذا النوع منتشرة عبر "التلال".

وقد وقعت المجازر — التي لم ينج منها أحد — في ثلاث منها.

* * *

صخور الجفاف، وهي مجموعة من التلال الجيرية المنخفضة المحاطة بغابات كثيفة، شكلت الحد الغربي الأقصى للتلال، والحد الغربي لمنطقة الدوريات. كان جيرالت قد زارها من قبل؛ كان يعرف المنطقة جيدًا.

في فسحة على حافة الغابة، كان هناك فرن جير يُستخدم لحرق الحجر الجيري، وكانت النتيجة النهائية لهذا الحرق هي الجير الحي. عندما زار بينتي المنطقة معه، شرح له الغرض من استخدام الجير، لكن جيرالت لم يكن منصتًا بانتباه، وسرعان ما نسي التفاصيل. فالجير — بأي نوع كان — لم يكن ضمن دائرة اهتماماته.

لكن بجوار الفرن، نشأت مستوطنة صغيرة يعيش سكانها من تجارة الجير. وكان قد أُوكل إليه حمايتهم. وهذا وحده كان المهم.

* * *

أهل مستوطنة الحارِقين بالجير تعرفوا عليه، ولوّح له أحدهم بقبعته. فردَّ التحية بمثلها. أنا أقوم بعملي، فكّر جيرالت. أؤدي واجبي. أقوم بما يُدفع لي لأجله.

قاد روتش باتجاه الغابة. كان أمامه نصف ساعة من الركوب على طريق الغابة. كان يفصله أقل من ميل عن المستوطنة التالية، والتي كانت تُدعى فسحة الصياد.

كان جيرالت يقطع يوميًا ما بين سبعة إلى عشرة أميال. اعتمادًا على المنطقة، كان ذلك يعني زيارة بضع مزارع وصولًا إلى أكثر من عشر مستوطنات، ثم التوجه إلى نقطة محددة مُسبقًا، حيث كان أحد السحرة ينقله سحريًا إلى القلعة قبل غروب الشمس.

كان هذا النمط يتكرر كل يوم، مع اختيار منطقة مختلفة من التلال للدورية. كان يختار المناطق بشكل عشوائي، متجنبًا تكرار الروتين الذي قد يكون سهلًا تحليله وفهمه. ورغم ذلك، بدت المهمة مملة إلى حد كبير.

لكن جيرالت لم يكن ينزعج من الرتابة، فقد اعتاد عليها في مهنته: فمعظم الوقت، لم يكن يضمن النجاح إلا الصبر والمثابرة والتصميم.

وفي الواقع، لم يكن أحدٌ من قبل — وهذا أمر جدير بالذكر — مستعدًا لدفع هذا المبلغ السخي مقابل صبره ومثابرته وتصميمه، كما فعل سحرة ريسبرغ.

إذًا، لم يكن لديه ما يشتكي منه. كان عليه فقط أن يؤدي عمله.

دون أن يؤمن كثيرًا بفرص نجاح المهمة.

* * *

جيرالت أشار إلى السحرة قائلاً:

"لقد قدمتموني إلى أورتولان وجميع السحرة البارزين فور وصولي إلى ريسبرغ." ثم أردف: "حتى لو افترضنا أن الشخص المسؤول عن ممارسة الغويشيا وارتكاب المجازر لم يكن من بينهم، فلا بد أن خبر وجود ويتشر في القلعة قد انتشر. الشخص المذنب، بافتراض وجوده، سيفهم سريعًا ما يجري، وسيختبئ ويتوقف عن أنشطته بالكامل. أو سينتظر حتى أغادر، ثم يعاودها من جديد."

"يمكننا تمثيل مغادرتك،" ردَّ بينتي. "وسنبقي استمرار وجودك في القلعة سرًا. لا تخف، فالسحر موجود لضمان سرية ما يجب أن يظل سرًا. ثق بنا، يمكننا تدبير ذلك بنجاح."

"إذن تعتقدون أن دورياتي اليومية لها فائدة؟"

"بالتأكيد. قم بعملك، ويتشر. ولا تقلق بشأن الباقي."

جيرالت تعهد رسميًا بألا يقلق، رغم أنه كان لديه شكوكه، ولم يكن يثق تمامًا في السحرة. كان لديه شكوكه الخاصة، لكنه لم يكن ينوي الإفصاح عنها.

* * *

في فسحة بوينتر، كانت الفؤوس تُضرب والمناشير تصدر صريرها بلا توقف، بينما كان الهواء مشبعًا برائحة الخشب الطازج والراتنج. كان بوينتر، قاطع الأخشاب، وعائلته الكبيرة يعملون دون كلل في قطع الأشجار. الكبار منهم كانوا يقطعون المنحدرات بالبلطات والمناشير، أما الأصغر سنًا فكانوا يقلمون الأغصان من الجذوع، بينما حمل الأطفال الصغار الحطب والفروع الصغيرة.

حين رأى بوينتر جيرالت، غرس فأسه في جذع شجرة ومسح جبينه بكمه.

"تحياتي." اقترب جيرالت منه وهو يمتطي روتش. "كيف تسير الأمور؟ هل كل شيء على ما يرام؟"

تطلع بوينتر إليه بصمت طويل وبعينين سوداويتين، قبل أن يجيب أخيرًا:

"الأمور سيئة."

"لماذا؟"

صمت الرجل لفترة، وكأنما يزن كلماته.

ثم أخيرًا، شتم بين أسنانه قائلاً: "أحدهم سرق منشارًا."

صُدم جيرالت للحظة، قبل أن يتمالك نفسه ويسأل: "سرق منشارًا؟"

"كيف يمكن لهذا أن يحدث، ها؟" زمجر بوينتر بغضب. "أنت تجوب الفسحات في دوريات، أليس كذلك؟ و"توركيل" ورجاله يجوبون الغابات أيضًا، أليس كذلك؟ تقولون إنكم تحرسوننا؟ ومع ذلك، تُسرق المناشير!"

جيرالت قال بوجه خالٍ من التعبير، لكن بصوت هادئ: "سأنظر في الأمر."

كان يعلم أن هذا كذبٌ محض.

"وداعًا."

بوينتر بصق على الأرض، ثم عاد إلى عمله.

* * *

في الفسحة التالية، هذه المرة فسحة دوديك، كان كل شيء على ما يرام، لم يكن أحد يهدد دوديك، ولم يُسرق منه شيء على الأرجح. لذا، لم يتوقف جيرالت حتى، بل واصل طريقه نحو المستوطنة التالية، التي تُدعى حارق الرماد.

* * *

ممرات الغابة، التي حفرتها عجلات العربات المتكررة، سهلت عليه التنقل بين المستوطنات. غالبًا ما كان يصادف عربات، بعضها محملة بمنتجات الغابات، بينما كانت الأخرى فارغة متجهة للتحميل. كما التقى بمجموعات من المسافرين مشيًا على الأقدام؛ كان من المدهش كمية الحركة التي تعج بها حتى أعماق الغابة، ونادرًا ما وجدها خالية تمامًا.

أحيانًا، كان جزءٌ كبيرٌ من امرأة تنحني على أطرافها الأربعة لجمع التوت أو ثمار الغابة الأخرى يظهر فوق السرخسيات، مثل ظهر حوت النروال وهو يخرج من الأمواج. وأحيانًا أخرى، شيءٌ ما يتهادى بخطوات متيبسة، وبتعبير جامد كالزومبي، كان يتضح في النهاية أنه رجل عجوز يبحث عن الفطر. ومن وقت لآخر، كان شيء ما يُكسر وسط الأغصان الجافة مصحوبًا بصرخة جنونية — لكنها لم تكن أكثر من أطفال، أبناء الحطابين وصانعي الفحم، مسلحين بأقواس مصنوعة من العصي والخيوط.

كان من المذهل مقدار الضرر الذي يستطيع الأطفال إحداثه في الغابة بمثل هذه الأسلحة البدائية. وكان من المخيف التفكير في أنهم سيكبرون يومًا ما، ويتقنون استخدام العتاد الاحترافي.

* * *

مستوطنة حارق الرماد — حيث ساد الهدوء التام، ولم يكن هناك ما يعكر صفو العمل أو يهدد العمال — حملت اسمها، بكل أصالة ووضوح، من إنتاجها لمادة البوتاس، التي تُعد عاملًا ثمينًا في صناعات الزجاج والصابون.

كان البوتاس، كما شرح السحرة لجيرالت، يُستخرج من رماد الفحم المحترق في المنطقة. جيرالت سبق له زيارة مستوطنة صانعي الفحم المجاورة، وكان ينوي زيارتها مجددًا ذلك اليوم.

أقرب مستوطنة للفحّامين كانت تُدعى بستان البلوط، والطريق إليها مر بجانب غابة من أشجار البلوط الضخمة، التي يعود عمرها إلى مئات السنين.

ظلالٌ قاتمة كانت دائمًا تلقي بظلالها تحت أشجار البلوط، حتى عند الظهيرة، حتى تحت أشعة الشمس الكاملة وفي سماء صافية بلا غيوم.

كان هناك، عند أشجار البلوط، قبل أقل من أسبوع، حيث التقى جيرالت لأول مرة بالمفوض توركيل وفريقه.

* * *

عندما خرج رجالٌ بملابس مموهة خضراء، يحملون أقواسًا طويلة على ظهورهم، من بين أشجار البلوط، وحاصروا جيرالت من جميع الجهات، اعتقد في البداية أنهم من حرّاس الغابة، أعضاء الوحدة شبه العسكرية التطوعية سيئة السمعة، التي تطلق على نفسها اسم "حماة الغابة"، والذين كانت مهمتهم مطاردة غير البشر — وخاصةً الجان وحوريات الغابة — وقتلهم بطرق شنيعة.

كان يحدث أحيانًا أن يتهم هؤلاء الحراس الأشخاص الذين يسافرون عبر الغابات بدعم غير البشر أو الاتجار معهم، وكانت عقوبة هؤلاء إمّا الإعدام دون محاكمة أو التعذيب، وكان من الصعب جدًا إثبات البراءة. لذا، بدا أن هذا اللقاء تحت أشجار البلوط سيؤول إلى عنف شديد. غير أن جيرالت زفر بارتياح عندما تبين أن الفرسان المرتدين المعاطف الخضراء ليسوا سوى رجال قانون يؤدون واجبهم.

قائدهم، وهو رجلٌ داكن البشرة ذو نظرة ثاقبة، عرّف نفسه بأنه مفوض يعمل تحت إمرة مأمور غورز فيلين، وطالب جيرالت، دون مقدمات وبنبرة حازمة، بالكشف عن هويته. وعندما حصل على الجواب، طلب منه رؤية شارة الويتشر الخاصة به.

لم يكن الميدالية الفضية التي تحمل صورة الذئب المزمجر مجرد دليل إثبات مرضٍ، بل أثارت أيضًا إعجاب رجل القانون بشكل واضح. ويبدو أن التقدير الذي أبداه شمل جيرالت نفسه. فالمفوض ترجل عن حصانه، وطلب من الويتشر أن يفعل المثل، ثم دعاه لإجراء محادثة قصيرة.

"أنا فرانس توركيل."

قال المفوض، متخليًا عن نبرته الجافة المتحجرة، ليكشف عن شخصية هادئة، عملية، ومباشرة.

"أنت، بالفعل، الويتشر جيرالت من ريفيا. نفس جيرالت من ريفيا الذي أنقذ امرأة وطفلًا من الموت في أنسيجيس قبل شهر، بعد أن قتل وحشًا آكلًا للبشر."

ضغط جيرالت شفتيه. فقد كان سعيدًا لأنه نسي أمر أنسيجيس، والوحش الذي كان يحمل اللوحة المعدنية، والرجل الذي كان مسؤولًا عن موته. لقد قضى وقتًا طويلًا في القلق بشأن ذلك، لكنه في النهاية تمكن من إقناع نفسه بأنه فعل ما بوسعه، وأنه أنقذ الاثنين الآخرين، وأن الوحش لن يقتل أحدًا بعد الآن. لكن الآن، عاد كل شيء ليطارده من جديد.

لم يكن فرانس توركيل قد لاحظ الغيوم التي مرّت على وجه الويتشر بعد كلماته. وإن كان قد لاحظ، فلم يبدُ أنه مهتم بذلك.

"يبدو، يا ويتشر، أننا نقوم بدوريات في هذه الغابات لنفس الأسباب،" تابع حديثه. "بدأت الأمور السيئة في الحدوث في تلال توكاي بعد حلول الربيع، وقد وقعت حوادث غير سارة هنا. وحان الوقت لوضع حد لها. بعد المجزرة التي وقعت في آرتشيس، نصحت سحرة ريسبيرغ بتوظيف ويتشر. يبدو أنهم أخذوا نصيحتي على محمل الجد، على الرغم من أنهم لا يحبون تلقي الأوامر."

خلع المفوض قبعته ونفض عنها الإبر والبذور. كانت قبعته مماثلة في التصميم لقبعة دانديليون، ولكنها مصنوعة من اللباد الأقل جودة. وبدلًا من ريشة طائر الأغرِت، كانت مزينة بريشة ذيل طائر التدرج.

"لقد كنت أحرس القانون والنظام في التلال لفترة طويلة،" تابع حديثه، ناظرًا في عيني جيرالت. "ودون أن أتباهى، فقد قبضت على العديد من الأوغاد، وزيّنت العديد من الأشجار الطويلة بهم. لكن ما يحدث مؤخرًا... هذا يتطلب شخصًا إضافيًا؛ شخصًا مثلك. شخصًا يفهم السحر ويعرف عن الوحوش، ولا يخشى وحشًا أو شبحًا أو تنينًا. لذا، حسنًا، سوف نحمي الناس معًا. أنا براتبي الزهيد، وأنت مقابل ما يدفعه لك السحرة. أتساءل، هل يدفعون لك جيدًا مقابل هذا العمل؟"

خمسمائة تاج نوفيغرادي، محوّلة مقدمًا إلى حسابي المصرفي. لم يكن لدى جيرالت أي نية للكشف عن ذلك. لقد اشترى سحرة ريسبيرغ خدماتي ووقتي مقابل هذا المبلغ. خمسة عشر يومًا من وقتي. وعندما تمر خمسة عشر يومًا، بغض النظر عما سيحدث، سيتم تحويل نفس المبلغ مرة أخرى. مبلغ لا بأس به. أكثر من مرضٍ.

"أجل، من المؤكد أنهم يدفعون مبلغًا محترمًا."

فهم فرانس توركيل بسرعة أنه لن يحصل على إجابة مباشرة. "يستطيعون تحمّل ذلك. وسأقول لك هذا: لا يوجد مال كثير هنا. لأن هذه قضية بشعة، ويتشر. بشعة، مظلمة، وغير طبيعية. الشر الذي اجتاح هذا المكان خرج من ريسبرغ، أقسم بذلك. من المؤكد أن هناك خطأ ما في سحر السحرة. لأن سحرهم مثل كيس مليء بالأفاعي: مهما أحكمت رباطه، فإن شيئًا سامًا سيجد طريقه للخروج."

ألقى المفوض نظرة على جيرالت. كانت تلك النظرة كافية ليُدرك أن الويتشر لن يخبره بشيء، ولا أي تفاصيل عن اتفاقه مع السحرة.

"هل أطلعوك على التفاصيل؟ هل أخبروك بما حدث في مستوطنة يو تريز، وآرتشيس، وروغوفيزنا؟"

"إجمالًا، نعم."

"إجمالًا، نعم،" كرر توركيل. "بعد ثلاثة أيام من بيلتاين، في مستوطنة يو تريز، تسعة حطابين قُتلوا. في منتصف مايو، في مستوطنة آرتشيس الخاصة بالنّشّارين، اثنا عشر قتيلًا. وفي بداية يونيو، في مستعمرة

الفحم في روغوفيزنا، خمسة عشر ضحية. هذا هو الوضع حتى اليوم، ويتشر. لكنني أقسم، هذا ليس النهاية. هذا ليس النهاية بعد."

يو تريز، آرتشيس، روغوفيزنا. ثلاث جرائم جماعية. وبالتالي، لم يكن هذا حادثًا، لم يكن شيطانًا هرب وانطلق بحرّيته، ولم يكن مجرد خطأ من ممارس غويتيا غير كفء فشل في السيطرة عليه. لقد كان ذلك متعمدًا، كل شيء قد خُطّط له مسبقًا. لقد حُبس الشيطان داخل مضيف ثلاث مرات، وتم إطلاقه ثلاث مرات ليقتل.

"لقد رأيت الكثير." عملت عضلات فك المفوض بقوة. "الكثير من ساحات القتال، الكثير من الجثث. عمليات سطو، نهب، غارات قطاع الطرق، انتقامات عائلية وحشية، وحتى غزوة واحدة على حفل زفاف خرج منه ست جثث، بما في ذلك العريس. ولكن قطع الأوتار لجعل الضحايا عاجزين ثم ذبحهم؟ سلخ فروة الرأس؟ اقتلاع الحناجر بأسنانهم؟ تمزيق شخص وهو لا يزال حيًا، وسحب أمعائه من بطنه؟ وأخيرًا، بناء أهرامات من رؤوس المذبوحين؟ ما الذي نواجهه هنا، أسأل؟ ألم يخبرك السحرة بذلك؟ ألم يشرحوا لك لماذا يحتاجون إلى ويتشر؟"

لماذا يحتاج سحرة ريسبيرغ إلى ويتشر؟ إلى الحد الذي يتطلب إجباره على التعاون عن طريق الابتزاز؟ لأن السحرة كان بإمكانهم التعامل مع أي شيطان أو أي مضيف بأنفسهم بسهولة تامة، دون عناء كبير. تعاويذ مثل فولمن سفيريكوس أو ساغيتا أوريا — وهما فقط أول تعويذتين تخطران على البال — كان من الممكن أن تُستخدم ضد أي إنرجومن من مسافة مئة خطوة، ومن المشكوك فيه أن ينجو من تأثيرها. ولكن لا، السحرة يفضلون الاستعانة بويتشر. لماذا؟ الجواب بسيط: أحد السحرة، أحد زملائهم، هو من أصبح إنرجومن. أحدهم استدعى الشياطين، وسمح لها بالتلبس به، وانطلق ليقتل. لقد فعلها ثلاث مرات بالفعل. ولكن السحرة لا يمكنهم ببساطة أن يطلقوا صواعق البرق على زميل لهم أو أن يغرِسوا فيه سهمًا ذهبيًا. إنهم بحاجة إلى ويتشر ليتولى أمر زميلهم.

كان هناك شيء لا يستطيع جيرالت — ولا يريد — إخبار توركيل به. لم يستطع، ولم يرد، أن يخبره بما قاله للسحرة في ريسبيرغ. ذلك الشيء الذي تجاهلوه تمامًا، كما يتجاهل المرء شيئًا تافهًا لا أهمية له.

* * *

"ما زلتم تفعلون ذلك. ما زلتم تلعبون بهذه الأمور، كما تسمونها، غويتيا. تستدعون هذه الكائنات، تستحضرونها من عوالمها، خلف الأبواب المغلقة. بنفس القصة القديمة المكررة: سنسيطر عليها، سنخضعها، سنجعلها تطيع، سنستخدمها في العمل. وبنفس التبرير الحتمي: سنكتشف أسرارها،

سنرغمها على الكشف عن غوامضها وأسرارها، وسنضاعف بذلك قوة سحرنا، سنعالج الأمراض، سنقضي على الأوبئة والكوارث الطبيعية، سنجعل العالم مكانًا أفضل وسنجعل البشر أكثر سعادة. لكن الأمر ينتهي دائمًا إلى كونه كذبة، كل ما يعنيكم هو القوة والسيطرة."

كان من الواضح أن تسارا كان على وشك الرد بعنف، لكن بينيتي منعه بإشارة.

"بخصوص الكائنات المستحضرة خلف الأبواب المغلقة، الكائنات التي نُطلق عليها — للتسهيل — 'الشياطين'، أنتم تعلمون عنها مثلما نعلم نحن، الويتشرات. تعلمنا ذلك منذ زمن طويل، وهذا مدون في سجلاتنا وسجلات التاريخ الخاص بنا. الشياطين لن تفصح لكم أبدًا عن أي أسرار أو غوامض. لن تطيعكم أبدًا أو تقبل أن تُسخَّر لخدمتكم. إنهم يسمحون لأنفسهم بأن يُستدعوا إلى عالمنا لهدف واحد فقط القتل. لأنهم يستمتعون بذلك. وأنتم تعرفون ذلك. ومع ذلك، تسمحون لهم بالدخول."

"ربما علينا الانتقال من النظرية إلى التطبيق،" قال بينيتي بعد صمت طويل جدًا. "أعتقد أن شيئًا كهذا قد كُتب أيضًا في سجلاتكم، سجلات الويتشرات. ونحن لا ننتظر منك مواعظ أخلاقية، بل نريد حلولًا عملية، ويتشر."

"سعيد بلقائك." ضغط فرانس توركيل يد جيرالت بحزم. "والآن إلى العمل، إلى الدورية. للحراسة، لحماية الناس. هذا هو سبب وجودنا هنا."

"بالفعل."

ما إن استوى في السرج، حتى انحنى المفوض نحو جيرالت وهمس له بهدوء:

"سأراهن،" قال بصوت خفيض، "أنك تدرك تمامًا ما سأخبرك به الآن. لكني سأقوله على أي حال. كن حذرًا، ويتشر. كن يقظًا. أنت لا ترغب في الحديث، لكنني أعرف ما أعرف. السحرة وظفوك على الأرجح لإصلاح ما أفسدوه بأنفسهم، لتنظيف الفوضى التي تسببوا فيها. لكن إن لم تسر الأمور على ما يرام، فسيبحثون عن كبش فداء. وأنت لديك كل المقومات لذلك."

* * *

السماء فوق الغابة بدأت تظلم. هبت ريح مفاجئة في أغصان الأشجار. دوي رعد بعيد تردد في الأفق.

* * *

"إن لم تكن العواصف، فالأمطار الغزيرة،" قال فرانس توركيل عندما التقيا مجددًا. "هناك رعد ومطر كل يومين. والنتيجة هي أنه عندما تذهب للبحث عن آثار، تجد أنها قد جرفتها الأمطار. أمر مريح، أليس كذلك؟ وكأنها مرتبة مسبقًا. حتى هذا الأمر تفوح منه رائحة السحر.. سحر ريسبيرغ بالتحديد. يُقال إن السحرة يستطيعون التحكم في الطقس. يثيرون الرياح السحرية، أو يسحرون الرياح الطبيعية لتتحرك كما يشاؤون. يطردون الغيوم، يثيرون المطر أو البرد، ويطلقون العواصف أيضًا، كما لو كانت معدة مسبقًا. عندما يناسبهم ذلك. من أجل، على سبيل المثال، طمس آثارهم. ما رأيك في ذلك، جيرالت؟"

"السحرة، بالفعل، يستطيعون فعل الكثير،" أجاب. "لطالما كانوا يتحكمون في الطقس، منذ أول هبوط، عندما يُقال إن تعاويذ يان بيكر وحدها منعت الكارثة. لكن إلقاء اللوم على السحرة في كل المصائب والكوارث يبدو مبالغة. أنت تتحدث عن ظواهر طبيعية، بعد كل شيء، فرانس. إنه ببساطة ذلك النوع من المواسم. موسم العواصف."

* * *

حثّ فرسه على السير. كان اليوم يقترب من نهايته، وكان ينوي القيام بدوريات في عدد قليل من المستوطنات قبل الغروب. أولًا، أقرب مستوطنة لحارقي الفحم، الواقعة في فسحة تُعرف باسم روغوفيزنا. كان بينيتي برفقته في المرة الأولى التي زار فيها المكان.

لدهشة الويتشر، لم يكن موقع المجزرة أرضًا مهجورة كئيبة، بل كان مكانًا يعج بالعمل المكثف، مليئًا بالناس. كان حارقو الفحم — الذين يطلقون على أنفسهم اسم "المدخنون" — يعملون على بناء فرن جديد لحرق الفحم. فرن الفحم كان عبارة عن قبة من الخشب، لم تكن مجرد كومة عشوائية، بل كومة مرتبة بعناية وبدقة. عندما وصل جيرالت وبينيتي إلى الفسحة، وجدوا حارقي الفحم يغطون الكومة بالطحلب ويضعون عليها التربة بعناية. فرن آخر، كان قد بُني في وقت سابق، كان يعمل بالفعل، مما جعله ينفث الدخان بكثافة. كانت الفسحة بأكملها مغمورة بدخان يلدغ العينين، ورائحة راتنج نفاذة هاجمت الأنوف.

* * *

"منذ متى ..." سعل الويتشر. "منذ متى، قلتَ، حدث ذلك؟"

"قبل شهر تمامًا."

"ويعمل الناس هنا وكأن شيئًا لم يحدث؟"

"هناك طلب كبير على الفحم،" أوضح بينيتي. "الفحم هو الوقود الوحيد الذي يمكنه تحقيق درجة حرارة عالية بما يكفي لصهر المعادن. الأفران بالقرب من دوريان وغورس فيلين لا يمكنها العمل بدونه، وصناعة الصهر هي الفرع الأكثر أهمية والأكثر ازدهارًا في الصناعة. وبسبب الطلب، فإن حرق الفحم مهنة مربحة، والاقتصاد، أيها الويتشر، مثل الطبيعة، يكره الفراغ. المدخنون الذين قُتلوا دُفنوا هناك، هل ترى القبور؟ لا تزال الرمال صفراء طازجة. وتم استبدالهم بعمال جدد. فرن الفحم ينبعث منه الدخان، والحياة تستمر."

ترجلوا عن الخيول. كان المدخنون مشغولين جدًا لدرجة أنهم لم يولوهم أي اهتمام. إذا كان هناك من يراقبهم، فقد كانوا النساء والأطفال، حيث كان عدد قليل منهم يركض بين الأكواخ.

"بالفعل." خمّن بينيتي السؤال قبل أن يتمكن الويتشر من طرحه. "هناك أيضًا أطفال تحت كومة الدفن. ثلاثة. وثلاث نساء. وتسعة رجال وشبان. تعال معي."

ساروا بين أكوام الحطب المُعد للتجفيف.

"تم قتل عدة رجال على الفور، تهشمت رؤوسهم،" قال الساحر. "أما البقية فقد تم شلّ حركتهم وتقييدهم، إذ قُطعت أوتار كعوب أقدامهم بأداة حادة. العديد منهم، بمن فيهم جميع الأطفال، تم كسر أذرعهم أيضًا. ثم تم قتل الأسرى. تمزقت حناجرهم، وشُقّت بطونهم، ومزقت صدورهم. تم سلخ ظهورهم وسلب فروات رؤوسهم. إحدى النساء..."

"يكفي." نظر الويتشر إلى البقع السوداء من الدم، لا تزال مرئية على جذوع البتولا. "هذا يكفي، بينيتي."

"يجب أن تعرف مع من — وماذا — تتعامل."

"أنا أعرف بالفعل."

"وهكذا، فقط بعض التفاصيل الأخيرة. بعض الجثث كانت مفقودة. جميع القتلى قد قُطِعت رؤوسهم، وتم ترتيبها على شكل هرم، تمامًا هنا. كان هناك خمس عشرة رأسًا وثلاث عشرة جثة. اختفت جثتان."

"سكان مستوطنتين أخريين، بيو تريز وأرتشز، قُتلوا بطريقة مماثلة تقريبًا،" واصل الساحر بعد وقفة قصيرة. "تسعة أشخاص قُتلوا في بيو تريز، واثنا عشر في أرتشز. سأصطحبك إلى هناك غدًا. لا يزال علينا

التوجه إلى نيو تاروركس اليوم، إنه ليس بعيدًا. ستتعرف على عملية صناعة القطران وقطران الخشب. في المرة القادمة التي تحتاج فيها إلى دهن شيء بقطران الخشب، ستعرف من أين أتى."

"لدي سؤال."

"نعم؟"

"هل كان من الضروري حقًا اللجوء إلى الابتزاز؟ ألم تعتقدوا أنني كنت سأحضر إلى ريسبيرغ بمحض إرادتي؟"

"كانت الآراء منقسمة."

"من الذي قرر الزج بي في زنزانة في كيراك، ثم إطلاق سراحي، ولكن مع التهديد بالمحاكمة؟ من الذي خطط لهذا؟ لقد كانت كورال، أليس كذلك؟"

نظر بينيتي إليه طويلاً، ثم أخيرًا قال:

"نعم." اعترف أخيرًا. "لقد كانت فكرتها. وخطتها. أن تُسجن، ثم تُطلق، ثم تُهدَّد. وأخيرًا، يتم إسقاط التهم عنك. لقد أنهت الأمر فور مغادرتك. ملفك في كيراك الآن نظيف تمامًا، كالصافرة اللامعة. هل لديك أي أسئلة أخرى؟ لا؟ حسنًا، لنذهب إلى نيو تاروركس إذن، ونلقي نظرة على القطران الخشبي. ثم سأفتح البوابة السحرية لنعود إلى ريسبيرغ. وفي المساء، أرغب في الخروج لبعض الصيد بالطُعم الطائر. الذباب الطائر منتشر، والتراوت ستبدأ بالتغذي... هل سبق لك أن اصطدت، أيها الويتشر؟ هل يستهويك الصيد؟"

"أصطاد عندما أشتهي السمك. أحمل خيط الصيد معي دائمًا."

ساد الصمت طويلًا. ثم نطق بينيتي بنبرة غريبة:

"خيط صيد؟" توقف للحظة. "خيط صيد، مع ثقل من الرصاص؟ وبالكثير من الخطافات الصغيرة؟ التي تُطعَّم بالديدان؟"

"نعم. لماذا؟"

"لا شيء. كان سؤالًا لا داعي له."

* * *

كان يتجه نحو باينتوبس، المستوطنة التالية لحارقي الفحم، عندما ساد الصمت فجأة في الغابة. أصيبت طيور العقعق بالذهول، وخفتت أصواتها في لحظة واحدة، وتوقف نقر نقار الخشب فجأة.

لقد تجمدت الغابة في حالة من الرعب.

فحثَّ جيرالت فرسه على الانطلاق بأقصى سرعة.

الفصل الحادي عشر

تواجد موقد الفحم في باينتوبس بالقرب من موقع قطع الأشجار، حيث استخدم حارِقو الفحم الحطام الخشبي المتبقي بعد القطع. كانت عملية الحرق قد بدأت حديثًا، وانبعث دخان أصفر كريه الرائحة من قمة القبة، كما لو كان يتصاعد من فوهة بركان. ومع ذلك، لم يكن بوسع تلك الرائحة أن تحجب رائحة الموت التي كانت تهيمن على الساحة.

ترجل جيرالت من على ظهر فرسه. واستل سيفه.

رأى الجثة الأولى، بلا رأس ولا قدمين، ملقاة بجانب موقد الفحم؛ وقد تطايرت الدماء فوق التربة التي تغطي الكومة. ولم يكن بعيدًا عنها سوى ثلاث جثث أخرى، مشوهة إلى حد لا يمكن التعرف عليها. كانت الدماء قد تسربت إلى الرمال المسامية في الغابة، تاركة بقعًا قاتمة تتوسع ببطء.

على مقربة من وسط الساحة، بالقرب من النار المحاطة بالحجارة، كان هناك جثمانان آخران، أحدهما لرجل والآخر لامرأة. كان حنجرة الرجل قد تمزقت بوحشية حتى انكشفت فقراته العنقية. أما المرأة، فقد كان الجزء العلوي من جسدها ملقى وسط الجمر المتوهج، مغطى بالعصيدة المنسكبة من قدر مقلوب.

على بعد خطوات قليلة، بجوار كومة من الأخشاب، كانت هناك جثة أخرى... لطفل صغير، ربما لم يتجاوز الخامسة من عمره. كان ممزقًا إلى نصفين. شخص ما — أو بالأحرى شيء ما — أمسك بساقيه الاثنتين ومزقهما إلى جهتين متعاكستين.

وقع بصر جيرالت على جثة أخرى؛ كان هذا الجسد مسلوخ البطن، وقد انتزعت أمعاؤه وسُحبت إلى الخارج بطولها الكامل ما يقارب مترين من الأمعاء الغليظة، وأكثر من ستة أمتار من الأمعاء الدقيقة. كانت الأحشاء ممتدة في خط مستقيم، رمادي وردي، تتلوى باتجاه كوخ بدائي من أغصان الصنوبر... لتختفي داخله.

داخل هذا المأوى، كان هناك رجل نحيف مستلقٍ على ظهره فوق سرير بدائي. كان واضحًا منذ النظرة الأولى أنه غريب تمامًا عن هذا المكان. فقد كانت ملابسه الفاخرة غارقة بالكامل في الدماء، مشبعة بها.

لكن جيرالت لاحظ فورًا أمرًا مريبًا الدماء لم تكن تتدفق بغزارة من شريان رئيسي، لم تكن تتدفق أو تنبض أو تسيل...

رغم أن وجهه كان مغطى بالدماء المتخثرة، إلا أن جيرالت تعرف عليه على الفور.

لقد كان سوريل ديغيرلوند، ذلك الشاب ذو الشعر الطويل والنحيف، ذو المظهر الأنيق الذي بدا عليه شيء من الرقة الأنثوية. كان أحد الأشخاص الذين قُدموا له خلال لقائه مع أورتولان. حينها، كان يرتدي الرداء المضفر والصدرة المطرزة نفسها التي كان يرتديها بقية السحرة، وكان جالسًا بينهم، يراقب جيرالت، مثله مثل الآخرين، بنظرات مشوبة بالكراهية الخفية.

أما الآن؟

فكان مُلقىً فاقدًا للوعي داخل كوخٍ متواضع لأحد حارقي الفحم، جسده مغطى بالدماء، وأمعاء بشرية ملتفة حول معصمه الأيمن... أمعاءٌ انتُزعت من جثةٍ كانت ملقاة على بعد أقل من عشرة أمتار منه.

ابتلع جيرالت ريقه ببطء.

هل عليّ أن أقطعه إربًا بينما لا يزال فاقدًا للوعي؟

هل هذا ما يتوقعه بينيتي وتزارا؟

هل يجب عليّ أن أقتل هذا الـ "إنيرغومن"؟

أن أقضي على هذا الممارس القوطي الذي يستمتع باستدعاء الشياطين؟

ولكن... قبل أن يحسم أمره، أيقظه أنينٌ مفاجئ من شروده.

بدأ سوريل ديغيرلوند يستعيد وعيه.

رفع رأسه قليلاً، تأوه، ثم سقط ثانيةً على الفراش الخشن. رفع نفسه بتثاقل، تجول ببصره في الفراغ... حتى وقعت عيناه على جيرالت. فتح فمه وكأنه يريد أن يقول شيئًا، ثم نظر إلى بطنه الملطخ بالدماء، رفع يده المرتجفة ليرى ما كان يمسك به...

وبدأ يصرخ.

نظر جيرالت إلى سيفه... السيف الذي اشتراه له دانديليون، ذو الحلية الذهبية على قبضته.

ثم نظر إلى عنق الساحر النحيل... إلى الوريد المنتفخ على سطح جلده المشدود.

كان الأمر بغاية السهولة...

لكن ديغيرلوند كان لا يزال يصرخ. بدأ ينزع الأمعاء من معصمه، يفككها بشراسة وكأنها حبالٌ تحاول خنقه. توقف عن الصراخ، وأصبح يصدر أنينًا مختنقًا، مرتعشًا بالكامل.

ثم حاول النهوض.

أولاً على يديه وركبتيه...

ثم على قدميه المرتجفتين...

ثم انطلق راكضًا خارج الكوخ، ناظرًا حوله، مزمجرًا في فزعٍ شديد، مستعدًا للهرب.

لكن جيرالت كان أسرع.

أمسكه من ياقته، ثبّته في مكانه بقوة...

ثم دفعه إلى الأرض على ركبتيه.

"ما ... ماذا ..." تمتم ديغيرلوند وهو لا يزال يرتجف. "ما ... ماذا حدث ... هنا؟"

"أعتقد أنك تعلم."

ابتلع الساحر ريقه بصوت عال.

"كيف ... كيف انتهى بي المطاف هنا؟ لا شيء ... لا أتذكر شيئاً ... لا أتذكر شيئاً. لا شيء!"

"في الحقيقة، لا أصدقك."

"الاستدعاء ..." أمسك ديغيرلوند وجهه بكلتا يديه. "لقد استدعيتُه ... وقد ظهر. في الخماسي، في الدائرة المُرسمَة بالطباشير ... ودخل ... دخل إلي."

"ليس لأول مرة، أظن، أليس كذلك؟"

انهمر ديغيرلوند بالبكاء. بطريقةٍ تمثيلية إلى حد ما، لم يستطع جيرالت إلا أن يفكر. لقد ندم على أنه لم يفاجئ الجسد المستضيف قبل أن يتخلى عنه الشيطان. أدرك أن ندمه لم يكن عقلانياً؛ فهو يعلم جيداً مدى خطورة المواجهة مع شيطان، وكان ينبغي أن يفرح لأنه تجنبها. لكنه لم يكن سعيداً؛ لأنه على الأقل كان سيعرف ما يجب فعله.

"كان لا بد أن يحدث لي هذا،" فكر، "وليس لفرانس توركيل وجيشه."

المفوض لم يكن ليشعر بأي تردد أو حياء؛ لو كان الساحر، وهو ملطخ بالدم، ممسكاً بأحشاء ضحيته في قبضته، لكان قد وُضع عليه حبل شنق فوراً وتُعلِّق على أحد أغصان الشجر القوية.

لم تكن الترددات أو الشكوك لتعيق توركيل؛ فلن يهمه أبداً أن الساحر اللين والنحيف عاجز تماماً عن ذبح هذا العدد الكبير من الناس في وقتٍ قصير لدرجة أن ملابسه الملطخة بالدم لم تستطع أن تجف أو تتصلب، ولن يكون قادراً على تمزيق طفلٍ بيديه العاريتين. لا، توركيل لم يكن لديه أي تردد.

ولكن أنا لديّ.

وكان بينيتي وتزارا واثقين من أنني لن أفعل ذلك.

"لا تقتلني ..." تذمر ديغيرلوند بصوت مرتجف. "لا تقتلني، أيها الويتشر ... لن أفعل ذلك أبداً ... أبداً بعد الآن..."

"اصمت."

"أقسم أنني لن..."

"قلتُ لك، اصمت. هل لديك ما يكفي من الوعي لاستخدام السحر؟ لاستدعاء السحرة من ريسبيرغ إلى هنا؟"

"لدي ختم ... يمكنني ... يمكنني أن أنقل نفسي سحرياً إلى ريسبيرغ."

"ليس وحدك. معي. وبدون أية خدع. لا تحاول الوقوف، ابقَ على ركبتيك."

"يجب أن أقف. وأنت ... لكي تعمل عملية النقل السحري، يجب أن تكون قريباً مني. قريباً جداً."

"لماذا بالضبط؟ هيا، ماذا تنتظر؟ أخرج ذلك التميمة."

"إنها ليست تميمة. قلت لك، إنها ختم."

فكّ ديغيرلوند سترته وقميصه الملطخين بالدماء. كان هناك وشم على صدره الهزيل، عبارة عن دائرتين متداخلتين، تزينهما نقاط بأحجام مختلفة. بدا ذلك أشبه بمخطط مداري للكواكب، شبيه بذلك الذي رآه جيرالت ذات مرة في أكاديمية أكسنفورت.

تلا الساحر تعويذة ذات إيقاع موسيقي، فتوهجت الدائرتان باللون الأزرق، وأخذت النقاط تشع باللون الأحمر، ثم بدأت في الدوران.

"الآن. اقترب أكثر."

"أكثر؟"

"لا، أكثر من ذلك. التصق بي."

"ماذا؟"

"اقترب مني واحتضنني."

تغير صوت ديغيرلوند فجأة، وأضاءت عيناه بشكل مخيف، بينما تقوست شفتاه بابتسامة منفرة.

"نعم، تماماً هكذا. بإحكام، وبحنان أيضاً. كما لو كنتُ ينيفر خاصتك."

فهم جيرالت ما كان يحدث. لكنه لم يكن سريعاً بما يكفي ليدفع ديغيرلوند بعيداً، أو ليضربه بمقبض سيفه، أو ليقطع عنقه بحد الشفرة. لقد كان ببساطة أبطأ مما يجب.

اندفع وميض متلألئ في عيني جيرالت. وفي لمح البصر، غاص في ظلام العدم. في برد قارس، وصمت خانق، وشكل لا معنى له، وزمن لا نهاية له.

هبطوا على الأرض بضربة عنيفة، وكأن ألواح الحجر نفسها قد قفزت لملاقاتهم. قوة الصدمة قذفتهم بعيدًا عن بعضهم. لم يتمكن جيرالت حتى من إلقاء نظرة جيدة حوله. وصلت إلى أنفه رائحة نفاذة شديدة، مزيج من القذارة والمسك.

أمسكت به مجموعتان من الأيدي الضخمة، قبضت على ذراعيه ومن خلف رأسه، وانغلقت أصابع سمينة على عضلاته بسهولة، بينما غرست إبهام صلبة نفسها بقسوة في أعصابه، في ضفيرة ذراعه العصبية. شعر بتنميل تام وسقط سيفه من يده المرتخية.

أمام عينيه، رأى أحدبًا ذو وجه مشوه مغطى بالقروح، رأسه متناثر بخصلات قليلة من شعر خشن متصلب. كان الأحدب واقفًا بساقيه المعوجتين متباعدتين، مصوبًا قوسًا مستعرضًا ضخمًا نحوه، أو بالأحرى منجنيقًا محمولًا مزودًا بقوسين فولاذيين فوق بعضهما البعض. كانت السهام الرباعية الزوايا الموجهة إلى جيرالت عريضة بحوالي بوصتين وحادة كالشفرة.

كان سوريل ديغيرلوند واقفًا أمامه.

"كما أدركت على الأرجح،" قال بصوت ساخر، "لم تهبط في ريسبيرغ. أنت في ملجئي، في مخبئي. هذا المكان، الذي لا يعلم عنه سحرة ريسبيرغ شيئًا، حيث أجري تجاربي مع سيدي. أنا، كما تعلم، سوريل ألبرت أمدور ديغيرلوند، ماجستر ماجيكوس. وأنا أيضًا، وهو ما لا تعلمه بعد، من سيتكفل بإيلامك وقتلك."

تبددت مشاعر الفزع المصطنعة والذعر المتظاهر، وكأن الريح قد أطاحت بها. كل شيء في مستوطنة صانعي الفحم كان تمثيلاً بحتًا. لم يكن ذلك ديغيرلوند الخائف المذعور الذي رآه جيرالت هناك. بل كان يقف أمامه الآن ديغيرلوند الحقيقي، منتشيًا بانتصاره، متفجرًا بالغرور والتعالي. ديغيرلوند بابتسامة شريرة، ابتسامة تذكّر بجحافل من الديدان الألفية تزحف عبر الشقوق تحت الأبواب، قبور مقلوبة، يرقات بيضاء تتلوى في الجثث المتعفنة، ذبابات دهنية ترفرف في وعاء حساء عكر.

الساحر اقترب أكثر، كان يحمل محقنًا فولاذيًا بإبرة طويلة.

"لقد خدعتك كما يُخدع الطفل في المستوطنة،" همس بصوت مفعم بالازدراء. "اتضح أنك ساذج كطفل. الساحر جيرالت من ريفيا! رغم أن حدسك لم يخذلك، إلا أنك لم تقتل، لأنك لم تكن متأكدًا. لأنك ساحر جيد، ولأنك رجل صالح. هل أخبرك، أيها الساحر الطيب، ما هم الرجال الصالحون؟ إنهم الأشخاص الذين لم يمنحهم القدر فرصة الاستفادة من مزايا الشر. أو على العكس، أولئك الذين حصلوا على الفرصة لكن كانوا أغبياء جدًا ليستغلوها. لا يهم إلى أي مجموعة تنتمي. لقد سمحت لنفسك بأن تُخدع، وسقطت في الفخ، وأؤكد لك أنك لن تخرج منه حيًا."

رفع المحقن. شعر جيرالت بوخزة، تلاها فورًا ألم حاد. ألم طاعن أظلم عينيه، وشدّ جسده كله، ألم رهيب إلى درجة أنه احتاج إلى أقصى جهده ليمنع نفسه من الصراخ. بدأ قلبه ينبض بجنون، وبالمقارنة

مع نبضه المعتاد — وهو أبطأ أربع مرات من نبض الشخص العادي — كانت تلك تجربة مزعجة للغاية. بدأ العالم يغرق في السواد، يدور من حوله، يتشوش ويتلاشى.

تم سحبه بعيدًا وسط توهج الكرات السحرية التي كانت تتراقص على الجدران والسقوف العارية. أثناء عبوره، لمح جدارًا مغطى ببقع الدم، معلّقًا عليه أسلحة. رأى سيوفًا مقوّسة عريضة، مناجل ضخمة، فؤوس قتال ورؤوس نجمية مدماة. كلها كانت مغطاة بالدم. استخدموها في يو تريز، وفي آرتشز، وروغوفيزنا، فكر بوضوح وسط الضباب. استخدموها في مجزرة صانعي الفحم في بينيتوبس.

أصبح جسده مخدرًا تمامًا، توقف عن الشعور بأي شيء، لم يعد يحس حتى بقبضة الأيدي التي كانت تسحبه.

"بُوووه-ههههرررر-بيييهه-بُوووه!"

لم يدرك فورًا أن ما يسمعه كان ضحكات مرحة. من كان يجره كان يستمتع بوضوح بالوضع.

الأحدب الذي كان يسير في المقدمة ممسكًا بالقوس المستعرض كان يصفر بلحن عشوائي.

بدأ جيرالت يفقد وعيه تمامًا.

تم دفعه بقوة إلى كرسي مستقيم، وأخيرًا تمكّن من رؤية من كان يجرّه، ومن كان يسحق إبطه بأيدٍ ضخمة.

تذكر الغول القزم العملاق ميكيتا، الحارس الشخصي لبيرال برات. هذان الشخصان يشبهانه قليلًا، كان بإمكانهما بالكاد أن يبدوا كأقرباء له. كانا بنفس طوله تقريبًا، تفوح منهما نفس الرائحة الكريهة، بلا رقبة تمامًا مثله، وأسنانهما كانت تبرز من شفاههما السفلية مثل أنياب الخنازير البرية. لكن ميكيتا كان أصلعًا وملتحيًا، بينما هذان لم يكن لديهما لحى. كانت وجوههما الشبيهة بوجوه القردة مغطاة بشعيرات خشنة، وقمم رؤوسهما البيضوية كانت تزينها خصلات فوضوية تشبه ألياف الكتان الخام. كانت عيناهما صغيرتين محتقنتين بالدم، وآذانهما كبيرة، مدببة، ومكسوة بشعر كثيف مخيف.

كانت ملابسهما ملطخة ببقع الدم، وكانت أنفاسهما تفوح برائحة كريهة كما لو أنهما لم يتناولا شيئًا سوى الثوم، والقاذورات، والأسماك الميتة لعدة أيام.

"بووووه! بووه-هيه-هيه-هيه!"

"بو، بانغ، يكفي الضحك، ابدآ العمل، كلاكما. واخرج، باستور. لكن ابقَ قريبًا."

غادر العملاقان، تصفع أقدامهما الكبيرة الأرض بصوت عالٍ. أما الأحدب الذي نادوه بـ"باستور"، فقد سارع للحاق بهما.

ظهر سوريل ديغيرلوند في مجال رؤية الويتشر. كان نظيفًا، وشعره ممشطًا، ويرتدي ملابس جديدة، بمظهر أنثوي بغيض. دفع كرسيًا قريبًا، وجلس، بينما كان خلفه طاولة مكدسة بالمجلدات الضخمة والكتب السحرية. نظر إلى الويتشر بابتسامة خبيثة، بينما كان يلهو بسلسلة ذهبية تتدلى منها ميدالية، يلفها حول إصبعه بتأنٍّ.

"لقد عالجتك بمستخلص سم العقرب الأبيض"، قال بنبرة هادئة متجردة من العاطفة. "مزعج، أليس كذلك؟ لا تستطيع تحريك يدك أو رجلك، ولا حتى إصبعًا؟ لا تستطيع حتى أن ترمش أو تبتلع؟ لكن هذا لا شيء بعد. قريبًا ستبدأ عيناك بالتحرك بلا سيطرة، وسيضطرب بصرك. ثم ستشعر بتقلصات، تقلصات قوية جدًا، ربما تمزق عضلاتك الوربية. ولن تستطيع منع أسنانك من الصرير، من المؤكد أنك ستكسر بعضها. ثم ستبدأ في إفراز اللعاب بشكل مفرط، وأخيرًا ستواجه صعوبة في التنفس. إذا لم أعطك الترياق، ستختنق حتى الموت. لكن لا تقلق، سأعطيك إياه. ستعيش، في الوقت الحالي على الأقل. لكنني أعتقد أنك قريبًا ستندم على أنك نجوت. سأشرح لك ما يحدث. لدينا الوقت. ولكن أولًا، أود أن أراقبك وأنت تزرقّ من الاختناق."

"كنت أراقبك في اليوم الأخير من يونيو، أثناء المقابلة الرسمية"، واصل حديثه بعد لحظة قصيرة. "لقد تجرأت على استعراض غطرستك أمامنا. أمامنا نحن، من يفوقونك مائة مرة في المكانة والقوة، أمام أشخاص لا يمكنك مجاراتهم أبدًا. رأيت أنك كنت تستمتع باللعب بالنار، كنت تتلذذ بالخطر. عندها قررت أن أثبت لك أن اللعب بالنار سيحرقك، وأن التدخل في شؤون السحر والسحرة له عواقب مؤلمة بنفس القدر. ستكتشف ذلك بنفسك قريبًا."

حاول غيرالت أن يتحرك، لكنه لم يستطع. كانت أطرافه وجسده بأكمله مشلولين وفاقدي الإحساس. شعر بوخز مزعج في أصابعه وأطراف قدميه، كما أن وجهه كان مخدرًا بالكامل، وشفتيه بدتا وكأنهما متصلبتان تمامًا. كان بصره يتدهور، عيناه تغطيهما ضبابية ثقيلة، ومادة مخاطية كثيفة كانت تلصقهما ببعضهما.

تقاطع ديغيرلوند ساقيه وأخذ يتأرجح بالميدالية بين أصابعه. كان عليها رمز، شعار مطلي بالمينا الزرقاء. لم يتعرف غيرالت عليه، ولم يكن يستطيع حتى إن أراد، فقد كان بصره يزداد سوءًا بسرعة. لم يكن الساحر يكذب، اضطراب الرؤية كان يشتد لحظة بعد لحظة.

"المسألة هي، كما ترى، أنني أطمح للارتقاء في تسلسل السلطة بين السحرة"، واصل ديغيرلوند حديثه بنبرة مسترخية وكأن الأمر مجرد محادثة عادية. "في طموحاتي ومخططاتي، أضع كامل ثقتي في أورتولان، الذي تعرفت عليه خلال زيارتك إلى ريسبيرغ، أثناء تلك المقابلة التي لا تُنسى."

كان غيرالت يشعر بأن لسانه بدأ يتضخم، كما لو أنه يملأ فمه بالكامل. كان خائفًا من أن الأمر لم يكن مجرد إحساس، بل حقيقة. كان سم العقرب الأبيض قاتلًا. لم يسبق له أن تعرض له من قبل، ولم يكن يعرف كيف يمكن لجسده، المعدل بفنون الويتشر، أن يتفاعل معه. كان قلقًا بشدة، يقاتل بكل قوته ضد السم الذي كان ينهش جسده ببطء. الوضع كان يبدو قاتمًا. لم يكن هناك أي أمل في الحصول على مساعدة من أي جهة.

منذ بضع سنوات"، قال سوريل ديغيرلوند، مستمتعًا بسماع صوته الخاص، "أصبحت مساعدًا لأورتولان. لقد عينتني الهيئة العليا لهذا المنصب، ووافق فريق البحث في ريسبيرغ على القرار. كنت، مثل أسلافي، مكلفًا بمراقبة أورتولان وإحباط أفكاره الأكثر خطورة. لم أحصل على هذا التعيين لمجرد موهبتي السحرية، بل أيضًا لمظهري الجذاب وسحري الشخصي. فالهيئة كانت دائمًا تزود الرجل العجوز بالمساعدين من النوع الذي يفضله".

"قد لا تعلم هذا، ولكن في زمن شباب أورتولان، كانت كراهية النساء شائعة بين السحرة، وكان هناك انتشار لظاهرة الصداقات الذكورية التي غالبًا ما كانت تتطور إلى شيء أكثر من مجرد صداقة وأحيانًا إلى شيء أكبر بكثير. وهكذا كان الحال؛ لم يكن أمام التلميذ الشاب أو المتدرب خيار، كان عليه طاعة كبار السن في هذا الأمر كما في غيره. بعضهم لم يكن يستسيغ ذلك، لكنه كان مضطرًا للقبول به. بينما البعض الآخر وجد فيه متعة واكتسب ميلاً نحوه. وكما قد تكون خمنت، كان أورتولان من الفئة الأخيرة. الصبي الذي كان لقبه المستوحى من الطيور مناسبًا له في ذلك الوقت، أصبح، بعد تجاربه مع معلمه، من أشد المتحمسين والداعمين لما يسميه الشعراء بالصداقة النبيلة بين الرجال والمحبة. لكن في النثر، كما تعلم، يمكن وصف الأمر بعبارات أكثر مباشرة ووضوحًا".

احتكّ قط أسود كبير، ذو ذيل منتفخ مثل الفرشاة، بساق الساحر وهو يخرخر بصوت عالٍ. انحنى ديغيرلوند، ومرر يده على فرو القط، ثم أخذ يتأرجح بالميدالية أمامه. ضرب القط الميدالية بمخلبه بلا مبالاة، ثم استدار مشيرًا إلى أن اللعبة لم تعد تثير اهتمامه، وانشغل بلعق فرو صدره.

"كما لا بد أنك لاحظت"، واصل الساحر حديثه، "أتمتع بمظهر استثنائي، وقد أطلقت علي بعض النساء لقب الفتى الإغريقي. أنا مغرم بالنساء، بالفعل، ولكن من حيث المبدأ لم أكن، ولا أزال، أجد أي مشكلة في المثلية الجنسية. بشرط واحد: إن كان لها أن تكون، فعليها أن تساعدني في التقدم في مسيرتي المهنية".

"لم تكن علاقتي الجسدية مع أورتولان تتطلب تضحيات كبيرة. فقد كان الرجل العجوز قد تجاوز منذ زمن طويل حدود الرغبة والقدرة. لكنني بذلت كل ما في وسعي لجعل الآخرين يظنون العكس، ليعتقدوا أنه قد وقع في غرامي تمامًا. ليصدقوا أنه لا يمكنه أن يرفض لي شيئًا، وأنني على دراية بكل رموزه، وأتمتع بإمكانية الوصول إلى كتبه السرية وملاحظاته. وأنه كان يمنحني القطع الأثرية والتعويذات التي لم يُطلع أحدًا عليها من قبل. وأنه كان يعلمني التعويذات المحظورة. بما في ذلك الغويتيا".

"وبينما كان عظماء ريسبيرغ ينظرون إلي بازدراء في السابق، بدأوا الآن فجأة في احترامي. لقد كبرت في أعينهم. لقد ظنوا أنني أفعل ما كانوا يحلمون به، وأنني أحقق النجاح".

"هل تعرف ما هو 'ما بعد الإنسانية'؟ ما نوع هذا التخصص؟ هل سمعت عن 'التنوع الإشعاعي'؟ أو 'الإدخال الجيني'؟ لا؟ لا بأس، لست وحدك. أنا نفسي لا أفهم كل شيء بشكل كامل. ولكن الجميع يظنون أنني أعرف الكثير. يعتقدون أنني، تحت إشراف وحماية أورتولان، أجري أبحاثًا لتحسين الجنس البشري. بهدف سامٍ يتمثل في تطويره والارتقاء به. للقضاء على الأمراض والإعاقات، والتغلب على الشيخوخة ...إلخ لأن هذا، في النهاية، هو هدف السحر ومهمته. أن نسير على خطى الأساتذة العظماء: مالاسبينا، وألزور، وإيداران. رواد التهجين والطفرات والتعديل الوراثي".

أعلن القط الأسود عن وصوله بصوت مواء، ثم قفز إلى حجر الساحر، تمدد، وأصدر خرخرة طويلة. بدأ ديغيرلوند يمرر يده على فروه بإيقاع ثابت. زادت خرخرة القط علواً، كاشفًا عن مخالب ذات حجم مخيف أشبه بمخالب النمور.

"لا بد أنك تدرك ما هي الهَجْنَة، فهي كلمة أخرى لعملية التهجين. إنها عملية الحصول على سلالات هجينة، أو نُطَف مُخْتلطة، أو نُسَخ مُشوَّهة كلها تعني الشيء نفسه. إنهم يُجرون تجارب مكثفة في ريسبيرغ، وقد أنتجوا عددًا لا يُحصى من الكائنات الغريبة، والوحوش، والنتائج العَرَضية. بعضها له تطبيقات عملية واسعة، مثل، على سبيل المثال، الزوغلات الطفيلية التي تستهلك النفايات البلدية، ونقار الخشب المحور وراثيًا الذي يقضي على الطفيليات الشجرية، وسمك الجامبوزيا المعدل الذي يتغذى على يرقات بعوض الملاريا. أو الديناصورات الحارسة، تلك السحالي القاتلة التي كنت تتفاخر بقتلها أثناء جلسة الاستقبال. لكنهم يعتبرون هذه الكائنات مجرد أشياء تافهة، مجرد منتجات جانبية."

"ما يثير اهتمامهم حقًا هو تهجين البشر والمخلوقات شبه البشرية وإجراء الطفرات عليها. هذا الأمر محظور تمامًا، لكن ريسبيرغ لا تلقي بالًا إلى أي محظورات. أما مجلس السحرة، فهو يتغاضى عن ذلك، أو، وهو الأكثر احتمالًا، يغط في سباتٍ من الجهل السعيد البليد."

"لقد أثبتت الدراسات أن مالاسبينا، وألزور، وإيداران أخذوا مخلوقات صغيرة وعادية إلى مختبراتهم ليُنتجوا منها كائنات عملاقة، مثل تلك المئويات، والعناكب، والمخلوقات الشيطانية التي لا يعلمها إلا الرب. وبالتالي، ما الذي يمنعهم من أخذ إنسان عادي وتحويله إلى عملاق؟ إلى كائنٍ أقوى، قادرٍ على العمل عشرين ساعة يوميًا، لا يتأثر بالأمراض، ويعيش بكامل صحته حتى يبلغ المئة؟ من المعروف أنهم أرادوا تحقيق ذلك. ويُشاع أنهم نجحوا. لكنهم أخذوا أسرار تجاربهم إلى قبورهم. حتى أورتولان، الذي كرس حياته لدراسة أعمالهم، لم يحقق سوى القليل."

"أما بيو وبانغ، اللذان جَرَاك إلى هنا، هل راقبتَهما جيدًا؟ إنهما هجائن، مزيج سحري بين الغيلان وأُوغْرَات الجبال. أما القنَّاص باستور؟ لا، في الحقيقة، هو مجرد كائن بشري طبيعي، نتيجة مباشرة — إن صح القول — للقاء صدفة بين امرأة بشعة ورجل قبيح. لكن بيو وبانغ؟ ها! إنهما خرجا مباشرة من أنابيب اختبار أورتولان!"

"قد تتساءل: لماذا قد يرغب أي شخص في خلق كائنات بشعة كهذه؟ ما الفائدة من صنع شيء كهذا؟ ها! لم أكن أعرف الجواب بنفسي حتى وقت قريب. حتى رأيت بنفسي كيف مزقوا الحطابيين وعمال الفحم إربًا. بيو قادر على انتزاع رأس شخص من جسده بلمحة عين، بينما يستطيع بانغ أن يمزق طفلًا إلى نصفين كما لو كان دجاجة مشوية. وإذا أعطيتهما بعض الأدوات الحادة، ها! يمكنك أن تتخيل المذبحة الرهيبة التي قد تحدث."

"وحين تسأل أورتولان، سيقول لك إن التهجين هدفه القضاء على الأمراض الوراثية، وسيبدأ في الثرثرة عن تعزيز المناعة ضد الأمراض المُعدية، أو أي هراء آخر من كلام العجائز. لكنني أعرف الحقيقة! وأنت

تعرفها أيضًا. كائنات مثل بيو وبانغ، والوحش الذي مزقت منه صفيحة إيداران، ليست صالحة إلا لشيءٍ واحد: القتل. وهذا شيء جيد، لأنني كنت بحاجة إلى أدوات قتل. لم أكن واثقًا تمامًا من مهاراتي وقدراتي في هذا المجال. وهذا، كما تبين لاحقًا، لم يكن عادلًا."

"لكن سحرة ريسبيرغ لا يزالون مستمرين في التهجين، وإجراء الطفرات، والتعديل الوراثي، منذ طلوع الفجر حتى مغيب الشمس. وقد حققوا العديد من النجاحات، وابتكروا عددًا من الكائنات الهجينة يفوق التصور. إنهم يظنون أن جميعها مفيدة، وأنها صُممت لجعل حياة البشر أسهل وأكثر راحة. في الواقع، إنهم على بُعد خطوة واحدة من ابتكار امرأة ذات ظهر مستوٍ تمامًا، بحيث يمكنك مضاجعتها من الخلف، وفي الوقت ذاته وضع كأس من الشمبانيا على ظهرها ولعب الورق."

"ولكن لنعد إلى صُلب الموضوع، أي إلى مسيرتي العلمية. لم يكن لدي أي إنجازات ملموسة لأتفاخر بها، فكان عليَّ أن أبتكر إنجازات وهمية. وكان ذلك سهلًا."

"هل تعلم أن هناك عوالم أخرى غير عالمنا، أغلقت مفترق الكرات إمكانية الوصول إليها؟ أكوان تُعرف بالخطوط العُنصرية وما وراء العُنصرية، تعج بمخلوقات تُدعى الشياطين؟ إنجازات ألزور وزملائه بُرِّرت بالقول إنهم تمكنوا من الوصول إلى تلك العوالم والسيطرة على تلك الكائنات. وإنهم انتزعوا منها الأسرار والمعرفة وسخروها لأنفسهم. أظن أن هذا هراء محض وافتراء، لكن الجميع يصدقونه. وماذا يمكن للمرء أن يفعل عندما يكون الإيمان قويًا لهذه الدرجة؟"

"ولكي أجعل سحرة ريسبيرغ يعتقدون أنني قريب من كشف أسرار الأساتذة القدامى، كان عليّ أن أقنعهم بأنني أعرف كيفية استدعاء الشياطين. أما أورتولان، الذي نجح في ممارسة الغويتيا ذات مرة، فقد رفض تعليمي هذه الفنون. كانت نظرته إلى قدراتي السحرية مهينة للغاية، وأراد أن يُبقيني في مكاني، لأتذكر حجمي وحدودي. حسنًا، من أجل تقدمي في مسيرتي، سأتذكر ذلك. وسيرون قريبًا!"

قفزت القطة السوداء من على حجر الساحر بعدما ملت من المداعبة. ألقى عليها نظرة باردة بعينيه الذهبيتين المتسعتين، ثم توجهت مبتعدة، ترفع ذيلها عاليًا.

كان جيرالت يجد صعوبة متزايدة في التنفس، وشعر بارتعاشات حادة تسري عبر جسده، لم يكن قادرًا على التحكم فيها على الإطلاق. كانت حالته تبدو سيئة، ولم يكن هناك ما يبشر بالخير سوى أمرين اثنين، يمنحانه بصيصًا من الأمل. أولًا، أنه لا يزال حيًا، وكما اعتاد معلمه في كاير مورهن، فيسيمير، أن يقول: "ما دامت الحياة قائمة، فهناك دائمًا أمل."

"الظرف الثاني الذي كان يبشر بالخير هو تضخم غرور ديغيرلوند وغطرسته. كان من الواضح أن الساحر قد وقع في حب صوته منذ شبابه، وكان هذا الحب هو أعظم شغف في حياته.

'لم أتمكن من أن أصبح ممارسًا للغويتيا،' تابع الساحر، وهو يعبث بالميدالية ويغرق في نشوة كلماته، 'لذا كان عليَّ أن أتظاهر بذلك. أتظاهر فحسب. فمن المعروف أن الشيطان الذي يستدعيه ممارس الغويتيا يخرج في كثير من الأحيان عن السيطرة ويعيث فسادًا. لذا، فعلت ذلك. مرارًا وتكرارًا. ذبحت العديد من المستوطنات. وجعلتهم يصدقون أن الأمر كان بفعل شيطان.

'ستُدهَش من مدى سذاجتهم. ذات مرة، قطعت رأس فلاح كنت قد أمسكت به، ثم خِطتُ رأس ماعز كبير على عنقه باستخدام خيوط جراحية قابلة للتحلل، وأخفيت موضع الغرز بالجص والطلاء. ثم عرضته على زملائي العلماء على أنه متحول، نتاج تجربة شديدة التعقيد في مجال خلق بشر ذوي رؤوس حيوانية. تجربة لم تكلل بالنجاح الكامل، لأن الكائن الناتج لم ينجُ. لكنهم صدقوني، تخيل ذلك. وارتقيتُ أكثر في نظرهم. لا يزالون ينتظرون مني أن أخلق كائنًا يبقى على قيد الحياة. وأنا أؤكد لهم إمكانية ذلك، من خلال خياطة رأس جديدة على جثة مقطوعة الرأس بين الفينة والأخرى.

'لكن هذا كان استطرادًا. أين كنت؟ آه، نعم، المستوطنات التي أُبيدت. كما توقعت، اعتبر أساتذة ريسبيرغ أن ما حدث كان بفعل شياطين أو أشخاص ملبوسين بهم. لكنني ارتكبت خطأً، بالغتُ أكثر من اللازم. لم يكن أحد ليهتم بمذبحة مستوطنة واحدة من الحطابين، لكننا قتلنا عدة مستوطنات. كان بيو وبانغ هما من قام بمعظم العمل، لكنني شاركتُ أيضًا قدر استطاعتي.

'في المستوطنة الأولى، يو تريز أو ما شابه، لم أُظهر أداءً متميزًا. عندما رأيتُ ما يفعله بيو وبانغ، تقيأتُ، ملأتُ عباءتي بالقيء. لم تعد تصلح إلا للرمي. عباءة من أفضل أنواع الصوف، مزينة بفرو المنك الفضي، كلفتني قرابة مئة كراون. لكنني تحسنتُ مع الوقت. أولًا، ارتديتُ ملابس مناسبة، مثل العمال. ثانيًا، بدأتُ أستمتع بتلك الحملات. اكتشفتُ أنه يمكن للمرء أن يشعر بمتعة عظيمة عند قطع ساق شخص ما ومراقبة الدم وهو يتدفق من الجرح. أو عندما يقتلع عينًا من محجرها. أو عندما يسحب حفنة من الأحشاء المتبخرة من بطن ممزقة ... سأختصر الحديث. مع حصيلة اليوم، يصل العدد إلى قرابة السبعين شخصًا، من كلا الجنسين، ومن مختلف الأعمار."

"قررت ريسبيرغ أنه لا بد من إيقافي. ولكن كيف؟ كانوا لا يزالون يؤمنون بقوتي كممارس للغويتيا ويخشون شياطيني. كما كانوا يخشون إغضاب أورتولان، الذي كان مغرمًا بي. لقد كنتَ أنت الحل. أنت، الويتشر."

كان جيرالت يتنفس ببطء، لكن تفاؤله كان يزداد. فقد تحسنت رؤيته بشكل ملحوظ، وبدأت القشعريرة تهدأ. كان محصنًا ضد معظم السموم المعروفة، ولم يكن سم العقرب الأبيض، الذي يكون قاتلًا للإنسان العادي، استثناءً. كما تبيَّن لحسن الحظ، كانت الأعراض، التي بدت في البداية خطيرة، تضعف وتتلاشى مع مرور الوقت، وكان من الواضح أن جسده قادر على تحييد السم بسرعة مذهلة.

لكن ديغيرلوند لم يكن يعرف ذلك، أو أنه، بسبب غروره، كان يستخف به.

"اكتشفتُ أنهم يخططون لإرسالك من أجل القضاء عليّ. لا أنكر أنني شعرت ببعض الخوف، فقد سمعت أشياءً هنا وهناك عن الويتشر، وعنك بشكل خاص. ركضتُ مسرعًا إلى أورتولان، أبكي وأصرخ: أنقذني، يا معلمي الحبيب! معلمي الحبيب وبَّخني أولًا، وتمتم بشيء عن أن قتل الحطابين تصرف شرير جدًا، وأنه ليس تصرفًا لائقًا، وأنها ستكون المرة الأخيرة. لكنه بعد ذلك أرشدني إلى كيفية خداعك واستدراجك إلى الفخ. وكيف أتمكن من أسرك باستخدام ختم الانتقال الذي وُشِم على صدري الرجولي منذ سنوات. لكنه منعني، مع ذلك، من قتلك. لا تظن أن ذلك بدافع الطيبة. إنه يحتاج إلى عينيك.

تحديدًا: إلى الطبقة العاكسة داخل مقلة عينك، الطبقة النسيجية التي تبطن الجزء الداخلي من مقلة العين، والتي تعكس الضوء وتعززه قبل أن يصل إلى الخلايا المستقبلة للضوء، مما يمنحك القدرة على الرؤية في الليل وفي الظلام مثل القطط. أحدث هوس لأورتولان هو تزويد البشرية جمعاء بهذه القدرة، وكجزء من الاستعدادات لتحقيق هذا الهدف السامي، يعتزم زراعة هذه الطبقة العاكسة في مخلوق آخر يقوم بتعديله، ولتحقيق ذلك، يجب أن تؤخذ الأنسجة من متبرع حي."

جيرالت حرّك أصابعه ويده بحذر.

"أورتولان، الساحر الأخلاقي الرحيم، ينوي — في لطفه اللامحدود — الإبقاء على حياتك بعد أن ينزع عينيك. فهو يرى أن العمى أفضل من الموت، وعلاوة على ذلك، يتردد عند التفكير في التسبب في ألم لعشيقتك، ينّفر من فينغيربرج، التي يكنّ لها مودة عظيمة بل وغريبة في حالته. إلى جانب ذلك، هو الآن على وشك إكمال صيغة سحرية للتجديد. بعد عدة سنوات، يمكنك أن تعود إليه، وسيرد إليك بصرك. هل أنت سعيد؟ لا؟ وبحقك، لا ينبغي لك. ماذا؟ هل تريد قول شيء؟ تفضل، تكلم."

تظاهر جيرالت بأنه يواجه صعوبة في تحريك شفتيه. في الواقع، لم يكن عليه التظاهر على الإطلاق. ديغيرلوند نهض من كرسيه واقترب منه.

"لا أفهم شيئًا." تجهم وجهه. "على أي حال، لا يهمني ما لديك لتقوله. بينما أنا، في الواقع، لا زلت أملك شيئًا لأعلنه لك. فلتعلم أن الاستبصار هو أحد مواهبي العديدة.

يمكنني أن أرى بوضوح تام أنه عندما يمنحك أورتولان حريتك مجددًا وأنت أعمى، سيكون بيو وبانغ في انتظارك. وستنتهي في مختبري، ولكن هذه المرة نهائيًا.

سأقوم بتشريحك الحيّ. أساسًا من أجل المتعة، رغم أنني أشعر ببعض الفضول لمعرفة ما بداخلك. ولكن عندما أنتهي، سأقوم — بلغة المسالخ — بتقطيعك إلى أجزاء. وسأرسل بقاياك، قطعة قطعة، إلى ريسبرغ، كتحذير لما يحدث لأعدائي. دعهم يرون."

جيرالت جمع كل قوته. لم يكن لديه منها الكثير.

"أما بخصوص ينِّفر... " اقترب الساحر أكثر، حتى استطاع الويتشر أن يشم أنفاسه المعطرة بالنعناع " ...على عكس أورتولان، فإن فكرة التسبب في معاناتها تسرني بشكل لا يوصف. لذا، سأقطع الجزء الذي كانت تقدّره فيك أكثر؛ وسأرسله إليها في فينغيربر ..."

جيرالت شكّل بيديه علامة سحرية ولمس وجه الساحر.

سوريل ديغيرلوند شهق وسقط مترهلًا على الكرسي. خرجت منه شخرة. غارت عيناه في جمجمته، وانحنى رأسه على كتفه. سقطت سلسلة الميدالية من بين أصابعه المرتخية.

جيرالت قفز على قدميه...أو بالأحرى حاول ذلك. الشيء الوحيد الذي تمكن من فعله هو السقوط من الكرسي إلى الأرض، ورأسه مباشرة أمام حذاء ديغيرلوند. كانت ميدالية الساحر أمام أنفه. عليها دولفين أزرق من المينا يسبح على بيضاوي ذهبي. شعار كيراك. لم يكن لديه وقت ليُفاجأ أو حتى ليفكر في الأمر. بدأ ديغيرلوند يلهث بصوت عالٍ، وكان من الواضح أنه على وشك الاستيقاظ. كانت علامة السومن[9] فعالة، لكنها كانت ضعيفة وسريعة الزوال..كان الويتشر منهكًا جدًا بسبب تأثير السم.

نهض ممسكًا بالطاولة، مما أدى إلى إسقاط الكتب والمخطوطات عنها. اقتحم باستور الغرفة. لم يحاول جيرالت حتى استخدام علامة سحرية. أمسك بكتاب سحري مغلف بالجلد والنحاس من الطاولة وضرب الحَدب في حلقه به. جلس باستور بعنف على الأرض، مسقطًا القوس القوي. ضربه الويتشر مرة أخرى. وكان على وشك تكرار الضربة، لكن الكتاب انزلق من أصابعه المخدرة. التقط إبريقًا كان يقف

[9] علامة سحرية يستخدمها السحرة، وهي من أقل أنواع سحر العقل استخدامًا. تُستخدم لتنويم الهدف، وقد تتركه أيضًا عرضة لنوع من الإيحاءات، حسب شدة استخدامها.

بين الكتب وحطّمه على جبين باستور. ورغم أن الحَدب كان مغطى بالدم والنبيذ الأحمر، إلا أنه لم يستسلم.

"بووووي!" صرخ، ممسكًا بجيرالت من ركبتيه. "باااانغ! تعالوا إليّ! تعا..."

أمسك جيرالت كتابًا آخر من الطاولة. كان ثقيلًا، وكان غلافه مزينًا بشظايا من جمجمة بشرية. ضرب الحَدب به، مما أدى إلى تطاير شظايا العظام في جميع الاتجاهات.

ديغيرلوند شهق، محاولًا رفع يده. أدرك جيرالت أنه يحاول إلقاء تعويذة. كان دوي الأقدام الثقيلة المتزايد يشير إلى اقتراب بيو وبانغ. كان باستور ينهض من الأرض، يفتش بفوضى بحثًا عن القوس القوي.

رأى جيرالت سيفه على الطاولة، فالتقطه. ترنح، كاد أن يسقط مرة أخرى. أمسك ديغيرلوند من ياقته وضغط النصل على حنجرته.

"الرمز السحري الخاص بك!" صرخ جيرالت في أذنه. "انقلنا بعيدًا من هنا!"

بيو وبانغ، المسلحان بالسيوف المعقوفة، اصطدما ببعضهما عند المدخل وانحشرا فيه، عالقين تمامًا. لم يخطر لأي منهما أن يفسح الطريق للآخر. تأوه إطار الباب تحت ضغطهما.

"انقلنا حالًا!" أمسك جيرالت ديغيرلوند من شعره، جاذبًا رأسه إلى الخلف. "الآن! وإلا شققت حلقك."

تدافع بيو وبانغ بقوة، محطمين الإطار وساقطين في الغرفة بفوضى مدمرة. في تلك اللحظة، وجد باستور القوس القوي ورفعه مصوبًا.

فتح ديغيرلوند قميصه بيد مرتجفة، وصرخ بتعويذة، لكن قبل أن تبتلعهم الظلمة، أفلت نفسه من قبضة الويتشر ودفعه بعيدًا. حاول جيرالت أن يمسك به، قابضًا على كُمّه المزخرف، لكنه لم يتمكن من ذلك. في اللحظة التي تفعّل فيها البوابة، تلاشى إدراكه للحواس، بما في ذلك اللمس. شعر بقوة عنصرية تمتصه، تجذبه، وتدور به كما لو كان عالقًا في دوامة. البرد اخترق عظامه، مخدرًا إياه. لجزء من الثانية. واحدة من أطول وأبشع الثواني التي عاشها.

سقط على الأرض بقوة. على ظهره.

فتح عينيه. كان الظلام الحالك يحيط به، عتمة غير قابلة للاختراق. "لقد فقدت بصري"، فكر في نفسه. "هل فقدت قدرتي على الرؤية؟"

لم يكن الأمر كذلك. لقد كانت مجرد ليلة مظلمة للغاية. كانت طبقته العاكسة للضوء، التي أسماها ديغيرلوند بتعالٍ "التابتوم لوسيدوم"، قد بدأت في العمل، مجمعةً كل الضوء المتاح في تلك الظروف. بعد لحظات، تبيّن محيطه: جذوع الأشجار، بعض الشجيرات، أو نباتات تحتية.

وفوق رأسه، حينما انقشعت الغيوم للحظات، رأى النجوم.

فاصل

اليوم التالي

كان لا بد من الإقرار بذلك: بناة فينديتيان كانوا يعرفون مهنتهم ولم يكونوا كسالى. على الرغم من مشاهدته لهم عدة مرات أثناء العمل، وقف شيفلوف يراقبهم بذهول وهم يعيدون تجميع آلة الدق.

كانت ثلاث أخشاب متصلة تُشكل حاملًا ثلاثي الأرجل، وعلّق عند قمته بكرة. تم رمي حبل فوق البكرة، وربطت به كتلة معدنية ثقيلة ذات حواف حادة يُطلق عليها اسم "الكبّاش" في لغة البنّائين. وبإيقاع متزامن، كان العمال يسحبون الحبل، رافعين الكبّاش إلى أعلى الحامل، ثم يطلقونه بسرعة.

كان الكبّاش يهوي بقوة على عمود مثبت في حفرة، دافعًا إياه عميقًا في الأرض.

كان الأمر يحتاج إلى ثلاث، وربما أربع ضربات فقط حتى يصبح العمود ثابتًا في مكانه. بسرعة، فكّ العمال الحامل وحمّلوا أجزائه على عربة، بينما كان أحدهم يصعد سلمًا ليُثبت لوحة مطلية بالمينا تحمل شعار ريدانياً — نسرًا فضيًا على خلفية حمراء — على العمود.

بفضل شيفلوف وسريته الحرة — وأيضًا بفضل آلة الدقّ وعملها — ازداد حجم مقاطعة ريفرسايد، التابعة لمملكة ريدانيا، في ذلك اليوم. وبشكل ملحوظ.

تقدم المشرف، وهو يمسح جبينه بقبعته. كان متعرقًا رغم أنه لم يقم بأي عمل، ما لم تُحسب الشتائم المتكررة التي أطلقها. كان شيفلوف يعرف ما سيسأله المشرف، لأنه كان يكرر السؤال في كل مرة.

"أين نضع العمود التالي، أيها القائد؟"

"سأريك." شَدَّ شيفلوف لجام حصانه واستدار. "اتبعني."

لوّح السائقون بسياطهم، وتحركت عربات البنّائين ببطء عبر التلال، فوق الأرض التي لا تزال رطبة قليلًا بعد العاصفة الأخيرة. لم يمر وقت طويل حتى وصلوا إلى الموقع التالي، حيث كان يقف عمود يحمل لوحة سوداء مزينة بالزنابق. كان العمود مرميًا على الأرض بعد أن دُحرج إلى داخل الأدغال؛ حيث تكفلت وحدة شيفلوف بذلك مسبقًا.

هكذا ينتصر التقدم، فكر شيفلوف. هكذا ينتصر الابتكار التقني. الأعمدة التيميرية، التي غُرست يدويًا، يمكن اقتلاعها ورميها بسهولة. أما العمود الريداني، المدقوق بآلة الدقّ، فلن يكون من السهل انتزاعه من الأرض.

لوّح بيده مشيرًا إلى البنّائين باتجاه الجنوب، على بعد بضعة فراسخ، خلف القرية.

كان سكان القرية — إذا جاز تسمية مجموعة من الأكواخ والبيوت الخشبية بالقرية — قد تم دفعهم بالفعل إلى الساحة الخضراء من قِبل فرسان شيفلوف، وكانوا يتراكضون مذعورين، يثيرون الغبار بينما تدفعهم الخيول إلى الخلف. لم يكن إيسكايراك، المتهور دومًا، يبخل عليهم بالسوط، بينما راح آخرون يحثّون خيولهم حول المنازل. تعالت نباح الكلاب، ونحيب النساء، وصراخ الأطفال.

اقترب ثلاثة فرسان من شيفلوف. يان مالكين، النحيل كعود الحطب، الملقب بـ "بوكر". بروسبيرو باستي، المعروف أكثر باسم "سبيري". وإيلاخ مور-دو، الملقب بـ "فريغا"، ممتطيًا فرسه الرمادية.

"تم حشدهم جميعًا كما أمرت،" قال فريغا وهو يدفع قبعته الفرو المصنوعة من جلد الوشق إلى الخلف. "القرية بأكملها."

"أسكتوهم."

تم تهدئة الحشد، ليس دون مساعدة السياط والهراوات. اقترب شيفلوف منهم.

"ما اسم هذا المكان البائس؟"

"وودند."

"وودند مرة أخرى؟ يبدو أن هؤلاء الفلاحين لا يملكون ذرة من الخيال." التفت إلى سبيري وقال: "قد البنّائين، أرهم أين يجب أن يدقوا العمود، لأنهم سيخطئون المكان مجددًا."

صفر سبيري واستدار بحصانه. تقدم شيفلوف نحو القرويين المتجمعين، فيما أحاط به فريغا وبوكر من الجانبين.

"يا سكان وودند!" وقف شيفلوف في ركاب حصانه صارخاً بصوته جهوري. "اسمعوا ما أقول! بإرادة وأمر جلالة ملككم المعظم، الملك فيزيمير، أبلغكم أن هذه الأرض الممتدة إلى حدود الأعمدة هي ملك

لمملكة ريدانياً، وأن جلالة الملك فيزيمير هو سيدكم وملككم! أنتم مدينون له بالطاعة، والاحترام، والضرائب. كما أنكم متأخرون في دفع مستحقاتكم!"

أشار إلى الصندوق الموضوع أمامه.

"بأمر من الملك، عليكم تسديد ديونكم فورًا في صندوق الجباية هذا."

"ماذا؟ كيف ذلك؟" صرخ رجل من بين الحشد. "ماذا تعني ادفعوا؟ لقد دفعنا بالفعل!"

"لقد نهبتمونا بالضرائب!"

"الجباة التيميريون هم من أخذوا أموالكم. وبشكل غير قانوني، لأن هذه الأرض لم تعد تيميرية، بل ريدانية. انظروا إلى الأعمدة، وتأملوا جيدًا أين تقفون."

"لكن البارحة فقط كانت لا تزال تيميريا!" عوى أحد المستوطنين، "كيف يمكن ذلك؟ لقد دفعنا كما أمرونا..."

"ليس لكم الحق!"

"من؟" زأر شيفلوف، "من قال ذلك؟ هذا حقي! لدي مرسوم ملكي! نحن قوات ملكية! قلت إن من يريد البقاء في مزرعته عليه أن يدفع الضرائب حتى آخر بنس! ومن يعترض سيُنفى! دفعتم لتيميريا؟ إذن أنتم تعتبرون أنفسكم تيميريين! إذن اغربوا، تجاوزوا الحدود! لكن فقط بما تستطيعون حمله، لأن مزارعكم وماشيتكم أصبحت ملكًا لريدانيا!"

"إنها سرقة! هذه سرقة ونهب!" صرخ فلاح ضخم ذو شعر كثيف، متقدمًا إلى الأمام. "وأنت لست رجل الملك بل قاطع طريق! ليس لك أي حـ ..."

انقضّ إسكيراك وهو ممتطٍ جواده، وضرب المتحدث بالسوّط. سقط الرجل أرضًا. أما البقية فقد تم إخضاعهم بالهراوات. لقد كانت كتيبة شيفلوف تعرف جيدًا كيف تتعامل مع الفلاحين. كانوا يحركون الحدود منذ أسبوع، وقد قمعوا الكثير من المستوطنات.

"شخص ما يقترب بسرعة." أشار فريغا بسوطه. "أهو فيش؟"

"ومن غيره؟" شيفلوف ضيق عينيه ليحميها من الشمس. "أخرجوا ذلك المسخ من العربة وسلّموه. وأنت، خذ بعض الرجال واذهب إلى المستوطنين المتناثرين في الغابات والمناشر. عليهم أن يعرفوا لمن يدفعون الضرائب الآن. وإذا أبدى أحدهم مقاومة، فأنتم تعلمون ما عليكم فعله."

ابتسم فريغا بخبث، كاشفًا عن أسنانه. شعر شيفلوف بالشفقة على المستوطنين الذين سيزورهم، رغم أن مصيرهم لم يكن يهمه كثيرًا.

نظر إلى الشمس. "علينا الإسراع"، فكر. "من الأفضل أن نطيح ببعض الأعمدة التيميرية قبل الظهيرة. وندق مكانها أعمدتنا."

"أنت، بوكر، اتبعني. لنذهب لاستقبال ضيوفنا."

كان هناك ضيفان. أحدهما كان يرتدي قبعة من القش، ذو عظام وجنتين بارزة وذقن ناتئ، ووجهه بأكمله كان مغطى بلحية غير محلوقة منذ أيام. أما الثاني فكان ضخم الجثة، عملاقًا حقيقيًا.

"فيش."

"رقيب."

أزعج ذلك شيفلوف. كان جافيل فيش — وليس بلا سبب — يذكره بصداقتهما القديمة، بالأيام التي خدموا فيها معًا في الجيش النظامي. لم يكن شيفلوف يحب تذكيره بتلك الأيام. لم يكن يريد أن يتذكر فيش، أو الخدمة العسكرية، أو راتبه كضابط صف.

"كتيبة حرة." أومأ فيش برأسه نحو القرية، حيث كانت الصرخات والبكاء تتردد من هناك. "أراكم مشغولين. حملة تأديبية، أليس كذلك؟ هل ستقومون ببعض الحرق؟"

"هذا شأني."

لن نقوم بذلك، فكر شيفلوف، مع شيء من الأسف، لأنه كان يستمتع بإحراق القرى، وكذلك كانت فرقته. لكن لم تكن لديه أوامر بذلك. الأوامر كانت بإعادة ترسيم الحدود وجمع الضرائب من المستوطنين. طرد الأفراد غير المطيعين، ولكن دون المساس بالممتلكات أو البضائع. لأن تلك الممتلكات ستخدم المستوطنين الجدد الذين سيتم جلبهم إلى هنا. من الشمال، حيث يزدحم الناس حتى في الأراضي القاحلة.

"لقد قبضت على المختلة وأحتجزها،" أعلن. "كما أمرتم. مقيدة. لم يكن الأمر سهلاً. لو علمت ذلك مسبقًا، لكنت طلبت المزيد. لكننا اتفقنا على خمسمائة، لذا أنا مستحق لخمسمائة."

أومأ فيش برأسه، فتقدم العملاق وسلم شيفلوف كيسين ممتلئين. كان لديه وشم لأفعى ملتفة حول نصل خنجر على ساعده. شيفلوف كان يعرف ذلك الوشم.

ظهر فارس آخر من الفرقة مصطحبًا الأسيرة. كانت مغطاة بكيس يصل إلى ركبتيها، مع حبل يقيد ذراعيها. ساقاها العاريتان، النحيلتان كالعصي، كانتا تبرزان من الكيس.

"ما هذا؟" أشار فيش إلى الأسيرة. "يا عزيزي الرقيب؟ خمسمائة كرونة نوفيغرادية؟ مبلغ باهظ مقابل خنزير في كيس."

"الكيس مجاني،" رد شيفلوف ببرود. "تمامًا مثل هذه النصيحة الجيدة. لا تفك وثاقها ولا تنظر داخل الكيس."

"لماذا؟"

"الأمر محفوف بالمخاطر. إنها تعض. وقد تلقي تعويذة أيضاً."

حمل العملاق الأسيرة على سرجه. حتى ذلك الحين، كانت هادئة، لكنها بدأت تتلوى، وتركّل، وتصرخ داخل الكيس. لم يكن لذلك جدوى تُذكر، لأن الكيس كان يحكم قبضته عليها.

"كيف لي أن أتأكد مما دفعت ثمنه؟" سأل فيش. "وألا تكون مجرد فتاة عادية؟ مثل واحدة من هذه القرية؟"

"هل تتهمني بالكذب؟"

"ليس على الإطلاق،" هدّأه فيش، مستعينًا بمشهد بوكر وهو يمرر يده على نصل الفأس المعلق بسرجه. "أنا أصدقك، شيفلوف. أعلم أنني أستطيع الاعتماد عليك. فنحن رفاق، أليس كذلك؟ من الأيام الخوالي..."

"أنا مشغول، فيش. الواجب يناديني."

"وداعًا أيها الرقيب."

"أتساءل،" قال بوكر وهو يراقبهم يبتعدون. "أتساءل ماذا يريدون منها. تلك المسخ. ليتني سألت عن ذلك."

"لم أفعل،" اعترف شيفلوف ببرود لنفسه "لأنك لا تسأل عن أمور كهذه."

شعر ببعض الشفقة على المرأة لكن مصيرها لم يشغله كثيرًا. فقد خمّن أنه سيكون بائسًا.

الفصل الثاني عشر

كانت هناك لافتة خشبية عند مفترق الطرق، عامود نُصبت عليه ألواح تشير إلى الاتجاهات الأربعة.

* * *

وجد الفجر طريقه إليه وهو ما يزال ملقى حيث أُلقي من البوابة السحرية، مطروحًا فوق العشب المبلل بالندى، في شجيرة بجانب مستنقع أو بحيرة صغيرة تزخر بالطيور، التي أيقظه صخبها ونعيقها من نومه العميق والمُرهق.

كان قد شرب أحد إكسيراته السحرية خلال الليل. لم يكن يتركها أبدًا، بل كان يحتفظ بها دائمًا في أنبوب فضي داخل جيب مخفي في حزامه. هذا الإكسير، المعروف باسم "جرعة العصفور الذهبي"، كان يُستخدم كدواء شامل فعّال ضد جميع أنواع التسمم، والعدوى، وتأثيرات السموم والمواد السامة بمختلف أنواعها. لطالما أنقذ "العصفور الذهبي" حياة جيرالت أكثر من أن يحصيها، لكنه لم يسبق أن شعر بالتأثيرات التي عاشها تلك الليلة. فبعد ساعة من تناوله، وجد نفسه في صراع مع تشنجات عنيفة وردود فعل قوية من الغثيان، مدركًا تمامًا أنه لا يمكنه السماح لنفسه بالتقيؤ. ورغم أنه انتصر في النهاية في هذه المعركة، إلا أنه سقط في نوم عميق ومرهق، وهو ما قد يكون أيضًا نتيجة مزيج من تأثير سم العقرب، والإكسير، والسفر عبر البوابة السحرية.

أما فيما يخص الرحلة، فلم يكن متأكدًا مما حدث، أو كيف ولماذا قامت البوابة التي فتحها ديغيرلوند بإلقائه هنا، وسط هذه البرية المستنقعية. كان يشك في أن الساحر قد فعل ذلك عمدًا؛ الأرجح أن الأمر كان مجرد خطأ في النقل السحري، وهو الخطأ الذي ظل يخشاه طوال الأسبوع. خطأ سمع عنه كثيرًا، وشهده بأم عينيه عدة مرات، عندما ترسل البوابة المسافر إلى مكان آخر تمامًا، غير الوجهة المقصودة.

عندما استعاد وعيه، وجد نفسه ممسكًا بسيفه في يده اليمنى، بينما كانت يده اليسرى المشدودة تقبض على قطعة قماش، والتي تعرف عليها في ضوء الصباح على أنها جزء من كم قميص. كانت القطعة مقطوعة بشكل نظيف، كما لو كانت قد قُطعت بسكين حاد. ومع ذلك، لم تكن تحمل أي آثار دماء، مما يعني أن البوابة السحرية لم تقطع يد الساحر، بل فقط قميصه، وهو ما أدركه جيرالت بأسف.

أسوأ حادث بوابة سحرية شهده جيرالت — والذي جعله ينفر تمامًا من استخدام النقل السحري — حدث في بداية مسيرته كويتشر. في ذلك الوقت، كان هناك اتجاه شائع بين الأثرياء الجدد، والأشراف المترفين، والشباب المولعين بالموضة لاستخدام البوابات السحرية كوسيلة للتنقل من مكان إلى آخر. وكان بعض السحرة يقدمون هذه الخدمة مقابل مبالغ طائلة. وذات يوم — كان جيرالت حاضرًا حينها — ظهر أحد هواة التنقل عبر البوابات في منتصف الطريق، وقد انقسم جسده إلى نصفين بدقة متناهية، كما لو كان صندوق آلة كونترباص مفتوحًا. ثم، في لحظة مرعبة، سقط كل ما بداخله وانسكب على الأرض. بعد ذلك الحادث، انخفض الاهتمام بالنقل السحري بشكل ملحوظ.

بالمقارنة مع ذلك، فكر جيرالت، فإن الهبوط في مستنقع يُعتبر رفاهية.

لم يكن قد استعاد قوته بالكامل بعد، وما زال يشعر بالدوار والغثيان. ولكن لم يكن هناك وقت للراحة. كان يعلم أن البوابات السحرية تترك آثارًا، وأن السحرة لديهم وسائل لتعقب مسارها. ومع ذلك، إذا كان ما يشتبه به صحيحًا وكان هناك خلل في البوابة، فإن تتبع خط سيره سيكون شبه مستحيل. ولكن، في جميع الأحوال، البقاء في موقع الهبوط لفترة طويلة لم يكن خيارًا حكيمًا.

انطلق بخطوات سريعة ليُدفئ جسده ويُرخي عضلاته المتشنجة. "لقد بدأت بسيوفي،" فكر وهو يخوض في بركة ماء راكدة. كيف كان دانديليون يعبّر عن ذلك؟ "إنها سلسلة من الحظ السيئ والمصائب المتلاحقة." أولًا، فقدت سيوفي. وبعد ثلاثة أسابيع بالكاد، فقدت جوادي روش، التي تركتها في بينيتوبس، من المؤكد أنها ستكون فريسة للذئاب، بافتراض ألا يعثر عليها أحد اللصوص ويأخذها لنفسه. السيوف، الحصان... ما التالي؟ أخشى حتى أن أفكر.

بعد ساعة من التجول وسط المستنقع، وصل إلى أرض أكثر جفافًا، وبعد ساعة أخرى، عثر على طريق مطروق. وبعد نصف ساعة من السير على طوله، وجد نفسه واقفًا عند مفترق طرق.

* * *

وقف لافتة طرق عند مفترق الطرق، عمود خشبي مُثبت عليه ألواح تشير إلى الجهات الأربع. كانت كلها مغطاة بروث الطيور العابرة ومثقوبة بكثافة بسهام الأقواس المستعرضة. بدا أن كل مسافر شعر بأنه مُلزم بإطلاق سهم على اللوحة. ولذا، من أجل فك رموز الكلمات، كان لا بد من الاقتراب كثيرًا.

اقترب الويتشر. وقرأ الاتجاهات. اللوحة التي أشارت إلى الغرب — وفقًا لموقع الشمس — حملت اسم تشيبيرا، بينما أشارت الأخرى إلى الاتجاه المعاكس نحو تيغموند. أما اللوحة الثالثة، فقد دلت على الطريق المؤدي إلى فينديتان، بينما الرابعة فقد كانت مجهولة المصير، إذ قام شخص ما بتغطية الكتابة عليها بالقار. رغم ذلك، عرف جيرالت تقريبًا أين انتهى به الأمر. البوابة السحرية قذفته إلى المستنقع الذي تشكله فرعا نهر بونتار. الفرع الجنوبي، نظرًا لحجمه، كان قد نال اسمًا خاصًا به في الخرائط، وبالتالي ظهر على العديد منها باسم إمبلا.

الأرض الواقعة بين الفرعين — أو بالأحرى ذلك الشريط الضيق من الأرض — كانت تُعرف بـ إمبلونيا. أو هكذا كانت تُسمى قديمًا. لكنها توقفت عن حمل أي اسم منذ زمن طويل. لقد اختفى مملكة إمبلونيا منذ حوالي نصف قرن. وكان هناك أسباب لذلك.

في معظم الممالك والدوقيات وأشكال الحكم والمجتمعات في الأراضي التي يعرفها جيرالت، كانت الأمور تسير بنظام وبحالة جيدة إلى حد معقول.. يمكن للمرء أن يقول ذلك. صحيح أن النظام كان يتعثر أحيانًا، لكنه كان يعمل في النهاية. في أغلب المجتمعات، كانت الطبقة الحاكمة تحكم فعلًا، بدلاً من مجرد السرقة وتنظيم القمار والدعارة بالتناوب. كانت نسبة قليلة فقط من النخبة تتألف من أفراد يعتقدون أن "النظافة" هي اسم عاهرة، وأن "السيلان" نوع من طيور القُبَّرة.

وبالمثل، كانت نسبة صغيرة فقط من الفلاحين والعمال أناسًا سُذّجًا يعيشون فقط من أجل يومهم الحالي وفودكا اليوم، غير قادرين بعقولهم البدائية على استيعاب مفهوم الغد أو فودكا الغد. أما معظم الكهنة، فلم يكونوا من الذين يفسدون القُصَّر أو يسرقون أموال الناس، بل كانوا يسكنون المعابد، مكرسين أنفسهم تمامًا لمحاولة فهم الألغاز المستعصية لعقيدتهم.

المجانين والمنحرفون وغريبو الأطوار والأغبياء كانوا يبقون بعيدًا عن السياسة والمناصب الحكومية المهمة، منشغلين بدلًا من ذلك بتدمير حياتهم الشخصية. والمغفلون القرويون كانوا يلتزمون الجلوس خلف الحظائر بدلاً من محاولة لعب دور زعماء الشعب.

وهكذا كانت الأمور في معظم الدول.

لكن مملكة إمبلونيا لم تكن جزءًا من الأغلبية. بل كانت أقلية في جميع الجوانب المذكورة أعلاه. وفي العديد من الجوانب الأخرى.

ولهذا السبب، انحدرت إلى الفوضى. وأخيرًا اختفت تمامًا. ومن هنا، بدأ جيرانها الأقوياء، تيميريا وريدانيا، يتنازعون عليها. كانت إمبلونيا، رغم كونها كيانًا سياسيًا عاجزًا، تملك ثروة معينة، وذلك بفضل موقعها في الوادي الرسوبي لنهر بونتار، حيث تراكم الطمي الذي جرفته الفيضانات لقرون. وبهذا، تشكلت التربة المستنقعية، وهي تربة شديدة الخصوبة وعالية الإنتاج الزراعي.

لكن تحت حكم ملوك إمبلونيا، بدأت هذه التربة الخصبة في التحول إلى أراضٍ سبخة لا يُمكن زراعتها، ناهيك عن جني أي محاصيل منها. وفي هذه الأثناء، كانت تيميريا وريدانيا تشهدان زيادة كبيرة في عدد السكان، وأصبح الإنتاج الزراعي مسألة حيوية وضرورية. وهكذا، أصبحت تربة إمبلونيا المستنقعية مغرية للملوك الطامحين.

لم يتردد الجاران القويان، تيميريا وريدانيا، في تقسيم إمبلونيا بينهما دون أي تردد أو جدال، فشطبا اسمها من الخريطة. وأطلق على الجزء الذي ضمته تيميريا اسم بونتاريا، بينما أصبح الجزء الذي استحوذت عليه ريدانيا يُعرف باسم ريفرسايد. ثم بدأت حشود من المستوطنين تتدفق إلى الأراضي الجديدة لاستصلاحها وزراعتها.

تحت إشراف مدراء أكفاء، وبفضل السياسات الزراعية الحكيمة وأنظمة التصريف الفعالة، تحولت هذه المنطقة، رغم صغرها، إلى جنة زراعية حقيقية، أشبه بـ قرن الوفرة.

لكن مع ازدهار الزراعة ووفرة المحاصيل التي أنتجتها التربة المستنقعية البونتارية، بدأت النزاعات بسرعة. ومع مرور الوقت، تصاعدت حدة التوترات كلما زادت غلة الحصاد. كانت المعاهدة التي حددت الحدود بين تيميريا وريدانيا تحتوي على بنود مبهمة قابلة للتفسير بعدة طرق، كما أن الخرائط المرفقة بالمعاهدة كانت عديمة الفائدة بسبب الأخطاء التي ارتكبها المسّاحون والخرائطيون.

النهر نفسه لم يساعد في حل النزاع، فخلال فترات الأمطار الغزيرة، كان يغيّر مجراه لمسافة ميلين أو حتى ثلاثة أميال، مما تسبب في إعادة ترسيم الحدود بشكل غير متوقع في كل مرة. وهكذا، تحوّلت جنة الزراعة إلى بؤرة صراع لا ينتهي.

فشلت خطط الزواج الملكي والتحالفات الدبلوماسية، وبدأت الحروب التجارية، وفرضت الضرائب الجمركية، ووقعت العقوبات الاقتصادية. تصاعدت التوترات الحدودية أكثر فأكثر، وبدا أن إراقة الدماء أمر لا مفر منه.

ثم اندلعت الحرب بالفعل. واستمرت في الاندلاع بانتظام.

في تجواله بحثًا عن العمل، كان جيرالت يتجنب عادةً الأماكن التي تعاني من نزاعات مسلحة، لأن العثور على وظيفة فيها كان أمرًا صعبًا.

فقد كان الفلاحون، بعد معاناتهم مع الجيوش النظامية، والمرتزقة، وقطّاع الطرق، يقتنعون في النهاية بأن المستذئبين، والستريغا، والمتصيدين تحت الجسور، وأشباح المقابر لم تكن في الحقيقة سوى مشاكل تافهة وتهديدات بسيطة، وأن استئجار ويتشر كان تبذيرًا للمال.

بالنسبة لهم، كانت هناك أمور أكثر إلحاحًا، مثل إعادة بناء كوخ أُحرِق خلال الغارات العسكرية، أو شراء دجاج جديد لتعويض ما سرقه الجنود وأكلوه.

لهذه الأسباب، لم يكن جيرالت على دراية جيدة بأراضي إمبلونيا أو بونتاريا وريفيرسايد كما أطلقت عليهما الخرائط الحديثة. لم يكن يعرف تمامًا أي من الأماكن المذكورة على اللافتة الخشبية كانت أقرب، أو أي طريق ينبغي أن يسلكه ليترك هذه البرية خلفه بأسرع وقت ممكن ويجد نفسه في قلب الحضارة من جديد.

اتخذ قراره: سيتوجه إلى فيندتان، أي شمالًا.

ففي ذلك الاتجاه تقريبًا كانت نوفيغارد، المدينة التي كان عليه الوصول إليها قبل الخامس عشر من يوليو إذا كان يريد استعادة سيفيه المفقودين.

* * *

بعد ساعة من المشي السريع، وجد جيرالت نفسه مباشرة في قلب ما كان يسعى لتجنبه بكل الطرق.

كان هناك منزل قروي مسقوف بالقش وعدة أكواخ بالقرب من موقع قطع الأشجار. كان الضجيج الصاخب ينذر بأن شيئًا ما كان يحدث هناك نباح كلب غاضب، وصياح الدجاج الهائج، وصراخ طفل، وبكاء امرأة. وشتائم.

اقترب، يلعن حظه العاثر وضميره المتردد.

كانت الريش تتطاير، ورجل مسلح يربط دجاجة بسرج حصانه. آخر كان يجلد فلاحًا يتلوى على الأرض بالسوط. وثالث كان يجر امرأة بثياب ممزقة، بينما كان طفل يتعلق بها بيأس.

تقدم من دون تفكير أو تردد، أمسك باليد المرفوعة بالسوط، ولفها بقوة. صرخ الرجل المسلح متألمًا. دفعه جيرالت بعنف نحو جدار قن الدجاج. ثم أمسك الآخر من ياقة قميصه وانتزعه بعيدًا عن المرأة، دافعًا إياه نحو السور.

قال بصوت حازم: "اغربوا عن وجهي. فورًا."

استل سيفه بسرعة، ليوضح لهم جدية الموقف، ويذكرهم بعواقب أي تصرف طائش.

ضحك أحد المسلحين بصوت عالٍ، ولحقه الآخر، قابضًا على مقبض سيفه.

"من تظن نفسك أيها المتشرد؟ هل تبحث عن الموت؟"

"قلت اغربوا."

استدار الجندي الذي كان يربط الدجاجة بالسَّرج عن جواده. واتضح أنها امرأة. امرأة جميلة، رغم ضيق عينيها غير المستحب.

"هل سئمت الحياة؟" استطاعت أن تشوه تعابير شفتيها أكثر، لتضيف سخرية إلى صوتها. "أم أنك متخلف؟ ربما لا تستطيع العدّ؟ سأساعدك. أنت واحد فقط، ونحن ثلاثة. مما يعني أنك في وضع لا تحسد عليه. مما يعني أنه عليك أن تدير ظهرك، وتهرب بأسرع ما تستطيع. قبل أن تفقد ساقيك."

"اغربوا. لن أكررها ثانية."

"آه. ثلاثة أشخاص ليسوا مشكلة لك. ولكن ماذا عن اثني عشر؟"

دوى صوت حوافر الخيول وهي تقترب بسرعة. التفت الويتشر حوله. تسعة فرسان مسلحين، رماح ورماح صيد الدببة موجهة نحوه.

"أنت! أيها الفاشل! ارمِ سيفك على الأرض!"

تجاهل جيرالت الأمر، وانزاح نحو قنّ الدجاج ليجعل ظهره محميًا.

"ما الذي يجري هنا، فريغا؟"

"هذا المستوطن يرفض الدفع،" شخرت المرأة التي دُعيت باسم "فريغا". "يقول إنه دفع الضريبة بالفعل، لذلك قررنا أن نلقنه درسًا، وفجأة ظهر هذا الرجل ذو الشعر الرمادي من العدم. فارس، كما يبدو. نبيل، مدافع عن الفقراء والمظلومين. بمفرده، لكنه هجم علينا مباشرة!"

"يا له من شجاع!" قهقه أحد الفرسان، متقدماً نحو جيرالت، موجهًا رمحه إليه. "لنُجعله يرقص رقصة الموت!"

"ارمِ سيفك على الأرض!" أمر فارس يرتدي بيريه مزينًا بالريش، يبدو أنه القائد. "السيف على الأرض!"

"هل أغرزه برمحي، شيفلوف؟"

"اتركه، سبيري."

نظر شيفلوف من على سرجه إلى الويتشر، متفحصًا إياه.

"لن ترمِ سيفك، أليس كذلك؟" علق بصوت ساخر. "هل أنت بطل عظيم؟ رجل شديد الصلابة؟ تأكل المحار بقشره؟ وتغسله بالتربنتين؟ لا تنحني لأحد؟ ولا تقف إلا في وجه الظلم؟ هل أنت شديد الحساسية تجاه المظالم؟ سنرى ذلك. بوكر! ليجينزا! فلوكيت!"

أطاع الثلاثة أوامره على الفور، وكان واضحًا أنهم يملكون خبرة في مثل هذه المواقف. ترجّلوا عن خيولهم بحركات مدربة. أمسك أحدهم بسكين ووضعه على عنق الفلاح، بينما شد الثاني المرأة من شعرها بعنف، أما الثالث فقد خطف الطفل، الذي بدأ يصرخ مذعورًا.

"ألقِ سيفك،" قال شيفلوف. "في هذه اللحظة. وإلا... ليجينزا! اقطع عنق الفلاح!"

أسقط جيرالت سيفه. هجموا عليه في اللحظة نفسها، طرحوه على الألواح الخشبية، ووجهوا إليه شفراتهم.

"آه!" قال شيفلوف، وهو يترجل عن حصانه. "نجاح ساحق!"

ثم أضاف بجفاف: "لقد ورطت نفسك يا بطل الفلاحين. لقد أعقت وأفسدت عمل فرقة ملكية. ولدي أوامر باعتقال وتقديم أي شخص يرتكب مثل هذه الجريمة للمحاكمة."

"اعتقال؟" زمجر الرجل الذي دُعي باسم ليجينزا. "لماذا نثقل أنفسنا؟ لنضع حبل المشنقة حول عنقه ونعلقه! وانتهى الأمر!"

"أو نمزقه إلى أشلاء هنا والآن!"

"لقد رأيت هذا الرجل من قبل،" قال أحد الفرسان فجأة.

"ماذا؟"

"إنه ويتشر. ساحر يكسب عيشه بقتل الوحوش مقابل المال."

"ساحر؟ أوه، أوه! اقتلوه قبل أن يلقي علينا تعويذة!"

"اصمت، إسكيراك. تكلم، ترينت. أين رأيته، وفي أي ظروف؟"

"في ماريبور. كان يعمل لصالح القلعة هناك، فقد استأجروه لقتل وحش ما. لا أذكر أي وحش تحديدًا. لكنني أتذكره بسبب شعره الأبيض."

"ها! إذن، إذا هاجمنا، فلا بد أن أحدًا استأجره لذلك!"

"الويتشرون يتعاملون مع الوحوش فقط. إنهم يحمون الناس منها، لا شيء غير ذلك."

"أها!" دفعت فريغا قبعتها المصنوعة من فرو الوشق إلى الخلف. "لقد قلت ذلك! إنه مدافع! رأى ليجينزا يجلد الفلاح، وفلوكيت يستعد لانتهاك المرأة..."

"وصنفكم بالشكل الصحيح؟" سخر شيفلوف. "كوحوش؟ إذن، كنتم محظوظين. أمزح فقط. لأن الأمر واضح بالنسبة لي. عندما كنت في الجيش، سمعت شيئًا مختلفًا تمامًا عن الويتشرين. إنهم يستأجرون أنفسهم لأي شيء: للتجسس، للحراسة، حتى للاغتيال. كانوا يسمونهم 'القطط'. ترينت رأى هذا هنا في ماريبور، في تيميريا. مما يعني أنه عميل تيميري، يعمل في مسائل تتعلق بالمراكز الحدودية. لقد حذروني في فينديتان من المرتزقة التيميريين، وهم يعِدون بمكافأة لأي واحد يتم الإمساك به. إذن، سنأخذه موثوق اليدين إلى فينديتان، ونسلمه للقائد، ونطالب بالمكافأة. هيا، قيدوه. ماذا تنتظرون؟ هل تخافون؟ إنه لا يقاوم. يعلم تمامًا ما سنفعله بهؤلاء الفلاحين الصغار لو حاول أي شيء."

"ومن الذي سيلمسه اللعنة عليه إن كان ويتشراً؟"

"طرقوا الخشب!" بصق ليجينزا على الأرض.

"جبناء!" صاحت فريغا وهي تفك حزام حقيبتها السرجية. "أنصاف رجال! سأقوم بذلك بنفسي، طالما لا أحد هنا يملك الجرأة!"

سمح جيرالت لهم بتقييده. قرر أن يمتثل... في الوقت الحالي.

خرجت من الغابة عربتا ثيران تتهاديان، محملتان بأعمدة وعناصر من نوع ما من البناء الخشبي.

"ليذهب أحدكم إلى النجارين والعمدة،" أشار شيفلوف بيده. "أعيدوهم. لقد غرسنا ما يكفي من الأعمدة، سيكون هذا كافيًا الآن. سنستريح هنا في هذه الأثناء. فتشوا المزرعة عن أي شيء يصلح كعلف للخيول. وأيضًا بعض المؤن لنا."

التقط ليجينزا سيف جيرالت، ذلك الذي اقتناه دانديليون، وتأمله. لكن شيفلوف انتزعه منه، وأخذ يزن ثقله في يده، ولوح به، ثم أدار شفرة السيف في الهواء.

"كنتم محظوظين أننا وصلنا بأعداد كبيرة،" قال بنبرة ساخرة. "وإلا لكان شقكم إربًا دون عناء: أنتِ، فريغا، وفلوكيت. ثمة أساطير كثيرة تدور حول هذه السيوف الخاصة بالويتشرين. إنها مصنوعة من أفضل أنواع الفولاذ، تطوى وتصهر، ثم تطوى وتصهر من جديد. وتحاط بتعاويذ خاصة، مما يمنحها قوة شد استثنائية وحدة خارقة. حدّ سيف الويتشر، أخبركم، يخترق الدروع المعدنية مثل قماش الكتان، ويمزق أي شفرة أخرى كما لو كانت نودلز."

"مستحيل،" قال سبيري وهو يلعق شاربه الملطخ بالكريمة التي وجدها في الكوخ والتهمها بنهم. "ليس وكأنها نودلز."

"لا أصدق ذلك أيضًا،" أضافت فريغا.

"من الصعب تصديق شيء كهذا،" قال بوكر.

"حقًا؟" اتخذ شيفلوف وضعية المبارز. "من يواجهني إذن، وسنكتشف الحقيقة؟ هيا، من المتطوع؟ لماذا عمّ الصمت فجأة؟"

"حسنًا،" تقدم إسكيراك وسحب سيفه. "سأواجهك. لا يهمني. سنرى إن كان... استعد، شيفلوف."

"استعد. واحد، اثنان... ثلاثة!"

التقت السيوف بصوت معدني مدوٍّ. صرخت شفرة السيف بحدة عندما انكسرت. انحنت فريغا بسرعة بينما مرّت قطعة مكسورة من الشفرة بجانب صدغها.

"اللعنة،" تمتم شيفلوف وهو يحدق في نصل سيفه غير مصدق، وقد انكسر بضع بوصات فوق حارسه الذهبي.

"ولم يصب سيفي حتى بخدش!" رفع إسكيراك سيفه مبتهجًا. "ها، ها، ها! ليس خدشًا واحدًا! ولا حتى علامة!"

قهقهت فريغا كفتاة مدرسة. ضحك ليجينزا بصوت يشبه ثغاء التيس. انفجر الآخرون ضاحكين.

"سيف الويتشر؟" سخر سبيري. "يقطع كالنودلز؟ أنت النودلز اللعين هنا."

"إنه..." ضمّ شيفلوف شفتيه. "إنه خردة تافهة. مجرد قمامة... وأنت..."

رمى بقايا السيف بعيدًا، وحدّق في جيرالت بغضب، مشيرًا إليه بأصبع اتهام.

"أنت محتال. دجال ومخادع. تتظاهر بأنك ويتشر، وتحمل مثل هذه القمامة... تحمل نفاية كهذه بدلًا من نصل محترم؟ كم من الناس الطيبين خدعت، أتساءل؟ كم من الفقراء سلبت، أيها النصاب؟ آه، ستعترف بكل ألاعيبك في فينديتان، العمدة سيتكفل بذلك!"

لهث، ثم بصق على الأرض وضرب قدمه بغضب.

"إلى الخيول! لنرحل من هنا!"

ركبوا وانطلقوا ضاحكين، يغنون ويصفرون، فيما كان الفلاح وعائلته يراقبونهم بوجوه كئيبة وهم يبتعدون. رأى جيرالت شفاههم تتحرك، ولم يكن من الصعب تخمين اللعنات والمصائب التي تمنّوها لشيفلوف ورفاقه.

لكن الفلاح لم يكن ليحلم، حتى في أقصى خيالاته الجامحة، بأن تتحقق أمنياته بالحرف الواحد. وأن يحدث ذلك بهذه السرعة.

"أنت محتال. دجال ومخادع. تتظاهر بأنك ويتشر، وتحمل مثل هذه القمامة... تحمل نفاية كهذه بدلًا من نصل محترم؟ كم من الناس الطيبين خدعت، أتساءل؟ كم من الفقراء سلبت، أيها النصاب؟ آه، ستعترف بكل ألاعيبك في فينديتان، العمدة سيتكفل بذلك!"

لهث، ثم بصق على الأرض وضرب قدمه بغضب.

"إلى الخيول! لنرحل من هنا!"

ركبوا وانطلقوا ضاحكين، يغنون ويصفرون، فيما كان الفلاح وعائلته يراقبونهم بوجوه كئيبة وهم يبتعدون. رأى جيرالت شفاههم تتحرك، ولم يكن من الصعب تخمين اللعنات والمصائب التي تمنّوها لشيفلوف ورفاقه.

لكن الفلاح لم يكن ليحلم، حتى في أقصى خيالاته الجامحة، بأن تتحقق أمنياته بالحرف الواحد. وأن يحدث ذلك بهذه السرعة.

* * *

وصلوا إلى مفترق الطرق. كان الطريق السريع المتجه غربًا على طول الوادي محفورًا بعجلات العربات وحوافر الخيول؛ من الواضح أن عربات النجارين مرت من هناك. وكذلك فعلت الفرقة. كان جيرالت يسير خلف حصان فريغا، مقيدًا بحبل مربوط إلى مقبض سرجها.

صهل حصان شيفلوف — الذي كان يركب في المقدمة — ووقف على قائمتيه الخلفيتين. فجأة، اشتعل شيء على جانب الوادي، أضاء وتحول إلى كرة حليبية متلألئة بألوان الطيف. ثم اختفت الكرة، وظهرت مجموعة غريبة مكانها. كانت هناك عدة أشكال متشابكة ومتشابكة معًا.

"ما هذا الشيطان؟" شتم بوكر وهو يركض نحو شيفلوف، الذي كان يحاول تهدئة حصانه. "ما الذي يحدث؟"

انفصلت المجموعة. لتصبح أربع شخصيات متميزة. رجل نحيل، طويل الشعر، يحمل ملامح أنثوية قليلًا. عملاقان طويلو الأذرع بأرجل مقوسة. وقزم أحدب يحمل قوسًا فولاذيًا ضخمًا مزدوج القوس.

"بووووه-هيييه-ريييه-بووووه! بووه-هيييه!"

"استلوا أسلحتكم!" صرخ شيفلوف. "استلوا أسلحتكم، وتمسكوا بمواقعكم!"

صدر صوت طنين أولًا، ثم تبعه آخر، من القوس الفولاذي الضخم. مات شيفلوف على الفور، بعدما اخترق سهم رأسه. حدّق بوكر في بطنه، حيث اخترقه سهم آخر، قبل أن يسقط من على سرجه.

"قاتلوا!" استلت الفرقة سيوفها في وقت واحد. "قاتلوا!"

لم يكن لدى جيرالت أي نية للوقوف مكتوف الأيدي وانتظار نتيجة المعركة. شكّل أصابعه في علامة إجني وأحرق الحبل الذي كان يقيد يديه. أمسك بفريغا من حزامها وألقاها على الأرض. ثم قفز إلى السرج.

حدث وميض أعمى الأبصار، فبدأت الخيول تصهل بجنون، وتركُل الهواء بحوافرها الأمامية، متخبطة في فوضى عارمة. سقط عدة فرسان أرضًا، يصرخون وهم يُسحقون تحت حوافر خيولهم المذعورة. حتى فرس فريغا الرمادي هاج وفرّ مذعورًا قبل أن يتمكن الويتشر من السيطرة عليه.

نهضت فريغا بسرعة، قفزت وأمسكت بلجام الفرس، لكن جيرالت ضربها بلكمة قوية أبعدتها، ثم غرز كعبيه في خاصرة الفرس، مندفعًا به في سباق محموم.

كان ملتصقًا بعنق الحصان، لم يرَ ديجيرلوند وهو يصعق الخيول ويفقد فرسانها بصرهم بصواعق سحرية. لم يرَ بو وبانغ يقتحمان الفرسان، يزأران، أحدهما يلوّح بفأس معركة، والآخر بسيف عريض منحني. لم يرَ دفعات الدماء المتطايرة، ولم يسمع صرخات المحتضرين.

لم يرَ إسكيراك وهو يسقط ميتًا، وبعده مباشرة سبيري، ممزقًا كسمكة مشطورة بسيف بانغ. لم يرَ بو وهو يطرح فلوكيت عن جواده، ثم يسحبه من تحته. لكن صرخة فلوكيت المختنقة، ذلك الصوت الذي يشبه دجاجة تُذبح، بقيت تتردد طويلاً.

إلى أن انحرف عن الطريق السريع، وغاص في ظلال الغابة.

شوربة البطاطا المهاكامية تُحضَّر على النحو التالي:

اجمع فطر الشانتيريل في الصيف وفطر الرجال على صهوة الجياد في الخريف. وإن كنت في الشتاء أو أوائل الربيع، خذ حفنة كبيرة من الفطر المجفف. ضعها في قدر وغطِّها بالماء، وانقعها طوال الليل. في الصباح، أضف الملح، ثم ارمي نصف بصلة في القدر واتركها تغلي. صَفِّ الفطر، لكن لا تتخلص من المرق؛ بل احرص على إزالة الرمل الذي استقر حتمًا في قاع القدر.

اسلق البطاطا ثم قطِّعها إلى مكعبات.

خذ قطعة من لحم الخنزير المقدد الدهني، قطّعه واقْلِه حتى يصبح ذهبي اللون. ثم قطّع البصل إلى شرائح نصفية واقْلِه في دهن الخنزير المقدد حتى يصبح طريًا ويوشك على الالتصاق بالمقلاة.

أحضر قدرًا كبيرًا، وضع فيه جميع المكونات، ولا تنسَ الفطر المقطّع! أضف مرق الفطر، وزد الماء حسب الحاجة. ثم اسكب مُخمّر الجاودار الحامض حسب الذوق. (طريقة تحضير المخمّر مذكورة في مكان آخر في وصفة أخرى).

اترك المزيج ليغلي، ثم تبّله بالملح والفلفل والمرجورام وفقًا لرغبتك. أضف شحم الخنزير المذاب لإثراء النكهة.

أما إضافة الكريمة، فهي مسألة ذوق، لكن احذر! فهذا مخالف لتقاليد الأقزام، إذ إن إضافة الكريمة إلى شوربة البطاطا عادة بشرية.

إليونورا روندورين-بيغوت - من كتاب المطبخ المهاكامي المثالي: العلم الدقيق لفن الطهو وإعداد الأطباق من اللحوم والأسماك والخضروات، مع أسرار تتبيل الصلصات المتنوعة، وخَبز الكعك، وصناعة المربيات، وتحضير اللحوم المطهية والمحفوظة، وصنع النبيذ والمشروبات الروحية، وغيرها من الأسرار المفيدة في الطهي والحفظ، الضرورية لكل ربة منزل ماهرة واقتصادية."

الفصل الثالث عشر

كما هو الحال مع معظم محطات البريد، كانت هذه المحطة تقع عند تقاطع طريقين. كان المبنى مغطى بسقف من القوباء المنطقية، مع رواق ذي أعمدة متصل بإسطبل ومخزن للحطب، يقع وسط مجموعة من أشجار البتولا بيضاء اللحاء.

كان المكان فارغًا. لم يكن هناك أي ضيوف، ولا مسافرين.

تعثرت الفرس الرمادية المنهكة، تمشي بصلابة وتعب، رأسها يتدلى حتى يكاد يلامس الأرض. قادها جيرالت وأعطى لجامها لصبي الإسطبل. كان الرجل يبدو في الأربعين من عمره، منحني الظهر تحت ثقل السنين. مدّ يده، ربت على عنق الفرس، ثم تفحص كفه. رفع بصره نحو جيرالت، تأمله، ثم بصق بين قدميه.

هز جيرالت رأسه وزفر ببطء. لم يفاجئه ذلك. كان يعلم أنه مذنب، وأنه أجهد الفرس أكثر مما ينبغي، وبالأخص على هذا التضاريس الصعبة. لكنه أراد أن يبتعد قدر الإمكان عن سوريل ديغيرلوند وأعوانه.

كان يدرك أن هذا تبريرٌ مؤسف. كما أنه لم يكن يملك رأيًا حسنًا بمن يدفعون خيولهم حتى الإنهاك.

ابتعد صبي الإسطبل، يقود الفرس ويتمتم مع نفسه. لم يكن من الصعب تخمين ما كان يتمتم به، ولا الأفكار التي كانت تدور في رأسه.

تنهد جيرالت، دفع الباب ودخل المحطة.

في الداخل، كانت الرائحة لطيفة، فتذكر فجأة أنه لم يأكل منذ أكثر من يوم.

"لا توجد خيول،" قال مدير المحطة، وهو يخرج من خلف المنضدة، متوقعًا السؤال قبل أن يُطرح. "وأقرب عربة بريد لن تصل قبل يومين."

"أحتاج إلى بعض الطعام،" قال جيرالت وهو يرفع بصره نحو العوارض الخشبية في السقف العالي. "سأدفع."

"ليس لدينا طعام."

"أوه، هيا يا مدير المحطة،" جاء صوت من ركن الغرفة. "هل يليق بك أن تعامل مسافرًا بهذه الطريقة؟"

في الزاوية، كان هناك قزم جالس إلى طاولة. ذو شعر و لحية بلون الكتان، ويرتدي صدرة مارونية مطرزة بنقوش مزخرفة، تزينها أزرار نحاسية على الصدر والأكمام. خداه متوردان، وأنفه بارز بشكل ملحوظ.

لطالما رأى جيرالت في الأسواق بطاطا ذات أشكال غريبة، وردية قليلًا. أنف القزم كان بنفس اللون... وبنفس الشكل.

"لقد عرضتَ عليّ شوربة البطاطا." حدّق القزم بصرامة في مدير المحطة، من تحت حاجبيه الكثيفين. "لا يمكن أن تدّعي أن زوجتك تعدّ منها حصة واحدة فقط. أراهن بأي مبلغ أنها تكفي هذا المسافر أيضًا. اجلس، أيها المسافر. هل تأخذ بيرة؟"

"بكل سرور، أشكرك." أجاب جيرالت، جالسًا، بينما يُخرج عملة نقدية من جيب مخفي في حزامه. "لكن اسمح لي أن أعزمك، أيها السيد الكريم. رغم المظهر المضلل، لست متشردًا ولا جوّالًا بلا وجهة. أنا ويتشر، في مهمة، ولهذا يبدو ملبسي رثًا ومظهري أشعث. فأرجو أن تعذرني. اثنتان من الجعة، أيها المدير."

وصلت البيرتان إلى الطاولة بسرعة.

"زوجتي ستحضر شوربة البطاطا قريبًا،" تمتم مدير المحطة. "ولا تأخذ على خاطرك مما حدث قبل قليل. يجب أن أكون مستعدًا دائمًا بالمؤن. فلو جاء أحد النبلاء أو رسل ملكيون أو البريد نفسه... ولم يكن لدي شيء لأقدمه لهم..."

"نعم، نعم..."

رفع جيرالت كوبه، وكان يعرف عادات الأقزام في الشرب، لذا اقترح نخبًا:

"للنجاح في تحقيق الغايات النبيلة!"

"وللارتباك الذي يصيب الأوغاد!" أضاف القزم، دافعًا بكأسه نحو كأس جيرالت بقوة. "إنه لمن دواعي السرور أن تشرب مع شخص يحترم العادات والأصول. أنا أداريو باخ. في الواقع أدارينون، لكن الجميع ينادونني أداريو."

"جيرالت من ريفيا."

"الويتشر جيرالت من ريفيا!" أعلن أداريو باخ، وهو يمسح رغوة البيرة عن شاربه. "اسمك مألوف لي. رجلٌ رحّالٌ مثلك ليس من المستغرب أن يكون مطّلعًا على العادات. أما أنا، فقد أتيت إلى هنا بعربة البريد، أو كما يسمونها في الجنوب، الـ ديلي. وأنا الآن في انتظار التحويل إلى عربة البريد التي تربط بين دوريان وتريتوجور في ريدانيا. حسنًا، ها قد وصلت شوربة البطاطا أخيرًا. لنرَ كيف ستكون. يجب أن تعلم أن نساؤنا في مهاكام يعدنَ أفضل شوربة بطاطا على الإطلاق، لن تجد مثلها في أي مكان. تصنع من خميرة سميكة من خبز الجاودار ودقيق الجاودار، مع الفطر والبصل المقلي جيدًا..."

كانت شوربة البطاطا في محطة البريد رائعة، غنية بفطر الشانتيريل والبصل المقلي. وإن كانت أقل شأنًا من النسخة المهاكامية التي تعدها النساء الأقزام، فإن جيرالت لم يتمكن من معرفة الفرق، إذ أن أداريو باخ التهمها بسرعة وصمت، دون أن يبدي أي تعليق.

فجأة، نظر مدير المحطة عبر النافذة، وكانت ردة فعله كافية لجعل جيرالت يحذو حذوه.

وصل حصانان إلى خارج المحطة، وكلاهما كان في حال أسوأ حتى من الفرس التي استولى عليها جيرالت. لكن كان هناك ثلاثة فرسان. أو بالأحرى، رجلان وامرأة.

تفحص الويتشر الغرفة بتيقظ.

صرير الباب المألوف...

دخلت فريغا إلى المحطة. وخلفها، ليجينزا وترينت.

"إذا كنتم تبحثون عن خيول..." توقف مدير المحطة فجأة عندما لمح السيف في يد فريغا.

"لقد خمّنت جيدًا،" أكملت فريغا الجملة عنه. "الخيول هي ما نحتاجه. ثلاثة منها. تحرك، أحضرها من الإسطبل."

"... تريدون ..."

لم يتمكن مدير المحطة من إنهاء جملته هذه المرة أيضًا. قفزت فريغا نحوه ولوّحت بشفرتها أمام عينيه.

نهض جيرالت من مقعده.

"مهلًا هناك!"

التفت الثلاثة نحوه في وقت واحد.

"أنت مجددًا،" تمتمت فريغا بازدراء. "أنت. أيها المتشرد اللعين."

كان خدها يحمل كدمة داكنة حيث لكمها جيرالت سابقًا.

"كل هذا بسببك،" همست بصوت أجش. "شيفلوف، بوكر، سبيري... الجميع ذُبحوا، الفرقة بأكملها. وأنت، أيها النغل، أطحت بي من السرج، سرقت حصاني، ثم فررت مثل جبان. وسأجعلك تدفع الثمن الآن."

كانت قصيرة القامة، نحيلة البنية. لكن ذلك لم يخدع الويتشر. فقد كان يعلم، من التجربة، أن الحياة — تمامًا كالمحطات البريدية — قد تُسلّم لك أشياء شنيعة في طرود غير ملفتة للنظر.

"هذه محطة بريد!" صرخ مدير المحطة من خلف المنضدة. "تحت الحماية الملكية!"

"هل سمعت ذلك؟" قال جيرالت بهدوء. "محطة بريد. اغربوا عن وجهي."

"أنت، أيها الرمادي التافه، لا تزال ضعيفًا في الحساب،" همست فريغا، تحدجه بنظرات كريهة. "هل تحتاج مساعدة في العد مجددًا؟ نحن ثلاثة وأنت واحد. مما يعني أن عددنا أكبر."

نظر إليهم جيرالت، ثم قال بهدوء خطير:

"أنتم ثلاثة." تفحصهم بنظرة ثابتة. "وأنا واحد. لكن عددكم ليس أكبر على الإطلاق. إنها مفارقة رياضية واستثناء للقاعدة."

"ماذا تعني؟"

"أعني، اغربوا من هنا اللعنة عليكم. بينما لا تزالون قادرين على ذلك."

رأى بريقًا في عينيها، وعرف على الفور أنها من أولئك القلائل الذين يستطيعون الهجوم في مكان مختلف عن المكان الذي ينظرون إليه. لكن فريغا لم تتقن الحيلة بعد، فبسهولة تفادى جيرالت ضربتها الخبيثة.

بنصف دورة سريعة، ناور حولها، ركل ساقها اليسرى من تحتها، وألقاها بقوة على المنضدة. اصطدمت بالخشب بارتطام مدوٍّ.

لابد أن ليجينزا وترينت شاهدا فريغا تقاتل من قبل، لأن فشلها أصابهما بصدمة شديدة، لدرجة أنهما تجمدا، فاغري الأفواه.

كانت تلك اللحظة كافية لكي يختطف الويتشر مكنسة كان قد لمحها سابقًا في الزاوية.

أولًا، ضرب ترينت بأغصان البتولا في وجهه، ثم بمقبض المكنسة على رأسه. وبعد ذلك، وضع العصا أمام قدميه، ركل ركبتيه من الخلف، وأسقطه أرضًا.

عاد ليجينزا إلى رشده، استل سيفه، وانقضّ بضربة معكوسة قوية. دوران نصف سريع، تفادي دقيق، دوران كامل ثم اندفاع بمرفقه للأمام.

ليجينزا، مدفوعًا بزخم حركته، صدم حنجرته بمرفق الويتشر. شهق، وسقط على ركبتيه.

قبل أن يسقط تمامًا، نزع جيرالت السيف من أصابعه، قذفه عموديًا نحو الأعلى فانغرس السيف في أحد العوارض الخشبية، وبقي هناك.

هجوم منخفض من فريغا! بالكاد تمكن الويتشر من تفاديه.

ضربة خاطفة على يدها، إمساك بالذراع، دوران سريع، حركة بمقبض المكنسة واصطدمت مجددًا بالمنضدة.

ترينت هاجم لكن جيرالت واجهه بثلاث ضربات سريعة بالمكنسة إلى وجهه: واحدة، اثنتان، ثلاث!

ثم ضربة قوية بالمقبض على أحد صدغيه، ثم الأخرى، ثم ضربة قاصمة على العنق.

حشر مقبض المكنسة بين ساقيه، تقدم خطوة، أمسك معصمه، لواه، انتزع السيف من يده، وقذفه لأعلى!

السيف انغرس في العارضة الخشبية، بجانب الأول.

تراجع ترينت، تعثر بمقعد، وسقط أرضًا. قرر جيرالت أن الأمر لم يعد بحاجة لمزيد من العنف.

نهض ليجينزا، لكنه وقف بلا حراك، ذراعاه متدليتان، يحدق إلى الأعلى حيث كانت السيوف مغروسة بعيدًا عن متناولهم.

فريغا لم تستسلم.

دارت بسيفها، تظاهرت بضربة، ثم وجهت ضربة معكوسة سريعة.

كان أسلوبها مناسبًا تمامًا لمعركة في حانة، على مسافة قريبة، وفي إضاءة ضعيفة.

لكن الويتشر لم يكن يعبأ بالإضاءة، ولا كان يجهل هذا الأسلوب.

انحرفت ضربة فريغا، دارت معها الحركة، وانتهى جيرالت خلف ظهرها.

صرخت عندما دس مقبض المكنسة تحت ذراعها ولوى مرفقها.

انتزع السيف من أصابعها، ودفعها بعيدًا.

"كنت أفكر في الاحتفاظ بهذا لنفسي،" قال جيرالت، متفحصًا النصل. "تعويضًا عن الجهد الذي بذلته. لكنني غيّرت رأيي. لن أحمل سلاحًا يخص قطاع الطرق."

ثم قذف السيف لأعلى. انغرس النصل في العوارض الخشبية واهتز مكانه.

كانت فريغا شاحبة كالمخطوطات القديمة، لكنها كشرت عن أسنانها خلف شفتيها الملتويتين. انحنت بسرعة، وانتزعت خنجرًا من حذائها.

"كنت أفكر في الاحتفاظ بهذا لنفسي،" قال جيرالت، وهو يتفحص النصل. "تعويضًا عن الجهد الذي بذلته. لكنني غيّرت رأيي. لن أحمل سلاحًا يخص قطاع الطرق."

ثم قذف السيف إلى الأعلى، فانغرس النصل في العوارض الخشبية واهتز للحظة قبل أن يستقر.

كانت فريغا شاحبة كالمخطوطات القديمة، لكن شفتاها الملتويتان كشفتا عن أسنانها في كشره غاضبة. انحنت فجأة، وسحبت خنجرًا من حذائها.

"ذلك،" قال جيرالت، ناظرًا إليها مباشرة في عينيها، "كان قرارًا أحمق بكل معنى الكلمة."

دوى صوت حوافر الخيل على الطريق، تبعته أصوات شخير الخيول وصليل الأسلحة. فجأة، امتلأ فناء المحطة بالفرسان.

"لو كنت مكانكم،" قال جيرالت مخاطبًا الثلاثة، "لجلست على المقعد هناك في الزاوية... وتظاهرت بأنني لم أكن هنا قط."

انفتح الباب بعنف، دوى صوت المهاميز، ودخل الجنود. كانوا يرتدون قبعات من فرو الثعالب وسترات قصيرة سوداء مطرزة بخيوط فضية.

كان قائدهم رجلًا ذو شارب كثيف ووشاح قرمزي، استند بقبضته على هراوة ضخمة مغروسة في حزامه.

"القوات الملكية!" أعلن بصوت عالٍ. "الرقيب كوفاتش، السرب الثاني من الفرقة الأولى، القوات المسلحة لجلالة الملك فولتيست، سيد تيميريا، بونتاريا، ومهاكام. نحن في مطاردة لعصابة من اللصوص الردانيين!"

على المقعد في الزاوية، كانت فريغا، ترينت، وليجينزا يحدقون بصمت في رؤوس أحذيتهم، متجنبين النظر لأي أحد.

"لقد عبرت الحدود عصابة من اللصوص والمغيرين الردانيين،" تابع كوفاتش. "مجموعة من المرتزقة المأجورين وقطاع الطرق. يقوم هؤلاء الأوغاد بتحطيم المراكز الحدودية، وإحراق القرى، ونهب الممتلكات، وتعذيب وقتل رعايا الملك. إنهم يدركون أنهم لا يملكون أي فرصة للصمود أمام الجيش الملكي في معركة مفتوحة، ولهذا يختبئون في الغابات، منتظرين الفرصة المناسبة للهرب عبر الحدود.

قد يظهر المزيد من أمثالهم في هذه المنطقة."

رفع الرقيب كوفاتش رأسه، ومسح الغرفة بنظرات حادة.

"ولتكنوا على علم!" قال بنبرة تهديد واضحة. "تقديم أي نوع من المساعدة، أو المعلومات، أو الدعم لهم سيُعتبر خيانة عظمى... والخيانة تعني المشنقة!"

"ها، ها، أيها القائد،" ضحك القزم. "هذه؟ إنها عاهرة، أعني امرأة ذات أخلاق رخوة. استأجرتها في سيداريس من أجل... الاستمتاع بها. عندما تسافر ومعك مؤونة كافية من الفرج، فلن تشعر بالحنين إلى الوطن، وهذا أمر سيؤكده لك أي فيلسوف."

ثم صَفَعَ فريغا على مؤخرتها بقوة.

شحب وجهها غضبًا، وصرّت على أسنانها.

"حقًا؟" قطب الرقيب جبينه. "كيف لم ألحظ ذلك من البداية؟ إنه واضح تمامًا. نصف-إلف."

"أنت تملك نصف قضيب،" قذفت فريغا، عيناها تقدحان شررًا. "نصف الحجم الطبيعي، إن كنت تود القياس."

"اهدئي، اهدئي،" هدّأها أداريو باخ بمرح. "لا تأخذي الأمر على محمل الإهانة، سيادة العقيد. لقد صادف أني استأجرت عاهرة مشاكسة."

اقتحم أحد الجنود الغرفة مسرعًا، وقدم تقريرًا مقتضبًا. وقف الرقيب كوفاتش باستقامة.

"لقد تم تحديد موقع العصابة!" أعلن بصوت جهوري. "علينا مطاردتهم بأقصى سرعة! نعتذر عن الإزعاج. في خدمتكم!"

ثم خرج مع جنوده، وسرعان ما ترددت في الأجواء أصوات حوافر الخيول المندفعة عبر الفناء.

بعد لحظة صمت، قال أداريو باخ بنبرة معتذرة، مخاطبًا فريغا وترينت وليجينزا:

"اعذروني على هذا المشهد، واعذروا كلماتي العفوية وإيماءاتي الفظة. في الحقيقة، لا أعرفكم، ولا يهمني أمركم كثيرًا، بل لا أعتقد أنني حتى أحبكم، لكنني أكره مشاهد الإعدام أكثر. رؤية رجال يتأرجحون في الهواء وأرجلهم ترتجف تجعلني أشعر بالكآبة الشديدة. وهذا ما يفسر خفة دم الأقزام الغريبة التي أبديتها."

"حياتكم كانت ثمرة خفة دمه القزمية،" أضاف جيرالت. "من اللائق أن تشكروه. رأيت ما فعلتم في مزرعة الفلاح، وأعرف أي نوع من الأوغاد أنتم. أنا، شخصيًا، لم أكن لأرفع إصبعًا للدفاع عنكم. لم أكن أريد، ولا حتى أملك القدرة على تأدية دور كهذا كما فعل هذا القزم النبيل. ولو لم يتدخل، لكانت جثثكم تتدلى من حبل المشنقة الآن. لذا، اغربوا من هنا. نصيحتي لكم: خذوا الاتجاه المعاكس للطريق الذي سلكه الرقيب وسلاح الفرسان."

رأى جيرالت نظراتهم تتجه نحو السيوف العالقة في العوارض الخشبية، فقاطعهم بحدة:

"لا تفكروا حتى في استعادتها. بدونها، ستجدون أنفسكم أقل ميلاً للسرقة والابتزاز. والآن، اغربوا."

ما إن أُغلِق الباب وراء الثلاثة، حتى زفر أداريو باخ بارتياح:

"يا لها من لحظة متوترة،" قال وهو يمسح جبينه. "اللعنة، يداي لا تزالان ترتجفان قليلًا. ويداك؟"

"لا،" ابتسم جيرالت، مستعيدًا ذكرياته. "في هذا الجانب... أعاني من قصور ما."

"يا لحظ بعض الناس،" قهقه القزم. "حتى عيوبهم جميلة. كوب آخر من البيرة؟"

"لا، شكرًا،" هز جيرالت رأسه. "حان وقت الرحيل. لقد وجدت نفسي في وضع يستوجب الإسراع نوعًا ما، وسيكون من الحماقة البقاء في مكان واحد لوقت طويل."

"لقد لاحظت ذلك بالفعل. ولن أطرح أي أسئلة. لكن، هل تعلم يا ويتشر؟"

"بصراحة، لم يعد لدي أي رغبة للبقاء في هذه المحطة وانتظار عربة البريد ليومين كاملين دون فعل شيء."

"أولًا، لأن الملل سيقضي عليّ. وثانيًا، لأن تلك الفتاة التي هزمتها بالمكنسة في ذلك النزال ودعتني بنظرة غريبة."

"في خضم الحماس، قد أكون بالغت قليلًا في الأمر. ربما لم تكن من أولئك اللواتي يمكنك صفعهن على المؤخرة ونعتهن بالعاهرات والإفلات بفعلتك."

"من المحتمل أن تعود، وأنا أفضل ألا أكون هنا عندما تفعل. لذا، ماذا لو انطلقنا سويًا؟"

"بكل سرور." ابتسم جيرالت مجددًا. "الرحلة تكون أقل وحدة برفقة رفيق جيد، وهذا أمر سيؤكده لك أي فيلسوف. طالما أن الوجهة تناسب كلَيْنا. يجب أن أصل إلى نوفيغراد. لا بد أن أكون هناك بحلول الخامس عشر من يوليو. لا مجال للتأخير."

كان عليه أن يكون في نوفيغراد في موعد أقصاه الخامس عشر من يوليو.

لقد شدد السحرة على ذلك عندما استأجروه، دفعوا له ثمن أسبوعين من وقته.

"لا مشكلة."

نظر إليه بينتي وتزارا بنظرات متعجرفة حينها.

"لا مشكلة، ويتشر. ستصل إلى نوفيغراد قبل أن تدرك ذلك. سننقلك فورًا إلى الشارع الرئيسي عبر بوابة سحرية."

"بحلول الخامس عشر، ها؟" قال القزم، وهو يعبث بلحيته. "اليوم هو التاسع. ليس أمامك متسع كبير من الوقت، فالمسافة طويلة. لكن هناك طريقة للوصول في الوقت المناسب."

نهض من مقعده، وأخذ قبعة واسعة الحواف مدببة من على وتد، ووضعها فوق رأسه. ثم ألقى حقيبة على كتفه.

"سأشرح الأمر لك على الطريق. هيا بنا، جيرالت من ريفيا. فهذا الطريق يناسبني تمامًا."

سارا بخطى سريعة، ربما أسرع مما ينبغي.

أداريو باخ كان قزمًا بكل معنى الكلمة.

ورغم أن الأقزام يستطيعون استخدام أي وسيلة نقل عند الحاجة، سواء كانت عربة، أو دابة للحمل، أو جوادًا للركوب، فإنهم يفضلون المشي بلا شك.

لقد وُلدوا للمشي.

كان القزم قادرًا على قطع ثلاثين ميلًا في اليوم، أي مثل رجل على صهوة جواد، بل وأكثر من ذلك، يحمل أمتعة لا يستطيع الإنسان العادي حتى رفعها.

لم يكن بإمكان البشر مجاراة قزم يسير بخطى ثابتة وخفيفة، ولا حتى الويتشر نفسه.

جيرالت نسي تلك الحقيقة، وبعد فترة، اضطر إلى طلب من أداريو أن يخفف من سرعته قليلًا.

سلكا دروب الغابة، وأحيانًا شقّا طريقهما عبر تضاريس وعرة.

لكن أداريو كان يعرف الطريق جيدًا، بدا مطلعًا بشكل مذهل على المنطقة.

وأثناء سيره، شرح قائلاً إن عائلته تعيش في سيداريس، وكانت كبيرة إلى درجة أن الاحتفالات لم تتوقف فيها أبدًا..زفاف، تعميد، جنازة، أو تأبين.

"وفقًا لتقاليد الأقزام، لا يمكن التغيب عن مثل هذه التجمعات إلا بشهادة وفاة موقعة من كاتب عدل، وبما أنني ما زلت حيًا، فلا مهرب منها."

لذلك، كان أداريو يعرف الطريق إلى سيداريس والعودة منها عن ظهر قلب.

"وجهتنا،" شرح وهو يسير، "هي مستوطنة فياترنا، التي تقع في منطقة فيضان نهر بونتار. هناك ميناء ترسو فيه المراكب والقوارب باستمرار.

إذا حالفنا الحظ، سنجد قريبًا سفينة ما، ونركب على متنها.

أنا بحاجة للوصول إلى تريتوجور، لذا سأنزل في كرين توسوك، بينما ستواصل أنت رحلتك إلى نوفيغراد، وستصل إلى هناك خلال ثلاثة أو أربعة أيام.

صدقني، هذه أسرع طريقة للوصول."

"أصدقك. لكن أبطئ قليلاً، أداريو، أرجوك. بالكاد أستطيع مجاراتك. هل مهنتك مرتبطة بالمشي بطريقة ما؟ هل أنت بائع متجول؟"

"أنا عامل منجم. في منجم نحاس."

"بالطبع. كل قزم عامل منجم. ويعمل في ماهكام. يقف في المنجم حاملًا معولًا، ويستخرج الفحم."

"أنت تستسلم للصور النمطية، ويتشر. قريبًا ستقول إن كل قزم يستخدم لغة فظة، وبعد بضعة كؤوس من الشراب، يهاجم الناس بفأس معركة."

"لم يخطر ببالي قط."

"منجمي ليس في مهاكام، بل في كوبرتاون، بالقرب من تريتوجور. لا أقف في المنجم ولا أستخرج الفحم، بل أعزف البوق في فرقة نحاسية تابعة للمنجم."

"مثير للاهتمام."

"في الواقع، هناك شيء آخر أكثر إثارة للاهتمام،" ضحك القزم. "مصادفة طريفة.

إحدى المقطوعات الرئيسية التي تؤديها فرقتنا النحاسية تدعى 'مسيرة الويتشريين'.

وتذهب على هذا النحو:

"تارا-رارا، بوم، بوم، أومبا-أومبا، ريم-سيم-سيم، بابارارا-تارا-رارا، تارا-رارا، بوم-بوم-بوم..."

"كيف، بحق الجحيم، اخترعتم هذا الاسم؟ هل سبق لك أن رأيت ويتشرًا يسير في موكب؟ أين؟ ومتى؟"

"في الحقيقة..." بدا أداريو باخ مرتبكًا للحظة، ثم تابع:

"إنها مجرد نسخة معدّلة قليلًا من 'استعراض الأقوياء'. لكن جميع الفرق النحاسية في المناجم تعزف إما 'استعراض الأقوياء'، أو 'دخول الرياضيين'، أو 'مسيرات الرفاق القدامى'.

أردنا أن نكون أكثر تميزًا. تا-را-را، بوم-دي-آي!"

"أبطئ، وإلا سأسقط صريعًا!"

* * *

كانت الغابات مهجورة تمامًا.

لكن العكس تمامًا كان في المروج والمساحات المفتوحة التي مروا بها بين الحين والآخر.

كان العمل هناك على أشده.

كان العشب يُجز، ويُكوم في أكوام، وتُجمع الحزم بعناية.

أداريو كان يحيي العمال بحماس، بعضهم رد التحية، وبعضهم تجاهله تمامًا.

"هذا يذكرني بمسيرة أخرى من معزوفات فرقتنا." أشار القزم إلى العمال المنهمكين في الحصاد. "تحمل عنوان 'حصاد التبن'.

"نؤديها كثيرًا، خاصة في الصيف، ونغني معها أيضًا. لدينا شاعر في المنجم، وقد ألّف كلمات ذكية تتناسب مع اللحن. يمكنك حتى غناؤها بدون موسيقى.

وهي تذهب على هذا النحو:

الرجال يخرجون للحصاد
والنساء خلفهم تتبع
يرفعون رؤوسهم، يرتجفون
خشية أن يغمرهم المطر
نلتف معًا لنحتمي
من العاصفة العاتية
نرفع فؤوسنا بفخر
ونتحدى الريح الهوجاء

"ثم نعيدها من البداية! إيقاع رائع للمسيرات، أليس كذلك؟"

"أبطئ يا أداريو!"

"لا يمكنك الإبطاء! إنها أغنية مسيرة! يجب أن تحافظ على الإيقاع، وعلى الوزن!"

* * *

بقايا جدار أبيض كانت تظهر على تل صغير، وإلى جانبها أنقاض مبنى وبرج بدا مألوفًا.

تعرف جيرالت على المعبد من شكل البرج، لكنه لم يستطع تذكر الإله الذي كان مخصصًا له.

كان قد سمع عنه عدة قصص مختلفة.

عاش الكهنة هناك منذ زمن بعيد، لكن يُقال إنه عندما أصبحت جشاعتهم وفجورهم المفرط وفاحشتهم أمرًا لا يُطاق، قام السكان المحليون بطردهم، ودفعوهم إلى أعماق الغابة الكثيفة.

حيث قضوا وقتهم، كما يُشاع، في محاولة "تحويل" أرواح الغابة.

على ما يبدو، لم تكن محاولاتهم ناجحة على الإطلاق.

* * *

"هذا هو أولد إيريم،" قال أداريو بحسم. "نحن نسير وفقًا لخريطتنا، ونحرز تقدمًا جيدًا. إذا واصلنا على هذا النحو، سنصل إلى سيلفان دام قبل حلول المساء."

كان الجدول الصغير الذي يسيرون بمحاذاته يتدفق فوق الصخور والمنحدرات، وعندما نزل إلى أسفل، اتسع ليُشكّل بركة كبيرة.

كان ذلك ممكنًا بفضل سد خشبي وترابي يوقف تدفق المياه.

كان هناك بعض العمل يجري عند السد، حيث انشغل مجموعة من الأشخاص هناك بجد.

"لقد وصلنا إلى سيلفان دام،" قال أداريو. "ما تراه هناك هو السد ذاته.

"يُستخدم لتمرير الأخشاب من موقع القطع.

النهر، كما تلاحظ، ليس صالحًا للملاحة، فهو ضحل جدًا.

لذا، يتم رفع منسوب المياه، وتجميع الأخشاب، ثم يُفتح السد، مما يخلق موجة كبيرة تُسهّل عملية تعويم الأخشاب ونقلها.

إنها الطريقة الرئيسية لنقل المواد الخام اللازمة لإنتاج الفحم النباتي."

"...وهو ضروري لصهر الحديد،" أكمل جيرالت الجملة قبل أداريو.

"والصهر هو الفرع الأكثر أهمية والأكثر وعودًا في الصناعة. أعلم ذلك جيدًا، فقد أوضح لي الأمر مؤخرًا ساحرٌ معين. ساحرٌ يفهم في الفحم والصهر."

"ليس من المستغرب أنه يفهم،" زمجر القزم بسخرية.

"مجلس السحرة هو المساهم الأكبر في الشركات الصناعية في غورز فيلين، ويمتلك العديد من المسابك ومصانع المعادن بشكل كامل.

السحرة يجنون أرباحًا ضخمة من الصهر.

ومن فروع أخرى أيضًا.

وهو أمر مستحق لهم، فهم في النهاية من أوجدوا التكنولوجيا إلى حد كبير.

لكنهم قد يتخلّون عن نفاقهم أخيرًا، ويعترفون بأن السحر ليس صدقة، وليس إحسانًا خيريًا، بل صناعة تهدف لتحقيق الربح.

ولكن لماذا أخبرك بذلك؟

أنت تعرف كل هذا بالفعل.

تعال معي، هناك حانة صغيرة هناك. فلنأخذ قسطًا من الراحة.

وبلا شك يمكننا الحصول على سرير هناك، انظر، الظلام بدأ يخيم."

* * *

لم تكن الحانة الصغيرة جديرة تمامًا باسمها، لكن لم يكن ذلك مفاجئًا.

كانت تخدم الحطّابين وعمال السد، وهم لم يكونوا يهتمون كثيرًا بمكان الشرب، طالما كان هناك شيء يُشرب.

كوخ بسقف قشّي متداعٍ يتسرب منه الماء، مظلة تستند إلى أعمدة، بضع طاولات ومقاعد خشنة الصنع، ومدفأة حجرية.

لم يكن المجتمع المحلي يحتاج أو يتوقع رفاهية أكبر من ذلك.

ما كان يهمهم حقًا هو ما كان خلف الحاجز:

البراميل التي كان صاحب الحانة يسكب منها الجعة، والمكان الذي كانت زوجته، إن شاءت وفي لحظة مزاجية جيدة، توافق على شوي النقانق فوق الجمر مقابل أجر.

لم تكن توقعات جيرالت وأداريو مرتفعة، خاصة وأن الجعة كانت طازجة، من برميل فُتح حديثًا،

كما لم يكن من الصعب إرضاء زوجة صاحب الحانة لتوافق على قلي وتقديم مقلاة من النقانق السوداء والبصل لهما.

بعد يوم كامل من التجوال عبر الغابات، بدا طبق النقانق السوداء مساويًا تمامًا لوجبة ساق عجل مطهية بالخضروات، أو كتف خنزير بري مشوي، أو سمك التوربوت مطهو في الحبر، أو أي من الروائع التي يقدمها طاهي مطعم "ناتورا ريروم".

لكن لأكون صادقًا، افتقد الويتشر ذلك المطعم قليلًا.

"هل تعرف مصير ذلك النبي، بالمناسبة؟" قال أداريو، مشيرًا إلى زوجة صاحب الحانة، طالبًا جعة أخرى.

قبل أن يجلسا لتناول الطعام، كانا قد تفحصا صخرة مغطاة بالطحالب تقف بجانب شجرة بلوط ضخمة.

كان محفورًا على سطحها نقشٌ يُعلن أن النبي ليبيودا ألقى موعظة لأتباعه في هذا المكان تحديدًا، يوم عيد بيركي في عام 1133 بعد القيامة.

كما ذكر النقش أن النصب التذكاري لهذا الحدث قد موّله وأقامه عام 1200 السيد سبيريدون آبس،

وهو صانع جدائل محترف من مدينة ريندي، يقع متجره في السوق الصغير، ويوفر سلعًا ذات جودة ممتازة وأسعار معقولة. الرجاء الزيارة.

"هل تعرف القصة الحقيقية لهذا ليبيودا، الذي أطلق عليه البعض نبيًا؟" سأل أداريو، وهو يكشط بقايا النقانق السوداء من المقلاة.

"لا أعرف أي قصص،" أجاب الويتشر، وهو يمسح قطعة خبز في المقلاة. "لا حقيقية ولا مختلقة. لم يكن الأمر يثير اهتمامي قط."

"إذن، استمع.

"حدثت القصة منذ أكثر من مئة عام، أعتقد بعد التاريخ المنقوش على تلك الصخرة بفترة قصيرة.

"اليوم، كما تعلم جيدًا، نادرًا ما يُرى التنانين، إلا في الجبال الوعرة أو الأراضي القاحلة.

"أما في ذلك الزمن، فقد كانت أكثر شيوعًا، وكانت مزعجة إلى حد ما.

"لقد اكتشفت التنانين أن المراعي الممتلئة بالماشية هي أماكن رائعة للحصول على وليمة مشبعة دون جهد كبير.

"لحسن حظ المزارعين، حتى أضخم الزواحف كانت تكتفي بوجبة أو وجبتين كل بضعة أشهر، ولكن هذا كان كافيًا ليهدد بقاء المزرعة، خاصة عندما تتخذ إحدى المناطق هدفًا لها."

"إحدى التنانين الضخمة استهدفت قرية معينة في كايدوين، كانت تحلق إليها، تأكل بعض الخراف، اثنتين أو ثلاثًا من الأبقار، ثم تصطاد بعض أسماك الكارب من البرك كتحلية.

"وأخيرًا، كانت تنفث النار، تحرق حظيرة أو كومة تبن، ثم تطير مبتعدة."

ارتشف القزم جرعة من الجعة، ثم تجشأ بصوت عالٍ.

"حاول القرويون بشتى الطرق تخويف التنين، باستخدام الفخاخ والحيل، ولكن دون جدوى.

"لحسن حظهم، كان ليبيودا قد وصل إلى بان آرد القريبة مع أتباعه.

"في ذلك الوقت، كان مشهورًا بالفعل، يُلقب بالنبي، وكان لديه أعداد هائلة من الأتباع.

"فطلب منه الفلاحون المساعدة، والمثير للدهشة أنه لم يرفض.

"عندما وصل التنين، خرج ليبيودا إلى المراعي وبدأ في طرده بالصلوات."

"أما التنين، فقد بدأ أولًا بشيّه كما يُشوى البط."

"ثم ابتلعه. بكل بساطة.

"ثم طار عائدًا إلى الجبال."

"هل هذه نهاية القصة؟"

"لا. تابع الاستماع. أجهش الأتباع بالبكاء، يائسين من مصير نبيهم، ثم قرروا استئجار بعض الصيادين. صيادونا، نحن الأقزام، صيادون محترفون يعرفون جيدًا كيفية التعامل مع التنانين. طاردوا التنين لمدة شهر كامل، مستخدمين الطريقة التقليدية... بتتبع الفضلات التي كان الزاحف العملاق يتركها خلفه. أما الأتباع، فقد سجدوا على ركبهم أمام كل كومة قذرة، ينتحبون بمرارة، وينقبون فيها بأيديهم، يبحثون عن بقايا سيدهم. أخيرًا، جمعوا ما اعتقدوا أنه جسده بالكامل... أو ما بدا لهم كذلك. في الواقع، لم يكن سوى مجموعة عشوائية من العظام البشرية وعظام الأبقار والخراف. اليوم، تُحفظ هذه البقايا في معبد نوفيغراد، داخل تابوت حجري. كأثر مقدس، يُعتقد أنه معجزة."

"إعترف يا أداريو أنك قد اختلقت هذه القصة. أو على الأقل بالغت فيها كثيرًا."

"لماذا هذا الشك؟"

"لأنني كثيرًا ما أصاحب شاعرًا معينًا. وهو، عندما يتوجب عليه الاختيار بين النسخة الحقيقية من الحدث والنسخة الأكثر جاذبية، يختار دائمًا الأخيرة، بل ويضيف إليها بعض الزخارف.

"وحين يُتهم بالمبالغة، يسخر من كل الاتهامات مستخدمًا الحجج الملتوية، قائلاً إن مجرد كون شيء ما غير دقيق لا يعني بالضرورة أنه كذبة."

"دعني أخمن من هو هذا الشاعر. إنه دانديليون، بالطبع. والقصص لها قواعدها الخاصة."

""القصة هي في الغالب سرد زائف لأحداث غير ذات أهمية، يرويها لنا مؤرخون أغلبهم حمقى،"" ابتسم الويتشر.

"دعني أيضًا أخمن من هو صاحب هذا الاقتباس." قهقه أداريو باخ. "فيسغوتا من كورفو، الفيلسوف وعالم الأخلاق. وأيضًا، المؤرخ."

"أما فيما يتعلق بالنبي ليبيودا... فالتاريخ، كما قيل من قبل، هو التاريخ."

"لكنني سمعت أنه في نوفيغراد، يقوم الكهنة أحيانًا بإخراج بقايا النبي من تابوته ويقدمونها للمؤمنين ليقوموا بتقبيلها.

"لكن، لو كنت هناك، فسأمتنع عن التقبيل."

"وأنا كذلك،" وعد جيرالت. "ولكن بما أننا ذكرنا نوفيغراد..."

"كن مطمئنًا،" قاطعه القزم. "لن تتأخر. سنستيقظ مبكرًا ونتوجه فورًا إلى فياترنا. سنعثر على صفقة جيدة، وستصل إلى نوفيغراد في الوقت المحدد."

لنأمل ذلك، فكر الويتشر. لنأمل ذلك.

" البشر والحيوانات ينتمون إلى أنواع مختلفة، بينما تعيش الثعالب بين البشر والحيوانات.

الأحياء والأموات يسيرون في طرق شتى، بينما تتحرك الثعالب بين الأحياء والأموات.

الآلهة والوحوش تسلك مسارات مختلفة، بينما تمشي الثعالب بين الآلهة والوحوش.

لا تلتقي مسارات النور والظلام أبدًا، ولا تتقاطع؛ فيتربص بينها أشباح الثعالب.

الخلود والشياطين يخطون دروبهم الخاصة وأشباح الثعالب تقبع في مكان ما بينهما."

جي يون — عالم من زمن سلالة تشينغ.

الفصل الرابع عشر

اجتاحت العاصفة المكان أثناء الليل.

بعد أن ناما في حظيرة قش، انطلقا مع أولى خيوط الفجر، في صباح بارد لكنه مشرق.

سارا على طول المسار المحدد بالعلامات، عابرين غابات واسعة الأوراق، ومستنقعات، ومروجًا موحلة.

بعد ساعة من السير المرهق، وصلا إلى بعض المباني.

"فياترنا،" أشار أداريو باخ. "هذا هو الميناء الذي كنت أخبرك عنه."

عندما وصلا إلى ضفة النهر، استقبلهما نسيم بارد قوي.

تقدما إلى رصيف خشبي، حيث اتسع مجرى النهر حتى أصبح أشبه ببحيرة، بالكاد يمكن تمييز التيار المائي، إذ كان يتدفق بعيدًا بعض الشيء.

كانت أغصان الصفصاف، وأشجار الأوسير، والألدر تتدلى فوق المياه، بينما كانت الطيور المائية تسبح في كل مكان، مصدرة أصواتًا متنوعة..بط الخضاري، بط الشتاء، بط الذيل المدبب، الغطاسون، والغرابيل.

وفي وسط هذه اللوحة الطبيعية، كانت سفينة صغيرة تنساب فوق المياه برشاقة، تمتزج بالمشهد دون أن تثير ذعر الطيور المائية المحتشدة حولها.

كان لها صاري واحد، بشراع كبير في المؤخرة، وعدة أشرعة مثلثة صغيرة في الخلف.

"لقد أحسن أحدهم يومًا حصرَ أجمل ثلاثة مشاهد في العالم،" قال أداريو باخ، محدقًا في المنظر بدهشة.

"سفينة بأشرعتها ممدودة بالكامل، حصان يعدو بأقصى سرعته، و..."

"وامرأة عارية مستلقية في السرير،" أكمل جيرالت بنبرة ساخرة.

ثم ابتسم ابتسامة خفيفة، وصحح: "امرأة ترقص، أداريو .. امرأة ترقص."

"إذا كنت تقول ذلك،" وافق القزم، مبتسمًا. "امرأة عارية ترقص. ومع ذلك، عليك أن تعترف، تلك القارب الصغير يبدو رائعًا فوق الماء."

"ليس قاربًا صغيرًا، بل سفينة صغيرة."

"إنه كتر،" قاطعهما رجل ممتلئ في منتصف العمر، يرتدي صدرة من جلد الأيل، وهو يقترب منهما.

"كتر، أيها السادة. ويمكنكم تمييز ذلك بسهولة من تجهيزاته.

"شراع رئيسي كبير، مقدمة مثلثة، وشراعان داعمان على الدعامات الأمامية. تصميم كلاسيكي."

اقتربت السفينة الصغيرة — أو الكتر — بما يكفي من الرصيف، مما سمح لهما بإلقاء نظرة أقرب على زخرفة مقدمتها.

كان النحت يصور رجلاً مسنًا أصلعًا ذو أنف معقوف، بدلًا من التماثيل البحرية التقليدية التي تكون عادة امرأة عارية الصدر، أو حورية بحر، أو تنين، أو ثعبان بحري.

"اللعنة،" تمتم أداريو باخ لنفسه. "هل النبي يلاحقنا، أم ماذا؟"

"يبلغ طولها أربعة وستين قدمًا،" تابع الرجل المسن بصوت فخور. "بإجمالي مساحة شراع تبلغ ثلاثة آلاف وثلاثمائة قدم مربعة.

"أيها السادة، هذه هي 'النبي ليبيودا'، كتر حديث من الطراز الكوفيراني، بُنيت في حوض بناء السفن في نوفيغراد، وتم إطلاقها قبل عام تقريبًا."

"يبدو أنك على دراية تامة بهذه السفينة،" قال أداريو باخ، وهو يمسح حلقه. "تعرف عنها الكثير."

"أنا أعرف كل شيء عنها، لأنني المالك.

"هل ترون الراية عند المؤخرة؟ تحمل شعار قفاز. إنه رمز شركتي.

"اسمحوا لي بتقديم نفسي: كيفينارد فان فليت، تاجر في صناعة القفازات."

"سعيد بالتعرف إليك." صافحه القزم يده اليمنى، وهو يحدّق فيه بنظرة فاحصة.

"ونهنئك على سفينتك الصغيرة، فهي جميلة وسريعة. لكن من الغريب أن تكون هنا، في فياترنا، على هذا الامتداد الواسع من الماء، بعيدًا عن خطوط الشحن الرئيسية لنهر بونتار. والأغرب من ذلك أن تكون السفينة على الماء، بينما أنت، مالكها، واقف على اليابسة، في مكان مهجور. هل هناك ما يدعو للقلق؟"

"أوه، لا، لا، لا شيء يدعو للقلق،" قال تاجر القفازات بسرعة وبنبرة حماسية، أسرع وأشد تأكيدًا مما رآه جيرالت مناسبًا.

"نقوم فقط بتزويد السفينة بالمؤن، لا أكثر.

"أما عن وجودنا في هذا المكان المنعزل، فالأمر لم يكن باختيارنا، بل فرضته علينا الضرورة القاسية.

"فعندما تسرع لإنقاذ أحدهم، لا تلتفت إلى الطريق الذي تسلكه. ومهمتنا في الإنقاذ..."

"دعنا لا نخوض في التفاصيل، السيد فان فليت،" قاطعه فجأة أحد الرجال الذين أصبحوا فجأة قريبين بما يكفي لجعل الرصيف يهتز تحت وقع خطواتهم.

كان يرتدي قبعة من القش، وكان مميزًا بفكّه الحاد وذقنه البارزة، التي غطاها زغب كثيف غير حليق منذ عدة أيام.

لكن الأبرز كان الشق العميق في منتصف ذقنه، مما جعله يبدو أشبه بمؤخرة صغيرة.

كان يرافقه رجل ضخم، طويل القامة، عملاق حقيقي، لكن ملامحه لم تكن توحي بالغباء رغم ضخامة جسده.

أما الثالث، فقد كان قوي البنية، خشن الملامح، وجهه يحمل آثار الشمس والملح، بحارًا حتى النخاع، من قبعته الصوفية إلى القرط في أذنه.

أما الاثنان الآخران، فقد كانا بوضوح من طاقم السفينة، وكانا يحملان صناديق مليئة بالمؤن.

"لا أعتقد،" تابع الرجل ذو الذقن المشقوق، "أن هؤلاء السادة، أيًّا كانوا، بحاجة إلى معرفة أي شيء عنا، أو عما نفعله، أو عن أمورنا الخاصة الأخرى.

"هؤلاء السادة يدركون جيدًا أنه لا أحد له الحق في التدخل في شؤوننا الخاصة، وخاصة الغرباء التامّين الذين التقينا بهم بالصدفة..."

"ربما ليسوا غرباء تمامًا،" قاطعه العملاق.

"أيها القزم المحترم، لا أعرفك بالفعل، لكن شعر هذا الرجل الأبيض يكشف هويته.

"جيرالت من ريفيا، أليس كذلك؟ الويتشر؟ هل أنا مخطئ؟"

"أصبحت مشهورًا أكثر مما ينبغي"، فكر جيرالت في نفسه وهو يطوي ذراعيه على صدره. "شهرة زائدة عن الحد. هل ينبغي لي صبغ شعري، ربما؟ أم أنني أحلقه بالكامل مثل هارلان تزارا؟"

"ويتشر!" بدا كيفينارد فان فليت مبتهجًا بوضوح.

"ويتشر حقيقي! يا لها من ضربة حظ! أيها السادة النبلاء! إنه هبة من السماء!"

"الشهير جيرالت من ريفيا!" كرر العملاق، بحماسة مماثلة.

"يا لها من مصادفة رائعة أن نلتقي به الآن، في موقفنا هذا!

"سيكون قادرًا على مساعدتنا للخروج من هذه الورطة..."

"أنت تتحدث كثيرًا يا كوبين،" قاطعه الرجل ذو الذقن المشقوق بحدة.

"وبسرعة كبيرة، وبإفراط."

"ماذا تعني بذلك، سيد فيش؟" زمجر تاجر القفازات.

"ألا ترى أي مفاجأة عظيمة هذه؟ مساعدة شخص مثل الويتشر..."

"السيد فان فليت! دع الأمر لي. لدي خبرة أكبر في التعامل مع أمثال هذا الرجل هنا."

ساد الصمت للحظة، حيث أخذ الرجل ذو الذقن المشقوق يقلب نظراته في الويتشر من رأسه إلى أخمص قدميه.

"جيرالت من ريفيا،" قال أخيرًا، بصوت بارد. "قاهر الوحوش والمخلوقات الخارقة. قاهر أسطوري، يمكنني القول. لو كنت أؤمن بالأساطير، طبعًا. لكن، أين سيوف الويتشر الشهيرة؟ لا أراها معك."

"ليس من المستغرب أنك لا تراها، ردّ جيرالت بنبرة هادئة. لأنها غير مرئية. ماذا؟ ألم تسمع الأساطير عن سيوف الويتشرين؟ غير المتمرسين لا يمكنهم رؤيتها. إنها تظهر عندما أنطق التعويذة المناسبة. عندما تستدعي الحاجة. إذا استدعت الحاجة. لأنني قادر على إحداث الكثير من الضرر حتى بدونها."

"سآخذ كلامك على محمل الجد."

"أنا يافيل فيش. أدير شركة في نوفيغراد تقدم خدمات متنوعة. وهذا شريكي، بيترو كوبين. وهذا السيد بودلوراك، قبطان النبي ليبيودا. أما السيد كيفينارد فان فليت، الذي التقيت به بالفعل، فهو مالك هذه السفينة الصغيرة."

ثم أكمل:

"أرى، ويتشر، أنك تقف على رصيف في المستوطنة الوحيدة ضمن نطاق عشرين ميلًا تقريبًا،" تابع يافيل فيش، وهو ينظر حوله. ولمغادرة هذا المكان والوصول إلى طرق حضارية، عليك أن تقطع الغابات سيرًا على الأقدام. يبدو لي أنك تفضل مغادرة هذه البرية بالإبحار، على متن شيء يطفو فوق الماء. والنبي ليبيودا تستعد للإبحار إلى نوفيغراد في هذه اللحظة بالذات. ويمكنها أن تأخذ ركابًا. مثلك، ومثل رفيقك القزم. هل يناسبك ذلك؟"

"تابع حديثك، سيد فيش. أنا أستمع."

"سفينتنا، كما ترى، ليست مجرد قارب قديم متهالك، فالإبحار على متنها ليس مجانيًا، بل يتطلب دفع مبلغ لا بأس به. لا تقاطعني. هل ستكون مستعدًا لحمايتنا بسيوفك غير المرئية؟ يمكننا أن ندفع مقابل خدماتك القيّمة كويتشر، أي مرافقتنا وحمايتنا خلال الرحلة من هنا إلى ميناء نوفيغراد، كتعويض عن أجرة الرحلة. لكن، ما السعر الذي تضعه على خدماتك هذه؟"

تأمل جيرالت الرجل أمامه بنظرة ثابتة.

"هل يشمل ذلك تكلفة معرفة حقيقة الأمر؟"

"ماذا؟"

"هناك خدعة وألاعيب مخفية في عرضك،" قال جيرالت بهدوء.

"إذا اضطررت لاكتشافها بنفسي، سأرفع السعر. سيكون الأمر أرخص إذا قررت أن تكون صادقًا."

"شكوكك هذه مثيرة للريبة،" ردّ فيش ببرود. فالمحتالون وحدهم هم من يتشممون رائحة الخداع. وكما يُقال: الضمير المذنب لا يحتاج إلى مُتهم. نريد استئجارك كحارس شخصي. المهمة بسيطة جدًا، بلا تعقيدات. أي حيلة قد تكون مخفية فيها؟"

"كل هذا الحديث عن الحراسة مجرد قصة مختلقة،" قال جيرالت، دون أن يشيح بنظره. تم اختلاقها في اللحظة ذاتها، وهو أمر واضح تمامًا."

"هل هذا ما تظنه؟"

"نعم. لأن السيد تاجر القفازات أفشى دون قصد شيئًا عن "بعثة إنقاذ"، وأنت، سيد فيش، كنت تقاطعه بفظاظة. ولن يمر وقت طويل قبل أن يتفوه شريكك بحماقة ويكشف عن الموقف الذي تريدون إنقاذ أنفسكم منه. لذا، إن كنت سأتعامل معكم، فلا داعي للاختلاقات. أي نوع من البعثة هذه؟ ومن الذي تحاولون إنقاذه؟ ولماذا كل هذا التستر؟ ما الورطة التي تحتاجون للخروج منها؟"

"سوف نشرح،" قال فيش، مقاطعًا فان فليت قبل أن يتمكن من فتح فمه.

"سوف نشرح لك كل شيء، أيها الويتشر العزيز..."

تداخل صوت أجش فجأة: "لكن على متن السفينة" كان صوت القبطان بودلوراك، الذي ظل صامتًا حتى الآن.

"لا جدوى من إضاعة المزيد من الوقت على هذا الرصيف. لدينا رياح مواتية. لنبحر، أيها السادة."

مجرد أن ملأت الرياح أشرعة السفينة، انطلقت النبي ليبيودا بسرعة عبر المياه الواسعة للخليج، متجهة نحو الممر الرئيسي، متعرجة بين الجزر الصغيرة.

كانت الحبال تصطك، والسارية تئن، والراية التي تحمل شعار القفاز ترفرف بقوة على سارية العلم.

وفى كيفينارد فان فليت بوعده.

فما إن انفصل الكتر عن رصيف فياترنا، حتى استدعى جيرالت وأداريو إلى المقدمة وبدأ بالشرح.

"البعثة التي نقوم بها،" بدأ قائلاً، مع إلقاء نظرات حذرة بين الحين والآخر نحو فيش، الذي بدا غارقًا في عبوسه، "تهدف إلى تحرير طفلة مختطفة.

"كزيمينا دي سيبولفيدا، الابنة الوحيدة لبريانا دي سيبولفيدا.

"الاسم لا بد أنه مألوف لكما. دباغة الفراء، ورش النقع والتفصيل، وصناعة الملابس الفاخرة من الفراء. إنتاج سنوي ضخم، وأموال طائلة.

"إذا رأيتم سيدة ترتدي فراءً فخمًا وغالي الثمن، فمن المؤكد أنه من مصنعها."

"وتم اختطاف ابنتها؟ من أجل فدية؟"

"في الواقع، لا.

"لن تصدق، ولكن... اختطفها وحش. أنثى ثعلب. أعني، متحولة شكل. ثعلبة."

"أنت محق،" قال الويتشر ببرود. "لن أصدق. "أنثى الثعالب، أو الثعلبات، أو بدقة أكثر، الأغوارا، لاتختطف إلا أطفال الإلف."

"هذا صحيح، صحيح تمامًا،" قاطع فيش بحدة.

"لأنه، رغم أنها سابقة لم تحدث من قبل، فإن ورشة صناعة الفراء في نوفيغراد تُدار من قبل كائن غير بشري. الأم، بريان ديارفايل آب موغي، هي قزمية نقية الدم. أرملة جاكوب دي سيبولفيدا، التي ورثت منه كامل ثروته."

"عائلته لم تتمكن من إبطال وصيته، ولا من إلغاء زواجه المختلط، رغم أنه مخالف للتقاليد والقانون الإلهي..."

"أدخل في صلب الموضوع،" قاطعه جيرالت، بنبرة حادة. أدخل في صلب الموضوع، من فضلك".

"هل تدّعون أن هذه المرأة القزمية، الفروّاجة ذات الدم النقي، قد كلفتكم بمهمة استعادة ابنتها المختطفة؟"

"هل تسخر منا؟" قطّب فيش جبينه، محدقًا في جيرالت بريبة. "تحاول الإيقاع بنا؟ أنت تعلم جيدًا أنه إذا اختطفت أنثى الثعلب طفلًا إلفيًا، فإنهم لا يحاولون استعادته أبدًا. إنهم يتخلون عنه، ينسونه، يقبلون بأنه كان مقدرًا له أن يحدث..."

قاطعه كيفينارد فان فليت: "في البداية، بريانا دي سيبولفيدا تظاهرت بنفس الشيء. لقد كانت يائسة، لكنها أخفت يأسها كما يفعل الإلف. من الخارج، ملامح لا تُقرأ، عيون جافة... كانت تردد Va'esse deireádh aep eigean, va'esse eigh faidh'ar ، والتي تُترجم إلى بـ..."

"... شيء ما ينتهي، شيء ما يبدأ."

"تمامًا. لكن هذا ليس سوى كلام إلفي فارغ، لا شيء ينتهي هنا، ما الذي يجب أن ينتهي؟ ولماذا يجب أن ينتهي؟ بريانا عاشت بين البشر لسنوات عديدة، عاشت وفقًا لقوانيننا وعاداتنا، وهي غير بشرية بالدم فقط، لكن في قلبها، هي تقريبًا إنسانة. أعترف أن المعتقدات والخرافات الإلفية قوية للغاية، وربما بريانا تتظاهر بالتماسك أمام الإلف الآخرين، لكن من الواضح أنها تفتقد ابنتها بشدة. كانت ستقدم أي شيء لاستعادة ابنتها الوحيدة، سواء كان الخاطف أنثى ثعلب أو أي مخلوق آخر... لكنها لم تطلب شيئًا، ولم تكن تتوقع أي مساعدة. ورغم ذلك، لم نستطع الوقوف متفرجين على يأسها، فقررنا مساعدتها. نقابة التجار بأكملها اجتمعت وجمعت التمويل اللازم لهذه البعثة. أنا قدمت سفينتي النبي ليبيودا، كما تطوع السيد بارلاغي، الذي ستتعرف عليه قريبًا. لكن، بما أننا تجار ولسنا مغامرين، لجأنا إلى السيد يافيل فيش المحترم، الذي نعرفه بأنه رجل حاذق، واسع الحيلة، لا يخشى المخاطر، ماهر في التعامل مع المواقف الصعبة، ومشهور بمعرفته الواسعة وخبرته الكبيرة..."

"السيد فيش المحترم، المشهور بخبرته..." ألقى جيرالت نظرة عليه قبل أن يكمل "...غفل عن إخباركم بأن حملة الإنقاذ هذه عديمة الجدوى، وكانت محكومة بالفشل منذ بدايتها. لديّ تفسيران لذلك.

"الأول: أن السيد فيش المحترم ليس لديه أدنى فكرة عن المأزق الذي يدخلكم فيه. الثاني، وهو الأكثر احتمالًا: أن السيد فيش المحترم قد تلقى مبلغًا سخيًا بما يكفي ليتوه بكم في هذه البرية ثم يعود خالي الوفاض."

"أنت تلقي بالاتهامات جزافًا!" كاد فيش أن ينفجر غضبًا، لكن كيفينارد فان فليت أوقفه بإيماءة، مانعًا إياه من الرد بحدة.

"وأنت أيضًا متسرع جدًا في توقع الفشل. بينما نحن، التجار، نفكر دائمًا بإيجابية..."

"يُحسب لكم هذا التفكير. لكن في هذه الحالة، لن يفيدكم."

"ولماذا؟"

"لأن استعادة طفل مختطف من قبل أغوارا مستحيلة،" أوضح جيرالت بهدوء. مستحيلة تمامًا. وليس لأن العثور على الطفلة سيكون صعبًا، رغم أن إناث الثعالب تعيش حياة سرية للغاية. وليس لأن الأغوارا لن تسمح لكم بأخذ الطفلة فحسب، فهي ليست خصمًا يُستهان به، سواء في شكلها الحيواني أو البشري. المشكلة الحقيقية تكمن في أن الطفلة المختطفة لا تعود طفلة. تحدث تغيرات جوهرية في الفتيات الصغيرات اللواتي يتم اختطافهن من قبل إناث الثعالب. إنهن يتحولن، ويصبحن أغوارا بأنفسهن. فالأغوارا لا تتكاثر بالطريقة الطبيعية. إنهن يحافظن على استمرار نوعهن عن طريق اختطاف الأطفال الإلف وتحويلهم."

"هذا النوع من الثعالب يجب أن يُباد." أخيرًا، وجد فيش الفرصة للحديث. كل تلك المخلوقات المتحولة ينبغي أن تُباد.صحيح أن إناث الثعالب نادرًا ما تتدخل في شؤون البشر. لكنهن يخطفن فقط صغار الإلف، ويؤذين فقط الإلف، وهو أمر جيد بحد ذاته، لأن كلما زاد الضرر الواقع على غير البشر، زادت الفوائد للبشر الحقيقيين. لكن إناث الثعالب وحوش، والوحوش يجب أن تُباد، يجب أن تُدمَّر، يجب أن تُستأصل كسلالة. أنت تعيش من ذلك، ويتشر، أنت تساهم في ذلك.

"أتمنى ألا تحمل ضغينة ضدنا لأننا نساهم في إبادة الوحوش. لكن، كما يبدو لي، هذه النقاشات بلا جدوى. أنت أردت تفسيرات، وقد حصلت عليها"

"أنت تعلم الآن ما المطلوب منك، وضد ماذا... ضد من يجب أن تحمينا."

"لا تؤاخذني، لكن تفسيراتك غامضة مثل بول مصاب بعدوى المثانة،" علّق جيرالت بهدوء. أما سمو هدف بعثتكم فهو مشكوك فيه مثل عذرية فتاة بعد مهرجان قروي. لكن هذا شأنكم. وظيفتي أن أنصحكم بأن الطريقة الوحيدة لحماية أنفسكم من الأغوارا هي أن تبقوا بعيدين عنها قدر الإمكان. سيد فان فليت"

"نعم؟"

"عُد إلى ديارك. هذه الحملة لا معنى لها، لذا حان الوقت لتقبل ذلك والتخلي عنها. هذه نصيحتي لكم كويتشر. والنصيحة مجانية."

"لكن... لن تنزل من السفينة، أليس كذلك؟" تمتم فان فليت، شاحب الوجه قليلًا. سيدي الويتشر هل ستبقى معنا؟ وإن... وإن حدث شيء، ستحمينا؟ أرجوك وافق... بحق الآلهة، قل نعم..."

"سيوافق، لا تقلق،" زمجر فيش ساخرًا. سيُبحر معنا. فمن غيرنا سينقله من هذه البرية؟ لا داعي للذعر، السيد فان فليت. لا يوجد ما يدعو للخوف."

"أوه، بل هناك ما يدعو للخوف! صرخ تاجر القفازات. هذا كلام مضحك! لقد ورطتنا في هذه الفوضى، والآن تتظاهر بأنك البطل؟ أنا أريد أن أصل إلى نوفيغراد سالمًا، هذا كل ما في الأمر. يجب أن يكون هناك من يحمينا الآن، خاصة أننا في مأزق... عندما نكون عرضة..."

"نحن لسنا في خطر. لا ترتعد مثل النساء. انزل إلى أسفل، مثل رفيقك بارلاغي. اشرب بعض الروم معه، وستعود شجاعتك سريعًا."

احمرّ وجه كيفينارد فان فليت، ثم شحب.

بعدها، التقى عيني جيرالت بثبات.

"كفى مراوغة،" قال بنبرة حازمة، لكن هادئة. "حان وقت الاعتراف بالحقيقة. سيدي الويتشر، نحن لدينا تلك الثعلبة الصغيرة بالفعل. إنها في المؤخرة، تحت حراسة السيد بارلاغي."

هزّ جيرالت رأسه بعدم تصديق.

"هذا لا يُصدق. أنتم اختطفتم ابنة صانعة الفراء من الأغوارا؟ الصغيرة كزيمينا؟"

بصق فيش فوق سطح السفينة، بينما حكّ فان فليت مؤخرة رأسه بتوتر.

"لم يكن هذا ما خططنا له،" تمتم أخيرًا. لقد وقع بين أيدينا طفلة مختلفة... ثعلبة أيضًا، لكنها ليست نفس الفتاة... وقد اختُطفت من قبل ثعلبة أخرى مختلفة تمامًا. السيد فيش اشتراها... من بعض الجنود الذين خدعوا خادمة وسلبوا منها الثعلبة. في البداية، ظننا أنها كزيمينا، فقط بعد أن تحوّلت... لكن كزيمينا كانت تبلغ من العمر سبع سنوات، وشعرها أشقر، بينما هذه تكاد تكون في الثانية عشرة، وشعرها داكن..."

"أخذناها، رغم أنها لم تكن الفتاة المطلوبة،" استبق فيش ردّ الويتشر. لماذا يُترك نسل الإلف لينضج فيصبح وحشًا أسوأ؟ وفي نوفيغراد، قد نتمكن من بيعها إلى حديقة حيوانات، فهي تُعدّ نادرة، متوحشة، نصف أغوارا، تربّت في الغابة على يد ثعلبة... بالتأكيد سيدفع لنا متنزه الحيوانات مبلغًا جيدًا لقاءها..."

استدار جيرالت عنهم، متجاهلًا فيش تمامًا.

"قبطان، اتجه نحو الضفة!"

"ليس بهذه السرعة،" زمجر فيش، مقاطعًا.

"ابقَ على المسار يا بودلوراك. الأوامر هنا ليست لك، ويتشر."

"أناشدك أن تستعمل عقلك، السيد فان فليت،" تابع جيرالت، غير مكترث بفيش.

"يجب تحرير الفتاة فورًا وإنزالها على الضفة. وإلا فأنتم هالكون. إن الأغوارا لن تتخلى عن طفلتها. وهي تتابعكم بلا شك في هذه اللحظة. الطريقة الوحيدة لإيقافها هي التخلي عن الفتاة."

"لا تستمع إليه،" قال فيش. لا تدعه يخيفك، نحن نُبحر في النهر، على مياه واسعة وعميقة. ماذا يمكن لثعلبة أن تفعل لنا؟

"ولدينا ويتشر لحمايتنا،" أضاف بيترو كوبين ساخرًا. "مسلح بسيوف غير مرئية! الشهير جيرالت من ريفيا لن يرتعد خوفًا من مجرد ثعلبة عجوز!"

"لا أعلم... لا أعلم،" تمتم تاجر القفازات، وهو ينقل نظره بين فيش وجيرالت وبودلوراك.

"سيدي جيرالت؟ سأكون كريمًا بمكافأتك في نوفيغراد، سأعوضك بسخاء عن مجهوداتك... فقط احمنا."

"سأحميكم بكل تأكيد بالطريقة الوحيدة الممكنة، قبطان، اتجه نحو الضفة."

"إياك أن تفعل!" شحب وجه فيش، صوته ارتجف بالغضب لا تخطُ خطوة واحدة نحو المؤخرة، وإلا ستندم أشد الندم!"

"كوبين!"

بيترو كوبين حاول الإمساك بجيرالت من ياقة سترته، لكنه لم يتمكن من ذلك، لأن أداريو باخ — الذي ظل حتى تلك اللحظة هادئًا وصامتًا — دخل في المعركة.

ركل القزم كوبين بقوة خلف ركبته، فترنح الضخم إلى الأمام وسقط على ركبتيه.

قفز أداريو فوقه، ووجه لكمة قوية إلى كليته، ثم أخرى إلى جانب رأسه.

انهار العملاق على سطح السفينة.

"وماذا لو كان ضخمًا؟" قال القزم، وهو يمسح نظراته عبر وجوه الآخرين "كل ما يعنيه ذلك هو أن ارتطامه بالأرض سيكون أعلى صوتًا."

يد فيش كانت تقترب ببطء من خنجره، لكن نظرة واحدة من أداريو باخ جعلته يعيد التفكير في ذلك.

وقف فان فليت مشدوهًا، فمه مفتوح بدهشة، مثل القبطان بودلوراك وبقية الطاقم.

تأوه بيترو كوبين وأخذ يحاول رفع رأسه عن سطح السفينة.

"ابقَ مكانك،" نصحه القزم. "لا وزنك ولا الوشم على ذراعك من ستريفورز يثيران إعجابي. لقد سببتُ ضررًا أكبر لأشخاص أضخم منك، ولسجناء من سجون أشد قسوة مما رأيته في حياتك. لذا لا تحاول النهوض. جيرالت، افعل ما هو ضروري."

ثم استدار إلى الآخرين وقال بصرامة: "إذا كان لديكم شك، فدعوني أخبركم أنني والويتشر ننقذ حياتكم في هذه اللحظة بالذات. قبطان، اتجه نحو الضفة. وأنزل قاربًا إلى الماء."

نزل جيرالت إلى الأسفل عبر الممر الضيق، دفع بابًا، ثم آخر.

ثم توقف فجأة.

خلفه، أطلق أداريو باخ شتيمة نابية. فيش شتم بدوره. فان فليت شهق مرتعبًا.

كانت عينا الفتاة النحيلة الملقاة على السرير زجاجيتين، لا حياة فيهما.

كانت نصف عارية، جسدها مكشوف من الخصر إلى أسفل، ساقاها مبعثرتان بوضع مشين.

رقبتها ملتوية بشكل غير طبيعي. بشكل أكثر فظاعة حتى من وضع جسدها.

"السيد بارلاغي..." تمتم فان فليت، بصوت يرتجف. ما... ماذا فعلت؟"

الرجل الأصلع، الجالس فوق الجثة، رفع رأسه ونظر إليهم.

حرّك رأسه كأنه لا يراهم، كأنه يبحث عن مصدر صوت تاجر القفازات.

"السيد بارلاغي!"

"كانت تصرخ..." تمتم الرجل، بينما كان ذقنه المزدوج يرتجف، وتنضح أنفاسه برائحة الخمر.

"بدأت تصرخ..."

"السيد بارلاغي..."

"كنتُ أريد فقط أن أسكتها... فقط أسكتها."

"لكنك قتلتها." صرّح فيش بلهجة خالية من أي عاطفة.

"لقد قتلتها ببساطة!"

وضع فان فليت رأسه بين يديه، مرتجفًا.

"والآن؟ ماذا سنفعل؟"

"الآن،" قال القزم بوضوح، "نحن في ورطة لا يمكن الخروج منها."

"لا داعي للذعر!" صرخ فيش، وهو يضرب حاجز السفينة بقبضته.

"نحن في النهر، فوق مياه عميقة. الضفاف بعيدة. حتى لو — وأنا أشك في ذلك — كانت الأغوارا تلاحقنا، فهي لن تشكل خطرًا علينا فوق الماء."

"سيدي الويتشر؟" رفع فان فليت عينيه بخوف. "ما رأيك؟"

"إن الأغوارا تترصدنا،" كرر جيرالت بصبر، "لا شك في ذلك. إن كان هناك أي شك، فهو في خبرة السيد فيش، الذي أرجوه أن يلتزم الصمت فيما يخص هذا الأمر. الوضع كالتالي، السيد فان فليت: لو أننا أطلقنا سراح الثعلبة الصغيرة وتركناها على اليابسة، ربما كانت الأغوارا لتكفّ عن ملاحقتنا. لكن ما حدث قد حدث. والآن، السبيل الوحيد للنجاة هو الفرار. المعجزة الوحيدة هنا أن الأغوارا لم تهاجمكم

في وقت أبكر، وهذا دليل على أن الحظ ما زال يحالف الحمقى. لكن لا يمكننا أن نستمر في اختبار القدر. ارفَع جميع الأشرعة، أيها القبطان. كل ما لديك."

"يمكننا أيضًا رفع الشراع السفلي،" قال بودلوراك ببطء. "الرياح في صالحنا..."

"وإذا..." قاطعه فان فليت، مترددًا. "سيدي الويتشر؟ هل ستدافع عنا، سيدي؟"

"سأكون صريحًا معك، يا سيد فان فليت لو كنتم في وضع مثالي، كنتُ سأترككم. وخاصة بارلاغي، مجرد التفكير فيه يجعل معدتي تنقلب، وهو الآن تحت السطح، يسكر فوق جثة الطفلة التي قتلها..."

" قاطعه أداريو باخ، وهو يرفع نظره نحو السماء: "أنا أيضًا كنتُ سأميل إلى ذلك.

أكمل جيرالت: "لأنه، وكما قال السيد فيش عن غير البشر: كلما زاد الضرر الذي يقع على الحمقى، زادت الفائدة للعقلاء. كنتُ سأترك بارلاغي لمصير الأغوارا. لكن القسم يمنعني. قانون الويتشر لا يسمح لي بالتصرف وفق رغباتي الشخصية. لا يمكنني التخلي عن شخص في خطر الموت."

"نُبل الويتشر!" سخر فيش. "وكأننا لم نسمع من قبل عن جرائمكم! لكنني أؤيد فكرة الفرار السريع. افردوا كل الأشرعة، بودلوراك، انطلقوا نحو طريق الشحن، ولنختفِ من هنا!"

أصدر القبطان أوامره، وبدأ البحارة في التعامل مع الحبال والأشرعة.

توجه بودلوراك بنفسه نحو المقدمة، وبعد لحظة من التفكير، تبعه جيرالت والقزم.

أما فان فليت، وفيش، وكوبين فكانوا يتشاجرون على سطح المؤخرة.

"السيد بودلوراك؟"

"نعم؟"

"لماذا سُميت السفينة بهذا الاسم؟ وتلك المنحوتة غير المألوفة على المقدمة؟ هل كان الغرض منها إقناع الكهنة بتمويلك؟"

"أُطلقت السفينة لأول مرة باسم ميلوزين." هز القبطان كتفيه بلا مبالاة. وكانت تحمل تمثالًا يناسب الاسم ويريح العين. ثم تم تغيير كلاهما. البعض قال إن الأمر كان متعلقًا بالبحث عن راعٍ مالي،

والبعض الآخر قال إن كهنة نوفيغراد ظلوا يتهمون فان فليت بالهرطقة والتجديف، لذا أراد... أراد استرضاءهم."

شقّ قارب النبي ليبيودا طريقه في المياه.

"جيرالت؟"

"ماذا، أداريو؟"

"تلك الثعلبة... أعني الأغوارا... من خلال ما سمعت، يمكنها تغيير شكلها. يمكنها الظهور كامرأة، لكنها تستطيع أيضًا أن تتخذ شكل ثعلب. أهي تمامًا مثل المستذئب؟"

"ليس تمامًا. إن المستذئبون، ومتحولو الدببة، ومتحولو الجرذان، والمخلوقات المشابهة هم ثريانتروب — بشر قادرون على تغيير أشكالهم. أما الأغوارا، فهي أنثريون — حيوان، أو بالأحرى مخلوق، قادر على اتخاذ شكل إنسان."

"وماذا عن قدراتها؟ "لقد سمعت قصصًا مذهلة... يُقال إن الأغوارا قادرة على..."

"آمل أن نصل إلى نوفيغراد قبل أن تضطر الأغوارا لإظهار ما يمكنها فعله،" قاطعه الويتشر.

"وإذا..."

"الأفضل ألا نفكر في "إذا"."

هبت الرياح فجأة.

تلاعبت بالأشرعة، تمايلت الحبال.

"السماء تزداد قتامة،" قال أداريو باخ، مشيرًا إلى الأفق.

"وأعتقد أنني سمعت الرعد، وإن كان بعيدًا."

لم تخذله حاسة سمعه. فبعد لحظات قليلة، دوّى الرعد مجددًا. هذه المرة، سمعه الجميع.

"عاصفة قادمة!" صرخ بودلوراك.

"في المياه العميقة، ستقلبنا رأسًا على عقب!

"علينا الفرار، إيجاد مأوى، الاحتماء من الرياح! الجميع إلى الأشرعة، بسرعة!"

أزاح الدليل جانبًا بسرعة وأمسك بالدفة بنفسه.

"تمسّكوا جيدًا! كل رجل في مكانه!"

تحوّل لون السماء فوق الميمنة إلى نيلي داكن.

فجأة، هبّت عاصفة عاتية، تعصف بالأشجار على الضفة النهرية شديدة الانحدار، وتتلاعب بها بقوة.

تمايلت تيجان الأشجار الكبيرة، بينما انحنت الأشجار الأصغر حتى كادت أن تلامس الأرض.

كسرت العاصفة مجموعة كبيرة من الأوراق والأغصان بالكامل، وحتى فروع ضخمة واندفعت مع الرياح الهائجة.

اندلع البرق فجأة، مشرقًا بشكل مبهر، وبعد لحظات فقط، دوّى الرعد بصوت صاخب مزعزع.

تبعته صاعقة أخرى على الفور تقريبًا. ثم ثالثة.

وفي اللحظة التالية، التي سبقتها همهمة ريح متزايدة القوة، انهمرت الأمطار بعنف.

تحوّل كل شيء إلى شلال من الماء المتساقط، حاجبًا عنهم الرؤية تمامًا.

راحت سفينة النبي ليبيودا تتمايل وترتج على الأمواج العاتية، مائلةً بشدة إلى الأمام والخلف كل بضع ثوانٍ.

وفوق ذلك كله، كان كل لوح خشبي في السفينة يئنّ ويصدر صريرًا عميقًا.

شعر جيرالت وكأن كل لوح خشبي كان يتحرك بمفرده، منفصلًا عن البقية، وكأن السفينة كائن حي يتألم تحت ضغط العاصفة.

ساوره خوف شديد من أن السفينة قد تتفكك تمامًا. لكنه كرر لنفسه أنها صُنعت للإبحار في ظروف أقسى بكثير، وأنهم ليسوا في عرض المحيط، بل على نهر، وأن ذلك لا يمكن أن يحدث.

ظل يردد هذه الكلمات في ذهنه، وهو يبصق الماء المالئ لفمه ويقبض بشدة على الحبال المتدلية.

كان من الصعب تقدير كم استمرت العاصفة.

لكن أخيرًا، توقفت السفينة عن الاهتزاز بعنف، وخفت حدة الرياح الهوجاء، وبدأت الأمطار المنهمرة في التراجع، لتتحول إلى زخات عادية، ثم إلى رذاذ خفيف بالكاد يُسمع.

عندها فقط أدركوا أن مناورة بودلوراك قد نجحت.

تمكن القبطان من توجيه السفينة إلى مأوى خلف جزيرة طويلة تغطيها الأشجار، حيث لم تكن العاصفة تضربهم بشدة.

كانت الغيوم الكثيفة الماطرة تتحرك ببطء مبتعدة، والعاصفة تخف تدريجيًا.

ثم، برفق، بدأ الضباب يرتفع من سطح الماء.

* * *

كانت المياه تتساقط من قبعة بودلوراك المشبعة بالمطر، وتنهمر على وجهه. ومع ذلك، لم يخلعها. ربما لم يكن يفعل ذلك أبدًا.

"الدم والرعد!" قال وهو يمسح القطرات عن أنفه. إلى أين أوصلتنا هذه العاصفة؟ هل هذا مجرى فرعي؟ أم أنه مجرى قديم للنهر؟ المياه هنا شبه راكدة..."

"لكن التيار لا يزال يدفعنا."

بصق فيش في الماء، وهو يراقب ريقه وهو ينجرف مع التيار.

كان قد فقد قبعته المصنوعة من القش، لا بد أن الرياح العاتية قد انتزعتها بعيدًا.

"التيار ضعيف، لكنه ما زال يحملنا،" كرر بصوت منخفض "نحن في خليج بين بعض الجزر. واصل التقدم، بودلوراك. لا بد أنه سيوصلنا أخيرًا إلى المياه العميقة."

"أعتقد أن الممر المائي يقع إلى الشمال،" قال القبطان، وهو ينحني فوق البوصلة. لذا علينا أن نسلك الفرع الموجود على الميمنة. ليس الميناء، بل الميمنة..."

"أين ترى هذه الفروع؟" سأل فيش، متذمرًا. "إنه نهر واحد. واصل التقدم، قلت لك."

"لكن قبل لحظات فقط، كان هناك مجريان،" أصر بودلوراك "لكن ربما كان الماء في عيني، أو ربما كان بسبب الضباب. حسنًا، فليحملنا التيار.

"لكن هناك شيء واحد..."

"ما الأمر الآن؟"

"البوصلة. تشير إلى اتجاه... لا، لا، كل شيء بخير. لم أتمكن من رؤيتها بوضوح. كان الماء يقطر على زجاجها من قبعتي. نحن نبحر."

"إذًا، فلنبحر."

كان الضباب يزداد كثافة ثم يتبدد على فترات، بينما توقفت الرياح تمامًا. أصبح الجو دافئًا للغاية.

"الماء،" قال بودلوراك، وهو يشتم الهواء.

"هل تشمونه؟ رائحته مختلفة تمامًا. أين نحن؟"

ارتفع الضباب تدريجيًا، فكشف عن ضفاف كثيفة بالنباتات المتشابكة، متناثرة فوقها جذوع أشجار متعفنة.

بدلًا من أشجار الصنوبر والتنوب والطقسوس التي كانت تغطي الجزر، ظهرت الآن أشجار البتولا النهرية الكثيفة، وأشجار السرو الطويلة ذات القواعد المنتفخة.

كانت جذوع السرو ملتفة حولها نباتات الزاحف البوقي، التي تفتحت أزهارها الحمراء الزاهية، لتكون العنصر الوحيد المفعم بالحياة وسط تلك النباتات البنية المخضرة ذات الطابع المستنقعي.

كان سطح الماء مغطى بطبقة كثيفة من عدس الماء، وامتلأ بأعشاب مائية تتمايل ببطء، حيث كانت مقدمة النبي ليبيودا تشق طريقها خلالها، تاركة وراءها أثرًا طويلاً مثل الذيل.

كان الماء عكرًا، وتفوح منه رائحة كريهة، نفاذة على نحو غريب.

بدأت فقاعات ضخمة ترتفع من القاع، تنفجر ببطء على السطح.

عاد بودلوراك إلى الدفة، يمسك بها وحده مرة أخرى، عيناه تراقبان المياه القاتمة أمامه بقلق.

"قد يكون هناك ضحالة في المياه،" قال بودلوراك، فجأة وقد بدأ القلق يتسلل إلى صوته "أيها البحّار! قف في المقدمة!"

استمروا في الإبحار، محمولين بالتيار الضعيف، دون أن يتركوا المشهد المستنقعي أو الرائحة العفنة وراءهم.

كان البحّار عند المقدمة ينادي القياسات بملل، معلنًا عمق المياه.

"انظر إلى هذا، سيدي الويتشر،" قال بودلوراك، وهو ينحني فوق البوصلة ويطرق على زجاجها بإصبعه.

"إلى ماذا؟"

"ظننتُ أن الزجاج مغبش...لكن إذا لم تكن الإبرة قد أصيبت بالجنون، فنحن نبحر شرقًا. بمعنى أننا نعود أدراجنا. من حيث أتينا."

"لكن هذا مستحيل. التيار يحملنا. النهر..."

توقف فجأة.

شجرة ضخمة، جذورها مكشوفة جزئيًا، كانت مائلة فوق المياه.

على أحد أغصانها العارية، وقفت امرأة ترتدي فستانًا طويلًا ملتصقًا بجسدها.

كانت ساكنة، تنظر إليهم مباشرة.

"الدفة،" قال الويتشر بهدوء. "الدفة، أيها القبطان. نحو الضفة الأخرى. بعيدًا عن تلك الشجرة."

اختفت المرأة.

ثم، في نفس اللحظة، انسلّ ثعلب كبير على الغصن، ثم قفز وهرب إلى الأحراش الكثيفة.

بدا الحيوان أسود اللون، باستثناء طرف ذيله الكثيف، الذي كان أبيض كالثلج.

"لقد عثرت علينا،" تمتم أداريو باخ، وقد شاهدها هو الآخر "الثعلبة عثرت علينا..."

"الدم والرعد..."

"اصمتا كلاكما، لا تنشرا الذعر."

واصلوا الإبحار بصمت، تحت أنظار البجع الجاثم على الأشجار الميتة على الضفاف.

فاصل

(بعد مئة وسبعة وعشرين عامًا)

"هناك، خلف التلة، ستكون إيفالو، يا آنسة،" قال التاجر، مشيرًا بسوطه نحو الأفق.

"نصف فرلنغ، لا أكثر، وستصلين إليها في لمح البصر.

"أنا أسلك الطريق شرقًا نحو ماريبور عند مفترق الطرق، لذا حان وقت الوداع.

"وداعًا، لتقُدْكِ الآلهة وترعاكِ في طريقكِ."

"ولتحرسك الآلهة أيضًا، أيها السيد الطيب،" قالت نيمويه، وهي تقفز من العربة، حاملةً متاعها وباقي أغراضها، قبل أن تحني رأسها بانحناءة مهتزة، غير متقنة.

"أشكرك بصدق على السماح لي بالركوب معك.

"هناك في الغابة... أشكرك حقًا..."

ابتلعت ريقها وهي تتذكر الغابة المظلمة، التي قادها الطريق السريع عبرها خلال اليومين الماضيين.

تذكرت الأشجار الضخمة المخيفة، بأغصانها المتشابكة في الأعلى، مكوّنة قبة مظلمة فوق الطريق المهجور.

تذكرت كيف وجدت نفسها فجأة وحيدة تمامًا هناك.

تذكرت الرعب الذي اجتاحها.

ورغبتها في الاستدارة والفرار، نحو المنزل.

في التخلي عن الفكرة السخيفة بالسفر بمفردها إلى العالم.

وفي طرد تلك الفكرة السخيفة من ذهنها تمامًا.

"يا إلهي، لا داعي للشكر، إنه أمر بسيط،" ضحك التاجر. "أي شخص سيساعد مسافرة، وداعًا!"

"وداعًا. أتمنى لك رحلة آمنة."

وقفت للحظة عند مفترق الطرق، تتأمل عمودًا حجريًا، مصقولًا بفعل الرياح والأمطار حتى أصبح أملس زلقًا.

لا بد أنه كان هنا منذ قرون، فكرت.

من يدري؟ ربما منذ أكثر من مئة عام؟

ربما هذا العمود يتذكر عام المذنب؟

يتذكر جيش ملوك الشمال، وهم يتقدمون نحو برينا؟

يتذكر المعركة ضد نيلفجارد؟

كما كانت تفعل كل يوم، كررت لنفسها المسار الذي حفظته عن ظهر قلب.

مثل تعويذة سحرية. مثل لعنة غامضة.

"فيرفا، جوادو، سيبيل، بروغ، كاسترفورت، مورتارا، إيفالو، دورِيَن، أنكور، غورز فيلن."

بدأت إيفالو تعلن عن نفسها من مسافة بعيدة.

بضوضائها... ورائحتها النتنة.

انتهت الغابة عند مفترق الطرق.

ومن هناك، امتدت مساحة خالية قاحلة، مليئة بجذوع الأشجار المقطوعة، تمتد بعيدًا حتى الأفق، حيث ظهرت أولى المباني.

كان الدخان يتصاعد في كل مكان.

صفوف من الأحواض الحديدية — الأوعية المستخدمة في إنتاج الفحم — كانت تبعث أعمدة من الدخان.

انتشرت في الهواء رائحة الراتنج النفاذة.

كلما اقتربت من البلدة، ازداد الضجيج، ذلك الصوت المعدني الغريب، الذي جعل الأرض ترتجف تحتهما بشكل محسوس.

دخلت نيمويه البلدة، فشهقت بدهشة مذهولة.

كان مصدر الضوضاء وارتجاج الأرض هو أعجب آلة رأتها في حياتها.

مرجل نحاسي ضخم، كروي الشكل، تحرّكه عجلة عملاقة، تدور بسرعة، دافعةً مكبسًا ضخمًا يلمع بالشحم.

كانت الآلة تهمس، وتنفث الدخان، وترش رذاذ الماء المغلي، ثم فجأة تطلق صفيرًا مدويًا، صفيرًا مرعبًا ومزلزلًا جعل نيمويه تتسمّر مكانها، مذهولة.

لكنها سرعان ما تغلبت على خوفها، اقتربت أكثر، وراحت تتفحص الأحزمة التي كانت تنقل الحركة من تروس الآلة الجهنمية إلى المناشير في المصنع، قاطعةً جذوع الأشجار بسرعة مذهلة.

كانت لتواصل مراقبتها بدهشة، لولا أن هدير المناشير وصوت احتكاكها بدأ يؤلم أذنيها.

عبرت جسرًا؛ النهر الصغير أسفله كان عكرًا، تفوح منه رائحة كريهة مقززة، يحمل معه رقائق الخشب، واللحاء، وفقاعات من الرغوة.

لكن بلدة إيفالو، التي كانت قد دخلتها للتو، كانت تفوح برائحة أقرب إلى مرحاض عملاق، مرحاض، وكأن أحدهم أصرّ، لسبب ما، على تحميص لحمٍ فاسد بداخله.

نيمويه، التي أمضت الأسبوع السابق بين المروج والغابات، بدأت تشعر بالاختناق.

كانت إيفالو، التي بدت لها ذات يوم كملاذ يمكن أن تستريح فيه، قد أصبحت الآن مجرد محطة مؤقتة.

والآن، باتت تعلم أنها لن تمكث هنا أكثر مما هو ضروري تمامًا.

ولن تضيف إيفالو إلى قائمة ذكرياتها السعيدة.

كعادتها، باعت نيمويه سلة من الفطر والجذور الطبية في السوق.

لم يستغرق الأمر طويلًا؛ فقد أصبحت خبيرة الآن، عارفة بما هو مطلوب، ومن يجب أن تتوجه إليه ببضاعتها.

كانت تتظاهر بالغباء، مما جعلها تبيع دون مشاكل، حيث كان الباعة يتنافسون في محاولاتهم لخداع الفتاة البلهاء.

ربحت القليل، لكنها لم تهدر الوقت. فالسرعة كانت ضرورية.

كان المصدر الوحيد للمياه النظيفة في المنطقة هو بئر في ساحة ضيقة، وكان عليها أن تنتظر دورها في طابور طويل لملء قِرْبتها.

أما شراء المؤن للمرحلة التالية من رحلتها، فقد كان أسهل.

جذبتها رائحة الطعام، فاشترت عدة فطائر محشوة، والتي بدت مشبوهة عند تفحصها عن قرب.

جلست بجانب متجر للألبان لتناولها، بينما كانت لا تزال صالحة للأكل دون أن تسبب ضررًا بالغًا لصحتها.

فلم يكن يبدو أن تلك الفطائر ستظل صالحة لفترة طويلة.

أمامها، كان هناك حانة تحمل اسم "الأخضر-شيء ما"، حيث كانت اللوحة السفلية للعلامة مفقودة، مما جعل اسمها لغزًا وتحديًا فكريًا.

بعد لحظة، انشغلت نيمويه بمحاولاتها تخمين ما يمكن أن يكون أخضر غير الضفادع والخس.

أفاقتها من شرودها مناقشة صاخبة تدور على درجات الحانة، بين مجموعة صغيرة من الزبائن الدائمين.

"النبي ليبيودا، أقول لكم،" صاح أحدهم بانفعال. "السفينة الأسطورية، البريغ الشبح. تلك السفينة التي اختفت دون أثر قبل أكثر من مئة عام، بكل طاقمها. ثم كانت تظهر لاحقًا على النهر عندما تكون المصائب على وشك الحدوث. طاقمها من الأشباح؛ كثيرون رأوها."

"يقال إنها ستظل تظهر كشبح حتى يتم العثور على حطامها."

"حسنًا، وأخيرًا... لقد عثروا عليها."

"أين؟"

"في ريفيرماوث، على مجرى نهر قديم، وسط الوحل، في قلب مستنقع كانوا يجففونه. كانت السفينة كلها مغطاة بالحشائش. وبالطّحالب. لكن بعد أن أزالوا الطحالب والحشائش، وجدوا النقش. النبي ليبيودا."

"وماذا عن الكنز؟ هل وجدوا كنزًا؟ كان من المفترض أن يكون هناك كنز في عنبر الشحن. هل وجدوه؟"

"لا أحد يعرف. يقولون إن الكهنة صادروا الحطام. زاعمين أنه أثر مقدس."

"يا له من هراء،" تجشأ أحد الرواد، وقد بدأ الشراب يؤثر عليه. تصديق هذه القصص الطفولية. وجدوا حطام سفينة قديمة، ثم على الفور: سفينة أشباح، كنز، آثار مقدسة. أقول لكم، كل هذا مجرد هراء، قصص رخيصة، شائعات غبية، خرافات العجائز."

استدار فجأة ونظر إلى نيمويه بتحدٍ.

"وأنتِ هناك! أيتها الفتاة! من تكونين؟ لمن تنتمين؟"

"أنتمي لنفسي." كانت نيمويه مستعدة لهذا السؤال، فأجابت دون تردد.

"أزيحي شعرك عن أذنك لنرى! فأنتِ تبدين كواحدة من نسل الإلف. ونحن لا نريد أنصاف الإلف هنا!"

"دعني وشأني، فأنا لا أزعجكم. وسأغادر قريبًا."

"ها! وإلى أين تذهبين؟"

"إلى دوريان."

تعلمت نيمويه ألا تكشف أبدًا عن وجهتها النهائية، بل تذكر فقط المحطة التالية، حتى لا تثير الضحك أو السخرية، كما حدث معها من قبل.

"هو-هو! أمامكِ طريق طويل إذًا!"

"ولهذا، أنا على وشك الرحيل. وسأخبركم فقط، أيها السادة النبلاء، أن النبي ليبيودا لم يكن يحمل أي كنز. فالأسطورة لا تذكر شيئًا عن ذلك. لقد اختفت السفينة وأصبحت شبحًا لأنها كانت ملعونة،

وقبطانها لم يستمع إلى النصيحة الجيدة التي أُعطيت له. الويتشر الذي كان هناك نصحهم بأن يعودوا أدراجهم، وأن لا يغامروا في المجرى الفرعي للنهر قبل أن يرفع اللعنة. لقد قرأتُ عن ذلك..."

"ما زالت مبتدئة، لكنها تتظاهر بأنها تعرف كل شيء؟" قال الأول، بازدراء.

"كان يجدر بكِ كنس الأرضيات، والاعتناء بالأواني، وغسل الملابس الصغيرة، لا أكثر ولا أقل.

"وتقول إنها تستطيع القراءة ... ما الذي سنسمعه بعدها؟"

"ويتشر!" سخر ثالث، متنهداً. "مجرد حكايات فارغة، لا شيء غير ذلك!"

"إذا كنتِ تعرفين كل شيء، فلا بد أنكِ سمعتِ عن غابة العقعق لدينا،" قاطع آخر الحديث.

"ماذا؟ لم تسمعي بها؟ إذًا سنخبركِ: هناك شيء شرير يختبئ فيها.

"لكنه لا يستيقظ إلا كل بضع سنوات، وعندما يحدث ذلك، فويلٌ لكل من يجتاز الغابة.

"وإذا كنتِ حقًا متجهة إلى دوريان، فمسارك يمر مباشرة عبر غابة العقعق."

"وهل بقيت فيها أشجار قائمة؟" تساءلت نيمويه، بسخرية هادئة.

"لقد قطعتم كل شيء، ولم يتبقَ سوى مساحات فارغة."

"انظروا إليها، هذه الصغيرة المتعجرفة، تتحدث وكأنها تعرف كل شيء! وما فائدة الغابة إن لم تُقطع أشجارها، هاه؟ ما قطعناه، قطعناه، وما تبقى، تبقى. لكن الحطابين يخافون دخول غابة العقعق، فثمة رعب هناك. ستعلمين ذلك بنفسكِ إذا وصلتِ إلى هناك. ستتبولين على نفسكِ من الخوف!"

"من الأفضل أن أغادر إذًا."

"فيرفا، جوادو، سيبيل، بروغ، كاسترفورت، مورتارا، إيفالو، دورين، أنكور، غورز فيلن."

أنا نيمويه، ابنة وليدير وحفيدة جوين. أنا متجهة إلى غورز فيلن. إلى أريتوزا، إلى مدرسة الساحرات في جزيرة ثانيدد.

الفصل الخامس عشر

"لقد أوقعتنا في ورطة حقيقية، يا بودلوراك!" بصق جافيل فيش بغضب. لقد جعلتنا عالقين تمامًا! نحن نهيم بين هذه القنوات الفرعية منذ ساعة كاملة! لقد سمعت عن هذه المستنقعات، وسمعت أشياء شريرة عنها! الناس والسفن يختفون هنا! أين النهر؟ أين الممر الملاحي؟ لماذا..."

"أغلق فمك، باللعنة!" قال القبطان، بنفاد صبر." أين الممر الملاحي؟ أين طريق الشحن؟ في مؤخرتي، هذا هو المكان! أتظن نفسك ذكياً جدًا، أليس كذلك؟ إذًا تفضل، الآن لديك فرصة لإظهار مهارتك! هناك تفرّع آخر أمامنا! إلى أين نبحر أيها العبقري؟ إلى الميناء، حيث يجرفنا التيار؟ أم أنك ستأمرنا بالانعطاف إلى الميمنة؟"

زمجر فيش وأدار ظهره له.

أمسك بودلوراك بالدفة ووجّه السفينة نحو الفرع الأيسر.

صرخ البحار المسؤول عن قياس العمق، ثم بعد لحظات، أطلق كيفينارد فان فليت صرخة أعلى بكثير.

"ابتعد عن الضفة، يا بودلوراك!" صرخ بيترو كوبين بجنون.

"انعطف بشدة إلى الميمنة! ابتعد عن الضفة! ابتعد عن الضفة!"

"ما الأمر؟"

"الثعابين! ألا تراها؟ ثعاااابين!"

أطلق أداريو باخ سبةً قاسية.

كان الضفة اليسرى تزحف بأعداد هائلة من الثعابين.

كانت تتلوى بين القصب والأعشاب النهرية، تزحف فوق جذوع الأشجار المغمورة جزئيًا، وتتدلى من الأغصان المتشابكة وهي تهمس بفحيح شرير.

تعرف جيرالت على أفاعي الماء القطنية، والأفاعي الجرسية، وثعابين الجاراراكا، وثعابين البومسلانغ، وأفاعي الأدغال الخضراء، والكوبرا المنتفخة، والأرييت، وأفاعي المامبا السوداء، وغيرها من الثعابين التي لم يعرفها حتى.

فرّ طاقم النبي ليبيودا مذعورين من جانب السفينة الأيسر، يصرخون بأصوات متباينة.

ركض كيفينارد فان فليت نحو المؤخرة، ثم قرفص خلف الويتشر، جسده يرتجف بالكامل.

أدار بودلوراك الدفة، وبدأت السفينة تنحرف بعيدًا عن الضفة.

لكن جيرالت وضع يده على كتف القبطان، صوته كان هادئًا لكنه صارم.

"لا،" قال.

"واصل التقدم كما كنت. لا تقترب من الضفة اليمنى."

"لكن الثعابين..." أشار بودلوراك إلى الفرع الذي كانوا يقتربون منه، حيث تدلت منه الزواحف الهامسة، متشابكة ومتلوية.

"سوف تسقط على سطح السفينة..."

"لا توجد ثعابين!" قال جيرالت بحزم. حافظ على المسار. لا تقترب من الضفة اليمنى."

علقت حبال الصاري الرئيسي في غصن متدلٍ، وتشبثت به عدة ثعابين.

وبينما كان الطاقم يحدق في رعب، سقطت بعض الثعابين الأخرى — بما في ذلك اثنتان من المامبا السوداء — على سطح السفينة.

رفعت رؤوسها وأطلقت فحيحًا غاضبًا، مهاجمةً الرجال الذين كانوا متكدسين عند الجانب الأيمن.

فرّ فيش وكوبين نحو الخلف، فيما هرع البحارة الآخرون إلى المؤخرة، يصرخون بجنون.

قفز أحدهم في الماء قبل أن يتمكن حتى من الصراخ، واختفى تحت السطح.

بعد لحظات، تصاعدت فقاعات دموية إلى الأعلى.

"إنها لوبوستر!" صاح الويتشر، مشيرًا إلى تموج في المياه وإلى شكل داكن كان يبتعد بسرعة. "إنها حقيقية على عكس الثعابين."

"أنا أكره الزواحف..." تلعثم كيفينارد فان فليت وهو يتكور بجانب الحاجز "أكره الثعابين..."

"لا توجد أي ثعابين. ولم تكن هناك أي ثعابين. إنه مجرد وهم."

صرخ البحارة وفركوا أعينهم.

لقد اختفت الثعابين.

سواء من سطح السفينة أو من الضفة.

لم تترك حتى أي أثر خلفها.

"ما هذا...؟" تمتم بيترو كوبين، غير مصدق. "ما الذي حدث؟"

"مجرد وهم،" كرر جيرالت، صوته صارم وواضح. "لقد لحقت بنا الأغوارا."

"ماذا قلت؟"

"الثعلبة. إنها تخلق أوهامًا لتربكنا. وأتساءل منذ متى وهي تفعل ذلك. العاصفة ربما كانت حقيقية. لكن كان هناك بالفعل تفرعان للنهر، عينا القبطان لم تخدعاه. لقد أخفت الأغوارا أحد الممرات بإيهام بصري. وزورت مؤشر البوصلة. كما أنها أوهمتنا بوجود الثعابين."

"مجرد هراء من قصص الويتشر!" شخر فيش بسخرية. خرافات إلفية! أساطير العجائز! كيف يمكن لثعلبة عجوز أن تمتلك مثل هذه القدرات؟ تخفي الأنهار، تخدع البوصلات، تستحضر الثعابين من العدم؟ هراء! أقول لكم، إنها هذه المياه! نحن مسمومون بالأبخرة، الغازات السامة في المستنقع، إنها الهلوسة بسبب المياسم!"

"بل هي أوهام من صنع الأغوارا."

"هل تظننا حمقى؟!" صرخ كوبين غاضبًا "أوهام؟ أي أوهام؟ تلك الأفاعي كانت حقيقية!

"لقد رأيتموها جميعًا، أليس كذلك؟ سمعتم فحيحها؟ حتى أنني شممت رائحتها الكريهة!"

"كانت مجرد وهم. الثعابين لم تكن حقيقية."

اصطدمت أشرعة النبي ليبيودا مجددًا بأغصان متدلية.

"وهذا أيضًا مجرد هلوسة، أليس كذلك؟" قال أحد البحارة، وهو يمد يده بتحدٍ "مجرد وهم؟ هل هذه الأفعى غير حقيقية؟"

"لا! ابقَ مكانك!"

أطلقت الأفعى الضخمة أربيت فحيحًا تقشعر له الأبدان، وانقضت كالبرق، وغرست أنيابها في رقبة البحار مرة، ثم مرة أخرى.

صرخ البحار صرخة مدوية، وانهار على ظهره، جسده يتلوى في نوبات تشنج عنيفة،

وراح رأسه يضرب سطح السفينة مرارًا في إيقاع ثابت.

وبدأ الزبد يتجمع عند شفتيه، والدم ينزف من عينيه.

كان قد مات قبل أن يصل إليه أحد.

غطى الويتشر الجثة بقطعة قماش.

"تبًا لكم، أيها الرجال،" قال بصوت حاد "كونوا أكثر حذرًا! ليس كل شيء هنا مجرد سراب!"

"احترسوا!" صاح البحار عند المقدمة.

"احترسسسوا! هناك دوامة أمامنا! دوامة!"

انقسم مجرى النهر القديم مجددًا. الفرع الأيسر، الذي كان التيار يدفعهم نحوه، كان مضطربًا،

تتلاعب به دوامة هائجة، مياهها تتدفق مثل قدر يغلي بالفوران.

كانت جذوع الأشجار والفروع، بل حتى شجرة كاملة ذات تاج متفرع، تدور في قلب الدوامة.

فرّ ملاح الأعماق من المقدمة، فيما بدأ الآخرون بالصراخ.

لكن بودلوراك وقف بثبات.

أدار الدفة، موجهًا السفينة نحو الفرع الأكثر هدوءًا على اليمين.

"هاه!" مسح جبينه بيده "في الوقت المناسب! كان سيكون مصيرًا كارثيًا لو سحبتنا تلك الدوامة.

"أوه، لكانت قد جعلتنا ندور حتى نفقد عقولنا..."

"دوامات!" صاح كوبين. "لوبوسترات! تماسيح! علقيات! نحن لا نحتاج إلى أوهام، هذه المستنقعات تعج بالوحوش، بالزواحف، بكل أنواع القذارة السامة يا للأسف، للأسف أننا ضللنا طريقنا هنا لقد..."

"...اختفت هنا العديد من السفن." أكمل أداريو باخ الجملة، مشيرًا بإصبعه إلى نقطة في الأفق. "وذلك الشيء هناك... يبدو حقيقيًا."

كان هناك حطام سفينة عالق في الوحل على الضفة اليمنى.

كان متعفنًا ومحطمًا، مدفونًا حتى الحاجز، مغطى بالأعشاب المائية، ومتداخلًا مع الكروم والطحالب.

راحوا يراقبونه بينما كانت النبي ليبيودا تنساب عبر المياه، محمولة بالتيار الخافت.

نخز بودلوراك الويتشر بمرفقه."سيدي الويتشر،" قال بصوت خافت "البوصلة قد جُن جنونها مرة أخرى. بحسب الإبرة، لقد تحوّلنا من مسار شرقي إلى جنوبي. إذا لم تكن هذه خدعة من الثعلبة، فهذه ليست أخبارًا جيدة."

"لم يسبق لأحد أن رسم خريطة لهذه المستنقعات، لكن من المعروف أنها تمتد جنوبًا من الممر الملاحي بمعنى أننا نُسحب إلى قلبها تمامًا."

"لكننا ننجرف،" لاحظ أداريو باخ. لا يوجد ريح، نحن ببساطة محمولون بالتيار. والتيار يعني أننا ننضم إلى مجرى النهر، تيار بونتار..."

"ليس بالضرورة،" قال جيرالت، هازًا رأسه. "لقد سمعت عن هذه المجاري النهرية القديمة. يمكن أن يتغير اتجاه التدفق. يعتمد ذلك على ما إذا كان المد داخلًا أم خارجًا. ولا تنسَ الأغوارا. قد يكون هذا أيضًا مجرد وهم."

كانت الضفاف لا تزال مغطاة بكثافة بأشجار السرو، لكن أشجار توبيلو الضخمة ذات القاعدة المنتفخة بدأت تصبح أكثر شيوعًا.

العديد من الأشجار كانت ميتة وجافة.

علّقت خصل كثيفة من نباتات البروميليا على الجذوعِ والأغصان المتعفنة، وأوراقها الفضية تلمع تحت أشعة الشمس.

على الأغصان، كانت طيور البلشون تترقب، تراقب السفينة العابرة بعيون ثابتة بلا حراك.

صرخ بحار الأعماق.

وهذه المرة، رآها الجميع.

كانت واقفة مرة أخرى على غصن متدلٍ فوق المياه، منتصبة وثابتة.

أمال بودلوراك الدفة بهدوء، موجهًا السفينة نحو الضفة اليسرى.

وفجأة، أطلقت الأغوارا نباحًا حادًا ومخترقًا.

ثم نبحت مرة أخرى، بينما كانت النبي ليبيودا تبحر تحتها.

عبر ثعلب كبير الغصن كالبرق، ثم اختفى في الأحراش.

* * *

"لقد كان ذلك تحذيرًا،" قال الويتشر عندما خفتت الضوضاء على سطح السفينة "تحذيرًا وتحديًا. أو بالأحرى، طلبًا."

"كنا لنطلق سراح الفتاة،" أضاف أداريو باخ بحدة "بالطبع كنا سنفعل. لكن لا يمكننا إطلاق سراحها وهي ميتة."

أنّ كيفينارد فان فليت ووضع يديه على رأسه.

كان مبللًا، متسخًا، ومرتعبًا، ولم يعد يشبه تاجرًا يمتلك سفينته الخاصة، بل بدا كصبي صغير أمسك وهو يسرق البرقوق.

"ماذا نفعل؟" تمتم بيأس "ماذا نفعل؟"

"أنا أعرف،" أعلن جافيل فيش فجأة "سنربط جثة الفتاة إلى برميل ونلقي بها في الماء، ستتوقف الثعلبة عندها، وستبكي على شبلها. سنكسب بعض الوقت."

"عار عليك، سيد فيش." تصلب صوت صانع القفازات فجأة "لا يصح معاملة الجثة بهذه الطريقة. إنه تصرف غير متحضر."

"وهل كانت هي متحضرة؟ مجرد إلفية، نصف حيوان على أي حال. أقول لكم، فكرة البرميل هذه فكرة رائعة ..."

"تلك الفكرة لا يمكن أن تخطر إلا في ذهن أبله كامل،" قال أداريو باخ ببطء، مشددًا على كلماته. "وستكون سبب هلاكنا جميعًا".

"إذا أدركت الثعلبة أننا قتلنا الفتاة، فسنكون قد انتهينا..."

"لم نقتل الشبل،" قاطعه بيترو كويين بغضب، قبل أن يتمكن فيش — الذي أصبح وجهه أحمر قانيًا من الغضب — من الرد "لم نقتلها نحن. بارلاجي هو من فعل ذلك. هو المذنب. أيدينا نظيفة."

"هذا صحيح،" أيد فيش كلامه، لكنه لم يوجه حديثه إلى فان فليت أو الويتشر، بل إلى بودلوراك والبحارة. "بارلاجي هو المسؤول. دعوا الثعلبة تنتقم منه".

"سنضعه في قارب مع الجثة، ونتركهما ينجرفان بعيدًا "وفي هذه الأثناء، نحن..."

قوبلت الفكرة بصرخات تأييد من كويين وعدد من البحارة، لكن بودلوراك أوقف حماسهم على الفور.

"لن أسمح بذلك،" قال القبطان بحزم.

"ولا أنا،" قال كيفينارد فان فليت، شاحبًا.

"ربما كان بارلاجي مذنبًا، وربما يستحق العقاب "لكن أن نتركه، أن نتخلى عنه ليواجه الموت؟ لن أوافق على ذلك."

"إنه موته أو موتنا!" صرخ فيش "وإلا، ماذا عسانا نفعل؟"

استدار فجأة إلى جيرالت، صوته مليء بالذعر.

"ويتشر! هل ستحمينا عندما تصعد الثعلبة على متن السفينة؟"

"سأفعل."

ساد صمت ثقيل.

كانت السفينة كانت تنجرف وسط المياه العفنة، التي تفور بالفقاعات، ساحبة وراءها خصلات كثيفة من الأعشاب المائية.

وأخذت طيور البلشون والبجع تراقبهم من الأغصان، عيونها تتابع السفينة بصمت مشؤوم.

* * *

صرخ بحار الأعماق في المقدمة محذرًا.

وبعد لحظات، بدأ الجميع بالصراخ.

لقد رأوا الحطام المتعفن مجددًا، مغطى بالكروم والأعشاب المائية.

كان نفس الحطام الذي مروا به قبل ساعة.

"نحن ندور في حلقات." أكد القزم الحقيقة بصوت ثقيل "لقد عدنا إلى نقطة البداية. الثعلبة نصبت لنا فخًا."

"هناك مخرج واحد فقط." أشار جيرالت إلى الفرع الأيسر للنهر، حيث كانت الدوامة الغاضبة تفور بشدة "علينا الإبحار عبر ذلك."

"عبر ذلك الجحيم؟" صاح فيش بجنون "هل فقدت عقلك تمامًا؟ سوف يحطمنا إربًا!"

"سوف يحطمنا إربًا،" أيد بودلوراك كلامه "أو يقلبنا رأسًا على عقب. أو يقذفنا نحو المستنقع، وسنلقى نفس مصير ذلك الحطام".

"أترون تلك الأشجار تتلاعب بها الدوامة؟ تلك الدوامة شديدة القوة."

"بالفعل، هي كذلك".

"لأنها على الأرجح مجرد وهم، أعتقد أنها واحدة من أوهام الأغوارا."

"تعتقد؟" تمتم فيش بشك "أنت ويتشر، ألا يمكنك تمييز الأمر؟"

"كنت لأميز وهمًا أضعف. لكن هذه الأوهام قوية بشكل مذهل، لكنني أظن..."

"تظن؟ وإن كنت مخطئًا؟"

"ليس لدينا خيار آخر،" قطع بودلوراك الحديث بحدة.

"إما أن نخوض عبر الدوامة، أو نستمر بالدوران في حلقات..."

"...حتى نهلك." أكمل أداريو باخ الجملة، صوته كئيب "حتى نهلك موتًا بائسًا."

* * *

كل بضع لحظات، كانت أغصان الشجرة التي تدور في قلب الدوامة تبرز من الماء، وكأنها أذرع جثة غارقة ممدودة تطلب النجدة.

كانت الدوامة تتلاطم، تفور، تتصاعد، وتتناثر منها رغوة بيضاء كثيفة.

اهتزت النبي ليبيودا بعنف، وفجأة اندفعت إلى الأمام، مسحوبة بقوة إلى قلب الدوامة.

اصطدمت الشجرة المتقلبة بجانب السفينة، متناثرةً بالرغوة.

بدأت السفينة بالدوران، أسرع وأسرع، وكأنها لعبة صغيرة في يد قوة خفية.

كان الطاقم بأكمله يصرخ، كلٌ بصوته، بعضهم يصرخ من الخوف، وبعضهم يردد الصلوات، وبعضهم فقط يصرخ بلا هدف.

ثم فجأة، ساد الصمت.

هدأت المياه، واستوى السطح، كأن شيئًا لم يكن.

كانت النبي ليبيودا تنساب ببطء، تسبح بلا مقاومة بين أشجار التوبيلو المنتشرة على الضفاف.

"كنت على حق، جيرالت،" قال أداريو باخ بصوت مبحوح، بينما كان يمسح جبينه.

"لقد كان مجرد وهم، بعد كل شيء."

حدق بودلوراك طويلًا في الويتشر، لكنه لم يقل شيئًا.

أخيرًا، خلع قبعته.

كان رأسه أصلع، يلمع تحت الشمس كبيضة مصقولة.

"لقد التحقت بالملاحة النهرية،" تمتم أخيرًا بصوت متحشرج "لأن زوجتي طلبت مني ذلك. قالت لي: سيكون أكثر أمانًا على النهر أكثر أمانًا من البحر. لن أضطر إلى القلق في كل مرة تبحر فيها."

أعاد قبعته إلى رأسه، وهز رأسه ببطء، ثم أمسك مقبض الدفة بقبضة قوية، كأنه يحاول استعادة سيطرته على الواقع.

من تحت قمرة القيادة، خرج صوت كيفينارد فان فليت، مرتجفًا كطفل مذعور.

"هل... هل انتهى الأمر؟"

"هل نحن في أمان الآن؟"

لكن لم يجبه أحد.

* * *

كانت المياه كثيفة بالأعشاب البحرية وغطاء البطة العائم.

بدأت أشجار السرو تهيمن على الضفاف، بجذورها الهوائية — أو الهوائية جزئيًا، بعضها بطول ستة أقدام — تنتصب بكثافة من المستنقع والمياه الضحلة عند الشاطئ.

على جزر صغيرة من الأعشاب العائمة، كانت السلاحف تسترخي تحت أشعة الشمس، بينما كانت الضفادع تنقنق بصخب.

لكن هذه المرة، سمعوها قبل أن يروها.

نباح خشن وصاخب، كأنه تهديد أو تحذير صاخب يتردد في الهواء.

ظهرت على الضفة، على جذع شجرة مقلوبة وجافة، في شكلها الثعلبي.

كانت تنبح، رأسها مرفوع عاليًا، وكأنها تصدر أوامر.

أدرك جيرالت أن صوتها يحمل نغمات غريبة، وفهم أنه، إلى جانب التهديدات، كانت تصدر تعليمات.

لكنها لم تكن تصدر الأوامر لهم.

فجأة، تلاطمت المياه تحت الجذع بعنف، وخرج منها وحش هائل.

كان مغطى بالكامل بقشور بنية مخضرة على شكل دموع، يلتهم الهواء ويصدر صوتًا شبيهًا بالغرغرة، ممتثلًا لأمر الثعلبة.

ثم انطلق، مفجرًا المياه من حوله، متجهًا مباشرة نحو النبي ليبيودا.

"هل هذا...؟" بلع أداريو باخ ريقه بصعوبة "هل هذا مجرد وهم أيضًا؟"

"ليس تمامًا،" قال جيرالت، ثم صرخ على بودلوراك والبحارة. "إنها سيطرت على كائن فوديانوي وأطلقته علينا! خطافات القوارب! الجميع إلى خطافات القوارب!"

خرج الفوديانوي من تحت الماء بجانب السفينة، كاشفًا عن رأسه المسطح المغطى بالأعشاب الطحلبية، وعينين جاحظتين تشبهان عيون الأسماك، وأنياب مخروطية داخل فمه المتسع.

ضرب الوحش جانب السفينة بغضب، مرة، ثم مرة أخرى، مما جعلها تهتز بعنف تحت وطأة ضرباته.

عندما اندفع الطاقم حاملين خطافات القوارب، غاص الوحش في الماء، ليظهر مجددًا بعد لحظات خلف المؤخرة، مباشرة بجوار شفرة الدفة.

قبض عليها بأسنانه القوية وبدأ يهزها بعنف حتى أصدرت صريرًا مروعًا.

"سوف يحطم الدفة!" صرخ بودلوراك محاولًا طعنه بخطاف القارب. "سوف يحطمها تمامًا! شدوا الحبال وارفعوها! أبعدوا هذا اللعين عن الدفة!"

لكن الفوديانوي لم يكترث للصيحات ولا لضربات الخطافات.

استمر في تمزيق الخشب بأسنانه حتى انفصلت قطعة كبيرة منه وبقيت بين فكيه.

ثم، سواء لأنه قرر أن ذلك يكفي، أو لأن تعويذة الثعلبة فقدت قوتها، اختفى في المياه العكرة، تاركًا السفينة تترنح بفعل فقدان التحكم.

من الضفة، سمعوا الأغوارا تنبح من جديد، بصوت كاد يكون ضحكة ساخرة.

* * *

"ماذا بعد؟" صرخ بودلوراك ملوحًا بذراعيه "ماذا ستفعل بعد ذلك؟ سيد ويتشر!"

"يا للآلهة..." شهق كيفينارد فان فليت، بالكاد قادرًا على التنفس "اغفر لنا لأننا لم نصدق... اغفر لنا لأننا قتلنا الفتاة الصغيرة! يا آلهة، أنقذونا!"

فجأة، شعروا بنسيم خفيف يلامس وجوههم.

رفرف العلم المعلق على النبي ليبيودا — الذي كان يتدلى بلا حياة من قبل — وأصدر الصاري صوت طقطقة خفيف.

"إنه ينفتح!" صرخ فيش من مقدمة السفينة "هناك! هناك! مياه واسعة، لا شك أنه النهر! أبحر إلى هناك، أيها القبطان! إلى هناك!"

بدأ المجرى النهري يتسع بالفعل، وبدا وكأن مساحة كبيرة من المياه تمتد خلف الجدار الأخضر من القصب.

"لقد نجحنا!" هتف كويين "ها! لقد انتصرنا! لقد هربنا من المستنقع!"

"بمقدار عمق واحد،" صرخ بحار الأعماق "بمقدار عااامق واااحد!"

"اجذبها بعيدًا!" زمجر بودلوراك، دافعًا الدفة بقوة، منفذًا أوامره بنفسه "ضحاااال!"

استدارت مقدمة النبي ليبيودا نحو القناة الجانبية الممتلئة بالجذور الهوائية.

"إلى أين تذهب؟!" زأر فيش "ماذا تفعل؟ أبحر نحو المياه الواسعة! هناك! هناك!"

"لا يمكننا. هناك مياه ضحلة هناك. سنعلق! سنصل إلى المياه الواسعة عبر القناة الجانبية، العمق هنا أكبر."

سمعوا نباح الأغوارا مرة أخرى، لكنهم لم يروها.

شعر أداريو باخ بشيء غير مريح، فجذب كم جيرالت.

ظهر بيترو كوبين من فتحة القمرة الخلفية، يجر خلفه بارلاجي من ياقته، بالكاد قادرًا على الوقوف.

تبعه بحار آخر، يحمل جثة الفتاة، ملفوفة في عباءة.

وقف البحارة الأربعة الآخرون إلى جانبهم بثبات، يواجهون الويتشر مباشرة.

كانوا يحملون فؤوس المعركة، الرماح ثلاثية الرؤوس، والخطافات الحديدية، تعابيرهم صارمة، ونياتهم واضحة.

"لن تستطيع إيقافنا، أيها السيد الطيب،" هدر أطولهم بصوت خشن. "نريد أن نعيش. حان وقت التصرف."

"اتركوا الطفلة،" قال جيرالت بلهجة باردة. "دع التاجر يذهب، كوبين."

"كلا، سيدي." هز البحار رأسه بإصرار. "سوف نلقي بالجثة والتاجر في الماء، سيتوقف الوحش عندها. ثم سنتمكن من الفرار."

"ولا تتدخلوا أنتم،" أضاف آخر، يلهث بصوت متحشرج. "ليس لدينا شيء ضدكم، لكن لا تعترضوا طريقنا. وإلا ستتأذون."

تكور كيفينارد فان فليت عند جانب السفينة، وبدأ في النحيب، محاولًا إبعاد رأسه.

أما بودلوراك فقد نظر بعيدًا أيضًا، شفتاه مشدودتان في تعبير من الاستسلام. كان من الواضح أنه لن يتدخل في تمرد طاقمه.

"نعم، هذا صحيح،" قال بيترو كوبين وهو يدفع بارلاجي بقوة. "ارموا التاجر والثعلبة الميتة في البحر، إنها فرصتنا الوحيدة للهرب. ابتعد عن الطريق، ويتشر! هيا، يا رفاق! ضعوهم في القارب!"

"أي قارب؟" تساءل أداريو باخ بهدوء، ملوحًا بيده نحو المياه. "هل تعني ذلك القارب، ربما؟"

كان جافيل فيش، منحنيًا فوق المجاديف، يجدف مبتعدًا عن السفينة باتجاه المياه الواسعة، وكان بالفعل قد قطع مسافة لا بأس بها عن النبي ليبيودا.

كان يجدف بقوة، والمياه تتناثر حوله، والأعشاب الطافية تتطاير في الهواء.

"فيش!" صرخ كوبين، غاضبًا. "أيها اللعين! يا ابن العاهرة!"

استدار فيش، رفع يده وأشار لهم بإصبعه الأوسط. ثم عاد إلى التجديف.

لكنه لم يبتعد كثيرًا.

أمام أعين طاقم النبي ليبيودا، انبثقت المياه فجأة في نافورة هائلة، وظهرت من تحت السطح فكوك ضخمة مليئة بالأسنان، تابعة لتمساح عملاق، ذيله يضرب الماء بعنف.

طار فيش من القارب وسقط في الماء، وبدأ في السباحة — يصرخ بأعلى صوته — نحو الضفة، حيث كانت جذور السرو تبرز في المياه الضحلة مثل أشواك مدببة.

اندفع التمساح خلفه، لكن حاجز الجذور الهوائية أعاق تقدمه.

تمكن فيش من الوصول إلى الضفة، وانطرح على صخرة كانت هناك، يلهث من الذعر.

لكن تلك لم تكن صخرة.

فتحت سلحفاة ضخمة، أشبه بسحلية عملاقة، فكّيها والتقطت فيش من أعلى ذراعه.

عوى، وتخبط، وركل، متناثرًا بالوحل في كل الاتجاهات.

ثم اخترق التمساح سطح الماء وأطبق على ساقه.

صرخ فيش بألم مروع.

للحظة، لم يكن واضحًا أي المخلوقين الزاحفين سيظفر بفريسته السلحفاة أم التمساح. لكن في النهاية، حصل كل منهما على نصيبه.

بقيت ذراع، يتدلى منها عظم أبيض على شكل هراوة، مغروس في كتلة دامية، في فك السلحفاة. بينما أخذ التمساح بقية الجسد.

طفا على سطح الماء العكر بقعة حمراء كبيرة.

استغل جيرالت لحظة الذهول التي أصابت الطاقم.

انتزع جثة الفتاة من يد البحار، وتراجع نحو المقدمة. وقف أداريو باخ بجانبه، ممسكًا بخطاف السفينة.

لم يحاول كوبين ولا أي من البحارة معارضته. على العكس، هرعوا جميعًا إلى المؤخرة، بسرعة، إن لم يكن في حالة من الذعر.

تحولت وجوههم فجأة إلى شاحبة كالموتى.

تكور كيفينارد فان فليت عند جانب السفينة، وأخفى رأسه بين ركبتيه، مغطيًا إياه بذراعيه.

استدار جيرالت.

سواء كان بودلوراك لم يكن منتبهًا، أو أن الدفة — المتضررة من هجوم الفوديانوي — لم تكن تعمل، كان الواقع أن السفينة الشراعية انزلقت مباشرة تحت بعض الأغصان المعلقة، وعلقت بين جذوع الأشجار المتساقطة.

استغلت الأغوارا الفرصة. قفزت إلى المقدمة، برشاقة وخفة وصمت مطلق.

في شكلها الحيواني، كانت ثعلبًا.

من قبل، رآها ضد ضوء السماء، عندما بدت وكأنها سوداء، سوداء حالكة. لكنها لم تكن كذلك.

كان فراؤها داكنًا، وانتهى ذيلها بفرشة بيضاء ثلجية، لكن اللون الرمادي كان الأكثر سيطرة، خاصة على رأسها، الذي كان أقرب إلى ثعلب الكورساك منه إلى الثعلب الفضي.

ثم تغيرت.

نمت، تحولت إلى امرأة طويلة.

برأس ثعلب.

أذنان مدببتان، وخطم ممدود.

صفوف من الأنياب اللامعة، ظهرت بوضوح حين فتحت فمها.

ركع جيرالت على ركبتيه، وضع جسد الفتاة الصغيرة برفق على سطح السفينة، ثم تراجع.

عوت الأغوارا بصوت حاد، وأطبقت فكّيها المليئين بالأسنان، وتقدمت نحوه.

صرخ بارلاجي وهو يلوّح بذراعيه في ذعر، وانتزع نفسه من قبضة كوبين، ثم قفز إلى الماء.

غرق فورًا.

كان فان فليت يبكي بصوت مكتوم. تجمع كوبين والبحارة، لا تزال وجوههم شاحبة، حول بودلوراك.

خلع بودلوراك قبعته.

ارتجف القلادة المعلقة حول عنق الويتشر بقوة، واهتزت، وكأنها تريد لفت انتباهه.

انحنت الأغوارا فوق الفتاة، وأصدرت أصواتًا غريبة، ليست زمجرة ولا فحيحًا.

فجأة، رفعت رأسها وكشّرت عن أنيابها.

تأوهت بصوت منخفض، واشتعلت ألسنة لهب صغيرة في عينيها.

لم يتحرك جيرالت.

"نحن المسؤولون،" قال بهدوء. "لقد حدث أمر سيئ بالفعل. لكن يجب ألا تحدث أمور أسوأ. لن أسمح لك بإيذاء هؤلاء الرجال. لن أسمح بذلك."

وقفت الثعلبة، ورفعت الفتاة الصغيرة بين ذراعيها. جالت بنظرها عليهم جميعًا. وأخيرًا، نظرت إلى جيرالت.

"لقد اعترضت طريقي،" نطقت ببطء، بوضوح، وهي تنطق كل كلمة بثقل. "دافعت عنهم."

لم يُجب.

"أنا آخذ ابنتي،" أكملت قائلة "وهذا أهم من حياتكم جميعًا. لكنك أنت من وقفت في دفاعهم، أيها الأبيض الشعر. لذلك، سأبحث عنك. يومًا ما. عندما تكون قد نسيت. وحين لا تتوقعني على الإطلاق."

قفزت بخفة على حاجز السفينة، ثم إلى جذ ع شجرة ساقط.

واختفت في الغابة الكثيفة.

في الصمت الذي خيم، لم يكن يُسمع سوى نحيب فان فليت.

سكن الريح وأصبح الجو خانقًا.

تحررت سفينة النبي ليبيودا من بين الأغصان، مدفوعة بتيار الماء، وانجرفت نحو منتصف المجرى الجانبي.

مسح بودلوراك عينيه وجبهته بقبعته.

صرخ الملاح، وصرخ كوبين، ثم انضمت إليهما أصوات الآخرين.

فجأة، ظهرت أسطح الأكواخ المسقوفة بالقش خلف غابة القصب والأرز البري.

رأوا شباك الصيد معلقة لتجف على الأعمدة.

شريطًا أصفر من الرمال الممتدة على الشاطئ.

مرسى خشبي.

ثم، أبعد قليلًا، وراء الأشجار على رأس اليابسة، رأوا النهر الواسع تحت سماء زرقاء صافية.

"النهر! النهر! أخيرًا!"

راح الجميع يصرخون: البحارة، بيترو كوبين، وحتى فان فليت.

لكن جيرالت وأداريو باخ لم ينضما إلى هتافاتهم.

أما بودلوراك، وهو يدير دفة السفينة، فلم ينبس بكلمة.

"ماذا تفعل؟!" صاح كوبين. "إلى أين تذهب؟ توجه نحو النهر! هناك! إلى النهر!"

"لا فرصة لذلك،" قال القبطان، وقد امتزج صوته باليأس والاستسلام. "الريح ساكنة، السفينة بالكاد تستجيب للدفة، والتيار يشتد. نحن ننجرف ... إنه يدفعنا ... يعيدنا إلى المجرى الجانبي مجددًا. عائدين إلى المستنقع."

"لا!"

سب كوبين بحدة، ثم قفز إلى الماء وبدأ يسبح نحو الشاطئ.

تبعه جميع البحارة. لم يستطع جيرالت إيقاف أي منهم.

أدار أداريو باخ رأسه نحو فان فليت، الذي كان يستعد للقفز، ثم دفعه بقوة ليمنعه.

"سماء زرقاء،" قال بصوت هادئ. "شاطئ ذهبي رملي. نهر يتلألأ. هذا جميل جدًا ليكون حقيقيًا. مما يعني أنه ليس كذلك."

وفجأة، اهتزت الصورة وتذبذبت.

فجأة، حيث كانت هناك قبل لحظة أكواخ صيد، وشاطئ ذهبي، ونهر يمتد خلف رأس اليابسة، رأى الويتشر للحظة عابرة شيئًا آخر تمامًا: خيوط التيلاندسيا المتدلية حتى سطح الماء من أغصان الأشجار المتحللة.

ضفاف موحلة، أشجار سرو متشابكة بجذورها الهوائية، فقاعات ترتفع من الأعماق العكرة، بحر من النباتات المائية، ومتاهة لا نهائية من الأغصان.

في تلك اللحظة القصيرة، رأى ما كانت الأغوارا تخفيه في آخر خدعها البصرية.

بدأ الرجال في الماء بالصراخ فجأة، وراحوا يتخبطون في ذعر. ثم، واحدًا تلو الآخر، بدأوا يختفون تحت السطح.

صعد بيترو كوبين إلى السطح للحظة، يختنق ويصرخ، جسده كله مغطى بديدان المستنقعات المخططة، بدينة بحجم ثعابين الأنقليس، تتلوى حوله.

ثم غرق مجددًا، ولم يظهر مرة أخرى.

"جيرالت!"

كان أداريو باخ يستخدم خطاف القارب لسحب القارب الصغير، الذي نجا من مصير القارب الذي التهمه التمساح، وانجرف الآن بجوار السفينة. قفز القزم إلى القارب، ومد يديه ليتلقى فان فليت، الذي كان لا يزال في حالة ذهول.

"كابتن."

لوّح بودلوراك بقبعته لهم.

"لا، أيها الويتشر المحترم! لن أتخلى عن سفينتي! سأقودها إلى الميناء، مهما حدث! وإن لم أتمكن ... فسأغرق معها!"

كانت النبي ليبيودا تنجرف بهدوء وهيبة، تتلاشى في مجرى جانبي، ثم اختفت عن الأنظار.

بصق أداريو باخ في يديه، انحنى إلى الأمام، وبدأ يجدّف بقوة.

اندفع القارب فوق سطح الماء، مبتعدًا عن الكابوس الذي تركوه خلفهم.

"إلى أين؟"

"إلى المياه الواسعة، خلف الضحالة. النهر هناك. أنا متأكد. سنلتحق بمجرى الملاحة ونجد سفينة في طريقنا. وإن لم نجد ... فسنجدف بهذا القارب حتى نوفيغراد."

"بودلوراك ...؟"

"سيتدبر أمره. إن كان ذلك قدره."

كان كيفينارد فان فليت يبكي. أما أداريو فواصل التجديف.

أظلمت السماء. تردد دوي الرعد من بعيد.

"العاصفة تقترب،" قال القزم. "سنبتل حتى العظم."

أطلق جيرالت شخيرًا ساخرًا، ثم انفجر ضاحكًا. ضحكة صافية، نابعة من القلب، معدية. لأنه بعد لحظة، كانا كلاهما يضحكان.

كان أداريو يجدف بقوة وإيقاع ثابت. كان القارب يطير فوق سطح الماء مثل سهم منطلق.

"تجدف وكأنك تفعل ذلك منذ ولادتك،" قال جيرالت وهو يمسح دموع الضحك من عينيه. "كنت أظن أن الأقزام لا يعرفون الإبحار أو السباحة ..."

"أنت تقع في فخ الصور النمطية."

فاصل

(بعد أربعة أيام)

كان مقر دار المزادات التابعة للإخوة بورسودي يقع في ساحة صغيرة متفرعة عن الشارع الرئيسي، والذي كان بالفعل الطريق الرئيسي في نوفيغراد، يربط بين الساحة المركزية ومعبد النار الأبدية. في بداية مسيرتهم، عندما كانوا يتاجرون في الخيول والأغنام، لم يتمكنوا من امتلاك أكثر من كوخ صغير خارج أسوار المدينة. أما الآن، بعد اثنين وأربعين عامًا من تأسيس دار المزادات، فقد صاروا يملكون مبنى مهيبًا من ثلاثة طوابق، يقع في أرقى أحياء المدينة. بقي العقار ملكًا للعائلة، لكن المزادات أصبحت تقتصر على الأحجار الكريمة، وخصوصًا الألماس، بالإضافة إلى الأعمال الفنية، والتحف، والمقتنيات النادرة. كانت المزادات تُقام كل ثلاثة أشهر، دائمًا يوم الجمعة.

ذلك اليوم، كانت قاعة المزاد مزدحمة حتى آخرها. "هناك مئة شخص على الأقل"، فكرت أنتيا ديريس.

بدأ الهمس والضجيج يخفتان تدريجيًا. اعتلى أبْنِر دي نافاريت المنصة، مستعدًا لبدء المزاد.

وكعادته، بدا دي نافاريت رائعًا في سترته المخملية السوداء، وصدريته المطرزة بخيوط الذهب. كان بإمكان الأمراء أن يحسدوه على مظهره الأرستقراطي وسماته النبيلة، وكان يمكن للنبلاء أن يغبطوه على وقاره وأناقته. لم يكن سرًا أنه بالفعل من سلالة أرستقراطية، لكنه نُفي من عائلته وحُرم من ميراثه بسبب إدمانه على الشراب، وانغماسه في الملذات، وانحلاله الأخلاقي. لولا الإخوة بورسودي، لكان أبْنِر دي نافاريت يعيش متسولًا في الشوارع. لكن العائلة كانت بحاجة إلى مُزايد يحمل مظهر النبلاء، ولم يكن هناك من يضاهي دي نافاريت في هذا المجال.

"مساء الخير، سيداتي وسادتي" قال بصوت ناعم كالقطيفة التي يرتديها. "مرحبًا بكم في دار مزادات بروسودي للمزاد الفصلي على الكنوز الفنية والتحف الأثرية. المجموعة المعروضة اليوم، والتي تعرفتم عليها في معرضنا، فريدة من نوعها وتأتي بالكامل من ملاكٍ خواص.

"ألاحظ أن الغالبية العظمى منكم ضيوف وزبائن دائمون، على دراية بقوانين دارنا واللوائح التي تحكم المزادات. وقد تم توزيع كتيبات تتضمن اللوائح على الجميع عند الدخول، لذا أفترض أنكم جميعًا على علمٍ بالقواعد وبالعواقب التي تترتب على انتهاكها. لنبدأ إذًا دون تأخير.

"العرض الأول: منحوتة من اليشب، تصور حورية... هممم... مع ثلاثة فاون... وفقًا لخبرائنا، فهي من صنع الأقزام، وتعود إلى ما يقرب من مئة عام. السعر الافتتاحي: مئتا تاج. أرى مئتين وخمسين. مرة أولى. مرة ثانية. مرة ثالثة. بيعت للسيد صاحب الرقم ستة وثلاثين."

جلس كاتبان في مكاتب متجاورة، يدونان نتائج البيع بعناية.

"العرض الثاني: كتاب (حكايات وقصائد العالم القديم) وهو مجموعة من القصص والأساطير والقصائد المستمدة من التراث الإلفي القديم ، مزينة برسومات غنية. في حالة ممتازة. السعر الافتتاحي: خمسمائة تاج. خمسمائة وخمسون، للتاجر هوفماير. المستشار دروفوس، ستمائة. السيد هوفماير، ستمائة وخمسون. لا مزايدات أخرى؟ بيعت مقابل ستمائة وخمسين تاجًا للسيد هوفماير من هيروندوم."

"العرض الثالث: أداة من العاج، ذات... هممم... شكلٍ منحني وممدود... هممم... ربما كانت تُستخدم في التدليك. مصدرها أجنبي، وعمرها غير معروف. السعر الافتتاحي: مئة تاج. على اليسار، مئة وخمسون. مئتان، للسيدة بالقناع ورقمها ثلاثة وأربعون. مئتان وخمسون، للسيدة بالحجاب ورقمها ثمانية. هل أسمع ثلاثمائة؟ ثلاثمائة، لزوجة الصيدلي فورستركرانتس. ثلاثمائة وخمسون! للمرة الأخيرة. بيعت مقابل ثلاثمائة وخمسين تاجًا للسيدة صاحبة الرقم ثلاثة وأربعين."

العرض رقم الرابع: كتاب (الموسوعة العظمى للترياقات) وهو مخطوط طبي نادر يتناول العلاجات والأدوية والترياقات الخاصة بالسموم. ، مخطوطة طبية نادرة، نُشرت في جامعة كاستيل جراوبيان في بدايات عهد الأكاديمية. السعر الافتتاحي: ثمانمائة تاج. هل أسمع عرضًا أعلى؟ ثمانمائة وخمسون، الدكتور أونزورج. تسعمائة، السيد مارتن سودرجرين. ألف تاج، لصالح السيد المحترم سودرجرين. أي عروض إضافية؟ مُباعة مقابل ألف تاج للسيد المحترم سودرجرين.

العرض الخامس: (كتاب عن طبيعة الوحوش)، نسخة ومرجع نادر يصف مختلف المخلوقات والوحوش التي تُعرف في عالم السحر والفلكلور، مجلدة بألواح من خشب الزان، مزينة برسومات توضيحية رائعة...

العرض السادس: فتاة مع قطة، لوحة زيتية بأسلوب إن تخوا كارت، من مدرسة سينترا الفنية. السعر الافتتاحي...

العرض السابع: جرس نحاسي بمقبض، من صنع الأقزام، من الصعب تحديد عمره، لكنه بلا شك قطعة أثرية قديمة. هناك نقش محفور بحروف الأقزام على الحافة يقول: "لماذا ترنُّ به، أيها الأحمق؟" السعر الافتتاحي...

العرض الثامن: لوحة زيتية ومائية على قماش، الرسام غير معروف، لكنها تُعدّ تحفة فنية. يُرجى ملاحظة الاستخدام النادر للألوان، واللعب بالصبغات، وديناميكية الضوء. الجو العام الداكن والظلال المذهلة في المشهد الطبيعي الساحر. بالإضافة إلى ذلك، لاحظوا العنصر المركزي في اللوحة: أيل واقف في أرض التزاوج، ضمن تكوين ضوئي دراماتيكي. السعر الافتتاحي...

العرض التاسع: كتاب (صورة العالم)، والمعروف أيضًا باسم (العالم الجديد). وهو كتاب نادر للغاية يتناول الخرائط والتصورات الفلسفية والجغرافية للعالم في العصور القديمة، لا توجد منه سوى نسخة واحدة في حوزة جامعة أوكسينفورت، بالإضافة إلى نسخ قليلة في مجموعات خاصة. مجلد بجلد كوردوفان الفاخر، في حالة ممتازة. السعر الافتتاحي: ألف وخمسمائة تاج. ألف وستمائة، السيد المحترم فيم فيفالدي. ألف وستمائة وخمسون، القس بروخاسكا. ألف وسبعمائة، السيدة في مؤخرة القاعة. ألف وثمانمائة، السيد فيفالدي. ألف وثمانمائة وخمسون، القس بروخاسكا. ألف وتسعمائة، السيد فيفالدي. أحسنتم، القس بروخاسكا، ألفي تاج! ألفان ومائة، السيد فيفالدي. هل أسمع ألفين ومائتين؟

"هذا الكتاب كافر، إنه يحتوي على رسالة هرطقية! يجب أن يُحرق! أريد شراءه لأحرقه! ألفا ومئتا تاج!"

"ألفان وخمسمائة!" زمجر فيم فيفالدي، وهو يمسّد لحيته البيضاء المهندمة. "هل تستطيع أن تتجاوز هذا الرقم، أيها المتدين الأخرق؟"

"إنه لفضيحة! المال ينتصر على النزاهة! الأقزام الوثنيون يُعاملون أفضل من البشر! سأرفع شكوى إلى السلطات!"

"بيعت مقابل ألفين وخمسمائة تاج للسيد فيفالدي"، أعلن أبندر دي نافاريت بهدوء. "لكنني أذكّر القس بروتشاسكا بلوائح وقوانين دار مزادات بروسودي."

"أنا راحل!"

"وداعًا. أرجو المعذرة على هذا الإزعاج. في بعض الأحيان، يمكن لفرادة وثروة مجموعات دار بروسودي أن تثير مشاعر قوية. فلنواصل.

"العرض العاشر: قطعة فريدة من نوعها، اكتشاف استثنائي، زوج من سيوف الويتشر. قررت الدار عدم بيعها بشكل منفصل، بل كمجموعة، تكريمًا للويتشر الذي خدمته هذه الأسلحة لسنوات طويلة.

السيف الأول مصنوع من فولاذ نيزكي. تم تشكيل نصله وصقله في ماهكام، وتؤكد الزخارف المحفورة عليه أصالته وفقًا لخبرائنا.

"أما السيف الثاني فهو مصنوع من الفضة. توجد عليه رموز ونقوش رونية على الحارس العرضي وعلى طول النصل، تؤكد أصالته. السعر الافتتاحي: ألف تاج للمجموعة. السيد صاحب الرقم سبعة عشر، ألف وخمسون. هل من مزايدات أخرى؟ هل أسمع ألفًا ومئة؟ لسلاحين نادرين كهذين؟"

"اللعنة، هذا ليس بالكثير من المال"، تمتم نيكيفور موس، كاتب المحكمة، الذي كان يجلس في الصف الخلفي، يقبض أصابعه الملطخة بالحبر بعصبية ثم يمررها عبر شعره الخفيف. "كنت أعلم أنه لا يستحق العناء..."

أسكتته أنتيا ديريس بهسهسة غاضبة.

"الكونت هورفاث، ألف ومئة. السيد صاحب الرقم سبعة عشر، ألف ومئتان. السيد المحترم نينو سيانفانيلي، ألف وخمسمائة. السيد ذو القناع، ألف وستمائة. السيد صاحب الرقم سبعة عشر، ألف وسبعمائة. الكونت هورفاث، ألف وثمانمائة. السيد ذو القناع، ألفا. السيد المحترم سيانفانيلي، ألفان ومئة. السيد ذو القناع، ألفان ومئتان. هل من مزايدات أخرى؟ السيد المحترم سيانفانيلي، ألفان وخمسمائة... السيد صاحب الرقم سبعة عشر ..."

الرجل صاحب الرقم سبعة عشر تم الإمساك به فجأة من تحت إبطيه من قبل رجلين ضخمين كانا قد دخلا القاعة دون أن يلاحظهما أحد.

"جيروسا فيورتي، الملقب بالإبرة"، تمتم ثالثهم، وهو يطرق صدر الرجل المعتقل بهراوة. "قاتل مأجور، مطلوب بمذكرة توقيف. أنت رهن الاعتقال. خذوه بعيدًا."

"ثلاثة آلاف!" صرخ جيروسا فيورتي، المعروف بالإبرة، وهو يلوّح باللوحة التي تحمل الرقم سبعة عشر والتي كان لا يزال ممسكًا بها. "ثلاثة ... آلاف ..."

"أعتذر"، قال أبندر دي نافاريت ببرود. "هذه هي القواعد. أي عرض يقدمه المزايد يُلغى إذا تم القبض عليه. العرض الحالي هو ألفان وخمسمائة، مقدم من السيد المحترم سيانفانيلي. هل هناك من يزايد؟ الكونت هورفاث، ألفان وستمائة. السيد ذو القناع، ألفان وسبعمائة. السيد المحترم سيانفانيلي، ثلاثة آلاف. مرة ... مرتين ..."

"أربعة آلاف."

"آه. السيد المحترم مولنار جيانكاردي. برافو. أربعة آلاف تاج. هل هناك من يزايد إلى أربعة آلاف وخمسمائة؟"

"كنت أريدها لابني"، تمتم نينو سيانفانيلي بانزعاج. "وأنت لديك فقط بنات، مولنار. ماذا ستفعل بهذه السيوف؟ حسنًا، لك ما تريد. أنا أنسحب."

"بيعت"، أعلن دي نافاريت، "إلى السيد المحترم مولنار جيانكاردي مقابل أربعة آلاف تاج. لنكمل، أيها السادة والسيدات النبلاء. العرض رقم أحد عشر: عباءة من فرو القرد ..."

نيكيفور موس، مبتسمًا وكأنه ابن عرس عثر على دجاجة، صفع أنتيا ديريس على ظهرها بقوة. بالكاد تمكنت من السيطرة على نفسها كي لا تضربه على فمه.

"نحن نغادر"، همست بغضب.

"وماذا عن المال؟"

"بعد انتهاء المزاد واستكمال الإجراءات الرسمية. سيستغرق الأمر بعض الوقت."

متجاهلة تذمر نيكيفور موس، سارت أنتيا نحو الباب. لكنها شعرت بشخص يراقبها، فالتفتت بسرعة.

امرأة. بشعر أسود. ترتدي الأسود والأبيض. يتدلى من عنقها نجم من حجر السج.

شعرت بقشعريرة تسري في جسدها.

* * *

كانت أنيتا محقة. الإجراءات استغرقت بعض الوقت. ولم يتمكنوا من الذهاب إلى البنك إلا بعد يومين. كان الفرع تابعًا لأحد البنوك القزمية، تفوح منه — مثل جميع البنوك الأخرى — رائحة المال والشمع وتغليفات الماهوجني.

"المبلغ المستحق دفعه هو ثلاثة آلاف وثلاثمائة وستة وستون تاجًا"، أعلن الموظف. "بعد خصم رسوم البنك التي تبلغ واحدًا في المائة."

"البورسوديون: خمسة عشر، البنك: واحد"، تمتم نيكيفور موس بغضب. "يأخذون نسبة من كل شيء! سرقة في وضح النهار! ناولني المال!"

"لحظة واحدة." أوقفته أنيتا بحزم. "أولًا، لنعالج أمورنا، أمورك وأموري. لي أيضًا عمولة مستحقة. مقدارها أربعمائة تاج."

"تمهّل، تمهّل!" صاح موس، جاذبًا انتباه الموظفين والعملاء. "أي أربعمائة؟ بالكاد حصلت على ثلاثة آلاف وقليل من البنسات من البورسوديين ..."

"وفقًا للعقد، أستحق عشرة في المائة من سعر البيع. التكاليف مسؤوليتك. وتنطبق عليك وحدك."

"ماذا تقصدين...؟"

نظرت إليه أنيتا نظرة حادة. وكان ذلك كافيًا. لم يكن هناك شبه كبير بينها وبين والدها. لكن أنيتا ورثت عنه النظرة الثاقبة نفسها. نظرة بيرال برات. ارتبك موس تحت ثقل نظرتها.

"يرجى إعداد شيك بمبلغ أربعمائة تاج من المبلغ المستحق للدفع،" أمرت الموظف. "أنا على علم بأن البنك يقتطع عمولة، وأنا أقبل بذلك."

"وأنا أريد أموالي نقدًا!" صرخ كاتب المحكمة، مشيرًا إلى الحقيبة الجلدية الكبيرة التي كان يحملها. "سآخذها إلى المنزل وأخفيها في مكان آمن! لن أسمح لأي بنك لصوصي بسرقتي بالعمولات!"

"إنه مبلغ كبير،" قال الموظف وهو ينهض. "يرجى الانتظار هنا."

عندما فتح الموظف الباب المؤدي إلى الخلف للحظة، كادت أنيتا تجزم بأنها رأت امرأة ذات شعر أسود، ترتدي الأسود والأبيض.

شعرت بقشعريرة تسري في جسدها.

* * *

"شكرًا لك، مولنار،" قالت بينيفر. "لن أنسى لك هذا المعروف."

"على ماذا تشكرينني؟" ابتسم مولنار جيانكاردي. "ماذا فعلت، أي خدمة أسديتها؟ أنني اشتريت قطعة معينة في المزاد؟ ودفع ثمنها من حسابك الخاص؟ أم ربما لأنني أدرت وجهي عندما ألقيتِ تلك

التعويذة قبل لحظات؟ لقد أدرت وجهي لأنني كنت أراقب تلك العميلة من النافذة وهي تغادر، متمايلة برشاقة هنا وهناك. إنها امرأة تروق لي، لا أنكر ذلك، رغم أنني لا أحبذ النساء البشر. هل تعويذتك ... ستسبب لها مشاكل أيضًا؟"

"لا،" قاطعت الساحرة. "لن يحدث لها شيء. لقد أخذت شيكًا، وليس ذهبًا."

"حقًا. وأظنك ستأخذين سيوف الويتشر فورًا، أليس كذلك؟ فبالنسبة له تعني..."

"...كل شيء." أكملت يينيفر الجملة. "إنها مرتبطة به بالقدر. أعلم، أعلم ذلك جيدًا. لقد أخبرني. وبدأت أصدق ذلك. لا، مولنار، لن آخذ السيوف اليوم. يمكن أن تبقى في الخزانة الحديدية. سأرسل شخصًا مخولًا قريبًا لاستلامها. أغادر نوفيغراد اليوم."

"وأنا كذلك. سأتوجه إلى تريتوجور، عليّ تفقد الفرع هناك. ثم سأعود إلى منزلي في غورز فيلين."

"حسنًا، شكرًا لك مرة أخرى. وداعًا، أيها القزم."

"وداعًا، أيتها الساحرة."

فاصل

(بعد مرور مائة ساعة بالضبط على سحب الذهب من بنك جيانكاردي في نوفيغراد)

"ممنوع عليك الدخول،" قال الحارس تارب. "وأنت تعلم ذلك جيدًا. ابتعد عن الدرج."

"هل سبق لك أن رأيت هذا، أيها القروي؟" هز نيكيفور موس كيسًا ممتلئًا بالذهب وجعله يرنّ. "هل رأيت كل هذا الذهب دفعة واحدة؟ تنحّى عن طريقي، فهناك نبيل قادم! رجل ثري! ابتعد، أيها الوضيع!"

"دعه يدخل، تارب." ظهر فيبوس رافينغا من داخل النزل. "لا أريد أي اضطراب هنا؛ الزبائن بدأوا بالقلق. وأنت، احذر. لقد خدعتني مرة من قبل، ولن تكون هناك مرة ثانية. من الأفضل أن تكون لديك القدرة على الدفع هذه المرة، موس."

"السيد موس!" دفع الكاتب الحارس تارب بعيدًا. "السيد! انتبه كيف تخاطبني، أيها النادل!"

"نبيذ،" صرخ وهو يسترخي في كرسيه. "أغلى ما لديك!"

"أغلى زجاجة لدينا تكلف ستين كراون ..." قال مدير المطعم بجديّة.

"أنا قادر على دفعها! أحضر لي إبريقًا كاملاً وعلى الفور!"

"اخفض صوتك،" حذّره رافينغا. "اهدأ، موس."

"لا تحاول إسكاتي، أيها الدجال! المحتال! المتغطرس! من أنت لتُسكتني؟ مجرد واجهة ذهبية لكن لايزال الطين على حذائك. والنجاسة ستظل نجاسة! انظر هنا! هل سبق لك أن رأيت هذا الكم من الذهب؟ ها؟"

مدّ نيكيفور موس يده في الكيس، أخرج حفنة من العملات الذهبية، وألقاها بازدراء على الطاولة.

سقطت العملات وتحولت لسائل بني، وانصهرت في وحل كريه.

وانتشر فجأة في الأجواء رائحة مقززة لا تُحتمل.

قفز زبائن أوستريا ناتورا ريروم على أقدامهم واندفعوا نحو المخرج وهم يسعلون، يغلقون أنوفهم بالمناديل. انحنى مدير المطعم وتقيأ. دوى صراخ ولعنات. أما فيبوس رافينغا، فلم يحرك ساكنًا. وقف كتمثال، بذراعيه معقودتين على صدره.

أما موس، فقد أصيب بالذهول. هز رأسه، رمش بعينيه، وفركهما، محدقًا في كومة الفضلات التي تراكمت فوق المفرش. أخيرًا، استجمع نفسه، وأدخل يده في الكيس مرة أخرى.

وسحب حفنة أخرى ... من القاذورات الطرية.

"أنت محق، موس،" قال فيبوس رافينغا بصوت جليدي. "النجاسة ستظل نجاسة دائمًا. خذوه إلى الفناء."

لم يُظهر الكاتب نيكيفور موس أي مقاومة، فقد كان مصدومًا تمامًا مما حدث. قام تارب بجرّه نحو الساحة الخلفية. وعند إشارة من رافينغا، رفع خادمان الغطاء الخشبي للمراحيض الخارجية.

عند رؤية الحفرة، تحرك موس بعنف، وبدأ بالصراخ، والتخبط، والركل. لكن لم يكن لذلك أي جدوى. قام تارب بحمله ورماه مباشرة في الحفرة المفتوحة.

سقط الشاب في بركة من القاذورات السائلة، لكنه لم يغرق.

فتح ذراعيه وساقيه، وحاول إبقاء رأسه فوق السطح، مستندًا على حزم من القش، وخرق بالية، وعيدان، وصفحات مجعدة من كتب علمية ودينية مختلفة.

وقف فيبوس رافينغا بهدوء، ثم التقط مذراة خشبية من على جدار المخزن، مصنوعة من فرع متشعب واحد.

"النجاسة كانت، وستظل، وستبقى نجاسة،" قال بصوت جامد. "ودائمًا تنتهي حيث تنتمي النجاسة."

ثم ضغط على المذراة[10]، دافعًا موس إلى الأسفل، وغمره بالكامل في الوحل القذر.

ظهر موس مرة أخرى، يصرخ، يسعل، ويبصق القاذورات. لكن رافينغا لم يُظهر أي تعاطف.

---

[10] **المِذْرَاة** :أداة زراعية تقليدية تُستخدم لفصل الحبوب عن القش، أو لنقل التبن والقش. تتكوّن عادةً من مقبض خشبي طويل ينتهي بعدة أسنان أو شوكات خشبية أو معدنية.

تركه يلتقط أنفاسه قليلًا، ثم غمره مجددًا. هذه المرة، بشكل أعمق.

وبعد تكرار هذه العملية عدة مرات، ألقى رافينغا بالمذراة جانبًا.

"اتركوه،" أمرهم ببرود. "دَعوه يخرج بنفسه."

"لن يكون الأمر سهلًا،" علّق تارب. "وسيستغرق بعض الوقت."

"فليكن،" قال رافينغا بلا اكتراث. "لا داعي للعجلة."

عند عودتي (آه! إنني يائس من ذلك!)

استقبلتني بقبلة باردة كالجليد.

بيير دي رونسار

الفصل السادس عشر

في تلك اللحظة بالذات، كانت السفينة الشراعية النوفغرادية "باندورا بارفي"، وهي بحق سفينة رائعة، تبحر نحو مرساها بأشرعتها مرفوعة بالكامل.

جميلة وسريعة، فكر غيرالت وهو ينزل من السلم إلى الرصيف المزدحم. لقد رأى تلك السفينة الشراعية في نوفغراد، سأل عنها وعرف أنها أبحرت من هناك بعد يومين كاملين من انطلاق السفينة الغاليرا "ستينتا"، التي كان على متنها. ورغم ذلك، فقد وصل إلى كيراك في الوقت ذاته تقريبًا.

ربما كان عليَّ الانتظار وركوب السفينة الشراعية، فكر في نفسه. يومين إضافيين في نوفغراد... من يدري، ربما كنت سأتمكن من جمع المزيد من المعلومات؟

لكنها مجرد تأملات باطلة، قرر في النهاية. ربما، من يدري، لعل... لكن ما حدث قد حدث، ولا شيء يمكن تغييره الآن. لا فائدة من الاستمرار في التفكير فيه.

ألقى نظرة وداعية إلى السفينة الشراعية، والمنارة، والبحر، والأفق الذي بدأ يظلم تحت وطأة غيوم العاصفة. ثم واصل طريقه إلى البلدة بخطوات سريعة.

* * *

في تلك اللحظة بالذات، كان اثنان من الحمالين يخرجان حاملين محفة، بناءً أنيقًا مزخرفًا بستائر أرجوانية رقيقة. لا بد أن اليوم كان الثلاثاء، الأربعاء، أو الخميس. في تلك الأيام، كانت ليتا نيد تستقبل المرضى: عادةً سيدات ثريات من الطبقة العليا، اللواتي يصلن في محفات كهذه.

سمح له الحارس بالدخول دون أن ينبس بكلمة. وهذا كان أفضل. لم يكن غيرالت في أفضل حالاته، وكان سيرد عليه حتمًا بكلمة. أو حتى كلمتين أو ثلاث.

كان الفناء خاليًا، والماء في النافورة يهمس بلطف. وُضعت إبريق زجاجي وبعض الأكواب على طاولة صغيرة من الملاكيت. دون تردد، صبَّ غيرالت لنفسه كوبًا وشرب.

عندما رفع رأسه، رأى موزاييك. كانت ترتدي معطفًا أبيض ومئزرًا. شاحبة، وشعرها مصفف إلى الخلف ومبلل قليلًا.

"أنت هنا"، قالت. "لقد عدت."

"بكل تأكيد"، رد عليها بجفاف. "لقد عدت بكل تأكيد. وهذا النبيذ بالتأكيد حامض قليلًا."

"يا لها من سعادة رؤيتك مجددًا."

"كورال؟ هل هي هنا؟ وأين؟"

"رأيتها قبل لحظات بين فخذي مريضة"، قالت وهي تهز كتفيها. "أغلب الظن أنها ما زالت هناك."

"لا مفر أمامكِ، موزاييك"، قال بهدوء، ناظرًا في عينيها. "عليكِ أن تصبحي ساحرة. في الحقيقة، لديكِ استعدادات كبيرة لذلك ومقومات تجعلكِ مؤهلة. ذكاؤك اللاذع لن يكون محل تقدير في ورشة حياكة. ولا حتى في بيت دعارة."

"أنا أتعلم وأتطور." واجهت نظرته بثبات. "لم أعد أبكي حتى أنام. لقد تجاوزت تلك المرحلة."

"لا، لم تتجاوزيها بعد، أنتِ تخدعين نفسكِ. لا يزال هناك الكثير أمامكِ. والسخرية لن تحميكِ منه. خاصةً أنها تبدو مفتعلة، ومحاولة باهتة للتظاهر بالقوة. لكن كفى بهذا، ليس من شأني أن ألقنكِ دروسًا في الحياة. لقد سألتُ عن مكان كورال."

"هنا. تحياتي."

خرجت الساحرة من خلف ستارة مثل شبح. كانت ترتدي، مثل موزاييك، معطفًا طبيًا أبيض، وشعرها الأحمر مرفوعًا ومخبأ تحت قبعة من الكتان، والتي، في الظروف العادية، كان سيجدها سخيفة. لكن الظروف لم تكن عادية، وكان الضحك في غير محله. استغرق الأمر منه بضع ثوانٍ ليستوعب ذلك.

سارت نحوه وقبّلته على وجنته دون أن تنبس بكلمة. كانت شفاهها باردة، وكانت الهالات الداكنة تحت عينيها ظاهرة بوضوح.

كانت تفوح منها رائحة الأدوية، والسائل الذي تستخدمه كمطهر. كانت رائحة منفرة، حادة، مشبعة برائحة المرض والموت. رائحة مثقلة بالخوف.

"سأراك غدًا"، قالت قبل أن يتمكن من النطق. "غدًا سأخبرك بكل شيء."

"غدًا."

نظرت إليه، لكن نظرتها كانت بعيدة، كأنها تأتيه مما وراء هوة الزمن التي تفصل بينهما. استغرق الأمر منه بضع ثوانٍ حتى يدرك مدى عمق تلك الهوة، ومدى بعد الأحداث التي تفصلهما عن بعضهما البعض.

"ربما بعد غد سيكون أفضل. اذهب إلى المدينة. قابل ذلك الشاعر، لقد كان قلقًا عليك. لكن الآن، أرجوك، اذهب. عليّ رؤية مريض."

بعد أن غادرت، ألقى نظرة على موزابييك. ربما كانت نظرته معبّرة بما يكفي لجعلها لا تتأخر في تقديم التفسير.

"كان لدينا ولادة هذا الصباح"، قالت، وكان صوتها مختلفًا قليلًا. "ولادة عسيرة. قررت استخدام الملقط. وكل شيء كان يمكن أن يسوء، ساء بالفعل."

"أفهم."

"أشك في ذلك."

"وداعًا، موزايك."

"لقد كنت غائبًا لفترة طويلة." رفعت رأسها وحدقت به. "أطول مما كانت تتوقع. في ريسبيرغ لم يعرفوا شيئًا، أو على الأقل تظاهروا بعدم المعرفة. حدث شيء، أليس كذلك؟"

"نعم، حدث."

"أفهم."

"أشك في ذلك."

* * *

داندیليون أبدى إعجابه بذكائه. من خلال تصريحه بشيء بديهي للغاية، لدرجة أن جيرالت لم يكن قادرًا بعد على التكيف معه بالكامل. أو تقبله تمامًا.

"لقد انتهى الأمر، أليس كذلك؟ تبخر مع الريح؟ بالطبع، هي والسحرة كانوا بحاجة إليك، لقد أنجزت المهمة، والآن يمكنك الرحيل. وتعلم ماذا؟ أنا سعيد لأن ذلك يحدث الآن. كان عليك أن تنهي هذه القضية الغريبة في وقت ما، وكلما استمرت لفترة أطول، زادت احتمالية أن تصبح العواقب أكثر خطورة. إذا كنت تريد رأيي، فيجب أن تكون سعيدًا أيضًا بانتهائها، وبأنها انتهت بسلاسة. لذا عليك أن ترسم على وجهك ابتسامة سعيدة، لا تلك الكآبة والتجهم الذي، صدقني، لا يليق بك على الإطلاق. بتلك الهيئة، تبدو ببساطة كرجل يعاني من صداع كحولي شديد، وأيضًا تسمم غذائي، ولا يتذكر متى كسر سنه، أو بماذا، أو كيف حصلت بقع المني على سرواله."

"أم أن كآبتك ناتجة عن شيء آخر؟" تابع الشاعر، غير مكترث تمامًا بعدم استجابة الويتشر. "هل الأمر ببساطة لأنك طُردت شر طردة بينما كنت تخطط لنهاية على طريقتك الخاصة التي لا تُضاهى؟ تلك النهاية التي تتضمن هروبًا عند الفجر، وزهورًا موضوعة بعناية على المنضدة بجانب السرير؟ ها ها، الوقوع في الحب مثل خوض الحرب، يا صديقي، وحبيبتك تصرفت كما لو كانت استراتيجيًا بارعًا. لقد نفذت ضربة استباقية، هجومًا وقائيًا. لا بد أنها قرأت كتاب المارشال بيليغرام تاريخ الحروب. بيليغرام يورد العديد من الأمثلة عن انتصارات حُققت باستخدام استراتيجيات مماثلة."

لم يبدُ على جيرالت أي رد فعل. من الواضح أن دانديليون لم يكن يتوقع رد فعل. أنهى قدحه وأشار لزوجة صاحب النزل لتجلب له آخر.

"وبناءً على ما سبق،" تابع دانديليون، وهو يلف أوتار عوده، "أنا عمومًا من أنصار الجنس في الموعد الأول. أوصي به لك مستقبلًا بكل تأكيد. فهو يقضي على الحاجة إلى أي لقاءات لاحقة مع نفس الشخص، والتي قد تكون مرهقة وتستنزف الوقت. وبما أننا في هذا الموضوع، تلك المحامية التي أوصيتني بها تبيّن فعلًا أنها تستحق العناء. لن تصدق..."

"سأصدق." قاطعه الويتشر بحدة، وهو يبصق على الأرض. "يمكنني تصديق ذلك دون الحاجة إلى سماع التفاصيل، لذا يمكنك تجاوزها."

"حقًا،" لاحظ الشاعر، "أنت محبط، مكتئب، ومستغرق في الهموم، ولهذا أنت متجهم وسريع الغضب. يبدو أن الأمر لا يتعلق بالمرأة فحسب. هناك شيء آخر. أنا أعرف ذلك، بحق الجحيم، وأراه بوضوح. هل فشلت في نوفيغراد؟ ألم تستعد سيوفك؟"

تنهد جيرالت، رغم أنه وعد نفسه بألّا يفعل.

"لا، لم أستعدها. وصلت متأخرًا. كانت هناك تعقيدات، وحدثت أمور كثيرة. تعرضنا لعاصفة، ثم بدأ قاربنا يأخذ الماء ... وبعد ذلك، أصيب صانع قفازات بمرض خطير ... آه، لن أضجرك بالتفاصيل. باختصار، لم أصل في الوقت المناسب. عندما وصلت إلى نوفيغراد، كانت المزاد قد انتهى.

استُقبلت ببرود في دار المزادات الخاصة بعائلة بورسودي. المزادات محاطة بسرية تجارية، لحماية كل من البائعين والمشترين. الشركة لا تقدم أي معلومات للأطراف الخارجية، والكثير من الكلام الفارغ والهراء ثم وداعًا أيها السيد. لم أتمكن من معرفة أي شيء.

لا أعرف إن كانت السيوف قد بيعت، وإن كانت قد بيعت، فلا أعلم من اشتراها. بل لا أعرف حتى إن كان اللص قد عرضها في المزاد من الأساس. ربما تجاهل نصيحة برات، وربما وجد فرصة أخرى. لا أعرف شيئًا."

"يا للأسف." هز دانديليون رأسه بأسى. "إنها سلسلة من الأحداث المؤسفة. يبدو أن تحقيق ابن العم فيرانت قد وصل إلى طريق مسدود، على ما يبدو. بالمناسبة، ابن عمك فيرانت لا يتوقف عن السؤال عنك. أين أنت، وهل لدي أي أخبار منك، ومتى ستعود، وهل ستصل في الوقت المناسب لحضور الزفاف الملكي، وهل نسيت وعدك للأمير إغموند؟ بطبيعة الحال، لم أنطق بكلمة واحدة عن مساعيك أو عن المزاد. ولكن، أذكرك أن عيد 'لوغناساد' يقترب. لم يتبقَ سوى عشرة أيام."

"أعلم. ولكن ربما يحدث شيء في هذه الأثناء. شيء سعيد، لنقل؟ بعد هذه السلسلة من النحس، نحن بحاجة إلى تغيير."

"لا أنكر ذلك. ولكن إذا..."

"سأفكر في الأمر وأتخذ قرارًا." لم يسمح جيرالت للشاعر بإنهاء حديثه. "لا شيء يُلزمني مبدئيًا بحضور الزفاف الملكي كحارس شخصي: إغموند والمحرض لم يستعيدوا سيوفي، وكان هذا هو الشرط. لكنني لا أستبعد تمامًا تلبية رغبة الدوق. الاعتبارات المادية، على الأقل، تدفعني لذلك. الأمير تفاخر بأنه لن يبخل علينا بأي قرش. وكل شيء يشير إلى أنني سأحتاج إلى سيوف جديدة، مصنوعة خصيصًا لي. وذلك سيكلف مبلغًا طائلًا. حسنًا، ما رأيك؟ لنذهب لتناول الطعام. والشراب."

"إلى 'ناتورا' في رافينغا؟"

"ليس اليوم. اليوم أشتهي أشياء بسيطة، طبيعية، غير معقدة وصادقة. إذا كنت تفهم ما أعنيه."

"بالطبع أفهم." قال دانديليون وهو ينهض. "لنتجه إلى البحر، إلى 'باليميرا'. أعرف مكانًا هناك. يقدمون الرنجة، والفودكا، وحساء مصنوع من سمكة تُدعى 'الرأس الكبير'، لا تضحك! هذا فعلًا اسمها!"

"يمكنهم تسمية أنفسهم كما يشاؤون. هيا بنا."

* * *

الجسر فوق نهر أَدالات كان مغلقًا، حيث كانت في تلك اللحظة تمر قافلة من العربات المحملة وفرقة من الفرسان يقودون خيولًا بلا فرسان. اضطر جيرالت وداندليون إلى الانتظار والابتعاد عن الطريق.

ظهر فارس يمتطي فرسًا بنية اللون في مؤخرة القافلة. ألقت الفرس رأسها للخلف وحيّت جيرالت بصهيل طويل ممتد.

"روتش!"

"تحياتي، أيها الويتشر،" قال الفارس وهو يزيل غطاء رأسه ليكشف عن وجهه. "كنت على وشك زيارتك. رغم أنني لم أتوقع أن نصطدم ببعضنا بهذه السرعة."

"تحياتي، بينيتي."

ترجّل بينيتي. لاحظ جيرالت أنه كان مسلحًا. كان الأمر غريبًا بعض الشيء، حيث نادرًا ما يحمل السحرة الأسلحة. كان هناك سيف في غمد مزخرف يتدلى من حزامه المثبت بمسامير نحاسية. كما كان هناك خنجر، صلب وعريض.

أخذ جيرالت لجام "روتش" من الساحر وربت على أنف الفرس وبدة رقبتها. خلع بينيتي قفازيه ووضعهما في حزامه.

"أرجوك اعذرني، سيد دانديليون،" قال الساحر، "لكنني أرغب في التحدث مع جيرالت على انفراد. ما يجب أن أقوله موجه لأذنيه فقط."

"جيرالت لا يخفي عني شيئًا،" قال دانديليون منتفخًا بصدره.

"أعلم. لقد علمتُ بالكثير من تفاصيل حياته الخاصة من أغانيك."

"لكن..."

"داندیلیون،" قاطعه الویتشر. "اذهب في نزهة."

"شكرًا لك،" قال جيرالت بعد أن أصبحا وحدهما. "شكرًا لك على إحضار فرسي، بينيتي."

"لاحظت أنك متعلق بها،" أجاب الساحر. "لذلك عندما وجدتها في 'باينتوبس'..."

"كنت في 'باينتوبس'؟"

"نعم، كنا هناك. الشرطي توركيل استدعانا."

"هل رأيت...؟"

"لقد رأينا." قاطعه بينيتي بجفاء. "رأينا كل شيء. لا أفهم، ويتشر. لا أفهم. لماذا لم تقتله على الفور عندما سنحت لك الفرصة؟ لم تتصرف بحكمة، إن جاز لي القول."

أعلم، فكر جيرالت مع نفسه. أعلم، وأعلم ذلك جيدًا. لقد كنت أحمقَ جدًا لأستغل الفرصة التي منحها لي القدر. فما الضرر في ذلك، جثة أخرى تُضاف إلى الإحصائيات؟ ماذا تعني جثة إضافية لقاتل مأجور؟ فما المشكلة إن شعرتُ بالغثيان لأنني كنت أداتكم؟ أنا دائمًا أكون أداةً لشخصٍ ما، في النهاية. كان عليّ أن أعض على شفتي وأفعل ما كان يجب أن أفعله.

"سيُدهشك هذا بالتأكيد،" قال بينيتي وهو ينظر إليه مباشرةً في عينيه، "لكننا، هارلان وأنا، سارعنا بالمجيء لمساعدتك فورًا. كنا نعلم أنك بحاجة إلى العون. أمسكنا بديغيرلوند في اليوم التالي وهو يمزق بعض قطاع الطرق العشوائيين."

أمسكتم به، فكر الويتشر مع نفسه. وقمتم بكسر عنقه بلا تفكير مرتين؟ لأنكم أذكى مني، لم تكرروا خطئي؟ هراء. لو كان الأمر كذلك، لما كنت تحمل هذا الوجه الآن، جونيكامب.

"نحن لسنا قتلة،" تمتم الساحر، وقد احمر وجهه. "أخذناه إلى ريسبيرغ. وأحدثنا ضجةً طفيفة ... الجميع كان ضدنا. أورتولان، المدهش أنه تصرف بحذر، رغم أننا توقعنا الأسوأ منه. لكن بيروتا إيكارتي، أكسل المُرقّط، ساندوفال، وحتى زانغينيس، الذي كان في السابق في صفّنا ... اضطررنا إلى الاستماع إلى محاضرة طويلة عن تضامن الزمالة، عن الأخوة، عن الولاء.

تعلمنا الأوغاد فقط هم من يرسلون قتلة مأجورين خلف رفاقهم، وأنه يجب أن تكون وضيعا للغاية لتستأجر ويتشراً لملاحقة زميلك. ولأسباب وضيعة كذلك. بسبب الحسد على موهبته ومكانته؛ بسبب الغيرة من إنجازاته العلمية ونجاحاته."

"ذكر الحوادث التي وقعت في التلال والجثث الأربع والأربعين لم يحقق شيئًا!"، فكر الويتشر مع نفسه. "إلا إذا كنت تعتبر هزّ الأكتاف إنجازًا. وربما محاضرة طويلة عن العلم وضرورة التضحيات. عن الغاية التي تبرر الوسيلة".

"تم تقديم ديغيرلوند إلى اللجنة،" تابع بينيتي، "وتلقى توبيخًا شديدًا. بسبب ممارسته للسحر الشيطاني، ولأرواح البشر الذين قتلهم ذلك الشيطان. كان متعجرفًا، وواضحًا أنه كان يعول على تدخل من أورتولان. لكن أورتولان كان قد نسي أمره تمامًا، إذ انشغل كليًا بشغف جديد: تطوير صيغة لسماد فعال للغاية وعالمي، يهدف إلى إحداث ثورة في الزراعة.

بعد أن تُرك لمصيره، غيّر ديغيرلوند نبرته تمامًا. صار بائسًا، واهنًا، ومثيرًا للشفقة. لعب دور الضحية. الضحية لموهبته السحرية وطموحه في آنٍ واحد، إذ تسبب في استحضار شيطان كان قويًا جدًا بحيث لا يمكن السيطرة عليه. أقسم على التخلي عن ممارسة السحر الشيطاني، وألا يقترب منه مرة أخرى. وتعهد بتكريس نفسه بالكامل للبحث في تحسين الجنس البشري، والتطوير فوق البشري، والانتواع، والتداخل الوراثي، والتعديل الجيني."

"وقد صدقوه!"، فكر الويتشر مع نفسه.

"نعم، لقد صدقوه. أورتولان، الذي ظهر فجأة أمام اللجنة تفوح منه رائحة السماد، كان له تأثير عليهم. وصف ديغيرلوند بأنه 'شاب عزيز' ارتكب أخطاءً فادحة، لكن من منا معصوم عن الخطأ؟ لم يكن لديه شك في أن الشاب سيتعلم الدرس، بل وتعهد بكفالته. طلب من اللجنة أن تهدئ من غضبها، وأن تُظهر التعاطف، وألا تُحطم مستقبل الشاب.

وأخيرًا، أعلن أن ديغيرلوند وريثه وخليفته، ناقلاً إليه مختبره الخاص بالكامل في القلعة. أما هو، فقد صرّح بأنه لم يعد بحاجة إلى مختبر، إذ قرر العمل والتأمل تحت السماء المفتوحة، بين أحواض الخضروات وأحواض الزهور.

بدت هذه الخطة مغرية لبيروتا، وأكسل المرقّط، والبقية. فالقلعة، بالنظر إلى مدى تعذر الوصول إليها، يمكن اعتبارها مكانًا للعقاب. وهكذا، وقع ديغيرلوند في الفخ. ووُضع تحت الإقامة الجبرية."

"وهكذا تم التستر على القضية"، فكر الويتشر مع نفسه.

"أظن أن اعتبار وضعك وسمعتك كان له تأثير على ذلك،" قال بينيتي، محدقًا إليه بحدة.

رفع جيرالت حاجبيه.

"من المفترض أن مدونة قوانين الويتشر" تابع الساحر "تحظر قتل البشر. لكن يُقال عنك أنك لا تعامل المدونة بالتقديس الواجب. وأن هذا وذاك قد حدث، وأن بعض الأشخاص قد فقدوا حياتهم بسببك. بيروتا والبقية أصيبوا بالخوف، خشية أن تعود إلى ريسبيرغ وتنهي الأمر بنفسك، وربما يرون أنفسهم أيضًا عرضة للعقاب. لكن القلعة هي ملجأ محصن بالكامل، كانت في الأصل حصنًا جبليًا لأقزام، تم تحويله إلى مختبر وهو الآن محمي بالسحر. لا يمكن لأحد اقتحام القلعة، الأمر مستحيل. لذا، ديغيرلوند ليس فقط معزولًا، بل هو أيضًا في أمان."

"ريسبيرغ أيضًا في أمان،" فكر الويتشر مع نفسه. "في أمان من الفضيحة والإحراج. مع احتجاز ديغيرلوند، لا فضيحة ستطفو إلى السطح. لن يعرف أحد أبدًا أن ذلك المحتال والانتهازي قد خدع وأضل سحرة ريسبيرغ، الذين يعتبرون أنفسهم ويعلنون أنهم نخبة المجتمع السحري. لن يعرف أحد أبدًا أن مريضًا نفسيًا منحرفًا استغل سذاجة وغباء تلك النخبة، وتمكن من قتل ما يقارب الأربعين شخصًا دون أي عائق".

"ديغيرلوند سيكون تحت الإشراف والمراقبة في القلعة،" قال الساحر، ناظرًا في عينيه طوال الوقت. "لن يستحضر أي شيطان."

لم يكن هناك أي شيطان أبدًا. وأنت، بينيتي، تعرف ذلك جيدًا.

"القلعة،" قال الساحر وهو يحول بصره بعيدًا، محدقًا في السفن الراسية، "مبنية داخل صخور سلسلة جبل كريمورا، التي تقع ريسبيرغ عند سفحها. محاولة اقتحامها ستكون بمثابة انتحار. ليس فقط بسبب الحماية السحرية. أتذكر ما أخبرتنا به آنذاك؟ عن ذلك الشخص الممسوس الذي قتلته ذات مرة؟ في حال الضرورة القصوى، لحماية خير معين على حساب آخر، مستبعدًا بذلك عدم الشرعية لعمل محظور.

حسنًا، عليك أن تفهم أن الظروف الآن مختلفة تمامًا. في العزلة، لا يمثل ديغيرلوند تهديدًا حقيقيًا أو مباشرًا. وإذا ما حاولت المساس به، ستكون قد ارتكبت عملاً محظورًا وغير قانوني. وإذا حاولت قتله، فستُحال إلى المحكمة بتهمة الشروع في القتل. بعض رفاقنا، كما أعلم، يأملون أنك ستفعل ذلك على

أي حال. وأن ينتهي بك الأمر على المقصلة. لذا، أنصحك: دع الأمر وشأنه. انسَ ديغيرلوند. دع الأمر يأخذ مجراه."

"أنت لا تقول شيئًا،" لاحظ بينيتي، مثبتًا عينيه عليه. "تحفظ تعليقاتك لنفسك."

"لأنه لا يوجد ما يقال. أنا فقط فضولي بشأن شيء واحد. أنت وتزارا... هل ستبقيان في ريسبيرغ؟"

ضحك بينيتي. ضحكة جافة وجوفاء.

"كلانا، هارلان وأنا، طُلب منا تقديم استقالتنا، بناءً على طلبنا، بحجة تدهور صحتنا. غادرنا ريسبيرغ ولن نعود إليها أبدًا. هارلان سيذهب إلى بوفيس ليخدم الملك رايد. أما أنا، فأميل إلى الاستمرار في السفر. سمعت أن في إمبراطورية نيلفجارد، يتم التعامل مع السحرة بوظيفية ودون تبجيل زائد. لكنهم يدفعون لهم جيدًا. وبينما نحن في موضوع نيلفجارد... كدت أنسى. لدي هدية وداع لك، أيها الويتشر."

قام بفك حزام سيفه، ولفه حول غمده، ثم قدمه إلى جيرالت.

"إنها لك،" قال قبل أن يتمكن الويتشر من الكلام. "حصلت عليها في عيد ميلادي السادس عشر. من والدي، الذي لم يستطع تقبل قراري بدراسة السحر. كان يأمل أن يؤثر عليّ هذا السيف، وأن أشعر، بصفتي مالكه، بضرورة متابعة تقاليد العائلة واختيار مهنة عسكرية. لقد خيبت أمل والدي. في كل شيء. لم أحب الصيد، كنت أفضل صيد السمك. لم أتزوج الابنة الوحيدة لأقرب أصدقائه. لم أصبح جنديًا، وظل السيف يجمع الغبار في الخزانة. لا حاجة لي به. سيخدمك بشكل أفضل."

"لكن... بينيتي..."

"خذه، لا تثر ضجة. أعلم أن سيوفك ضاعت، وأنك بحاجة إلى واحد."

أمسك جيرالت بمقبض السيف المصنوع من جلد السحلية وسحب النصل إلى منتصف الغمد. على بعد بوصة واحدة فوق واقية اليد، رأى ختمًا على شكل شمس مشرقة بستة عشر شعاعًا، متناوبة بين مستقيمة ومتموجة، ترمز إلى الضوء والحرارة في شعارات النبالة. ثم بدأت نقشٌ جميل، مكتوب بأحرف مزخرفة — علامة تجارية مشهورة — بعد بوصتين من رمز الشمس.

"نصل من فيروليدا." قال الويتشر مؤكدًا. "وهذه المرة أصلي."

"أستميحك عذرًا؟"

"لا شيء، لا شيء. أنا فقط معجب به. وما زلت غير متأكد إن كنت أستطيع قبوله..."

"يمكنك ذلك. في الواقع، أنت قد تلقيته بالفعل، لأنك تمسك به. بحق الجحيم، لا تثر ضجة، قلت لك. أعطيك السيف لأنني أُكن لك الإعجاب. ولأجعلك تدرك أن ليس كل السحرة يتمنون لك الشر. على أي حال، صنارات الصيد أنفع لي. الأنهار في نيلفجارد جميلة وصافية تمامًا، وتمتلئ بأسماك السلمون والتروتة."

"شكرًا لك. بينيتي؟"

"نعم؟"

"هل تعطيني هذا السيف فقط لأنك تحبني؟"

"بالفعل، لأنني أُكن لك الإعجاب." خفض الساحر صوته. "لكن ربما ليس لهذا السبب فقط. ماذا يهمني ما سيحدث هنا وإلى أي غايات سيُستخدم هذا السيف؟ أنا أغادر هذه الأراضي ولن أعود أبدًا. هل ترى تلك السفينة الجميلة الراسية هناك؟ إنها يوريال، وميناؤها الأم هو باكالّا. سأبحر بعد غدٍ."

"لقد وصلتَ مبكرًا بعض الشيء."

"نعم..." قال الساحر متلعثمًا قليلًا. "أردتُ أن أقول وداعًا... لشخص ما."

"حظًا موفقًا. شكرًا على السيف. وعلى الحصان، شكرًا مرة أخرى. وداعًا، بينيتي."

"وداعًا." صافح الساحر يد جيرالت الممدودة دون تفكير. "وداعًا، أيها الويتشر."

* * *

"وجد دانديليون — وأين غير ذلك؟ — في الحانة بجانب الميناء، يحتسي حساء السمك من وعاء."

"أنا راحل"، أعلن بعبارة مقتضبة. "حالًا."

"حالًا؟" تجمد دانديليون والملعقة متوقفة في منتصف طريقها إلى فمه. "الآن فورًا؟ كنت أظن..."

"لا يهم ما كنت تظنه. سأمتطي حصاني على الفور. طمئن ابن عمك، المحرض. سأعود لحضور الزفاف الملكي."

"ما هذا؟"

"ماذا يبدو لك؟"

"سيف، بالطبع. من أين حصلت عليه؟ من الساحر، أليس كذلك؟ وأين الذي أعطيتك إياه؟"

"ضاع. عد إلى البلدة العليا، دانديليون."

"وماذا عن كورال؟"

"ماذا عنها؟"

"ماذا أقول لها إن سألت..."

"لن تسأل. لن تجد الوقت. ستكون منشغلة بوداع شخص ما."

فاصل

(سِرِّي)

إلى: المبجل والعظيم المحترم، السيد الأعظم نارسيس دي لا روش

رئيس مجمع "الهبة والفن"

نوفيغراد

التاريخ: من قلعة ريسبرغ، في اليوم الخامس عشر من شهر يوليو، سنة 1245 بعد القيامة

الموضوع: السيد في الفنون السحرية سوريل ألبرت أمدور ديغيرلوند

سيدي الأعظم المحترم،

لا شك أن شائعات حول الأحداث التي وقعت على الحدود الغربية لتيميريا، في صيف العام الحالي، قد وصلت إلى أسماع مجمعكم الموقر. والنتيجة لهذه الأحداث، كما هو مُرجَّح، أن ما يقارب الأربعين شخصًا — من الصعب تحديد العدد بدقة — غالبيتهم من العمال غير المتعلمين في مجال الغابات، قد لقوا حتفهم.

هذه الأحداث، للأسف، مرتبطة بشخص السيد سوريل ألبرت أمدور ديغيرلوند، عضو فريق البحث في مجمع ريسبيرغ.

إن فريق البحث في مجمع ريسبيرغ يُبدي تعاطفه مع عائلات الضحايا، على الرغم من أن الضحايا — الذين يحتلون مكانة متدنية في الهرم الاجتماعي، ويسيئون استخدام الكحول ويعيشون حياة غير أخلاقية — لم يكونوا في الغالب في علاقات شرعية مُعترف بها.

نرغب في تذكير المجمع بأن السيد ديغيرلوند، التلميذ والمريد للسيد الأعظم أورتولان، هو عالم متميز، مختص في مجال علم الوراثة، وله إنجازات هائلة، بل لا تُحصى، في مجالات "ما بعد الإنسانية"، والتداخل الوراثي، والتخصص النوعي.

إن الأبحاث التي يجريها السيد ديغيرلوند قد تُثبت أنها حاسمة في تطور الجنس البشري وتقدمه. فمن المعروف أن البشر لا يضاهون الأجناس غير البشرية في العديد من السمات الجسدية والنفسية والسحرية-النفسية. وتهدف تجارب السيد ديغيرلوند، التي تعتمد على تهجين وتوليف الخريطة الجينية، في البداية إلى تحقيق تكافؤ بين البشر والأجناس غير البشرية، أما على المدى البعيد — من خلال تطبيق مبدأ التخصص النوعي — فسوف تمكّن البشر من التفوق على غير البشر وإخضاعهم تمامًا.

لا حاجة على الأرجح إلى توضيح الأهمية القصوى لهذه المسألة. لذا، من غير الحكمة أن تُعطّل بعض الحوادث التافهة أو توقف الأبحاث العلمية المذكورة أعلاه.

فيما يتعلق بالسيد ديغيرلوند نفسه، فإن فريق البحث في مجمع ريسبيرغ يتحمل المسؤولية الكاملة عن رعايته الطبية.

لقد تم تشخيص السيد ديغيرلوند سابقًا بأنه يعاني من ميول نرجسية، وانعدام التعاطف، واضطرابات عاطفية طفيفة. وخلال الفترة التي سبقت ارتكاب الأفعال المنسوبة إليه، تفاقمت حالته حتى ظهرت أعراض اضطراب ثنائي القطب. ويمكننا أن نقول إنه في الوقت الذي ارتُكبت فيه تلك الأفعال، لم يكن السيد ديغيرلوند يسيطر على ردود أفعاله العاطفية، وكانت قدرته على التمييز بين الخير والشر مضطربة.

يمكننا الافتراض أن ديغيرلوند كان فاقدًا للأهلية العقلية، أي أنه كان مجنونًا مؤقتًا، وبالتالي لا يمكن تحميله المسؤولية الجنائية عن الأفعال المنسوبة إليه، لأن "لا يُعاقب الإنسان على ما يفعله أثناء جنونه".

لقد تم نقل السيد ديغيرلوند مؤقتًا إلى موقع سري، حيث يخضع للعلاج ويواصل أبحاثه العلمية.

وبما أننا نعتبر هذه القضية منتهية، فإننا نرغب في لفت انتباه المجمع إلى المدعي توركيل، الذي يتولى التحقيق في قضية الحوادث التي وقعت في تيميريا. المدعي توركيل، وهو أحد مرؤوسي القاضي في غورز فيلين، يُعرف بأنه موظف مجتهد ومدافع قوي عن القانون، ولكنه يبدي حماسة زائدة فيما يتعلق بالتحقيق في تلك الحوادث، ويتبع — من وجهة نظرنا — مسارًا غير ملائم إطلاقًا.

ينبغي إقناع رؤسائه بضرورة تهدئة حماسه الزائد. وإن لم ينجح ذلك، فإنه يجدر التحقيق في ملفاته الشخصية، وكذلك ملفات زوجته، ووالديه، وأجداده، وأطفاله، وأفراد عائلته الآخرين، مع إيلاء اهتمام خاص لحياته الشخصية، وتاريخه الماضي، وسجله الجنائي، وأوضاعه المادية، وميوله الجنسية.

ونقترح الاتصال بمكتب المحاماة "كودرينيغر وفين"، والذي سبق للمجمع أن استفاد من خدماته قبل ثلاث سنوات بهدف تشويه سمعة الشهود والسخرية منهم في القضية المعروفة باسم "قضية الذرة".

كما أننا نود لفت انتباه المجمع إلى حقيقة أن الويتشر المعروف باسم جيرالت من ريفيا قد تورط، للأسف، في القضية المعنية.

لقد كان لديه وصول مباشر إلى الحوادث التي وقعت في المستوطنات، ولدينا أسباب تدعونا للاعتقاد بأنه يربط تلك الأحداث بالسيد ديغيرلوند.

يجب إسكات الويتشر المذكور، في حال بدأ الخوض في الأمر بعمق شديد.

ونود أن نشير إلى أن سلوك الويتشر الانعزالي، وعدميته، وعدم استقراره العاطفي، وشخصيته الفوضوية قد تعني أن التحذير الصارم قد لا يكون كافيًا وبالتالي قد يكون من الضروري اتخاذ تدابير قصوى.

إن الويتشر المذكور يخضع للمراقبة الدائمة، ونحن مستعدون لتطبيق تلك التدابير، إن وافق المجمع بطبيعة الحال وأصدر أوامره بذلك.

على أمل أن يكون التوضيح أعلاه كافيًا للمجمع لإغلاق القضية،

نتمنى لكم دوام العافية، ونظل أوفياء لكم دائمًا.

نيابة عن فريق البحث في مجمع ريسبيرغ

المخلصة دائمًا لكم

بيروتا آنا ماركيت إيكارتي

بخط يدها

الفصل السابع عشر

"وصلت في الوقت المناسب،" قال فرانس توركيل بعبوس. "وصلت في الوقت المناسب، مشعوذ، في الوقت المناسب تمامًا. العرض على وشك البدء."

كان مستلقيًا على ظهره فوق السرير، شاحبًا كجدار مطلي بالجير، وشعره مبتل ومتلاصق بجبينه من العرق. لم يكن يرتدي سوى قميص كتان خشن، ذكر جيرالت على الفور بالكفن.

كانت ساقه اليسرى مضمدة حتى الركبة، والضماد مشبع بالدماء.

في وسط الغرفة، وُضع طاولة مغطاة بملاءة. كان هناك رجل قصير القامة، يرتدي سترة سوداء، يصفّ أدوات واحدة تلو الأخرى عليها. سكاكين. ملقط. إزميل. مناشير.

"أندم على شيء واحد فقط،" قال توركيل وهو يصرّ على أسنانه. "أنني لم أمسك بأبناء العاهرات هؤلاء. كانت مشيئة الآلهة، لم يُكتب لي ذلك... والآن لن يتحقق أبدًا."

"ماذا حدث؟"

"نفس اللعنة التي حدثت في يوتريز، وروغوفيزنا، وبينيتوبس. لكن هذه المرة لم يكن الأمر كما في الحوادث السابقة، بل وقع عند حافة الغابة، وليس في ساحة خالية، بل على الطريق السريع. لقد باغتوا بعض المسافرين. قتلوا ثلاثة واختطفوا طفلين. ولحسن الحظ، كنت بالقرب منهم مع رجالي. بدأنا المطاردة فورًا، وسرعان ما كنا نراهم أمامنا. اثنان ضخمان مثل الثيران، والثالث أحدب مشوّه. وهذا الأحدب هو من أطلق عليّ النار من القوس والنشاب."

زمجر العمدة وأشار بيده نحو فخذه المضمد.

"أمرت رجالي بتركي ومتابعتهم. لكن الأوغاد لم يطيعوني. والنتيجة؟ هربوا. أما أنا؟ ماذا أفادني إنقاذهم لي؟ الآن سيقطعون ساقي، اللعنة! كنت أفضل الموت هناك، لكن بعد أن أرى هؤلاء السفلة متأرجحين على المشنقة أمام عيني قبل أن يبهت بصري. لكنهم لم ينفذوا أوامري. والآن يجلسون هناك خجلين ككلاب مذنبة."

بالفعل، كان رجال العمدة يجلسون متجهمين على المقعد بجانب الجدار، يشعرون بالخزي. وكانت تجلس معهم عجوز متجعدة الوجه، تعتمر إكليلًا لا يتناسب مع شعرها الرمادي، وبدا وجودها في هذا المكان غير ملائم تمامًا.

"يمكننا أن نبدأ،" قال الرجل ذو السترة السوداء. "ضعوا المريض على الطاولة وثبتوه بإحكام. جميع الغرباء عليهم مغادرة الغرفة."

"بوسعهم البقاء،" تمتم توركيل بصوت أجش. "أريد أن أعلم أنهم يشاهدون. لن أسمح لنفسي بالصراخ من الخزي."

"لحظة واحدة،" قال جيرالت وهو يعتدل واقفًا. "من قرر أن البتر أمر لا مفر منه؟"

"أنا من قررت،" قال الرجل ذو السترة السوداء، وهو يرفع رأسه لينظر إلى جيرالت مباشرة، إذ كان أقصر منه. "أنا ميسير لوبي، طبيب الحاكم في غورز فيلين، وقد تم استدعائي خصيصًا. الفحص أكد أن الجرح مصاب بالعدوى. لا أمل في إنقاذ الساق، يجب أن تُبتر."

"كم تتقاضى مقابل هذا الإجراء؟"

"عشرون تاجًا."

"هاك ثلاثين،" قال جيرالت، مستخرجًا ثلاث عملات من فئة العشرة من محفظته. "خذ أدواتك، واحزم أمتعتك، وعد إلى الحاكم. وإن سأل عن المريض، فأخبره أنه يتحسن."

"لكن... يجب أن أعترض..."

"احزم أمتعتك وعد أدراجك. أي جزء من كلامي لم تفهمه؟" ثم التفت إلى العجوز قائلاً: "وأنتِ، تعالي إليّ. فكّي الضمادة."

"لقد منعني من لمس المريض،" قالت وهي تومئ برأسها نحو الطبيب. "يقول إنني مشعوذة ودجالة. وهدد بالإبلاغ عني."

"تجاهليه تمامًا. فهو في طريقه للمغادرة الآن."

العجوز، التي أدرك جيرالت على الفور أنها معالجة بالأعشاب، نفذت ما طُلب منها. قامت بفك الضمادة بحذر شديد، لكن ذلك كان كافيًا لجعل توركيل يهز رأسه، ويصدر فحيحًا وأنينًا من الألم.

"جيرالت..." تأوه. "ماذا تفعل؟ الطبيب قال إنه لا يوجد أمل... من الأفضل أن أفقد ساقي على أن أفقد حياتي."

"هراء. ليس الأمر كذلك على الإطلاق. والآن، اصمت."

كان الجرح يبدو بشعًا. لكن جيرالت سبق له أن رأى ما هو أسوأ.

أخرج صندوقًا من الحقيبة التي تحتوي على إكسيراته. ميسير لوبي، الذي كان قد أنهى توضيب أدواته، راح ينظر إليه وهو يهز رأسه بعدم تصديق.

"هذه الجرعات لا تفيد في شيء،" نطق بازدراء. "هذه الخدع الزائفة والسحر المزعوم لا تنفع بشيء. هذا مجرد دجل وشعوذة. وبصفتي طبيبًا، يجب أن أعترض..."

استدار جيرالت ونظر إليه نظرة صامتة. خرج الطبيب على الفور. وبسرعة. متعثرًا عند عتبة الباب.

"أربعة رجال إليّ،" قال الويتشر وهو يفتح زجاجة صغيرة. "أمسكوه جيدًا. فرانز، شد على أسنانك."

راح الإكسير يفور بكثافة عندما صبّه على الجرح. أطلق العمدة أنينًا مفجعًا. انتظر جيرالت لحظة، ثم سكب إكسيرًا آخر. بدأ هذا أيضًا بالفوران، مصحوبًا بصوت فحيح ودخان. صرخ توركيل، وأخذ رأسه يتمايل من الألم، وتشنج جسده، وبدأت عيناه تتدحرجان، ثم فقد وعيه.

أخرجت العجوز قربة من حزمها، وأخذت حفنة من مرهم أخضر، ودهنت به قطعة من الكتان المطوي، ثم وضعتها فوق الجرح.

"عشبة العظام الملتئمة،" خمّن جيرالت. "كمادة من عشبة العظام، والأرنيكا، ونبات القطيفة. جيد، نانا، جيد جدًا. نبتة الماعز وقشور البلوط قد تكون مفيدة أيضًا..."

"استمعوا إليه،" قاطعته العجوز دون أن ترفع رأسها عن ساق العمدة. "يحاول تعليمي التداوي بالأعشاب. كنت أعالج الناس بالأعشاب عندما كنتَ لا تزال تتقيأ عصيدتك على مربية أطفالك، أيها الولد. أما أنتم، أيها الأغبياء، فابتعدوا عن الطريق، تحجبون عني الضوء. وتفوح منكم رائحة كريهة. عليكم تغيير لفافات أقدامكم. من وقت لآخر. هيا، انصرفوا، سمعتموني؟"

"يجب تثبيت ساقه. وضعها في جبائر طويلة..."

"قلت لك لا تعطيني تعليمات. وأنت أيضًا، لماذا لا تزال هنا؟ ماذا تنتظر؟ شكرًا لأنك تخلّيت عن علاجاتك السحرية كويتشر نبيل؟ أم وعدًا بأنه لن ينسى معروفك حتى آخر يوم في حياته؟"

"أريد أن أسأله شيئًا."

"عدني ياجيرالت، بأنك ستقبض عليهم" قال فرانس توركيل، فجأة بدا واعيًا تمامًا. "و ألا تدعهم يفلتون..."

"سأعطيه جرعة منومة وشيئًا للحمى، لأنه يهذي. وأنت، ويتشر، اخرج. انتظر في الفناء."

لم يطل انتظاره. خرجت العجوز، رفعت طرف فستانها، وعدّلت إكليلها المائل. جلست بجانبه على الدرج، وأخذت تفرك قدمًا بالأخرى. كانت قدماها صغيرتين جدًا.

"إنه نائم،" أعلنت. "وربما سيعيش، إن لم يحدث شيء سيئ، طرقوا الخشب. ستلتئم عظامه. لقد أنقذت ساقه بتلك الجرعات السحرية. سيظل أعرج طوال عمره، ولن يتمكن من ركوب الخيل مجددًا، على الأرجح. لكن قدمين أفضل من واحدة."

مدّت يدها إلى صدرها، أسفل صدريتها المصنوعة من جلد الغنم المطرّز، مما جعل الهواء يعبق برائحة الأعشاب أكثر. أخرجت علبة خشبية وفتحتها. وبعد لحظة تردد، ناولتها إلى جيرالت.

"تريد شمّة؟"

"لا، شكرًا. لا أتعاطى الفيستيك."

"أما أنا ..." قالت العشّابة، وهي تستنشق المخدّر، أولًا في فتحة أنف، ثم في الأخرى، "أما أنا، فأفعل ذلك من حين لآخر. ينشّط العقل بشكل لا يُصدق. يطيل العمر. ويحسّن المظهر. فقط انظر إليّ."

نظر إليها.

"شكرًا لك على جرعات الويتشر التي أعطيتها لفرانس،" قالت وهي تمسح عينًا دامعة وتستنشق بقوة. "لن أنسى ذلك. أعلم أنك تحافظ على تلك الجرعات بحرص شديد. ومع ذلك أعطيتني إياها دون تفكير. رغم أنك قد تحتاج إليها لاحقًا عندما تكون في ضائقة. ألا تخشى ذلك؟"

"أخشى."

أدارت رأسها لتريه جانب وجهها. لا بد أنها كانت امرأة جميلة ذات يوم، منذ زمن بعيد.

"والآن،" قالت وهي تعود لتنظر إليه، "تحدث. كنتَ تنوي أن تسأل فرانس عن شيء ما؟"

"لا بأس. إنه نائم، وحان وقت رحيلي."

"تحدث."

"جبل كرمورا."

"كان عليك أن تقول ذلك منذ البداية. ماذا تريد أن تعرف عن ذلك الجبل؟"

* * *

الكوخ كان يقع بعيدًا عن القرية، ملاصقًا لجدار الغابة الذي بدأ مباشرة بعد السور المحيط ببستان مليء بأشجار التفاح الصغيرة المثقلة بالثمار. أما بقية المزرعة فحملت جميع سمات المسكن الريفي النموذجي: حظيرة، سقيفة، بيت دجاج، عدة خلايا نحل، رقعة خضروات، وكومة سماد. كان هناك خيط رفيع من الدخان الأبيض ذو الرائحة الزكية يتصاعد من المدخنة.

لاحظت طيور الدجاج الغيني التي كانت تتجول بجانب سياج الأغصان المتشابكة وجوده أولًا، والتي أطلقت صراخًا جهنميًا لتنذر بالخطر. بينما ركض الأطفال الذين كانوا يلعبون في الفناء نحو الكوخ.

ظهرت امرأة عند العتبة. كانت طويلة، شقراء، وترتدي مئزرًا فوق فستان من الكتان الخشن. اقترب جيرالت منها وترجّل عن جواده.

"تحياتي،" قال. "هل رب المنزل في البيت؟"

الأطفال — وكنّ جميعًا فتيات صغيرات — تعلّقن بتنورة والدتهن ومئزرها. نظرت المرأة إلى الويتشر، وكان البحث عن أي وداعة في عينيها بلا جدوى. لا عجب. فقد رأت بوضوح مقبض السيف خلف كتفه. ورأت الميدالية المعلقة على عنقه. ورأت المسامير الفضية على قفازيه، والتي لم يكن يخفيها أبدًا، بل على العكس، كان يتعمد إظهارها.

"رب المنزل،" كرر. "أقصد أوتو دوسارت. أريد التحدث معه بشأن أمر ما."

"بشأن ماذا؟"

"إنه أمر خاص. هل هو في المنزل؟"

تحدّق فيه بصمت، مائلة رأسها قليلًا. كانت ملامحها قروية، وقدّر عمرها بأنه قد يكون بين الخامسة والعشرين والخامسة والأربعين. تحديد العمر بدقة — كما هو الحال مع معظم النساء الريفيات — كان مستحيلًا.

"هل هو في المنزل؟"

"لا."

"إذن سأنتظر حتى يعود،" قال وهو يلقي لجام الفرس فوق عمود خشبي.

"قد تضطر للانتظار طويلًا."

"سأتحمل ذلك بطريقة ما. ولكن في الحقيقة، أفضل الانتظار في الداخل بدلًا من البقاء عند السور."

تفرّست المرأة فيه للحظة، محدقة في ميداليته.

"اقبل دعوتنا، أيها الضيف،" قالت أخيرًا. "تفضل بالدخول."

"بكل سرور،" أجاب مستخدمًا الصيغة التقليدية. "لن أخالف قواعد الضيافة."

"لن تفعل،" كررت ببطء وبنبرة ممتدة. "ولكنك تحمل سيفًا."

"تلك هي مهنتي."

"السيوف تجرح. وتقتل."

"وكذلك الحياة. هل لا تزال الدعوة قائمة؟"

"تفضل بالدخول."

الدخول — كما هو معتاد في مثل هذه المساكن — كان عبر ممر معتم ومكدس بالأغراض. الغرفة الرئيسية كانت واسعة إلى حد ما، مضيئة ونظيفة، مع وجود آثار السخام على الجدران القريبة من الموقد والمدخنة. أما بقية الجدران فكانت مطلية حديثًا باللون الأبيض، ومزينة بقطع قماش مطرزة بألوان زاهية.

كما علقت أدوات منزلية مختلفة، وحزم من الأعشاب، وضفائر من الثوم، وخيوط من الفلفل المجفف، مما أضفى حياة على المكان. ستارة منسوجة فصلت الغرفة عن المخزن. كانت الرائحة تفوح برائحة الطهي. رائحة ملفوف، بالتحديد.

"اجلس من فضلك."

ظلت ربة المنزل واقفة، تعصر مئزرها بيديها. الأطفال تجمعوا بجانب الموقد على مقعد خشبي منخفض.

الميدالية على عنق جيرالت كانت تهتز. بقوة وباستمرار. كانت ترتعش تحت قميصه مثل طائر محبوس.

"كان ينبغي عليك ترك السيف في الممر،" قالت المرأة وهي تتجه نحو الموقد، "من غير اللائق الجلوس إلى المائدة بسلاح. فقط قطاع الطرق يفعلون ذلك. هل أنت قاطع طريق؟"

"أنتِ تعلمين من أكون،" قاطعها. "والسيف سيبقى في مكانه. ليكون بمثابة تذكرة."

"بماذا؟"

"بأن الأفعال المتسرعة لها عواقب وخيمة."

"لا توجد أسلحة هنا، إذاً..."

"نعم، نعم،" قاطعها بحدة. "دعينا لا نخدع أنفسنا، سيدتي. الكوخ الريفي والساحة الزراعية هما ترسانة بحد ذاتها؛ الكثيرون لقوا حتفهم بسبب المعاول، ناهيك عن المناجل والشوكات. سمعتُ أن شخصًا قُتل بواسطة مدك الزبدة. يمكنكِ إلحاق الأذى بأي شيء إذا كنتِ ترغبين بذلك. أو إذا كنتِ مضطرة لذلك. وعلى ذكر هذا، ابتعدي عن قدر الماء المغلي. وابتعدي عن الموقد."

"لم أقصد شيئًا،" قالت المرأة بسرعة، لكنها كانت تكذب بوضوح. "وليس ماءً مغليًا، بل حساء البورش. كنتُ أنوي أن أقدمه لك..."

"لا، شكرًا. لستُ جائعًا. لذا لا تلمسي القدر وابتعدي عن الموقد. اجلسي بجانب الأطفال. وسننتظر سويًا عودة صاحب المنزل."

جلسوا في صمت لم يكسره سوى طنين الذباب. الميدالية على عنق جيرالت اهتزت.

"هناك مقلاة ملفوف في الفرن أوشكت على النضوج،" قالت المرأة، مقاطعة الصمت المحرج. "عليّ إخراجها وتقليبها، وإلا ستحترق."

"دعيها،" أشار جيرالت إلى أصغر الفتيات. "هي يمكنها فعل ذلك."

وقفت الفتاة ببطء، تحدّق فيه من تحت غرتها الكتانية. أمسكت بشوكة طويلة المقبض وانحنت نحو باب الموقد. وفجأة، انطلقت نحوه مثل قطة برية. كانت تهدف إلى طعنه في عنقه وتثبيته إلى الجدار بالشوكة، لكنه تفاداها، وأمسك بمقبض الشوكة، وطرحها أرضًا.

بدأ تحولها قبل حتى أن تصطدم بالأرض.

المرأة والفتاتان الأخريان كنّ قد تحولن بالفعل. ثلاثة ذئاب — ذئبة رمادية وشبلان — قفزن باتجاه الويتشر، بعيون دموية وأنواع بارزة. تحركن بذكاء الذئاب، مهاجمات من جميع الاتجاهات.

تفادى جيرالت الهجمات، دافع عن نفسه بدفع المقعد في وجه الذئبة، وأبعد الشبلين بضربات من قبضتيه المغطاة بالقفازات المرصعة بالفضة. عويا بصوت عالٍ وانبطحا على الأرض، مكشرتين عن أنيابهما.

الذئبة عوت بوحشية، ثم قفزت مرة أخرى.

"لا! إدوينا! لا!"

انقضت عليه، ضاغطة جسده على الجدار. لكنها الآن كانت في شكلها البشري. أما الفتاتان الذئبيتان فقد هربتا على الفور وانكمشتا بجوار الموقد. بقيت المرأة، جاثية أمامه، تحدّق في عينيه بنظرة محرجة. لم يعرف إن كانت تشعر بالخجل لأنها هاجمته، أم لأن هجومها قد فشل.

"إدوينا! ماذا يعني هذا؟"

صرخ رجل ملتحٍ ذو قامة مهيبة، واضعًا يديه على خاصرتيه. "ما الذي تفعلينه؟"

"إنه ويتشر!" زمجرت المرأة، لا تزال على ركبتيها. "قطاع طريق بسيف! جاء من أجلك! القاتل! تفوح منه رائحة الدم!"

"اصمتي، امرأة. أنا أعرفه. سامحها، سيد جيرالت. كل شيء على ما يرام؟ سامحها. لم تكن تعلم ... لقد ظننت، بما أنك ويتشر..."

توقف عن الحديث ونظر حوله بقلق. كانت المرأة والفتيات الصغيرات متجمعات عند الموقد. كان جيرالت متأكدًا من أنه سمع زمجرة ناعمة.

"لا بأس،" قال. "ليس لدي أي ضغينة. لكنك ظهرت في اللحظة المناسبة. لم تتأخر لحظة واحدة."

"أعلم،" قال الرجل الملتحي، مرتجفًا بشكل واضح. "اجلس، يا سيدي، اجلس إلى المائدة... إدوينا! احضري الجعة!"

"لا. خارجًا، دوسارت. أريد الحديث معك على انفراد."

في منتصف الفناء الزراعي، جلست قطة رمادية، لكنها هربت بسرعة بمجرد أن رأت الويتشر، مختبئة بين نباتات القراص.

"لا أريد أن أزعج زوجتك أو أخيف أطفالك،" أعلن جيرالت. "وعلاوة على ذلك، لدي أمر أفضل أن أتحدث فيه على انفراد. إنه يتعلق بطلب معين."

"أيًّا كان ما تريده، يا سيدي،" قال الرجل الملتحي. "فقط قلها. سأحقق لك أي طلب، إن كان في استطاعتي. أنا مدين لك، مدين بشدة. بفضلك أنا أسير حيًّا في هذا العالم. لأنك عفوت عني حينها. أنا مدين لك..."

"لستَ مدينًا لي. بل لنفسك،" قاطعه جيرالت. "لأنك حتى في صورتك الذئبية بقيت إنسانًا ولم تؤذِ أحدًا قط."

"لم أؤذِ أحدًا قط، هذا صحيح. ولكن ماذا جنيت من ذلك؟ جيراني، بعدما راودهم الشك، جلبوا إليّ ويتشرًا فورًا. رغم فقرهم، اقتصدوا وجمعوا المال ليستأجروك."

"فكرت في إعادة المال إليهم،" اعترف جيرالت. "لكن ذلك كان سيثير الريبة. أعطيتهم كلمتي كويتشر أنني قد أزلت لعنة المستذئب عنك وشفَيتُك تمامًا من الليكانثروبي[11]، وأنك الآن شخص عادي مثل أي رجل آخر. مثل هذا العمل لا بد أن يكون مكلفًا. حين يدفع الناس مقابل شيء، فإنهم يؤمنون به: ما يُدفع لأجله يصبح حقيقيًا وقانونيًا. وكلما كان الثمن أغلى، كان أفضل."

---

[11] في عالم "ذا ويتشر"، يُنظر إلى الليكانثروبي على أنه حالة سحرية أو لعنة تُجبر الإنسان على التحول إلى مخلوق وحشي، وغالبًا ما تكون هناك طرق لعلاجها، مثل السحر القوي أو جرعات الويتشر الخاصة.

"مجرد تذكُّر ذلك اليوم يجعل القشعريرة تسري في جسدي،" قال دوسارت، شاحبًا رغم بشرته السمراء. "كدت أموت خوفًا عندما رأيتك بذلك السيف الفضي. ظننت أن لحظتي الأخيرة قد حانت. هناك الكثير من القصص عن الويتشر القتلة الذين يستمتعون بسفك الدماء والتعذيب. لكنك، كما تبين لي، رجل نبيل. ورجل صالح."

"لا داعي للمبالغة. لكنك اتبعت نصيحتي وانتقلت من غواميز."

"كان لا بد لي من ذلك،" قال دوسارت بعبوس. "أهل غواميز آمنوا نظريًا أنني قد شُفيت من اللعنة، لكنك كنت محقًا، ليس من السهل على شخص كان مستذئبًا أن يحظى بحياة طبيعية. كما قلت: ما كنت عليه في الماضي يهم الناس أكثر مما أنت عليه الآن. اضطررت للرحيل، والتجوال في أماكن غريبة حيث لا أحد يعرفني. تنقلت وتنقلت ... حتى انتهى بي المطاف هنا. وهناك التقيت بإدوينا."

"أمر نادر أن يشكل اثنان من الثيريانثروبيا[12] زوجًا،" قال جيرالت، وهو يهز رأسه. "ونادر أكثر أن يُرزقا بأطفال. أنت رجل محظوظ، دوسارت."

"لو كنت تعلم،" ابتسم المستذئب. "أطفالي جميلون كلوحة فنية، يكبرون ليصبحوا فتيات فاتنات. وإدوينا وأنا خُلقنا لبعضنا البعض. أريد أن أبقى معها حتى نهاية أيامي."

"لقد عرفتني على الفور كويتشر. وكانت مستعدة للدفاع عن نفسها. لقد خططت لإلقاء البورشيت المغلي عليّ، هل تصدق؟ لا بد أنها سمعت الكثير من القصص عن الويتشرات المتعطشين للدماء الذين يستمتعون بالتعذيب."

"اغفر لها، يا سيد جيرالت. وسنستمتع قريبًا بتذوق ذلك البورشيت. إدوينا تعده بطريقة لذيذة."

"قد يكون من الأفضل ألا أفرض نفسي،" قال الويتشر وهو يهز رأسه. "لا أريد إخافة الأطفال، ناهيك عن إثارة قلق زوجتك. لا تزال تراني كقطاع طرق يحمل سيفًا، وسيكون من الصعب توقع أن تألفني بسرعة. لقد قالت إنني تفوح مني رائحة الدم. وأتفهم ذلك مجازيًا."

"ليس تمامًا. لا تأخذ الأمر على محمل شخصي، سيد ويتشر، لكنك تفوح منك رائحة الدم بشدة."

"لم أتواصل مع الدم منذ..."

---

[12] الثيريانثروبيا (Therianthropy) هي حالة أسطورية أو خارقة للطبيعة تتجسد في قدرة الإنسان على التحول إلى حيوان أو امتلاك صفات حيوانية. تعد المستذئبية (Lycanthropy)، وهي التحول إلى ذئب، أشهر أشكال الثيريانثروبيا

"...منذ حوالي أسبوعين، أقول،" أكمل المستذئب الجملة. "إنه دم متجلط، دم ميت، لقد لمست شخصًا كان ينزف. وهناك أيضًا دم أقدم، يعود إلى أكثر من شهر. دم بارد. دم زواحف. كما أنك نزفت. دم حي، من جرح."

"أنا معجب بشدة."

"نحن المستذئبين،" قال دوسارت، منتصبًا بفخر، "لدينا حاسة شم أكثر حساسية بكثير منكم، البشر."

"أعلم،" ابتسم جيرالت. "أعلم أن حاسة شم المستذئبين هي بالفعل معجزة من معجزات الطبيعة. ولهذا السبب أتيت لأطلب منك معروفًا."

* * *

قال دوسارت وهو يشتمّ الهواء: "زبابات.. زبابات الحقول[13].. الكثير من زبابات الحقول. روث. الكثير من الروث. في الغالب لحيوانات السمور. وابن عرس. لا شيء آخر."

تنهد جيرالت ثم بصق. لم يُخفِ خيبة أمله. كان هذا هو الكهف الرابع الذي لم يشتمّ فيه دوسارت شيئًا سوى القوارض والمفترسات التي تصطادها. وكميات كبيرة من روث الاثنين معًا.

انتقلا إلى الفتحة التالية التي كانت تتسع في جدار الصخر. تحركت الحصى تحت أقدامهم وتدحرجت أسفل المنحدر. كان الطريق شديد الانحدار، فتقدموا بصعوبة، وبدأ جيرالت يشعر بالتعب. كان دوسارت يتنقل بين شكله البشري وشكله الذئبي وفقًا لطبيعة التضاريس.

نظر إلى الكهف التالي، وشمّ الهواء، ثم قال: "دبّة مع صغارها. كانت هنا لكنها لم تعد كذلك. هناك مراميط. زبابات. خفافيش. الكثير من الخفافيش. قاقم[14]. سمور. دبابة. الكثير من الروث."

ثم انتقلوا إلى المغارة التالية.

قال دوسارت: "أنثى ابن مقرض. إنها في فترة التزاوج. وهناك دبابة ... لا، اثنتان. زوج من الدبابات.

---

13 الزبابات هي ثدييات صغيرة تشبه الفئران ولكنها ليست قوارض، بل هي أقرب إلى القنافذ والخُلد. تتميز بأنفها المدبب وجسمها الصغير المغطى بالفرو، وغالبًا ما تكون نشطة للغاية وتستهلك كميات كبيرة من الطعام بسبب معدل أيضها المرتفع.

14 **القاقم** هو نوع من الثدييات الصغيرة المفترسة، ينتمي إلى فصيلة **ابن عرس**.

"عين ماء جوفية، ماؤها كبريتي قليلًا. غريمليينز، مجموعة كاملة، ربما عشرة منهم. بعض البرمائيات، ربما سمندل ... خفافيش ..."

هبط نسر هائل من حافة صخرية مرتفعة في مكان ما فوقهم، وبدأ يحوم في السماء، وهو يطلق صرخات متكررة. رفع المستذئب رأسه ونظر إلى قمم الجبال. وإلى السحب الداكنة التي كانت تنجرف من خلفها.

قال بصوت هادئ: "هناك عاصفة قادمة. يا له من صيف، لا يكاد يمر يوم دون عاصفة ... ماذا نفعل، يا سيد جيرالت؟"

أجابه الويتشر: "كهف آخر."

كان عليهم أن يمروا تحت شلال متدفق من منحدر صخري للوصول إلى الكهف التالي. لم يكن الشلال كبيرًا جدًا، لكنه كان كافيًا ليبللهم بالكامل. كانت الصخور المغطاة بالطحالب زلقة كالصابون. فتحوّل دوسارت إلى ذئب ليواصل التقدم، بينما كان على جيرالت، بعد أن انزلق عدة مرات بشكل خطير، أن يواصل المسير بصعوبة، يلعن حظه ويتقدم متجاوزًا الجزء الصعب على أطرافه الأربعة. "محظوظٌ دانديليون لأنه ليس هنا"، فكّر في نفسه، "لحوّلها إلى بالادٍ غنائية. المستذئب في المقدمة في شكله الذئبي والساحر وراءه على أطرافه الأربعة. لكانت نكتة تسرّ الجميع."

"كهف كبير، أيها الويتشر"، قال دوسارت وهو يشم الهواء، "واسع وعميق. هناك ترولات[15] جبلية بداخله، خمسة أو ستة ترولات ضخمة. وهناك أيضًا خفافيش. الكثير من فضلات الخفافيش."

"سنواصل. إلى الكهف التالي."

"ترولات... نفس الترولات السابقة. يبدو أن الكهوف متصلة."

"دب. صغير. كان هنا، لكنه رحل. منذ وقت ليس ببعيد."

"مراميط. خفافيش. مصاصو دماء ليليون."

قفز المستذئب مبتعدًا عن الكهف التالي وكأنه تعرض لصدمة.

---

[15] في سياق عالم الويتشر غالبًا ما يتم استخدام ترولات بدلاً من "الغيلان" أو "المسوخ" لوصف هذه المخلوقات الضخمة، التي تمتلك قوة جسدية هائلة لكنها توصف بالغباء حد البلاهة.

"غورغونة"، همس، "هناك غورغونة ضخمة في عمق الكهف. إنها نائمة. لا يوجد شيء آخر غيرها."

"لست متفاجئًا"، تمتم جيرالت. "لنبتعد. بهدوء. لأنها قد تستيقظ..."

ابتعدوا، يلقون نظرات حذرة إلى الخلف. اقتربوا ببطء من الكهف التالي، مدركين أن الحذر لن يضر. لم يكن الحذر ضارًا، لكنه تبيّن أنه غير ضروري. لم تخفِ الكهوف القليلة التالية في أعماقها سوى الخفافيش، والمراميط، والفئران، واليرابيع، والزبابات. وطبقات كثيفة من الفضلات.

كان جيرالت مُجهدًا ومستسلمًا. وكان من الواضح أن دوسارت كان كذلك. لكنه أبقى رأسه مرفوعًا، وكان لا بد من الاعتراف بذلك، ولم يُظهر أي إحباط لا بقول ولا بفعل. لكن الساحر لم يكن لديه أي أوهام. كان المستذئب يشك بفرص نجاح العملية. فوفقًا لما سمعه جيرالت ذات مرة وما أكدته العشابة العجوز، فإن الجرف الشرقي الحاد لجبل كرمورا كان مثقوبًا بالعديد من الفتحات، ممتلئًا بعدد لا يحصى من الكهوف. وبالفعل، وجدوا عددًا لا يُحصى من الكهوف. لكن كان من الواضح أن دوسارت لم يكن مقتنعًا بإمكانية تعقب الكهف الصحيح، وهو النفق الجوفي الذي يؤدي إلى داخل المجمع الصخري للقلعة.

ولجعل الأمور أسوأ، لمع البرق. ثم تبعه دوي الرعد. وبدأ المطر يهطل. كان لدى جيرالت رغبة قوية في البصق، والسب بعبارات نابية، وإعلان انتهاء المهمة. لكنه قاوم ذلك الشعور.

"لنُكمل، دوسارت. الكهف التالي."

"كما تشاء، يا سيد جيرالت."

وفجأة، كما لو كان في رواية رخيصة، حدث تحول دراماتيكي في الأحداث عند الفتحة التالية التي كانت تُحدِّق بهم في الصخرة.

"خفافيش"، أعلن المستذئب وهو يشتمُّ الهواء. "خفافيش و... قطة."

"وشق؟ قطة برية؟"

"قطة"، قال دوسارت وهو ينهض. "قطة منزلية عادية."

* * *

نظر أوتو دوسارت إلى الزجاجات الصغيرة التي تحتوي على الإكسير بفضول، وراقب الساحر وهو يشربها. كان يلاحظ التغيرات التي طرأت على مظهر جيرالت، واتسعت عيناه دهشةً وخوفًا.

"لا تجبرني على دخول هذا الكهف معك"، قال بصوت متردد. "لا تؤاخذني، لكنني لن أدخل. مجرد التفكير فيما قد يكون هناك يجعل شعري يقف من الرعب."

"لم يخطر ببالي أن أطلب منك ذلك." ردّ جيرالت بهدوء. "عد إلى منزلك، دوسارت، إلى زوجتك وأطفالك. لقد أسديت لي معروفًا، وفعلت ما طلبته منك، لذا لا يمكنني أن أطلب منك المزيد."

"سأنتظرك"، احتج المستذئب. "سأنتظر حتى تخرج."

"لا أعلم متى سأخرج"، قال جيرالت وهو يعدّل وضع سيفه على ظهره. "أو إن كنت سأخرج أصلًا."

"لا تقل ذلك. سأنتظر... سأنتظر حتى يحل الغسق."

* * *

كان قاع الكهف مغطى بطبقة كثيفة من روث الخفافيش. أما الخفافيش نفسها — تلك القوارض المجنحة الممتلئة البطن — فكانت متدلية في مجموعات كبيرة من سقف الكهف، تتلوى وتصدر صريرًا ناعسًا. في البداية، كان السقف مرتفعًا فوق رأس جيرالت، ما سمح له بالسير عبر الأرضية المستوية بسرعة وراحة نسبيتين. لكن تلك الراحة لم تدم طويلًا إذ اضطر أولًا إلى الانحناء، ثم الانحناء أكثر فأكثر، وأخيرًا لم يبقَ أمامه سوى الزحف على يديه وركبتيه، ثم الزحف بالكامل على بطنه.

في لحظةٍ معينة، توقف وهو على وشك العودة، حيث أصبحت المساحة الضيقة تمثل خطرًا حقيقيًا بالانحشار. لكنه سمع صوت تدفق المياه، وشعر بنسيم بارد يلامس وجهه. مدركًا للخطر، دفع نفسه للأمام عبر شقٍ في الصخر، وزفر بارتياح عندما بدأ الممر في الاتساع مجددًا.

فجأة، تحول الممر إلى منحدر زلق انزلق عبره مباشرةً إلى مجرى تيارٍ جوفي، كان يندفع من أسفل صخرةٍ ويختفي تحت أخرى. كان هناك ضوء خافت ينبعث من مكان ما في الأعلى، قادمًا من نفس المصدر الذي كان يطلق تيارات الهواء الباردة.

بدا أن البركة التي يصب فيها التيار كانت مغمورة كليًا بالمياه، ولم يكن الساحر متحمسًا لفكرة الغوص خلالها، رغم أنه اشتبه في أنها قد تكون نقطة غمرٍ مؤقتة. اختار السير في الاتجاه المعاكس للتيار،

متسلقًا منحدرًا يقود إلى الأعلى. وعندما خرج من المنحدر إلى قاعةٍ كبيرة، كان قد غمرته المياه بالكامل، وتلطخت ملابسه بالطين المترسب من الحجر الجيري.

كانت القاعة شاسعة، تزينها أعمدةٌ حجرية ضخمة من الصواعد والنوازل والستائر الكلسية. كان التيار الجوفي ينساب عبر قاعها في منعطفٍ عميق، وكانت هناك إضاءة خافتة جدًا قادمة من مكان ما، يصاحبها تيارٌ هوائيٌ ضعيف. ومع ذلك، كان هناك أيضًا رائحةٌ غامضة. ورغم أن حاسة شم الساحر لم تكن بحدة حاسة الذئب، إلا أنه استطاع أن يشم نفس ما استنشقه دوسارت سابقًا رائحةٌ خافتة لبول القطط.

توقف للحظة وألقى نظرة حوله. كان تيار الهواء يشير إلى المخرج، فتحةً تشبه بوابة قصر، تحفُّ بها أعمدةٌ ضخمةٌ من الصواعد. بجوارها مباشرةً، رأى تجويفًا مليئًا بالرمال الناعمة، وكان ذلك التجويف مصدر رائحة القطط. رأى آثار أقدامٍ عديدةٍ لقططٍ مطبوعةً في الرمال.

أعاد تعليق سيفه على ظهره — بعد أن اضطر إلى إزالته في الممر الضيق السابق — ثم تقدم بين الصواعد.

كان الممر المؤدي إلى الأعلى بشكلٍ خفيفٍ ذا سقفٍ عالٍ وأرضيةٍ جافة. امتلأت الأرض بصخورٍ كبيرةٍ لكن كان بالإمكان السير عبرها. واصل سيره إلى أن اعترض طريقه بابٌ متين، بدا كأحد أبواب القلاع.

حتى تلك اللحظة، لم يكن متأكدًا تمامًا مما إذا كان يسير في المسار الصحيح، ولم يكن واثقًا من أنه دخل الكهف المطلوب. لكن الباب كان بمثابة تأكيدٍ لا لبس فيه.

لاحظ فتحةً صغيرةً بالقرب من العتبة، محفورةً حديثًا نسبيًا، واضحةً أنها مخصصةٌ لمرور القطط. دفع الباب، لكنه لم يتحرك. في تلك اللحظة، اهتز تميم الساحر على صدره اهتزازًا خفيفًا، مشيرًا إلى وجود تعويذةٍ سحريةٍ تحمي الباب. ومع ذلك، كان الاهتزاز ضعيفًا، مما دلّ على أن التعويذة لم تكن قويةً جدًا.

اقترب بوجهه من الباب وهمس:

"صديق."

فُتح الباب بصمت، وبدون أي صريرٍ على مفصلاته المدهونة جيدًا. كما خمّن بدقة، كان الباب محميًا بسحرٍ أساسيٍ بسيط وكلمة مرورٍ ضعيفة، إذ لم يكلف أحدٌ نفسه عناء وضع تعاويذ أكثر تعقيدًا لحمايته. كان الغرض منه فقط عزل القلعة عن شبكة الكهوف، وردع أي مخلوقاتٍ لا تستطيع استخدام السحر، ولو كان بسيطًا.

بعد الباب، انتهت الكهف الطبيعي، وبدأ ممرٌ منحوتٌ في الصخر بالأدوات اليدوية والمعاول يمتد أمامه.

ورغم كل الدلائل، ظل جزءٌ منه غير متأكدٍ تمامًا. إلى أن رأى الضوء أمامه. ضوءًا وامضًا، ضوء شعلةٍ أو مشعلٍ معلق. وبعد لحظاتٍ قليلة، سمع ضحكًا مألوفًا للغاية. ضحكةً متهكمةً، صاخبة.

"بووووه-ههههغررر-إيييه-بووووه!"

اتضح أن الضوء والضحك كانا ينبعثان من غرفة كبيرة، مضاءة بمشعل مغروس في سلةٍ حديدية. كانت الصناديق، والصناديق الخشبية، والبراميل مكدسةً ضد الجدران. كان بو و بانغ جالسين على أحد الصناديق، مستخدمين البراميل كمقاعد، يلعبان النرد. كان بانغ يضحك بشكل هستيري، من الواضح أنه ألقى رقمًا أعلى.

على الصندوق، كان هناك ديميجون ممتلئ بمشروب كحولي ريفي. وبجانبه نوعٌ من الوجبات الخفيفة.

ساقٌ بشريةٌ مشوية.

أمسك جيرالت بسيفه.

"مرحبًا، أيها الفتيان."

حدق بو و بانغ فيه وأفواههما مفتوحةٌ لبعض الوقت. ثم زأرا ونهضا دفعةً واحدة، فأسقطا البراميل وسحبا أسلحتهما. أمسك بو بمنجل، بينما رفع بانغ سيفًا عريضًا منحنيًا. ثم هاجما جيرالت.

لقد أخذوه على حين غرة، رغم أنه لم يكن يتوقع قتالًا سهلاً. لكنه لم يكن يتوقع أيضًا أن تتحرك هذه العمالقة المشوهة بهذه السرعة.

بو ضرب بمنجله منخفضًا، ولو لم يقفز جيرالت لكان قد فقد ساقيه الاثنتين. بالكاد تفادى ضربة بانغ، التي أطلقت شراراتٍ حين اصطدمت بجدار الصخور.

كان جيرالت قادرًا على التعامل مع الخصوم السريعين. ومع الكبار أيضًا. سريعون أو بطيئون، كبار أو صغار، جميعهم لديهم أماكن حساسة للألم.

ولم يكن لديهم أدنى فكرة عن مدى سرعة الساحر المحارب بعد أن يشرب إكسيراته.

بو عوى متألمًا، إذ جُرح في مرفقه، بينما بانغ، الذي أصيب في ركبته، عوى بصوت أعلى. قام جيرالت بحركةٍ خادعةٍ بدورانٍ سريع، قفز فوق شفرة المنجل، وقطع أذن بو بطرف سيفه الحاد. زأر بو وهز رأسه، ثم تأرجح بمنجله وهاجم. جيرالت رفع أصابعه بسرعة وأطلق عليه إشارة آرد.

تلقى بو الضربة السحرية، فتهاوى وسقط على مؤخرته فوق الأرض، وسمع صوت أسنانه وهي تصطك بقوة.

بانغ استجمع قواه ورفع سيفه المنحني بضربةٍ عظيمة. انحنى جيرالت بمهارة تحت النصل، قاطعًا ركبة العملاق الأخرى أثناء مروره، ثم دار حول نفسه وقفز نحو بو، الذي كان يكافح للنهوض، وضربه عبر عينيه. لكن بو تمكن من سحب رأسه للخلف، فأصابته الضربة في حاجبه، وانفجرت الدماء على الفور، مما أفقد الأوغروترول بصره.

عوى بو وقفز للأعلى، مهاجمًا جيرالت بعشوائية. لكن جيرالت تفادى الهجوم، فانطلق بو مترنحًا باتجاه بانغ واصطدم به. دفعه بانغ بغضب وانقضّ على جيرالت، وهو يزأر بهستيرية، محاولًا توجيه ضربةٍ خلفيةٍ عنيفة إليه. تفادى جيرالت الضربة بحركة مراوغة سريعة والتفافةٍ نصفية، ثم قطع الأوغروترول مرتين، مرةً على كل مرفق.

عوى بانغ من الألم لكنه لم يترك قبضته على السيف المنحني، ثم وجه ضربةً أخرى، مشيحًا سيفه بعنفٍ وفوضوية. قفز جيرالت مبتعدًا عن نطاق النصل، وحركته أوصلته خلف ظهر بانغ، فاغتنم الفرصة. أدار سيفه وضربه من الأسفل، بضربة عمودية، مباشرةً بين أردافه.

صرخ الأوغروترول وأمسك بمؤخرته، متلوّيًا من الألم، وجثا على ركبتيه وهو يصرخ ويتشنج. ثم، فجأة، بلل نفسه من شدة الألم.

بو، الذي كان لا يزال أعمى، لوّح بمنجله بشكل عشوائي. لكنه لم يصب جيرالت، الذي كان قد قام بدورةٍ سريعةٍ لتفادي الهجوم. بدلاً من ذلك، ضرب بو رفيقه بانغ الذي كان لا يزال ممسكًا بمؤخرته متألمًا.

وأطاح برأسه من على كتفيه.

خرج الهواء من القصبة الهوائية المقطوعة بصوت هسهسةٍ مرتفع، وتدفقت الدماء من الشريان كحممٍ بركانية، عالياً، وصولًا إلى السقف.

ظل بانغ واقفًا للحظة، متدفقًا بالدم مثل تمثالٍ نافورته تتفجر من عنقه، مدعومًا بقدميه الضخمتين العريضتين. لكنه أخيرًا فقد توازنه وانهار كجذع شجرةٍ يقتلع من جذوره.

مسح بو الدم من عينيه. زأر مثل ثور هائج عندما أدرك أخيرًا ما حدث. داس على الأرض بقدميه وضرب بمنجله بغضب. دار حول نفسه بحثًا عن جيرالت، لكنه لم يجده.

لأن جيرالت كان خلفه.

بضربةٍ خاطفة تحت الإبط، أفلت بو المنجل من قبضته، وحاول مهاجمة جيرالت بيديه العاريتين، لكن الدم غطى عينيه مجددًا، فانطلق مترنحًا ليصطدم بالحائط.

وكان جيرالت فوقه، سيفه مرفوعًا للضربة القاضية.

بو لم يكن يدرك أن شريانه قد تمزق، وأنه كان يجب أن يموت منذ فترة طويلة. زأر واستدار حول نفسه، ملوحًا بذراعيه بجنون. لكنه لم يتمكن من الحفاظ على توازنه، فخانتْه ركبتاه وسقط وسط بركة من الدماء.

ظلَّ يصرخ، جاثيًا على ركبتيه، محاولًا التأرجح بضعف، حتى بدأ صوته يخفت ويفقد وعيه ببطء. لإنهاء الأمر، تقدم جيرالت نحوه، وغرز سيفه تحت عظم القص لديه.

وكانت تلك غلطةً فادحة.

بو تأوه وأمسك بالشفرة، مع الحامية ويد جيرالت أيضًا. كانت عيناه قد بدأت تظلمان، لكنه لم يُرخِ قبضته. حاول جيرالت سحب السيف، فوضع قدمه على صدر بو، دافعًا بكل قوته، إلا أن الوحش كان مصممًا على الاحتفاظ بقبضته حتى مع تدفق الدم من يديه الممزقتين.

"أيها الأحمق اللعين"، قال باستور وهو يدخل الكهف، موجهًا نحوه قوسًا مستعرضًا بآلية مزدوجة. "لقد جئتَ إلى هنا لتموت. لقد انتهيت، أيها الملعون. أمسك به، يا بو!"

حاول جيرالت أن يسحب السيف مرة أخرى، تأوه بو لكنه لم يتركه. ضحك باستور وضغط على الزناد.

لكن جيرالت كان أسرع.

انخفض بسرعة لتفادي السهم الثقيل، وشعر فقط بريش السهم وهو يخدش جنبه قبل أن يرتطم بالحائط خلفه.

وفي اللحظة التي أفلت فيها بو السيف، سقط على بطنه وأمسك بساقي جيرالت، مثبتًا إياه في مكانه.

"أمسكته!" صرخ باستور بانتصار، ورفع القوس ليطلق طلقة أخرى.

لكنه لم يتمكن من ذلك.

ذئبٌ ضخم، ذو فراء رمادي، اندفع إلى الكهف كالصاعقة.

انقضَّ على باستور من الخلف، في هجوم نموذجي للذئاب، ومزَّق أوتار ركبتيه وقطع شريانه المأبضي. صرخ الأحدب وسقط أرضًا، متأوهًا.

تحرَّك القوس تلقائيًا بسبب سقوطه، وانطلقت الطلقة، لكنها لم تصب هدفها.

بو أصدر صوتًا أشبه بالشخير، قبل أن يصمت تمامًا.

السهم المغروس في أذنه كان قد اخترق رأسه بالكامل، فخرج من الجهة الأخرى، بارزًا مع الريش الذي يزينه.

أطلق باستور صرخة أخيرة، لكن الذئب فتح فكيه الضخمين وأحكمهما حول رأسه.

تحوّلت الصرخة إلى حشرجةٍ مريعة، ثم صمتٌ مطلق.

دفع جيرالت أخيرًا جسد بو بعيدًا عنه، وهو يلهث من شدة المعركة.

تحوَّل دوسارت، الذي كان لا يزال ينحني فوق جثة باستور، إلى هيئته البشرية، ثم مسح فمه وذقنه من آثار الدماء، والتفت نحو جيرالت بنظرة ثابتة.

"بعد اثنين وأربعين عامًا من كوني مستذئبًا"، قال بهدوء، "كان حان الوقت لأعضَّ أحدهم حتى الموت."

* * *

"كان عليَّ أن آتي"، قال دوسارت مبررًا أفعاله. "كنتُ أعلم، يا معلم جيرالت، أن عليَّ تحذيرك."

"عنهم؟" مسح جيرالت نصل سيفه وأشار إلى الجثث الملقاة على الأرض.

"ليس عنهم فقط."

دخل جيرالت الغرفة التي أشار إليها دوسارت، ثم توقف فجأة، متراجعًا لا إراديًا.

كان الأرض الحجرية سوداء، مشبعة بالدماء المتخثرة، يتوسطها حفرة مفتوحة، محاطة بحواف محترقة بالسواد. وعلى جانبها كومة من الجثث مكدسة فوق بعضها البعض.

أجساد عارية ومشوهة، مقطعة الأوصال، ممزقة، وأحيانًا مسلوخة الجلد. كان من الصعب تقدير عدد الضحايا.

وفجأة، ارتفع من أعماق الحفرة صوت رهيب... صوت طَحْنِ العظام وتكسرها.

"لم أتمكن من شمِّ الرائحة من قبل"، تمتم دوسارت، ونبرته مشبعة بالاشمئزاز. "لم ألتقطها إلا عندما فتحتَ الباب هناك بالأسفل. دعنا نهرب من هنا، معلمي. بعيدًا عن هذه المقبرة المرعبة."

"لا يزال لديَّ شيء عليَّ إنجازه هنا." قال جيرالت بثبات، ثم التفت إليه. "لكن أنت، ارحل. لقد قدمت لي معروفًا عظيمًا، وأشكرك على ذلك."

"لا تشكرني." ردَّ دوسارت، ناظرًا إليه نظرةً ثابتة. "لقد كنتُ مدينًا لك بدينٍ قديم. وأنا سعيد لأنني تمكنتُ أخيرًا من سداده."

* * *

صعد جيرالت الدَّرَج الحلزوني، متتبعًا السلالم الملتفة داخل ممر أسطواني منحوت في الصخر. كان من الصعب تقدير الارتفاع بدقة، لكنه خمَّن أنه لو كان هذا سلمًا داخل برج عادي، لكان قد وصل إلى الطابق الأول أو الثاني ربما.

عندما بلغ الدرجة الثانية والستين، وقفت بابٌ في طريقه.

وكما كان الحال مع الباب الذي وجده في الكهف بالأسفل، احتوى هذا الباب أيضًا على فتحة محفورة سامحةً لمرور قطة. لكن على عكس الأبواب الثقيلة والمحمية بالسحر التي كانت أسفل الكهف، لم يكن هذا الباب مسحورًا، وانفتح بسهولة بمجرد ضغط المقبض.

دخل غرفة بلا نوافذ، مضاءة بشكل خافت. كانت كرات سحرية مضيئة معلقة أسفل السقف، لكن واحدة فقط كانت نشطة، تنبعث منها إضاءة باهتة.

فاحت في المكان رائحةٌ نفَّاذة، خليط من المواد الكيميائية ومختلف أنواع الروائح الكريهة.

نظرة سريعة كشفت طبيعة الغرفة. كانت مختبرًا.

على الرفوف وقفت أوانٍ زجاجية، قارورات، قوارير ضخمة، أدوات معدنية حادة، أنابيب زجاجية معقدة مجموعة أدوات علمية مألوفة.

على أحد الأرفف بجانب المدخل، وقفت مجموعة من الجرار الضخمة، مصطفة في صف واحد.

كان الجرة الأولى مليئة بمقل العيون البشرية، طافية في سائل أصفر، تبدو كمثل حبات البرقوق في مشروب محفوظ.

في الجرة الثانية، كان هناك مخلوق صغير، أشبه بال"هومونكولوس"، لا يتجاوز حجمه قبضتين متلاصقتين.

وفي الجرة الثالثة...

رأسٌ بشري كان يطفو في السائل.

كاد أن يكون من المستحيل التعرف على ملامح الوجه المشوهة بفعل الجروح والتورم والتغيرات اللونية، خاصة مع السائل المعكر والزجاج السميك.

لكن الرأس كان أصلع تمامًا.

ولم يكن هناك سوى ساحر واحد معروف بحلاقة رأسه.

هارلان تزارا — كما اتضح — لم يصل إلى بوفيس قط.

نظر جيرالت إلى الجرار الأخرى...

وحوش غريبة، زرقاء شاحبة، مشوهة ومعلقة في السوائل المجهولة.

لكن لم يكن هناك المزيد من الرؤوس البشرية.

في وسط الغرفة، كان هناك طاولة فولاذية، مجهزة بمزراب تصريف.

وعلى الطاولة...

كان هناك جسد عارٍ ممدد...

بقايا طفلة صغيرة...

شقراء...

كان الجسد مشقوقًا من المنتصف بشق على شكل حرف "Y".

الأعضاء الداخلية، التي تمت إزالتها، تم ترتيبها على جانبي الجثة، بدقة وانتظام وكأنها رسم توضيحي من أطلس تشريحي.

ما كان ينقص فقط هو الأرقام التعريفية: شكل 1، شكل 2، وهكذا...

التقط "جيرالت" بحافة نظره شيئًا يتحرك.

قط أسود ضخم مرّ بسرعة قرب الجدار، ألقى عليه نظرة، ثم همس بحدة وفرّ من خلال الباب المفتوح.

انطلق جيرالت في أثره.

"ماستر..."

توقف. واستدار.

في الزاوية، كان هناك قفص منخفض، يشبه قن الدجاج.

رأى أصابعًا نحيلة تتشبث بقضبان الحديد... ثم رأى عينين.

"ماستر... ساعدني..."

كان هناك طفل صغير، لم يتجاوز العاشرة من عمره. منكمشًا ويرتجف.

"ساعدني..."

"ششش، كن هادئًا. لم تعد في خطر، لكن اصبر قليلاً. سأعود قريبًا لأخرجك."

"ماستر! لا تذهب!"

"قلت لك، كن هادئًا."

* * *

أولًا، كانت هناك مكتبة يملأها الغبار لدرجة جعلت أنف "جيرالت" يرتعش.

ثم صالة تشبه غرفة الاستقبال.

ثم... غرفة نوم.

سرير ضخم، ذو مظلة سوداء ترتكز على أعمدة خشبية من الأبنوس.

سمع حفيفًا خلفه. واستدار فورًا.

"سوريل ديغيرلوند" كان واقفًا في المدخل. مُسرّح الشعر بعناية، مرتديًا عباءة مطرزة بنجوم ذهبية.

بجانبه، كان يقف كائن صغير، رمادي تمامًا، مسلحًا بسيف زريكاني منحني.

"لقد أعددت مسبقًا جرة مليئة بالفورمالين لرأسك، أيها المخلوق القذر"، قال الساحر بابتسامة باردة.

"اقتله، بيتا!"

الكائن، كان شبحًا رماديًا سريعًا بشكل مرعب.

حركة خاطفة، صفير في الهواء، ولمعان معدني.

كانت الضربة الأولى بالكاد تلامس أذنه، الثانية خدشت كمّه، أما الثالثة، فقد صدّها.

لبضع لحظات، تلاقى السيفان.

رأى وجه الكائن بوضوح عينان كبيرتان صفراوان ذات بؤبؤ عمودي، شقوق ضيقة مكان الأنف، وآذان حادة.

لم يكن لديه فم على الإطلاق.

افترقا. استدار المخلوق برشاقة، وهاجم فورًا، بخطوة راقصة أشبه بالخيال، مرة أخرى بضربة قطرية.

مرة أخرى بنفس النمط.

كان نشيطًا بشكل غير إنساني، مذهلًا في خفته، وسريعًا بجنون.

لكنه كان... غبيًا.

لم يكن لديه أي فكرة عن مدى سرعة الويتشر بعد شربه لإكسيراته.

جيرالت سمح له بتوجيه ضربة واحدة فقط، تفاداها ببراعة. ثم هاجم بسلسلة من الحركات المدروسة التي تدرب عليها مئات المرات. دار بسرعة في نصف دائرة حول الكائن الرمادي، نفّذ حركة تمويهية مخادعة، ثم وجه له ضربة حادة على عظمة الترقوة. لم يكن للدم حتى فرصة لأن يتدفق عندما تبعها بقطع آخر أسفل الذراع. ثم قفز مبتعدًا، مستعدًا للمزيد. لكنه لم يكن بحاجة إلى المزيد.

اتضح أن ذلك المخلوق كان يملك فمًا. فتح في وجهه الرمادي مثل جرح، يمتد بعرض وجهه من الأذن إلى الأذن، لكنه لم يكن سوى شق ضيق لا يتجاوز نصف إنش. لم ينطق المخلوق بأي كلمة أو يصدر أي صوت. سقط على ركبتيه، ثم على جانبه. لبضع لحظات، ارتعش، محركًا أطرافه كما لو كان كلبًا يحلم. ثم مات. بصمت.

وهنا ارتكب "ديغيرلوند" خطأً فادحًا.

بدلًا من الهرب، رفع يديه وبدأ بصياغة تعويذة، بصوت غاضب مليء بالكراهية والحقد.

الهبّات النارية بدأت تتجمع حول يديه، مشكّلة كرة ملتهبة. بدت وكأنها غزل البنات وهو يُعدّ، بل حتى كانت رائحتها مشابهة له.

لكن ديغيرلوند لم يتمكن من تكوين الكرة النارية بالكامل.

لم يكن لديه أي فكرة عن مدى سرعة الويتشر بعد شربه لإكسيراته.

جيرالت كان فوقه في لحظة، شقّ الكرة الملتهبة وسيفه مزّق يدي الساحر. انبعث صوت يشبه صوت اشتعال الفرن، وتطايرت الشرارات. صرخ "ديغيرلوند"، وأطلق الكرة الملتهبة من بين يديه الداميتين. اختفت النيران، مالئةً الغرفة برائحة السكر المحروق.

أسقط جيرالت سيفه. وصفع "ديغيرلوند" على وجهه صفعة قوية بكف يده المفتوحة.

صرخ الساحر، انكمش، ثم استدار مبتعدًا عنه.

لكن جيرالت أمسكه، قبض على مشبك ملابسه، ثم أحكم ذراعه حول عنقه.

بدأ ديغيرلوند يصرخ ويركل بجنون.

"لا يمكنك!" عوى بصوت مذعور. "لا يمكنك قتلي! هذا محظور... أنا... أنا إنسان!"

جيرالت شد ذراعه حول عنقه. ليس بإحكام في البداية.

"لم يكن أنا!" عوى الساحر، متوسلاً. "لقد كان أورتولان! أورتولان أجبرني! أجبرني! وبيروكا إيكارتي كانت تعرف كل شيء! لقد كانت تعلم! بيروتا! ذلك الميدالية كانت فكرتها! هي من أجبرتني!"

الويتشر شد قبضته أكثر.

"النجدة! أحدهم ليساعدنيييي!"

جيرالت شد قبضته أكثر.

"أحدهم ... النجدة ... لاااا ..."

بدأ "ديغيرلوند" يختنق، وانهمر اللعاب بغزارة من فمه. جيرالت أداره رأسه جانبًا. ثم شد قبضته أكثر.

فقد الساحر وعيه، وارتخت عضلاته تمامًا. لكن جيرالت لم يتوقف. شد قبضته أكثر. انكسرت عظمة اللامي في عنقه. شدها أكثر. تحطمت حنجرته. شدها أكثر. بل وأكثر.

انكسرت فقرات عنقه وخرجت عن مكانها.

ظل جيرالت ممسكًا به للحظات، ليتأكد تمامًا. ثم، بحركة مفاجئة، لف رأس الساحر بشدة إلى الجانب، للتأكد من أنه لن ينهض مجددًا. وأخيرًا، أطلقه. انزلق "ديغيرلوند" إلى الأرض برفق، كما لو كان قطعة قماش حريرية تسقط بلا صوت.

مسح الويتشر لعاب الساحر العالق في كمه على ستارة قريبة.

ظهر القط الأسود الكبير فجأة من العدم. اقترب من جسد "ديغيرلوند"، فرك نفسه به، ثم لعق يده التي لم تعد تتحرك. مواء بصوت خافت، وبكى بحزن. استلقى بجوار الجثة، متكورًا على جانبها. ثم نظر إلى جيرالت بعينين ذهبيتين متسعتين.

"كان يجب علي فعل ذلك"، قال الويتشر، صوته منخفض لكنه حاسم. "كان ذلك ضروريًا. وإذا كان هناك أحد يمكنه أن يفهم ... فهو أنت."

ضيّق القط عينيه قليلاً، كأنه يقول إنه يفهم.

"بحق الله، دعونا نجلس على الأرض ونروي حكايات حزينة عن موت الملوك؛

كيف خُلع بعضهم، وكيف قُتل بعضهم في الحرب،

وكيف طاردتهم أشباح من خلعوهم؛

وكيف سُمّم بعضهم على يد زوجاتهم، وكيف قتل آخرون وهم نائمون؛

جميعهم قُتلوا."

من مسرحية "ريتشارد الثاني" لويليام شكسبير

الفصل الثامن عشر

كان الطقس يوم الزفاف الملكي رائعًا منذ الصباح الباكر، حيث ظلَّت سماء كيراك زرقاء صافية دون أن تشوبها أي سحابة. كان الجو دافئًا منذ الصباح، لكن النسيم القادم من البحر خفف من حدة الحرارة.

ساد الاضطراب في المدينة العليا منذ الساعات الأولى من اليوم. فقد كُنِسَت الشوارع والساحات بعناية، وزُيّنت واجهات المنازل بالأشرطة والأكاليل، ورُفِعَت الرايات على الأعمدة. ومنذ الصباح، امتد طابور طويل من المورّدين على الطريق المؤدي إلى القصر الملكي، حيث كانت العربات المحمّلة بالبضائع تتجاوز تلك العائدة فارغة، بينما هرول الحمالون والحرفيون والتجار والرسل والمراسلون صعودًا إلى التلّ.

وبعد فترة وجيزة، عجَّ الطريق بالمقاعد المحمولة التي تقلّ ضيوف الزفاف إلى القصر. يُقال إن الملك بيلوهون قال: "حفلي ليس أمرًا هزليًا، سيظل محفورًا في الذاكرة، وسيتحدث عنه الناس في جميع أنحاء العالم!" ولهذا السبب، كان من المقرر أن تبدأ الاحتفالات في الصباح وتستمر حتى وقت متأخر من الليل.

كان الضيوف على موعد مع مفاجآت غير مسبوقة طوال اليوم. ورغم أن كيراك كانت مملكة صغيرة بل وغير ذات شأن يُذكر، فقد شكّك جيرالت في أن يكون العالم مهتمًا حقًا بزفاف بيلوهون، حتى لو قرر إقامة الحفلات طوال الأسبوع، وأعدَّ فعاليات لا يعلم أحد عنها شيئًا. فمن غير المحتمل أن يكون الحدث قد وصل صداه إلى أبعد من مئة ميل. لكن بالنسبة لبيلوهون — كما كان معروفًا للجميع — كانت كيراك مركز العالم، والعالم لا يتعدى حدودها.

كان جيرالت ودانديليون يرتديان أفضل ما لديهما من ملابس أنيقة، بل إن جيرالت اشترى خصيصًا للاحتفال سترة جديدة من جلد العجل، دفع ثمنها أكثر من قيمتها الفعلية بكثير. أما دانديليون، فقد أعلن منذ البداية أنه سيحتقر الزفاف الملكي ولن يشارك فيه، لأن اسمه أُضيف إلى قائمة الضيوف بصفته قريباً لفيرانت دي ليتنهوف المقرب من البلاط الملكي، وليس بصفته الشاعر والمغني الشهير عالميًا. والأسوأ من ذلك، أنه لم يُدعَ للعزف أو إلقاء الشعر في الحفل، وهو ما اعتبره دانديليون إهانة بالغة وأصيب بالإحباط. وكعادته، لم يدم استياؤه طويلًا، فلم يستغرق سوى نصف يوم فقط.

اصطفت أعمدة الأعلام على طول الطريق المتعرج الذي يؤدي إلى القصر، وكانت ترفرف عليها رايات صفراء تحمل شعار كيراك دلفين أزرق يسبح بخمول، وزعانفه وذيله باللون الأحمر، ترفرف بهدوء في النسيم.

كان فيرانت دي ليتنهوف، قريب دانديليون، بانتظارهما خارج مدخل القصر الملكي، برفقة عدد من الحراس الملكيين الذين كانوا يرتدون زِيًّا يحمل الشعار نفسه أي ملابس زرقاء وحمراء. استقبل المُحرّك ابنَ عمه بودّ، ثم استدعى أحد الصفحات وطلب منه مرافقة دانديليون وإرشاده إلى مكان الحفل.

ثم التفت إلى جيرالت قائلًا:

"أما أنت يا سيّدي جيرالت، فالرجاء أن تأتي معي."

سارا عبر حدائق القصر على طول ممر جانبي، مرورًا بمنطقة يبدو أنها تُستخدم للأغراض الخدمية، إذ كان بالإمكان سماع أصوات الأواني وأدوات المطبخ وهي تُقرع، إلى جانب الشتائم البذيئة التي كان الطهاة يطلقونها بحق مساعديهم. ومع ذلك، كان هناك أيضًا عبقٌ شهيٌّ يُثير الشهية.

كان جيرالت على دراية تامة بقائمة الطعام التي ستُقدَّم خلال مأدبة الزفاف، فقد كان قد زار حانة "ناتورا ريروم" قبل بضعة أيام برفقة دانديليون. وهناك، لم يُخفِ فيبوس رافينغا — صاحب الحانة — فخره حين تحدث عن مشاركته مع عدد من الطهاة المرموقين في تنظيم المأدبة الملكية وإعداد قائمة الطعام، مؤكدًا أن تحضير الأطباق سيتولاه أمهر الطهاة المحليين.

قال لهم حينها بحماس:

"سيُقدَّم على الإفطار محار سوتيه، وقنافذ بحر، وروبيان، وسرطان البحر. أما وجبة منتصف الصباح فستشمل جيلي اللحوم، وأنواعًا مختلفة من الفطائر، وسمك السلمون المدخن والمخلل، وبطًّا في هلام، وأجبانًا مصنوعة من حليب الأغنام والماعز. أما الغداء، فسيكون هناك حساء اللحم أو السمك حسب الرغبة، بالإضافة إلى فطائر محشوة باللحوم أو السمك، وكُرَش محشوة بكُرات لحم الكبد، وسمك الراهب المشوي بطبقة من العسل، وسمك قاروس البحر مع الزعفران والقرنفل."

ثم واصل رافينغا حديثه بنبرة مدروسة، محاكيًا خطباء محترفين في ضبط أنفاسهم:

"بعد ذلك، سيتم تقديم شرائح من اللحوم المشوية في صلصة بيضاء مع الكبار، والبيض، والخردل. ثم ركب إوز محلاة بالعسل، وديوك محشوة بشحم الظهر، وطيور الحجل مع مربى السفرجل، وحمام

مشوي، وفطيرة كبد الضأن مع الحبوب. كما ستكون هناك السلطات والخضروات المتنوعة. وبعدها، ستأتي الحلويات: الكراميل، والنوجا، والكعك المحشو، والكستناء المشوية، والمربيات والمعلبات. أما النبيذ، فسيكون من مقاطعة توسان بالطبع، وسيسكب بسخاء دون انقطاع طوال المأدبة."

كانت وصفاته الشهية كفيلة بإثارة اللعاب، لكن جيرالت لم يكن متفائلًا بفرصة تذوق أيٍّ من تلك الأطباق الفاخرة. فهو لم يكن مدعوًا للحفل كضيف حقيقي، بل كان في وضعٍ أسوأ حتى من الصبية الذين يعملون كمساعدي الضيوف، حيث يمكن لهم اختلاس بعض اللقم أو على الأقل غمس أصابعهم في الكريمات والصلصات أثناء مرورهم السريع بين الموائد.

كان المكان الرئيسي للاحتفالات هو حدائق القصر، التي كانت في الأصل بستان المعبد، ثم خضعت لعمليات تعديل وتوسعة على يد ملوك كيراك، الذين أضافوا أعمدة، وأجنحة، وملاجئ مخصصة للتأمل. واليوم، نُصبت أيضًا العديد من السرادقات الزاهية بين الأشجار والمباني، كما مُدَّت أقمشة كبيرة فوق الأعمدة لحماية الضيوف من حرارة النهار.

وبالفعل، كانت هناك مجموعة صغيرة من الضيوف قد بدأت في التجمع. لم يكن العدد كبيرًا، حيث لم يتجاوز مئتي مدعو. كانت الشائعات تقول إن الملك بيلوهون قد وضع بنفسه قائمة الضيوف، مقتصرًا فيها على النخبة المختارة، أو ما يمكن وصفه بـ"صفوة الصفوة".

وبالنسبة لبيلهون، كان أفراد عائلته — القريبون منهم والبعيدون — يشكلون الجزء الأكبر من هذه النخبة. بالإضافة إلى ذلك، تم توجيه الدعوة إلى النخبة المحلية، وكبار مسؤولي الإدارة، وأغنى رجال الأعمال المحليين والأجانب، فضلًا عن الدبلوماسيين — أي الجواسيس المتخفين في هيئة ملحقين تجاريين من الدول المجاورة.

واكتملت القائمة بمجموعة لا بأس بها من المتملقين والمنافقين والمهرة في تقبيل الأيدي والمؤخرات.

كان الأمير إغموند ينتظر خارج أحد المداخل الجانبية للقصر، مرتديًا سترة سوداء قصيرة مطرزة بخيوط فضية وذهبية فاخرة. كان برفقته مجموعة من الشبان، جميعهم بشعر طويل مجعد ويرتدون سترات مبطنة وسراويل ضيقة مع قطع أمامية كبيرة بشكل مبالغ فيه، تتماشى مع آخر صيحات الموضة. لم يعجب جيرالت مظهرهم. لم يكن ذلك بسبب النظرات الساخرة التي كانوا يرمقونه بها بسبب ملابسه فحسب، بل لأنهم ذكّروه كثيرًا بسوريل ديغيرلوند.

ما إن رأى الأمير المُشرف على الدعوات والمبارز، حتى سرّح حاشيته على الفور. لكن فردًا واحدًا بقي واقفًا. كان شعره قصيرًا ويرتدي سروالًا عاديًا. ورغم ذلك، لم يعجب جيرالت مظهره أيضًا. كان له عينان غريبتان ومظهر غير مريح.

انحنى جيرالت أمام الأمير، ولم يبادله الأخير الانحناءة، بطبيعة الحال.

"سلّم سيفك"، قال الأمير فور تحيته لجيرالت. "لا يمكنك التجول حاملاً سلاحًا. لا تقلق، رغم أنك لن تراه، إلا أنه سيكون قريبًا منك طوال الوقت. لقد أصدرت أوامري بذلك. في حال حدوث أي طارئ، سيعاد إليك السيف فورًا. الكابتن روب سيتولى الأمر."

"وما مدى احتمال حدوث أمر كهذا؟"

"لو لم يكن هناك احتمال، ولو ضئيل، فهل كنت سأكلف نفسي عناء استدعائك؟"

تفحّص إغموند الغمد والشفرة بعناية. "آه! سيف من فيروليدا! ليس مجرد سيف، بل قطعة فنية بحق. أعرف ذلك، فقد كان لي واحد مشابه. أخي غير الشقيق، فيراكساس، سرقه مني. عندما نفاه والدي، استولى على الكثير من الأشياء التي لم تكن له قبل رحيله. لا شك أنه أخذها كتذكارات."

تنحنح فيرانت دي ليتنهوف. تذكّر جيرالت كلمات دانديليون. كان محظورًا ذكر اسم الابن البكر المنفي في البلاط. لكن إغموند كان يتجاهل تلك المحظورات بوضوح.

"قطعة فنية"، كرر الأمير، بينما كان لا يزال يفحص السيف. "دون أن أسألك عن كيفية حصولك عليه، أهنئك على هذه الجوهرة. إذ لا يمكنني أن أصدق أن السيوف المسروقة كانت أفضل من هذا."

"هذا أمر يعود للذوق والتفضيل الشخصي. أما بالنسبة لي، فأنا أفضل استعادة السيوف المسروقة. لقد تعهد سموّكم ومعالي المشرف على الدعوات بالعثور على السارق. أذكّركم، إن سَمحتم لي، أن ذلك كان الشرط الذي قبلت بموجبه تولي مهمة حماية الملك. ومن الواضح أن هذا الشرط لم يُنفّذ."

"لم يُنفّذ بوضوح"، أقرّ إغموند ببرود، وهو يُسلم السيف إلى الكابتن روب، الرجل ذو النظرة الخبيثة. "وبناءً على ذلك، أشعر بأنني ملزم بتعويضك. بدلًا من الثلاثمئة كراون التي كنت أنوي دفعها مقابل خدماتك، ستحصل على خمسمئة. وأضيف أيضًا أن التحقيق في سرقة سيوفك لا يزال جاريًا، وقد تستعيدها في النهاية. يُقال إن فيرانت لديه مشتبه به. أليس كذلك؟"

"التحقيق يشير بوضوح إلى شخص نيكيفور موس، الكاتب القضائي والبلدي"، أعلن فيرانت دي ليتنهوف بلهجة جافة. "لقد فرّ، لكن القبض عليه وشيك."

"آمل ذلك." سخر الأمير. "لا يمكن أن يكون من الصعب إلى هذا الحد القبض على كاتب ملوث بالحبر. خاصةً وأنه، علاوة على ذلك، لا بد أنه أصيب بالبواسير من كثرة الجلوس على مكتبه، مما يعيق هروبه سواء سيرًا على الأقدام أو على صهوة جواد. كيف تمكّن من الفرار أصلًا؟"

"نحن نتعامل مع شخص شديد التقلب." تنحنح المشرف على الدعوات. "وربما مجنون. قبل أن يختفي، تسبب في مشهد مقزز في مطعم رافينغا، يتعلق، عذرًا، بالبراز البشري... اضطر المطعم إلى الإغلاق لفترة من الوقت، لأن... سأجنبك التفاصيل المروعة. لم يتم العثور على السيوف المسروقة أثناء تفتيش مسكن موس، ولكن بدلًا من ذلك... عذرًا... وجدنا حقيبة جلدية، ممتلئة عن آخرها بـ..."

"يكفي، يكفي، أستطيع أن أتخيل الباقي." قطب إغموند جبينه باشمئزاز. "نعم، هذا بالفعل يوضح الكثير عن الحالة النفسية لهذا الشخص. من المحتمل أن سيوفك، أيها الويتشر، قد فُقدت إلى الأبد. حتى لو تمكن فيرانت من القبض عليه، فلن يحصل منه على شيء، فالمجانين لا ينطقون إلا بالهذيان عند تعذيبهم. لن يكون هناك فائدة حتى من وضعه على آلة التعذيب، إذ لن يقول إلا هراءً. والآن، عذرًا، لديّ واجبات عليّ تأديتها."

رافق فيرانت دي ليتنهوف جيرالت نحو المدخل الرئيسي لحدائق القصر. وبعد وقت قصير، وجدا نفسيهما في ساحة مرصوفة بالحجارة، حيث كان القائمون على القصر يستقبلون الضيوف عند وصولهم، فيما كان الحرس والصفحات يرافقونهم إلى داخل الحدائق.

"ما الذي يجب أن أتوقعه؟"

"عفوًا؟"

"ما الذي يجب أن أتوقعه اليوم؟ أي جزء من سؤالي لم تفهمه؟"

"الأمير زاندر تفاخر أمام شهود بأنه سيتوج ملكًا غدًا." قال المشرف على الدعوات بصوت خافت. "لكنها ليست المرة الأولى التي يقول فيها ذلك، وكان دائمًا ثملًا عندما يفعل."

"هل هو قادر على تنفيذ انقلاب؟"

"ليس تمامًا. لكنه يملك جماعة متآمرة، وأعوانًا، ومقربين. وهم أكثر قدرة منه."

"ما مدى صحة الشائعات التي تقول إن بيلوهون سيعلن اليوم أن وريثه الشرعي هو الطفل الذي تحمله خطيبته؟"

"هناك أدلة قوية على ذلك."

"وإغموند، الذي تتضاءل فرصه في اعتلاء العرش، ها هو ذا يستأجر ويتشرًا لحماية والده. يا لها من محبة عائلية جديرة بالثناء."

"لا تخرج عن الموضوع. لقد قبلت بالمهمة. الآن، نفّذها."

"قبلتها وسأنفذها. رغم أنها غامضة للغاية. لا أعلم من سيكون خصمي، إن حدث شيء. ولكن ربما ينبغي لي أن أعرف من سيكون في صفي إن وقع شيء ما."

"إذا استدعت الحاجة، كما وعد الأمير، سيتم تسليم سيفك إليك من قبل القبطان روب. وسيكون إلى جانبك. وسأساعدك أيضًا، بقدر ما أستطيع. لأنني أريد لك الخير."

"منذ متى؟"

"عفوًا؟"

"لم يسبق لنا أن تحدثنا وجهًا لوجه. كان دانديليون دائمًا معنا، ولم أرغب في إثارة الموضوع بحضوره. الوثائق المفصلة حول مزاعمي بالاحتيال. كيف حصل عليها إغموند؟ من زوّرها؟ ليس هو، بالطبع. بل أنت، فيرانت."

"لم يكن لي يد في ذلك. أؤكد لك..."

"أنت كاذب فاشل بالنسبة لحامٍ للقانون. من العجيب كيف حصلت على منصبك."

قطّب فيرانت دي ليتنهوف شفتيه.

"اضطررت لذلك،" قال بصوت خافت. "كنت أنفذ الأوامر."

نظر إليه الويتشر طويلًا وبتمعن.

"لن تصدق عدد المرات التي سمعت فيها كلمات كهذه،" قال أخيرًا. "لكن ما يبعث على الارتياح أنني عادة ما كنت أسمعها من رجال كانوا على وشك أن يُعلّقوا على حبال المشانق."

* * *

ليتا نيد كانت بين الضيوف. رآها بسهولة. لأنها كانت ملفتة للنظر.

كان صدر فستانها المصنوع من كريب دي شين الأخضر الفاتح، ذو العنق العميق، مزينًا بتطريز على شكل فراشة متألقة بأحجار صغيرة براقة. وكانت حوافه مزينة بالكشكشات. عادةً ما تثير الفساتين ذات الكشكشات على النساء فوق سن العاشرة سخريةً ضمنية لدى الويتشر، لكن في حالة ليتا، كانت تلك التفاصيل متناسقة مع بقية الفستان، بل وكانت جذابة للغاية.

كانت رقبة الساحرة مزينة بعقد من الزمرد المصقول. لم يكن أي حجر منه أصغر من حبة لوز. وأحدها كان أكبر بكثير.

كان شعرها الأحمر كحريق غابة.

كانت موزابييك تقف بجانب ليتا، مرتدية فستانًا أسود مذهلًا وجريئًا من الحرير والشيفون، شفافًا عند الكتفين والأكمام. كان عنقها وصدرها مغطى بطبقة من الشيفون المنسدل بشكل خيالي، مما منحها هالةً من الجاذبية والغموض، خاصة مع الأكمام الطويلة السوداء.

كانتا كلتاهما تنتعلان كعوبًا بارتفاع أربع بوصات. كعوب ليتا كانت مصنوعة من جلد الإغوانا، أما موزابييك فمن الجلد اللامع.

تردد جيرالت للحظة قبل أن يقترب. لكن فقط للحظة.

"تحياتي،" قالت ليتا بحذر. "يا لها من مفاجأة لطيفة، من الجميل رؤيتك. موزابييك، لقد فزتِ، الحذاء الأبيض لكِ."

"رهان،" خمّن. "بماذا كان يتعلق؟"

"بك. ظننت أننا لن نراك مجددًا، وراهنت على أنك لن تظهر. أما موزابييك فقد أخذت الرهان، لأنها اعتقدت العكس."

ألقت عليه ليتا نظرة عميقة بلون اليشم، واضحة الترقب. كانت تنتظر ردًا. كلمة. أي شيء.

لكن جيرالت بقي صامتًا.

"تحياتي، أيتها السيدات الجميلات!" قال دانديليون، قافزًا من العدم: "احترامي لكم، أنحني أمام جمالكن. مدام نيد، الآنسة موزاييك. سامحوني على غياب الزهور."

"نغفر لك. وماذا عن الفنون؟"

"كل ما تتوقعونه: كل شيء ولا شيء،" قال دانديليون، وهو يلتقط كأسين من النبيذ من صبي خادم مار ويناولهما للمرأتين. "الحفل ممل بعض الشيء، أليس كذلك؟ لكن النبيذ جيد. إنه من نوع (إيست إيست)، أربعون كراونًا للباينت. والأحمر ليس سيئًا أيضًا، لقد جربته. فقط لا تشربوا الهيبوكرس، فهم لا يعرفون كيف يضيفون له التوابل. أما الضيوف، فلا نهاية لهم، هل لاحظتم؟ وكما هو معتاد في المجتمع الراقي، السباق هنا يسير بالعكس، من يصل متأخرًا يفوز ويحظى بالمجد. وأظن أننا نشهد اللحظات الأخيرة من السباق الآن.

"مالك سلسلة المناشر وزوجته يعبران خط النهاية، لكنهما يخسران في اللحظة الأخيرة لصالح رئيس الميناء وزوجته، اللذين بدورهما يخسران أمام دنديّ لا أعرفه ..."

"إنه رئيس البعثة التجارية الكوفيرية. وزوجته،" أوضحت كورال. "أتساءل زوجة من هي في الحقيقة."

"بيرال برات، ذلك العجوز المخادع، سينضم إلى المجموعة المتقدمة. برفقة شريكة تبدو جذابة للغاية ... اللعنة!"

"ما الأمر؟"

"المرأة التي بجانب برات ..." اختنق دانديليون بالكلمات. "إنها ... إنها إتنا أسيدر ... الأرملة الصغيرة التي باعتني السيف ..."

"هل هكذا عرّفت نفسها لك؟" سخرت ليتا. "إتنا أسيدر؟ إنها مجرد أناغرام رخيص. اسمها الحقيقي أنتايا ديريس. الابنة الكبرى لبيرال برات. وهي ليست أرملة صغيرة، لأنها لم تتزوج قط. وتقول الشائعات إنها لا تفضل الرجال."

"ابنة برات؟ مستحيل! لقد زرت منزله..."

"لكنك لم تقابلها هناك،" قاطعته الساحرة. "وهذا ليس غريبًا. أنتايا لا تربطها علاقة جيدة بأسرتها، حتى أنها لا تستخدم اسم العائلة، بل تلجأ إلى اسم مستعار مكوّن من اسمين أوليين. علاقتها بوالدها

تقتصر فقط على الأمور التجارية، والتي، بالمناسبة، تزدهر بشكل كبير. لكنني مندهشة لرؤيتهما هنا معًا."

"لابد أن لديهم أسبابهم،" علّق الويتشر بحدة ملاحظة.

"أرغب بالكاد في معرفة ماهيتها. رسميًا، أنتايا هي وكيلة تجارية، لكن هوايتها المفضلة هي الاحتيال والخداع والمضاربات المشبوهة. أيها الشاعر، لدي طلب منك. أنت خبير في العالم، أما موزابيك فليست كذلك. تجوّل بها بين الضيوف، وعرّفها على من يستحق المعرفة. وأشر أيضًا إلى من لا يستحق."

ضامنًا لكورال أن رغبتها كانت أمرًا لا يقبل الرفض، قدّم دانديليون ذراعه لموزابيك. وتركا وحدهما.

"تعالَ،" قاطعت ليتا الصمت الطويل. "لنتمشى. فوق ذلك التل هناك."

امتد المنظر من قمة التل، حيث معبد التأمل، ليكشف عن المدينة، بالْمِيرا، المرفأ والبحر. وضعت ليتا يدها لتظلل عينيها.

"ما ذلك الذي يبحر إلى المرفأ؟ ويلقي المرساة؟ فرقاطة بثلاثة صواري ذات تصميم غريب. تحت أشرعة سوداء، ها، إنه أمر لافت للنظر..."

"انسِ الفرقاطات. دانديليون وموزابيك قد أُبعِدا، نحن وحدنا وبعيدان عن الأنظار."

"وأنت تتساءل لماذا." استدارت نحوه. "منتظرًا أن أخبرك بشيء. منتظرًا الأسئلة التي سأطرحها عليك. لكن ربما أريد فقط أن أنقل لك أحدث الشائعات؟ من مجتمع السحرة؟ أوه، لا، لا تخشَ، ليس عن ينّيفر. بل عن ريسبيرغ، وهو مكان تعرفه جيدًا، بعد كل شيء. لقد حدثت هناك الكثير من التغييرات ... لكنني لا أرى بريق الفضول في عينيك. هل أتابع؟"

"بكل تأكيد، تفضلي."

"لقد بدأ الأمر عندما مات أورتولان."

"أورتولان مات؟"

"لقد توفي قبل أسبوعٍ تقريبًا. وفقًا للرواية الرسمية، فقد تسمم بشكل قاتل بالأسمدة التي كان يعمل عليها. لكن الشائعات تقول إن السبب الحقيقي كان سكتة دماغية، ناجمة عن صدمة تلقاها عند

سماع خبر وفاة أحد مفضليه المفاجئة، والذي مات نتيجة تجربة فاشلة ومشبوهة للغاية. أتحدث عن شخص يُدعى ديغيرلوند. هل يرن هذا الاسم في ذهنك؟ هل التقيت به عندما كنت في القلعة؟"

"ربما. لقد قابلت العديد من السحرة. لم يكن جميعهم يستحقون التذكر."

"يبدو أن أورتولان ألقى باللوم على المجلس بأسره في ريسبيرغ بسبب موت مفضله، فاستشاط غضبًا وأصيب بسكتة دماغية. لقد كان مسنًا جدًا، وكان يعاني من ارتفاع ضغط الدم. كما أن إدمانه على الفيس-تك كان سرًا مكشوفًا، والجمع بين الفيس-تك وارتفاع ضغط الدم مزيج قاتل. لكن لا بد أن هناك شيئًا مريبًا، لأن تغييرات كبيرة في الموظفين حدثت في ريسبيرغ. حتى قبل وفاة أورتولان، كانت هناك صراعات. أُلزم ألجيرنون جُوينكامب، المعروف باسم بينيتي، بتقديم استقالته، من بين آخرين. أنا واثقة أنك تتذكره. لأنه إذا كان هناك شخص جدير بالتذكر هناك، فهو بلا شك."

"بالفعل."

"وفاة أورتولان — " نظرت كورال إليه بحدة " — استدعت استجابة سريعة من المجلس، الذي كان على دراية منذ فترة طويلة ببعض الأخبار المثيرة للقلق بشأن تصرفات الراحل ومفضله. والمثير للاهتمام — بل والمتوقع بشكل متزايد في أيامنا هذه — أن كل هذا بدأ بحجر صغير، بحلقة بسيطة أثارت انهيارًا كاملًا. مجرد فلاح مغمور، أو شريف مقاطعة مفرط في الحماسة. أجبر رئيسه — العمدة من غورز فيلين — على اتخاذ إجراء. ثم رفع العمدة الاتهامات إلى مستوى أعلى، وهكذا، صعدت القضية عبر التسلسل الإداري، درجة بعد درجة، حتى وصلت إلى المجلس الملكي، ومن هناك إلى مجلس السحرة."

"وباختصار: تم اتهام البعض بالإهمال. أُجبرت بيروتا إيكارتي على مغادرة المجلس. عادت إلى التدريس في أريتوزا. كما رحل كل من أكسل أبو الندوب وساندوفال. أما زانجينيس، فقد احتفظ بمنصبه، بعد أن نال عفو المجلس عبر الوشاية بالبقية وإلقاء اللوم كله عليهم."

"ما رأيك في ذلك؟ هل لديك ما تقوله؟"

"ماذا يمكنني أن أقول؟ هذه مشاكلكم، وفضائحكم."

"فضائح اندلعت في ريسبيرغ بعد زيارتك بفترة وجيزة."

"أنتِ تبالغين في تقدير تأثيري، كورال. وقدرتي على إحداث الفوضى."

"أنا لا أبالغ في تقدير أي شيء. ونادرًا ما أقلل من شأن شيء."

"موزاييك ودانديليون سيعودان في أي لحظة." قال ذلك وهو ينظر مباشرة في عينيها. "وبعد كل شيء، لم تحضريني إلى هنا عبثًا. هل ستخبرينني عن السبب؟"

تحدت نظرته بثبات.

"أنت تعلم جيدًا سبب ذلك." ردت بصوت هادئ. "لذا لا تهنِ ذكائي بخفض مستواك."

"لم تأتَ لرؤيتي منذ أكثر من شهر. لا، لا تظن أنني أرغب في دراما عاطفية باهتة أو في إيماءات تراجيدية سخيفة. لا أتوقع أي شيء أكثر من هذه العلاقة التي تنتهي سوى ذكرى لطيفة."

"يبدو لي أنك استخدمتِ كلمة 'علاقة'؟ يا له من مصطلح واسع الأبعاد."

"لا شيء سوى ذكرى جميلة." تجاهلت تعليقه وثبّتت نظرها عليه. "لا أعلم كيف هو الأمر بالنسبة لك، لكن بالنسبة لي، لن أخفي عنك، الأمور ليست على ما يرام. أظن أن الأمر يستحق بعض الجهد الجاد في هذا الصدد. لا أعتقد أن الأمر يتطلب الكثير. شيء صغير لكنه جميل، لمسة أخيرة لطيفة، شيء يترك ذكرى طيبة. هل يمكنك فعل ذلك؟ هل ترغب في زيارتي؟"

لم يتمكن من الرد. إذ بدأت الأجراس تدق بصخب مدوٍّ في برج الجرس، تُعلن العاشرة بدقاتها العشر. ثم دوّت الأبواق بفانفار[16] صاخب، نحاسي النغمة ومشوش بعض الشيء. انقسم حشد الضيوف إلى نصفين بينما اصطف الحراس باللونين الأزرق والأحمر في صفين متوازيين.

تقدّم مارشال القصر من تحت الرواق عند مدخل القصر، مرتديًا قلادة ذهبية حول عنقه، ممسكًا بعصا ضخمة بحجم عمود سياج. خلفه تقدم النبلاء المنادون، ثم تلاهم الأمناء، وأخيرًا، سار بيليهون، ملك كيراك، بنفسه، بجسده النحيل والعظمي، مرتديًا قبعة مصنوعة من فرو السمور، ممسكًا صولجانًا.

بجانبه مشت امرأة شابة ممشوقة القوام، شقراء، مرتدية حجابًا، ولم يكن هناك أدنى شك بأنها العروس الملكية، والزوجة المستقبلية، وملكة كيراك المرتقبة. كانت ترتدي ثوبًا أبيض ناصعًا ومزينة بالماس بإفراط، وربما بأسلوب فاحش أقرب إلى الذوق المبتذل للوافدين الجدد على الثراء. وعلى غرار الملك، كانت ترتدي عباءة من فرو القاقم، ممسوكة من قبل الصبية الصفار.

---

[16] فانفار (Fanfare) هو مصطلح يُستخدم للإشارة إلى نغمة موسيقية قصيرة، صاخبة واحتفالية، تُعزف عادةً بالأبواق أو الآلات النحاسية للإعلان عن حدث مهم، مثل دخول شخصية ملكية، أو افتتاح احتفال رسمي. يستخدم هذا النوع من الموسيقى في المراسم الرسمية والعسكرية، وكذلك في الاحتفالات الفخمة لإضفاء جو من العظمة والمهابة.

تبع العائلة المالكة الزوجين الملكيين، على بعد عشر خطوات على الأقل خلف الصبية الحاملين للعباءة، وهو ما كشف الكثير عن وضعهم ومكانتهم. كان إغموند حاضرًا بطبيعة الحال، وبجانبه رجل شديد البياض، أقرب إلى المهق، لم يكن سوى شقيقه زاندر.

وراء الأخوين، سارت بقية العائلة: عدة رجال وعدة نساء، بالإضافة إلى عدد من الفتيان والفتيات المراهقين، الذين كانوا بلا شك أبناء الملك الشرعيين وغير الشرعيين.

وسط الضيوف الذين كانوا ينحنون إجلالًا، والنساء اللواتي يحيين بانحناءات عميقة، وصلت المسيرة الملكية إلى وجهتها: منصة مرتفعة، تشبه إلى حد ما منصة الإعدام. وضعت على المنصة عرشان تحت مظلة، وأُحيطت الجوانب بالسجاد المطرز. جلس الملك والعروس على العرشين. بينما بقيت العائلة المالكة واقفة.

صدحت الأبواق مرة ثانية بصوتها النحاسي المدوي، مهاجمة الآذان بعنف. لوّح كبير المراسم بذراعيه مثل قائد أوركسترا، مشجعًا الضيوف على الهتاف والتصفيق ورفع الأنخاب للعروسين. وسعى الضيوف وأفراد البلاط إلى التفوق على بعضهم في إغراق العروسين المستقبليين بوابل من الأمنيات بحياة طويلة، أطول، وحتى أطول من ذلك، مليئة بالصحة والسعادة والنجاح.

حافظ الملك بيلوهون على تعبيره المتغطرس والمتجهم، ولم يُظهر أي علامة على الرضا تجاه الأمنيات والمجاملات والمديح الذي كان يُغدق عليه وعلى عروسه القادمة، سوى ببعض الإيماءات الخفيفة بعصاه الملكية.

أسكت كبير المراسم الضيوف وألقى خطابًا طويلًا، متنقلًا بسلاسة بين الفصاحة الطنانة والمبالغة المتكلفة ثم العودة مرة أخرى. أما جيرالت، فقد كرس كل انتباهه لمراقبة الحشود، ولهذا لم يكن يصغي سوى بجزء من اهتمامه.

أعلن كبير المراسم، موجهًا خطابه للجميع، أن الملك بيلوهون كان سعيدًا حقًا بحضور هذا العدد الكبير من الناس، وأنه مسرور للغاية بترحيبهم في هذه المناسبة السعيدة، متمنيًا لهم نفس ما تمنوه له. وأوضح أن مراسم الزفاف ستقام في فترة ما بعد الظهيرة، وحتى ذلك الحين، دُعي الضيوف إلى الاستمتاع بالمأكولات والمشروبات واللهو، والاستفادة من الأنشطة العديدة التي تم التخطيط لها لهذا الحدث.

أعلنت الأبواق بصخب انتهاء الجزء الرسمي من الاحتفال. وبدأ الموكب الملكي بمغادرة الحدائق.

وخلال ذلك، لاحظ جيرالت بين الضيوف عدة مجموعات صغيرة تتصرف بطريقة مريبة. وكانت هناك مجموعة على وجه الخصوص تثير قلقه، لأنهم لم ينحنوا للموكب بنفس العمق الذي فعل الآخرون، كما أنهم كانوا يحاولون التسلل باتجاه بوابة القصر.

تحرك جيرالت تدريجيًا نحو صف الجنود المزدوج باللونين الأزرق والأحمر. كانت ليتا تسير بجواره.

سار بيلوهون بخطوات ثابتة، موجهًا بصره إلى الأمام دون أن يحيد. أما العروس المنتظرة، فكانت تتلفت من حولها بين الحين والآخر، وتومئ برأسها أحيانًا للضيوف الذين كانوا يحيونها.

هبت نسمة ريح فجأة ورفعت طرحتها للحظة، ورأى جيرالت عينيها الزرقاوين الواسعتين. وشاهد كيف وجدت تلك العينان ليطا نيد وسط الحشد، وكيف اشتعلتا بالكراهية. كراهية صافية، نقية، مركزة ومقطرة.

دام ذلك للحظة واحدة فقط، ثم دوى صوت الأبواق، وتقدم الموكب، وسار الحرس وراءه. أما المجموعة الصغيرة التي كانت تتصرف بشكل مريب، فاتضح أنها لم تكن تهدف إلا إلى الوصول إلى المائدة المكدسة بالنبيذ والمقبلات، حيث انقضوا عليها وجردوها من محتوياتها قبل بقية الضيوف.

بدأت العروض على مسارح مؤقتة متناثرة هنا وهناك؛ عزف الموسيقيون على الكمان، والقِيثارات، والمزامير، والنايات، وغنى الكورس بألحان متناغمة. تبادل المشعوذون الأدوار مع البهلوانات، وخلا الساحة لاعبوا القوى ليحل محلهم الأكروباتيون، واستُبدل المشاة على الحبال برقاصات خفيفة الملابس يحملن الدفوف.

أخذت الأجواء تصبح أكثر مرحًا، وبدأت وجوه السيدات تتورد، وبدأ عرق الرجال يلمع على جباههم، وصارت أحاديثهم أعلى وأكثر حماسة. لكنها أيضًا باتت غير مترابطة بعض الشيء.

سحبت ليتا جيرالت إلى خلف أحد السرادقات، حيث فاجآ زوجين كانا قد احتميا هناك لأغراض جنسية واضحة. لم تبدِ الساحرة أي انزعاج، ولم توليهما أي اهتمام يُذكر.

قالت له: "لا أعرف ما الذي يُدبر هنا، ولا أعرف سبب وجودك، رغم أنني أستطيع التخمين. لكن أبقِ عينيك مفتوحتين، وأي شيء تفعله، فافعله بحذر. العروس الملكية ليست سوى إيلديكو بريكل."

أجابها جيرالت، دون أن يسأل: "لن أسألك إن كنتِ تعرفينها. لقد رأيت تلك النظرة."

كررت كورال: "إيلديكو بريكل. هذا هو اسمها. تم طردها من أريتوزا في سنتها الثالثة بسبب سرقات بسيطة. لكنها نجحت في تدبير أمورها، كما ترى. لم تصبح ساحرة، لكنها ستصبح ملكة بعد بضع ساعات. الطريف في الأمر، اللعنة، أنها من المفترض أن تكون في السابعة عشرة من عمرها فقط. ذلك الأحمق العجوز. بينما هي في الحقيقة تبلغ من العمر خمسة وعشرين عامًا على الأقل."

فقال جيرالت: "ويبدو أنها لا تحبك."

فأجابت: "والشعور متبادل. إنها مخادعة بالفطرة، ودائمًا ما تجلب المشاكل أينما حلَّت. لكن هذا ليس كل شيء. تلك الفرقاطة التي أبحرت إلى الميناء تحت أشرعة سوداء؟ أعرف ماهيتها، لقد سمعت عنها. إنها السفينة أكيرونتيا. وهي سيئة السمعة للغاية. حيثما ظهرت، يحدث شيء ما."

"وماذا يحدث، على سبيل المثال؟"

"طاقمها يتألف من مرتزقة يمكن استئجارهم لأي شيء، على ما يُقال. وماذا يستأجر المرء المرتزقة من أجله؟ لأعمال البناء؟"

قال جيرالت: "عليّ أن أذهب. سامحيني، كورال."

قالت ببطء وهي تنظر في عينيه: "مهما حدث، ومهما وقع، لا يمكنني أن أتورط فيه."

"لا تخافي. لم أكن أنوي طلب مساعدتك."

"لقد أسأت فهمي."

"لا شك في ذلك. سامحيني، كورال."

* * *

بعد اجتيازه الرواق المغطى باللبلاب، اصطدم بجهاً لوجه مع موزاييك، التي كانت تسير في الاتجاه المعاكس. على نحو مدهش، بدت هادئة ورصينة وسط الحرّ والضجيج والاضطراب.

قال لها: "أين دانديليون؟ هل تركَكِ وحدكِ؟"

تنهدت قائلة: "لقد فعل، لكنه اعتذر بأدب وطلب مني أيضًا أن أعتذر لك. لقد دُعي للعزف في جلسة خاصة، داخل قاعات القصر، أمام الملكة ووصيفاتها. لم يستطع الرفض."

"من الذي طلب منه ذلك؟"

"رجل ذو مظهر عسكري. وكانت في عينيه نظرة غريبة."

قال جيرالت: "عليّ الذهاب. سامحيني، موزاييك."

تجمّع حشد صغير خلف الجناح المزيّن بشرائط ملوّنة، حيث كان يتم تقديم الطعام: فطائر محشوة، وسلمون، وبط في الجيلاتين. شقّ جيرالت طريقه وسط الزحام، باحثًا عن الكابتن روب أو فيران دو ليتنهوف. لكنه بدلًا من ذلك، اصطدم بفيبوس رافينغا. بدا صاحب المطعم أشبه بأحد النبلاء، إذ كان يرتدي صدرة من الديباج، وعلى رأسه قبعة مزدانة بريشة نعامة. كان برفقته ابنة بايرال برات، أنيقة ومتألقة في زيّ رجالي أسود.

قال رافينغا، وقد بدا مسرورًا: "أوه، جيرالت! أنتي، اسمحي لي أن أقدّم لكِ: جيرالت من ريفيا، الويتشر الشهير. جيرالت، هذه السيدة أنتيّا ديريس، وكيلة تجارية. تعال، خذ كأسًا من النبيذ معنا..."

قال جيرالت معتذرًا: "معذرة، لكنني في عجلة من أمري. أنا على علم بالسيدة أنتيّا، رغم أنني لم أقابلها شخصيًا. لو كنت مكانك، فيبوس، لما اشتريت منها شيئًا."

كان المدخل المقنطر للقصر مزينًا بلافتة كتبها على ما يبدو عالم لغوي، حملت عبارة: "انموا وتكاثروا" ولكن قبل أن يتمكن جيرالت من الدخول، اعترضته فؤوس حراس الهالبارد المتقاطعة.

"لا دخول."

"عليّ رؤية المحقق الملكي على وجه السرعة."

"لا دخول." خرج قائد الحرس من خلف حاملي الفؤوس. كان يمسك رمحًا نصف طويل بيده اليسرى، ووجّه سبابته اليمنى المتسخة مباشرة إلى أنف جيرالت. "لا دخول، هل تفهم، أيها السيد؟"

قال جيرالت ببرود: "إذا لم تُبعد تلك الإصبع عن وجهي، فسأكسرها في أماكن عدة. آه، ها هو ذا، الآن أفضل بكثير. والآن خذني إلى المحقق الملكي."

جاء صوت من خلفه: "كلما صادفتَ الحراس، ينتهي الأمر بمشادة دائماً." استدار جيرالت ليجد فيران دو ليتنهوف قد تبعه. "إنها عيب خطير في شخصيتك، وقد تكون له عواقب غير سارة."

"لا أحب أن يمنعني أحد من المرور."

"ولكن هذا هو دور الحراس والجنود، في نهاية المطاف. لن تكون هناك حاجة إليهم لو كان الدخول متاحًا للجميع. دعوه يمر."

عبس قائد الحرس وقال: "لدينا أوامر مباشرة من الملك نفسه. لا يُسمح لأحد بالدخول دون تفتيش!"

"إذن، فتّشوه."

كان التفتيش دقيقًا، وأخذه الحراس على محمل الجد. فتشوه بعناية ولم يقتصروا على مجرد التربيت السريع. لم يجدوا شيئًا، إذ إن جيرالت لم يُحضر معه الخنجر الذي اعتاد أن يخفيه داخل حذائه في المناسبات.

سأل المحقق وهو ينظر إلى القائد نظرة ساخرة: "هل أنتم راضون الآن؟ تنحَّوا عن الطريق ودعونا نمر."

قال القائد بنبرة متأنية: "ليغفر لي سموّكم، لكن أمر الملك كان صريحًا. وينطبق على الجميع."

"وما التالي؟ لا تنسَ نفسك، أيها الفتى! هل تعرف من يقف أمامك؟"

قال القائد وهو يشير برأسه نحو الحراس: "يجب تفتيش الجميع. كان الأمر واضحًا. أرجو ألا تتسبب في مشاكل، سموّكم. لا لنا ... ولا لنفسك."

"ما الذي يحدث اليوم؟"

"بشأن ذلك، عليك سؤال رؤسائي. هم من أصدروا الأوامر بالتفتيش."

تمتم المحقق الملكي بشتيمة تحت أنفاسه وخضع للتفتيش. لم يكن يحمل حتى سكينًا صغيرًا.

قال وهو يمشي بجوار جيرالت في الممر أخيرًا: "أود أن أعرف سبب هذا كله. أشعر بالقلق الشديد. قلق شديد، أيها الويتشر."

"هل رأيت دانديليون؟ لقد قيل لي إنه استُدعي إلى القصر ليغني."

"لا أعلم شيئًا عن ذلك."

"لكن هل تعلم أن أكيرونتيا قد رست في الميناء؟ هل يعني لك هذا الاسم شيئًا؟"

"الكثير. وقلقي يزداد. مع كل دقيقة. فلنتعجل!"

كان الحراس المسلحون بالحِراب يتنقلون في بهو القصر — الذي كان فيما مضى أروقة المعبد — وتحركت أمامهم أزياء الحرس الملكي الزرقاء والحمراء. تردد صدى وقع الأحذية العسكرية وعلت الأصوات القادمة من الممرات.

قال المحقق، وهو يشير إلى أحد الجنود المارّين: "أنت هناك! الرقيب! ما الذي يجري هنا؟"

قال الجندي وهو يحيي الرجل بسرعة: "اعذرني، سموّكم ... لدي أوامر عليّ تنفيذها ..."

"قف مكانك، هذا أمر! ما الذي يجري؟ أطالب بتفسير! هل هناك مشكلة؟ أين الأمير إغموند؟"

عندها، سمعا صوتًا ينادي: "السيد فيران دو ليتنهوف!"

وقف الملك بيليهون بنفسه في إحدى المداخل، تحت رايات تحمل صورة الدلفين الأزرق، برفقة أربعة رجال أشداء يرتدون سترات جلدية. كان قد تخلّى عن زينته الملكية، فلم يكن يبدو كملك، بل أشبه بفلاحٍ ولدت بقرته تَوًّا عجلاً رائعًا.

قال الملك بصوت يحمل نغمة فرح، كما لو أنه يتحدث عن ذلك العجل:

"السيد فيران دو ليتنهوف. المحقق الملكي. أعني، المحقق الخاص بي. أو ربما ليس خاصتي. ربما خاص بابني. لقد ظهرت، رغم أنني لم أستدعِك. من حيث المبدأ، كان من واجبك المهني أن تكون هنا في هذه اللحظة، لكنني لم أستدعِك. قلت لنفسي: دعه يأكل، يشرب، يغازل امرأة، ويأخذها إلى العريشة. لن أستدعِه، فأنا لا أريده هنا. أتدري لماذا لم أُرِدك؟ لأنني لم أكن متأكدًا لمن تُكَرِّس ولاءك. لمن تُكرِّس ولاءك، فيران؟"

انحنى المحقق الملكي بعمق وأجاب:

"أخدم جلالتكم، وأنا مخلصٌ لكم تمامًا."

التفت الملك حوله بأسلوب مسرحي وسأل بصوت مرتفع:

"هل سمعتم جميعًا؟ فيران مخلص لي! حسنًا، حسنًا، فيران، كنت أتوقع إجابة كهذه، أيها المحقق الملكي. يمكنك البقاء، قد تكون مفيدًا. سأُكَلِّفُكَ في الحال بمهمة تليق بمحرّض ... آه! وهذا الآخر؟ من يكون؟ لحظة! أليس هذا الويتشر النصّاب؟ الذي وشت به الساحرة؟"

أجاب فيران بسرعة:

"لقد ثبتت براءته، الساحرة كانت مضلَّلة. لقد تم الإبلاغ عنه كذبًا..."

قطعه الملك بنبرة تهكمية:

"البريء لا يُبلَّغ عنه."

"لقد كان قرار المحكمة. تم إغلاق القضية بسبب عدم كفاية الأدلة."

"لكن كانت هناك قضية، مما يعني أن هناك فضيحة. قرارات المحكمة وأحكامها تأتي من مخيلات ونزوات موظفيها، بينما الرائحة النتنة تصدر من جوهر القضية نفسه. هذا كل ما أريد قوله، ولن أضيّع وقتي في محاضرات عن الفقه. في يوم زفافي يمكنني أن أكون متسامحًا، ولن آمر بسجنه، لكن أخرجوا هذا الويتشر من أمامي في الحال، ولا أريد أن أرى وجهه مرة أخرى!"

قال فيران بقلق:

"جلالتك ... أشعر باضطراب ... لقد رست السفينة أكرونتيا في الميناء، ويُملي علينا الوضع الراهن ضرورة توفير الحماية ... يمكن للويتشر أن ..."

قاطعه الملك بتهكم:

"أن يفعل ماذا؟ أن يحميني بصدره؟ أن يشل حركة القتلة بتعويذة ويتشر؟ هل كلفه إغموند، ابني الحبيب، بهذه المهمة؟ لحماية والده وضمان سلامته؟ تعالَ يا فيران، وأنت أيضًا، أيها الويتشر اللعين، تعالَ لترى شيئًا. سأريك كيف يعتني المرء بأمنه ويضمن حمايته بنفسه. أنظر جيدًا. استمع. ربما تتعلم شيئًا. وربما تكتشف أمرًا عن نفسك. هيا، اتبعني!"

تحركوا جميعًا، يدفعهم الملك ومحاطين برجاله ذوي السترات الجلدية المتينة. دخلوا قاعة كبيرة حيث وقف عرش على منصة تحت سقف مزخرف بأمواج ووحوش بحرية. جلس بيلوهون على العرش.

في الجهة المقابلة، تحت جدارية تصور خريطة للعالم بأسلوب زخرفي، جلس أبناء الملك على مقعد خشبي، محاطين بحراس آخرين من الرجال الأشداء. كانوا أمراء كيراك: إغموند ذو الشعر الأسود الفاحم، وزاندر ذو الشعر الأشقر الفاتح كالألبينو.

استرخى بيلوهون في مقعده براحة، ونظر إلى أبنائه كما ينظر قائد منتصر إلى أعدائه المهزومين، وهم يجثون أمامه بعد أن سحقهم في المعركة، متوسلين رحمته. لكن القادة المنتصرين في اللوحات التي رآها جيرالت عادةً ما كانوا يرتدون تعابير الجلال، والكرامة، والنبل، والرحمة تجاه المهزومين. أما وجه بيلوهون، فقد كان يفتقر إلى كل ذلك. لم يكن مرسومًا عليه سوى سخرية لاذعة.

قال الملك: "مهرجي الملكي مرض بالأمس، أصيب بإسهال شديد. يا لسوء الحظ، فكرت، لن تكون هناك نكات، ولا تهريج، ولا لهو ومتعة. لكنني كنت مخطئًا. هذا الموقف مضحك. مضحك جدًا لدرجة أنه يكاد يمزق الأحشاء من الضحك. فأنتم، أنتما، يا ولديّ، أحمقان بكل ما تحمله الكلمة من معنى. مثيران للشفقة، لكن مضحكان. وأعدكما أنه في السنوات القادمة، بينما أستلقي في سريري بجوار زوجتي الصغيرة، بعد مغامرات عشقية وأوقات سعيدة، كلما تذكرناكما وهذا اليوم، سنضحك حتى تفيض أعيننا بالدموع. فلا يوجد ما هو أكثر إضحاكًا من الأحمق."

كان واضحًا أن زاندر كان خائفًا، إذ كانت عيناه تتجولان في القاعة بينما يتصبب عرقًا غزيرًا. أما إغموند، على العكس من ذلك، فلم يُظهر أي علامة خوف. نظر مباشرة في عيني والده، ورد عليه بسخرية مماثلة بينما واصل الملك حديثه.

"تقول الحكمة الشعبية: توقع الأفضل، لكن استعد للأسوأ. ولذلك كنت مستعدًا للأسوأ. فهل هناك ما هو أسوأ من خيانة الأبناء؟ لقد زرعت عملاء بين أكثر رفاقكما إخلاصًا. وخانكم معاونوكما على الفور، ما إن وضعتهم تحت الضغط. أما خدمكما المخلصون وأتباعكما، فهم الآن يفرون من المدينة."

"نعم، يا أبنائي. هل ظننتم أنني أصم وأعمى؟ أنني عجوز، متداعٍ، وأحمق؟ هل اعتقدتما أنني لم ألحظ كيف تتوقان إلى العرش والتاج؟ أنكما تشتهيان السلطة كما يشتهي الخنزير الكمأة؟ الخنزير الذي يعثر على كمأة يفقد عقله. يتملك منه الجشع، فيصرخ، ويحفر الأرض بجنون، لا يبالي بأي شيء طالما أنه يحصل على الكمأة. لكن لا بد من ضربه بعصا غليظة لإبعاده. وأنتما، يا أبنائي، لم تكونا سوى خنزيرين جشعين، وجدتما الفطر السام، وذهبتما في نوبة من الطمع والشهوة. لكنكما لن تحصلان إلا على القذارة، ولا كمأة لكما. ومع ذلك، ستذوقان عصا التأديب. لقد تمردتما عليّ، يا ولديّ، وانتهكتما سلطتي ومقامي. وصحة من يتمرد عليّ، عادةً، تتدهور بشكل عنيف. وهذه حقيقة أكدها علم الطب."

"لقد ألقت الفرقاطة أكيرونتيا مرساها في الميناء. أبحرت إلى هنا بناءً على أوامري، فأنا من استأجرت قبطانها. ستنعقد المحكمة صباح الغد، وسيصدر الحكم قبل الظهيرة. وعند الظهيرة، ستكونان أنتما الاثنان على متن السفينة. لن يُسمح لكما بالنزول إلا بعد أن تجتاز الفرقاطة المنارة عند بيكسي دي مار. وهذا يعني عمليًا أن موطنكما الجديد سيكون نازير أو إيبينغ أو مايخت أو حتى نيلفجارد. أو قد يكون نهاية العالم وبوابات الجحيم، إن شئتما السفر إلى هناك. إذ لن يُسمح لكما بالعودة إلى هذه الأراضي أبدًا إن كنتما ترغبان في الاحتفاظ برأسيكما فوق أكتافكما."

"هل تنوي نفيَنا؟" عوى زاندر غاضبًا. "كما نفيت فيراكساس؟ هل ستمنع أيضًا ذكر أسمائنا في البلاط؟"

"لقد نفيت فيراكساس في لحظة غضب وبدون محاكمة. لكن هذا لا يعني أنني لن أقطع رأسه إن تجرأ على العودة. أما أنتما، فستحكم المحكمة بنفيكما. قانونيًا وبشكل ملزم."

"هل أنت متأكد من ذلك؟ سنرى! سنرى ماذا ستقول المحكمة عن هذا الظلم!"

"المحكمة تعلم الحكم الذي أنتظره، وهذا هو الحكم الذي ستصدره. بالإجماع."

"كلا، لن يكون بالإجماع! المحاكم في هذا البلد مستقلة!"

"قد تكون المحاكم مستقلة. لكن القضاة ليسوا كذلك. أنت أحمق، يا زاندر. والدتك كانت غبية كجذع شجرة، وأنت ورثت عنها. بالتأكيد لم تخطط لمؤامرة القتل بنفسك، بل وضعها لك أحد المفضلين لديك. لكن في الحقيقة، أنا سعيد بذلك، فسأتخلص منك بكل سرور. أما الأمر مختلف مع إغموند، نعم، إغموند ماكر. أن يستأجر الويتشر المشعوذ القاتل لحماية والده، الابن الحنون الحريص على سلامة أبيه! يا لها من فكرة ماكرة! لكن من المؤسف أنك أخفيت ذلك سرًا ليعرفه الجميع لاحقًا. ثم يأتي السم الملامسي... شيء ماكر هذا السم، لأنه يتم تذوق طعامي وشرابي قبل أن أتناوله، لكن من كان سيفكر في مقبض الموقد في حجرة نوم الملك؟ الموقد الذي أستخدمه ولا أسمح لأي شخص بلمسه؟ ماكر، يا بني، ماكر. لكن من المؤسف أن من دس السم قد خانك، لكن هذا هو حال الخونة، الخونة يخونون بعضهم. لماذا لا تقول شيئًا، يا إغموند؟ ألا تملك ما تقوله؟"

ترجمة النص بدقة دون اختصار أو تلخيص:

كانت عينا إغموند باردتين، ولم تظهرا أي أثر للخوف. "لا يبدو أنه مرتاعٌ على الإطلاق من احتمال نفيه،" فكر جيرالت. "إنه لا يفكر في النفي أو الذهاب إلى المنفى، ولا يفكر في أكيرونتيا، ولا في بيكسي دي مار، إذاً فيمَ يفكر؟"

"ألا تملك شيئًا تقوله، يا بني؟" كرر الملك.

"شيءٌ واحد فقط،" قال إغموند بشفاهٍ مشدودة. "من الحكمة الشعبية التي تحبها كثيرًا: 'ليس هناك أحمقٌ كالأحمق العجوز.' تذكّر كلماتي، يا أبي العزيز، عندما يحين الوقت."

"خذوه بعيدًا، احبسوه وراقبوه،" أمر بيلوهون. "هذا هو عملك، يا فيرانت، عمل المحقق الملكي. والآن، استدعِ لي الخياط، وكبير البلاط، والكاتب، أما الباقون فليخرجوا.

وأنت، أيها الويتشر ... لقد تعلمت شيئًا اليوم، أليس كذلك؟ هل تعلمت شيئًا عن نفسك؟ أي أنك أحمق ساذج؟ إذا كنت قد فهمت ذلك، فسيكون هناك بعض الفائدة من زيارتك اليوم. زيارة انتهت للتو.

أيها الحراس، تعالا إلى هنا. اصطحبا هذا الويتشر إلى البوابة واطرداه من هنا. وتحققا أولًا من أنه لم يسرق أيًا من أدوات المائدة الفضية!"

* * *

وقف الكابتن روب في طريقهم في الممر خارج قاعة العرش، مصحوبًا برجلين لهما نفس النظرات والحركات والطريقة في الوقوف. كان جيرالت ليجازف برهانه على أن الثلاثة قد خدموا معًا في نفس الوحدة العسكرية من قبل.

وفجأة، فهم جيرالت. فجأة أدرك أنه يعرف ما على وشك الحدوث، وكيف ستتطور الأمور. لذا، لم يكن مفاجئًا له عندما أعلن روب أنه سيتولى مسؤولية الحراسة وأمر الحراس الآخرين بالمغادرة. كان جيرالت يعلم أن الكابتن سيأمره باتباعه. وكما توقع، كان الرجلان الآخران خلفه مباشرة.

كان لديه شعور مقلق حول من سيجد في الغرفة التي هم على وشك دخولها.

كان دانديليون شاحبًا كالشبح، وكان واضحًا أنه مرعوب، لكنه على الأرجح لم يتعرض للأذى. كان جالسًا على كرسي ذي مسند ظهر مرتفع. وخلف الكرسي، كان يقف رجل هزيل ذو شعر مسرح

ومجدول في ذيل حصان. كان الرجل يمسك بخنجر ميسريكورد ذو نصل طويل، ضيق، رباعي الجوانب. كان النصل مضغوطًا بإحكام أسفل فك الشاعر، مائلًا إلى الأعلى.

"لا تحاول أي حماقة،" حذر روب. "أي حركة طائشة، حتى مجرد ارتعاشة، وسيذبح السيد سامسا هذا المنشد كما يُذبح الخنزير. لن يتردد لحظة."

كان جيرالت يعرف أن السيد سامسا لن يتردد. لأن عينيه كانتا أكثر خبثًا حتى من عيني روب. لقد كانت عيونًا تحمل تعبيرًا محددًا للغاية. كان بإمكان المرء أن يصادف أشخاصًا بعيون كهذه أحيانًا في المشارح ومعامل التشريح. لم يكونوا يعملون هناك من أجل كسب العيش، بل للحصول على فرصة لإشباع رغباتهم المظلمة.

الآن فهم جيرالت سبب هدوء الأمير إغموند التام. ولماذا كان يحدق إلى الأمام بلا خوف. ولماذا تجرأ على التحديق في عيني والده مباشرة.

"نطلب منك أن تكون مطيعًا،" قال روب. "إذا أطعتنا، ستخرج أنت وهو حيَّيْن."

"افعل ما نطلبه منك وسنطلق سراحك أنت وذلك الشاعر التافه،" واصل الكابتن روب كذبه. "إذا حاولت عرقلة الأمر، سنقتلكما معًا."

"أنت ترتكب خطأً، يا روب."

"سيبقى السيد سامسا هنا مع المنشد،" قال روب، غير مكترثٍ بالتحذير. "أما نحن — أعني أنا وأنت — فسنذهب إلى غرف الملك. سيكون هناك حراس. لدي سيفك، كما ترى. سأعيده إليك، وستتكفل أنت بالحراس. وأيضًا بالتعزيزات التي سيستدعونها قبل أن تقتلهم جميعًا. عند سماع الضجة، سيقوم مساعد الملك بتهريبه عبر مخرج سري، وهناك سيكون السيد ريختر وتفردوروك في انتظاره. وسيقومان بتغيير ترتيب الخلافة الملكية والتاريخ السياسي لهذه المملكة الصغيرة."

"أنت ترتكب خطأً، يا روب."

"حسنًا،" قال الكابتن، مقتربًا جدًا منه. "الآن ستؤكد أنك قد فهمت المهمة وستنفذها. إن لم تفعل، سأبدأ العد حتى عشرة بصوت منخفض، وخلال ذلك، سيقوم السيد سامسا بثقب طبلة أذن الشاعر اليمنى. وإذا لم نحصل على النتيجة المرجوة، سأكمل العد، وعند الرقم التالي، سيقوم سامسا بثقب

الأذن الأخرى. ثم سيقتلع عين الشاعر. وهكذا، حتى النهاية الحتمية، والتي ستكون غرز الخنجر في دماغه. سأبدأ العد الآن، ويتشر."

"لا تستمع إليهم، جيرالت!" تمكن دانديليون من إصدار صوت رغم حلقه المشدود. "لن يجرؤوا على لمسي! أنا مشهور!"

"يبدو أنه لا يأخذنا على محمل الجد. السيد سامسا، الأذن اليمنى."

"توقف! لا!"

"هكذا أفضل،" أومأ روب برضا. "أفضل بكثير، ويتشر. أكد أنك قد فهمت المهمة. وأنك ستنفذها."

"أولًا، أبعد ذلك الخنجر عن أذن الشاعر."

"هاه،" ضحك السيد سامسا، رافعًا خنجره الطويل عاليًا فوق رأسه. "هل هذا أفضل؟"

"أفضل."

أمسكت يد جيرالت اليسرى بمعصم روب، بينما قبضت يده اليمنى على مقبض سيفه. جذب الكابتن نحوه بقوة هائلة، ثم نطحه برأسه بكل ما أوتي من قوة. سُمع صوت تحطم. انتزع الويتشر السيف من غمده قبل أن يسقط روب، وبحركة سلسة واحدة، خرجت من دوران قصير، قطع يد سامسا المرفوعة.

صرخ سامسا وسقط على ركبتيه. هجم ريختر وتفردوروك عليه بسكاكين مسحوبة، فتفادى جيرالت ضرباتهما وهو يدور بينهما. في أثناء ذلك، شق عنق ريختر بضربة واحدة، فانفجر الدم ليرتفع حتى ثريا السقف. قفز تفردوروك عليه بحركات مخادعة يستخدمها المحترفون في القتال بالسكاكين، لكنه تعثر بجسد روب الساقط، ففقد توازنه للحظة. لم يمنحه جيرالت فرصة للاستعادة. بطعنة سريعة، شقّه من الأسفل في منطقة الفخذ، ثم وجه ضربة ثانية من الأعلى إلى شريانه السباتي. سقط تفردوروك متكورًا على نفسه.

فاجأه السيد سامسا. رغم أنه كان بلا يده اليمنى، رغم أن الدم كان يتدفق بغزارة من الجذ ع المبتور، إلا أنه وجد الخنجر الطويل على الأرض بيده اليسرى. وصوّبه نحو دانديليون.

صرخ الشاعر، لكنه أظهر قدرًا لا بأس به من سرعة البديهة. ألقى بنفسه عن الكرسي، وجعل الكرسي حاجزًا بينه وبين مهاجمه.

لم يسمح له جيرالت بفعل المزيد. تناثرت الدماء مرة أخرى على السقف، والثريا، ونهايات الشموع المغروسة فيها.

نهض دانديليون من على ركبتيه، وأسند جبهته على الجدار، ثم تقيأ بغزارة، متناثرًا على الأرض.

اندفع فيرانت دو ليتنهوف إلى الغرفة برفقة عدة جنود.

"ما الذي يحدث؟ ماذا جرى؟ جوليان! هل أنت بخير؟ جوليان!"

رفع دانديليون يده، مشيرًا بأنه سيرد في لحظة، لأنه الآن منشغل بشيء آخر أكثر إلحاحًا. ثم تقيأ مرة أخرى.

أمر المُحقق الملكي الجنود بالمغادرة وأغلق الباب خلفهم. ثم نظر إلى الجثث بحذر، متجنبًا أن تطأ قدماه الدماء المسكوبة، ومتحريًا ألا تتساقط قطرات الدم المتسربة من الثريا على سترته المزدوجة.

"سامسا، تفردوروك، ريختر،" قال وهو يسرد الأسماء. "وقائد الفرقة الكابتن روب. جميعهم من المقرّبين إلى الأمير إيغموند."

"لقد نفذوا أوامرهم،" قال الويتشر وهو يهز كتفيه، ناظرًا إلى سيفه. "كما فعلت أنت، فقد أطعت أوامرك. وبالطبع لم تكن تعلم أي شيء عن ذلك. أكد ذلك، فيرانت."

"لم أكن أعلم أي شيء عن ذلك!" أسرع المحقق بتأكيد كلامه، متراجعًا إلى الخلف حتى أسند ظهره إلى الحائط. "أقسم! لا يمكنك الاشتباه بي ... لا يمكن أن تظن ..."

"لو كنت أظن ذلك، لكنت الآن ميتًا. أصدقك. فأنت لم تكن لتجازف بحياة دانديليون، في نهاية المطاف."

"علينا إبلاغ الملك. أخشى أن يكون لهذا تأثير على لائحة الاتهام الموجهة إلى الأمير إيغموند، مما يستدعي إضافات وتعديلات جديدة. روب لا يزال حيًا، أعتقد ... ربما يشهد ..."

"أشك في أنه سيكون في حالة تسمح له بذلك."

ألقى المحقق نظرة على روب، الذي كان ملقى على الأرض، ممددًا وسط بركة من البول، سال لعابه بغزارة، واهتز جسده بلا توقف.

"ما خطبه؟"

"شظايا من عظام الأنف اخترقت دماغه. وعلى الأرجح، عدة شظايا أخرى انغرست في مقلتي عينيه."

"لقد ضربته بقوة مفرطة."

"كان ذلك مقصودًا،" قال جيرالت وهو يمسح شفرة سيفه بمنديل أخذه من الطاولة. "دانديليون، كيف حالك؟ كل شيء على ما يرام؟ هل تستطيع الوقوف؟"

"أنا بخير، بخير!" تمتم دانديليون بصوت مضطرب. "أشعر بتحسن ... تحسن كبير ..."

"لا تبدو كشخص يشعر بتحسن."

"اللعنة، لقد نجوت بالكاد بحياتي!" قال الشاعر وهو ينهض متكئًا على خزانة. "تبًا، لم أشعر بمثل هذا الخوف من قبل ... شعرت أن أمعائي تتساقط من مؤخرتي! وأن كل شيء سيسقط مني، بما في ذلك أسناني! لكن عندما رأيتك، علمت أنك ستنقذني. أقصد، لم أكن متأكدًا، لكنني كنت أضع أملاً كبيرًا في ذلك ... يا لهذا الدم اللعين ... كيف تفوح منه رائحة كريهة هنا! أعتقد أنني سأستفرغ مجددًا ..."

"نحن ذاهبون إلى الملك،" قال فيرانت دي ليتينهوف. "أعطني سيفك، ويتشر ... ونظّفه قليلًا. أما أنت، جوليان، فابقَ هنا..."

"تبًا لذلك. لن أبقى هنا لحظة واحدة. أفضل البقاء قريبًا من جيرالت.

* * *

"كان مدخل الغرف الملكية الخارجية محروسًا من قبل الحرس، لكنهم عرفوا المحقق الملكي وسمحوا له بالمرور. لكن الدخول إلى الغرف الداخلية نفسها لم يكن بهذه السهولة. فقد شكل المُبشّر، واثنان من مُشرفي القصر، ومجموعة من الحراس المرافقين عقبة لا يمكن تجاوزها.

"الملك منشغل بقياس ملابسه لحفل الزفاف،" أعلن المبشر بلهجة رسمية. "وقد أصدر أوامر واضحة بعدم إزعاجه."

"لدينا أمر مهم وعاجل!"

"لقد أكد الملك بصرامة أنه لا يُراد إزعاجه. ثم إن السيد الويتشر كان قد تلقى أوامر بمغادرة القصر، فما الذي لا يزال يفعله هنا؟"

"سأشرح ذلك للملك. اسمح لنا بالدخول!"

دفع فيرانت المبشر بعيدًا، واندفع نحو المشرف، تبعه جيرالت. لكن لم يكن بوسعهما التقدم أكثر من عتبة الغرفة، حيث احتشد عدد من النبلاء والحاشية هناك. ومنعتهم مجموعة من الحراس الضخام، يرتدون دروعًا جلدية، من التقدم بناءً على أوامر المبشر. كانوا عنيفين إلى حد ما، لكن جيرالت اقتدى بالمحقق وتوقف عن المقاومة.

كان الملك واقفًا على كرسي منخفض، بينما كان الخياط، وهو يحمل دبابيس في فمه، يقوم بتعديل سروال الملك. وبجانب الملك، كان مشرف القصر واقفًا، ومعه رجل آخر يرتدي الأسود، على الأرجح كان كاتب العدل.

"بعد مراسم الزواج مباشرة،" قال بيلوهون، "سأعلن أن وريثي سيكون الابن الذي ستلده لي عروسي الصغيرة اليوم. ينبغي لهذا القرار أن يضمن لي رضاها وخضوعها، ها ها ها. كما أنه سيمنحني بعض الوقت والراحة. سيمر حوالي عشرين عامًا قبل أن يصل الصغير إلى السن التي يبدأ فيها بالتآمر."

"لكن، إذا أردتُ، يمكنني التراجع عن ذلك وتسمية شخص آخر تمامًا كخليفة لي." قال الملك مزمجرًا، ثم غمز لمشرف القصر. "في النهاية، إنه زواج غير متكافئ، وأبناء مثل هذه الزيجات لا يرثون الألقاب، أليس كذلك؟ ومن بإمكانه أن يتنبأ إلى متى سأتحملها؟ أليس هناك فتيات أخريات، أجمل وأصغر سناً في هذا العالم؟ سيكون من الضروري إعداد الوثائق المناسبة، اتفاق ما قبل الزواج أو شيء من هذا القبيل. تفاءل بالأفضل، لكن كن مستعدًا للأسوأ، ها ها ها."

ناول مسؤول الغرفة الملك صينية مكدسة بالجواهر.

"خذها بعيدًا." تجهم بيلوهون. "لن أُزيّن نفسي بهذه الحُليّ كأي مُتصنع أو طفيلي جديد. سأرتدي فقط هذا. إنه هدية من خطيبتي. صغير، لكنه أنيق. ميدالية تحمل شعار بلادي، يليق بي أن أرتدي رمز وطني."

"هذه كلماتها: شعار البلاد على صدري، وخير البلاد في قلبي."

مرّ بعض الوقت قبل أن يتمكن جيرالت، وهو واقف مستندًا إلى الجدار، من استيعاب المعنى الحقيقي لما سمعه.

القطة، وهي تربت على الميدالية بمخلبها. الميدالية الذهبية المتدلية على سلسلة. المينا الزرقاء، الدلفين.

.D'or, dauphin naiant d'azur, lorré, peantré, oreillé, barbé et crêté de gueules

دُور، دوفين نَيّان دَازور، لورّي، بيونتري، أوريي، باربي إيه كريتيه دو غول

كان الوقت قد فات للتحرك. لم يتمكن حتى من الصراخ أو إطلاق تحذير.

رأى السلسلة الذهبية تنقبض فجأة وتضيق حول عنق الملك كأنها طوق خانق.

احمرّ وجه بيلوهون، فتح فمه، لكنه لم يكن قادرًا على التنفس أو الصراخ. أمسك عنقه بكلتا يديه، محاولًا نزع الميدالية أو على الأقل إدخال أصابعه تحت السلسلة. لكنه لم يستطع، فقد غاصت السلسلة بعمق في لحمه.

سقط الملك من على الكرسي، وبدأ يتلوى ويتخبط، مصطدمًا بالخياط. ترنح الخياط مختنقًا، ربما ابتلع الدبابيس التي كان يمسكها بين شفتيه، فسقط على كاتب العدل، وسقط الاثنان معًا.

وفي هذه الأثناء، تحوّل لون بيلوهون إلى الأزرق، جحظت عيناه، ترنح على الأرض، رفَس بساقيه عدة مرات، ثم تصلب. وتوقف عن الحركة.

"النجدة! الملك انهار!"

"الطبيب!" صرخ مشرف القصر. "استدعوا الطبيب فورًا!"

"يا للآلهة! ماذا حدث؟ ماذا أصاب الملك؟"

"الطبيب! بسرعة!"

وضع فيرانت دي ليتنهوف يديه على جبهته. بدت على وجهه تعابير غريبة، تعابير رجل بدأ يستوعب ببطء ما حدث.

وُضع الملك على أريكة طويلة، وأخذ الطبيب وقتًا طويلًا في فحصه. ورغم أن جيرالت كان قريبًا، لم يُسمح له بالاقتراب أو المشاهدة. لكن حتى مع ذلك، كان يعلم أن السلسلة قد ارتخت بالفعل قبل وصول الطبيب.

"سكتة دماغية"، نطق الطبيب وهو يستقيم واقفًا. "تسببت بها الاختناق. تسربت أبخرة سيئة إلى الجسد وأفسدت الأمزجة (الإفرازات الحيوية). الحرارة الناجمة عن العواصف المستمرة هي السبب. العلم عاجز، لا يمكنني فعل شيء.

"ملكنا الطيب الكريم... قد فارق الحياة."

صرخ كبير أمناء البلاط، دافنًا وجهه بين يديه. أمسك المنادي بقبعته بكلتا يديه. بكى أحد الحاشية. وركع آخرون.

فجأة، دوَّت أصداء خطوات ثقيلة في الممر والردهة. وظهر في المدخل عملاق، رجل يبلغ طوله سبعة أقدام كاملة. كان يرتدي زيًّا لحرس القصر، لكنّه كان ذا رتبة عليا. وكان برفقته رجال يرتدون أوشحة على رؤوسهم وأقراطًا في آذانهم.

قال العملاق وسط الصمت:

"أيها السادة، عليكم التوجه إلى قاعة العرش. على الفور."

صرخ كبير أمناء البلاط بغضب:

"إلى قاعة العرش؟ ولماذا؟ هل تدرك، اللورد دي سانتيس، ما الذي حدث للتو؟ أي كارثة وقعت؟ ألا تفهم..."

"إلى قاعة العرش، بأمر من الملك."

"لكن الملك قد مات!"

"يعيش الملك. إلى قاعة العرش، رجاءً. جميعكم. فورًا."

كان هناك ما يقرب من اثني عشر رجلًا مجتمعين في قاعة العرش، تحت السقف المزخرف بلوحات لعرائس البحر، والخيول البحرية، والتريتونات. كان البعض يرتدي أوشحة ملوّنة، والبعض الآخر قبعات بحارة مزينة بأشرطة. جميعهم بدت على وجوههم ملامح البحر القاسية، وجميعهم كانوا يضعون أقراطًا.

مرتزقة. لم يكن من الصعب تخمين ذلك. إنهم طاقم فرقاطة آشيرونتيا.

على العرش الجاثم فوق المنصة، جلس رجل داكن الشعر، داكن العينين، بأنف بارز. بدا عليه أيضًا قسوة البحر. لكنه لم يكن يرتدي قرطًا.

إلى جانبه، جلست إلدِيكو بريكل على كرسي إضافي، لا تزال بفستانها الأبيض الثلجي، ولا تزال متألقة بالماس. خطيبة الملك السابقة كانت تحدق بالرجل داكن الشعر بنظرة مفعمة بالعبادة.

ظل جيرالت لبعض الوقت يتساءل عن مسار الأحداث، محاولًا استنتاج أسبابها، وربط الحقائق ببعضها. لكن في تلك اللحظة، حتى الشخص ذو الذكاء المحدود كان سيرى ويفهم أن إلدِيكو بريكل والرجل داكن الشعر يعرفان بعضهما جيدًا. منذ وقت طويل جدًا.

أعلن العملاق دي سانتيس بصوته الجهوري:

"الأمير فيراكساس، أمير كيراك، الذي كان قبل لحظات الوريث للعرش والتاج، هو الآن ملك كيراك، الحاكم الشرعي للبلاد."

كان كبير أمناء البلاط أول من انحنى، ثم جثا على ركبته. بعده، أدى المنادي التحية. تبعه الأمناء وهم ينحنون بانخفاض. وكان فيرانت دي ليتنهوف آخر من انحنى.

قال بوقار:

"صاحب السمو الملكي."

صحّحه فيراكساس قائلًا:

"لقب صاحب السمو يكفي في الوقت الحالي. سأحمل ألقابي كاملة بعد التتويج. وهو أمر لن نؤجله. فكلما أسرعنا كان ذلك أفضل، أليس كذلك، كبير الأمناء؟"

ساد الصمت. وحده صوت قرقرة معدة أحد الحاضرين كان مسموعًا.

قال فيراكساس:

"لقد توفي والدي المرحوم، وانضم إلى أسلافه الموقرين. وكما هو متوقع، تم اتهام كلا أخويَّ الأصغر بالخيانة. ستُجرى المحاكمة وفقًا لرغبة الملك الراحل، وسيتبين أن كلا الأخوين مذنبان، وسيغادران

كيراك إلى الأبد بناءً على حكم المحكمة. على متن الفرقاطة آكيرونتيا، التي استأجرتها أنا ... وأصدقائي وحلفائي الأقوياء.

أما بشأن الملك الراحل، فأنا أعلم أنه لم يترك وصية شرعية أو أي توجيهات رسمية بخصوص وراثة العرش. لو كانت هناك توجيهات كهذه، لكنت احترمتها. ولكن بما أنه لا وجود لها، فإن التاج، وفقًا لحق الوراثة، يخصني. فهل هناك أي شخص من الحاضرين هنا يرغب في الاعتراض على ذلك؟"

لم يجرؤ أحد من الحاضرين على ذلك. كان الجميع يمتلك ما يكفي من الفطنة وحس البقاء.

"إذن، أرجو البدء في التحضيرات للتتويج. فليتولى ذلك الأشخاص الذين تقع مسؤوليتهم في نطاق هذا الأمر. سيتم دمج التتويج مع زفافي. لأنني قررت إحياء العُرف القديم لملوك كيراك، وهو قانون سُنَّ قبل قرون. والذي ينص على أنه إذا توفي العريس قبل زفافه، فإن الخطيبة ستتزوج أقرب أقربائه غير المتزوجين."

إلدِيكو بريكل — وكما بدا من تعبيرها المتألق — كانت مستعدة تمامًا للامتثال لهذا العرف القديم في تلك اللحظة نفسها. أما الآخرون من الحاضرين، فقد ظلوا صامتين، دون شك يحاولون تذكُّر من الذي أصدر ذلك القانون، ومتى، وبأي مناسبة. بل والأهم: كيف يمكن أن يكون ذلك العرف قد سُنَّ قبل قرون، في حين أن مملكة كيراك لم يكن لها وجود منذ أكثر من مائة عام؟

لكن سرعان ما تلاشت التجاعيد على جباه الحاشية، إذ توصلوا جميعًا إلى الاستنتاج الصحيح، وبإجماع تام: رغم أن التتويج لم يحدث بعد، ورغم أنه لا يزال يُلقب بصاحب السمو فقط، فإن فيراكساس هو في الحقيقة الملك بالفعل ... والملك دائمًا على حق.

"اخرج من هنا، يا ويتشر،" همس فيرانت دي ليتنهوف وهو يدس سيف جيرالت في يده. "خذ جوليان معك. اختفيا، كلاكما. لم تريا شيئًا، ولم تسمعا شيئًا. لا تدعا أحدًا يربطكما بكل هذا."

"أنا أدرك..." مسح فيراكساس بنظره الحاضرين "...وأفهم أن الوضع قد يبدو لبعضكم هنا مذهلًا. وأن التغييرات بالنسبة لبعضكم تحدث بسرعة كبيرة ودون سابق إنذار، وأن الأحداث تتحرك بوتيرة أسرع مما يُتوقع. ولا أستبعد أن يكون الأمر بالنسبة للبعض من الحاضرين لا يسير وفقًا لما أرادوه، وأن الحالة الراهنة ليست على هواهم. العقيد دي سانتيس ألقى بثقله على الجانب الصحيح وأقسم لي بالولاء فورًا. وأنا أتوقع الشيء نفسه من جميع الحاضرين."

"لنبدأ بالخدم المخلصين لوالدي المرحوم." أشار إليهم بإيماءة من رأسه. "وكذلك منفذي أوامر أخي، الذي حاول الاعتداء على حياة والدي. سنبدأ بالمدعي الملكي، اللورد فيرانت دي ليتينهوف."

انحنى فيرانت احترامًا.

"ستخضع لتحقيق،" حذَّره فيراكساس. "سيكشف عن الدور الذي لعبته في مؤامرة الأميرَين. المؤامرة فشلت، وهو ما يجعل المتآمرين غير أكفاء. قد أغفر الأخطاء، ولكن لا أغفر عدم الكفاءة. ليس عندما يتعلق الأمر بالمدعي الملكي، الحارس على القانون. ولكن ذلك سيكون لاحقًا، لأننا سنبدأ بالأمور الجوهرية. اقترب، يا فيرانت. نرغب في أن تُثبت لنا ولاءك. نريدك أن تقدم فروض الولاء والطاعة لنا. أن تركع عند عرشنا. وتقبل يدنا الملكية."

تحرك فيرانت مطيعًا نحو المنصة.

"اخرج من هنا،" تمكن من الهمس مجددًا. "اختفِ بأسرع ما يمكنك، يا ويتشر."

* * *

كانت الحفلة في الحدائق على أشدها.

لاحظت ليتا نيد فورًا الدم على كم قميص جيرالت. كما لاحظته موزايك أيضًا، لكنها — على عكس ليتا — شحبت ملامحها.

التقط دانديليون كأسين من صينية خادم مارٍّ وابتلع أحدهما بعد الآخر في جرعة واحدة. ثم التقط كأسين إضافيين وعرضهما على السيدتين. رفضتا. فشرب واحدة وأعطى الأخرى على مضض إلى جيرالت.

حدقت كورال في الويتشر بعينين ضيقتين، واضحة التوتر.

"ما الذي يحدث؟"

"ستعرفين قريبًا."

دوى جرس الجرسية وبدأ يرن. كان قرعه شديد الكآبة، ثقيلًا، مهيبًا إلى درجة جعلت الضيوف يصمتون جميعًا.

صعد المارشال الملكي والمُنادي على المنصة التي تشبه المشانق.

"بحزن عميق وأسف بالغ،" قال المارشال وسط الصمت، "يؤسفني أن أبلغكم، أيها الضيوف الكرام، بأن الملك بيلوهون الأول، حاكمنا المحبوب، الطيب والعادل، قد وافته المنية فجأة. قُبض عليه بيد القدر الصارمة، وقد غادر هذه الحياة. ولكن ملوك كيراك لا يموتون! الملك قد مات، ليحيا الملك! ليحيا جلالته الملك فيراكساس! الابن البكر للملك الراحل، الوريث الشرعي للعرش والتاج! الملك فيراكساس الأول! فلنعلنه ثلاث مرات: ليحيا الملك! ليحيا الملك! ليحيا الملك!"

ارتفع صوت جوقة المتملقين والمنافقين وحارقي البخور مرددين الهتاف. هدَّأهم المارشال الملكي بإشارة من يده.

"الملك فيراكساس غارق في الحداد، كما هو حال البلاط الملكي بأسره. تم إلغاء الوليمة، ويُطلب من الضيوف مغادرة القصر والحدائق. يخطط الملك لإقامة زفافه قريبًا، وعندها ستُعاد الوليمة. ولئلا تُهدر المؤن، أمر الملك بنقلها إلى المدينة ووضعها في الساحة العامة. سيتم أيضًا تقاسم المؤن مع أهالي بالميرا. زمن السعادة والرخاء قادم إلى كيراك!"

"يا للعجب،" أعلنت كورال وهي تعدّل شعرها. "هناك الكثير من الحقيقة في القول بأن وفاة العريس قادرة على إحداث اضطراب خطير في احتفالات الزفاف. لم يكن بيلوهون بلا عيوب، لكنه لم يكن الأسوأ بين الملوك. فليرقد بسلام، ولتكن الأرض خفيفة عليه. لنرحل من هنا. على أي حال، بدأ الأمر يصبح مملًا. وبما أن اليوم جميل، فلنتمشى على المدرجات ونتأمل البحر. شاعر، كن لطيفًا وقدم ذراعك لتلميذتي. سأمشي مع جيرالت. لأنه، على ما أظن، لديه شيء ليخبرني به."

كان لا يزال الوقت مبكرًا بعد الظهيرة. كان من الصعب تصديق أن كل هذا قد حدث في مثل هذا الوقت القصير.

الفصل التاسع عشر

"هيه! انظر!" قال دانديليون فجأة. "جرذ!"

لم يبدُ على جيرالت أي رد فعل. كان يعرف الشاعر جيدًا ويعلم أنه يميل إلى الخوف من أي شيء تافه، أو الافتتان بأي شيء عادي، وكان يبحث عن الإثارة حتى في أمور لا تستحق الالتفات إليها.

"جرذ!" كرر دانديليون، غير مستسلم. "أوه، آخر! ثالث! رابع! تبًا! جيرالت، انظر."

تنهد جيرالت ونظر.

عند سفح الجرف أسفل المدرج، كانت الأرض تعج بالجرذان. كان التراب بين بالميرا والتل ينبض بالحركة، يتماوج، يندفع ويصدر أصوات صرير. مئات — وربما آلاف — القوارض كانت تفر من منطقة المرفأ ومصب النهر، متجهة صعودًا نحو التل، بمحاذاة السور، إلى التلال وبين الأشجار. لاحظ المارة الآخرون هذه الظاهرة أيضًا، وارتفعت صرخات الدهشة والخوف من كل جانب.

"الجرذان تهرب من بالميرا والمرفأ لأنها مذعورة!" أعلن دانديليون. "أعتقد أنني أعرف السبب. من المؤكد أن سفينة مليئة بصائدي الجرذان قد رست على الرصيف."

لم يشعر أحد بالرغبة في التعليق. مسح جيرالت العرق عن جفنيه. كان الجو خانقًا، والهواء الحار يصعّب التنفس. رفع بصره إلى السماء، التي كانت صافية تمامًا، خالية من أي غيمة.

"هناك عاصفة قادمة،" قالت ليتا، معبرة عما كان يفكر فيه بنفسه. "عاصفة هائلة. الجرذان تستطيع استشعارها. وأنا أيضًا أستطيع ذلك. أشعر بها في الهواء."

وأنا كذلك، فكر الساحر.

"عاصفة،" كررت كورال. "عاصفة آتية من البحر."

"ما الذي تعنينه بعاصفة؟" قال دانديليون، ملوحًا بقبعته ليهوي على وجهه بعض الهواء. "ليس هناك أي عاصفة! الطقس يبدو جميلاً كلوحة فنية، والسماء صافية، لا أثر لأي نسيم. خسارة، كنا بحاجة إلى نسمة هواء باردة في هذا الحر. نسيم البحر..."

بدأت الرياح تهب قبل أن ينهي جملته. حملت نسمة خفيفة رائحة البحر. كانت منعشة، وجلبت شعورًا ممتعًا بالراحة. لكنها سرعان ما اشتدت. تحركت الرايات على الصواري — التي كانت قبل لحظات تتدلى مترهلة وبائسة — وارتفعت ترفرف في الهواء.

أظلمت السماء فوق الأفق. ازدادت قوة الريح. تحول الأنين الخافت إلى هدير، ثم تحول الهدير إلى صفير.

بدأت الرايات على الصواري ترفرف بعنف، وصاحت دوارات الرياح فوق الأسطح والأبراج، بينما احتكت مداخن الصفيح ببعضها وأصدرت أصواتًا صاخبة. ارتطمت المصاريع بالنوافذ بقوة. وارتفعت سحب من الغبار في الهواء.

أمسك دانديليون بقبعته بكلتا يديه في اللحظة الأخيرة، مانعًا الريح من انتزاعها.

قبضت موزاييك على ثوبها، حيث رفعته عاصفة مفاجئة من الريح، حتى كاد الشيفون الخفيف يكشف عن ساقيها حتى الوركين. وقبل أن تتمكن من السيطرة على القماش المتطاير، كان جيرالت قد حظي بمشهد ممتع لساقيها. رأت أنه كان ينظر. فأبقت عينيها عليه.

"عاصفة ..." كان على كورال أن تدير وجهها كي تتمكن من الكلام. كانت الريح تهب بقوة شديدة لدرجة أنها طغت على كلماتها. "عاصفة! هناك عاصفة قادمة!"

"يا للآلهة!" صرخ دانديليون، رغم أنه لم يكن يؤمن بأي منها. "يا للآلهة! ما الذي يحدث؟ هل هذه نهاية العالم؟"

أظلمت السماء بسرعة. وتحول الأفق من أزرق داكن إلى سواد حالك.

اشتدت الريح، صارخة بصوت جهنمي.

هياج البحر في المرسى خلف الرأس البحري، وتكسرت الأمواج على حاجز الأمواج، وتناثرت رغوة بيضاء. تعاظم صوت ارتطام الأمواج. وساد ظلام أشبه بظلمة الليل.

حدثت جلبة بين السفن الراسية في الميناء. عدة سفن — من بينها السفينة البريدية إيكو وسفينة الشونر النوفجرادية باندورا بارفي — رفعت أشرعتها على عجل، مستعدة للانطلاق إلى عرض البحر. أما بقية السفن، فقد أسقطت أشرعتها وبقيت راسية في مكانها.

تذكر جيرالت بعضها، فقد كان قد رآها من شرفة كورال في الفيلا. ألكي، سفينة كوج من سيداريس. فوشيا، لكنه لم يتذكر من أين أتت. وسفن الجاليون: فخر سينترا تحت راية تحمل صليبًا أزرق. السفينة ذات الثلاثة صواري فيرتيغو القادمة من لان إكسيتر. السفينة ريدانية ألباتروس: بطول مئة وعشرين قدمًا من المقدمة إلى المؤخرة. وأخرى عديدة. ومن بينها الفرقاطة أكيرونتيا تحت أشرعة سوداء.

لم يكن الريح يصفر الآن. بل كان يعوي. رأى جيرالت أول سقف قشّي في حي بالميرا وهو يقتلع من مكانه ويتحطم في الهواء. تبعه سقف ثانٍ بعد فترة وجيزة. ثم ثالث. ثم رابع. والريح كانت تزداد قوة. أصبح رفرف الأعلام ضوضاء مستمرة، وارتطمت المصاريع، وتطايرت البلاط والمزاريب، وانهارت المداخن، وتحطمت أصص الزهور على الحجارة المرصوفة. قرع الجرس في برج الجرس، الذي حركته العاصفة، بصوت متقطع، قلق، ونذير شؤم.

واستمرت العاصفة تعصف، تزداد عنفًا أكثر فأكثر. وتدفع بموجات أكبر وأكبر نحو الشاطئ. تصاعد دوي ارتطام الأمواج، يزداد قوة أكثر وأكثر. وسرعان ما توقف عن كونه مجرد دوي. تحول إلى قصف رتيب وغامض، أشبه بدقات آلة جحيمية. تضخمت الأمواج، وارتطمت اللفائف المتوجة بالرغوة البيضاء بالشاطئ. اهتزت الأرض تحت أقدام الناس. وتعالت عواءات العاصفة.

لم تستطع إيكو وباندورا بارفي الفرار. عادت إلى الميناء وألقت مراسيها.

تعالت صيحات الرعب والدهشة من الناس المتجمعين على المدرجات، تزايدت حدتها شيئًا فشيئًا. وأشارت الأيدي الممدودة نحو البحر.

كان البحر كله موجة واحدة. جدار مائي هائل. يبدو أنه يرتفع حتى يصل إلى ارتفاع صواري سفن الجاليون.

قبضت كورال على ذراع جيرالت بقوة. قالت شيئًا، أو بالأحرى، حاولت أن تتحدث، لكن العاصفة ابتلعت كلماتها بفعالية.

"... الإبتعاد! جيرالت! علينا أن نبتعد من هنا!"

انقضّت الموجة على الميناء. تعالت صرخات الناس. تحطم الرصيف الخشبي وتفتت تحت وطأة الكتلة الهائلة من الماء، فتطايرت الأعمدة والألواح في الهواء. انهارت الأرصفة، وتحطمت الرافعات

وسقطت أرضًا. قُذفت القوارب والمراكب الراسية عند الرصيف إلى الهواء مثل لعب الأطفال، مثل قوارب من اللحاء يطلقها الصبية في المزاريب. أما الأكواخ والأكشاك القريبة من الشاطئ، فقد جرفتها المياه بالكامل دون أن تترك أثرًا.

اندفعت الموجة إلى مصب النهر، محولةً إياه فورًا إلى دوامة جهنمية.

كانت حشود الناس تفرّ من بالميرا، التي أصبحت الآن تحت الماء، حيث ركض معظمهم باتجاه المدينة العليا ومقر الحراسة، ونجوا بحياتهم. بينما اختار آخرون الفرار عبر ضفة النهر. رأى جيرالت كيف ابتلعتهم المياه.

"موجة أخرى!" صرخ دانديليون. "موجة أخرى!"

كان محقًا، فقد جاءت موجة أخرى. ثم ثالثة. ثم رابعة. ثم خامسة. وسادسة.

جدران مائية هائلة تدفقت إلى الميناء والمرفأ.

ارتطمت الأمواج بالسفن الراسية بقوة هائلة، فتأرجحت بشكل محموم. رأى جيرالت رجالًا يسقطون من الأسطح إلى البحر.

السفن التي كانت قد وجهت أنوفها نحو الريح قاومت بشجاعة. لبعض الوقت.

لكنها فقدت صواريها واحدًا تلو الآخر. ثم بدأت الأمواج تغمرها. كانت تبتلعها الرغوة، ثم تعاود الظهور، ثم تبتلعها مجددًا.

كانت السفينة البريدية إيكو أول من لم يعاود الظهور. لقد اختفت تمامًا، وكأنها لم تكن.

بعد لحظات، لقيت فوشيا نفس المصير؛ السفينة الجاليون تحطمت بالكامل.

تمزقت سلسلة مرساة ألكي المشدودة، فمزقت بدنها، واختفت السفينة في الأعماق في لحظة. تحطم مقدمة ألباتروس وسطحها العلوي تحت ضغط المياه، ثم غرقت بقاياها إلى القاع كحجر.

أما فيرتيغو، فقد اقتُلِع مرساها، فارتفعت الجاليون على قمة موجة هائلة، ثم دارت حول نفسها بعنف، قبل أن تتحطم تمامًا على الحاجز البحري.

رفعت سفن أكيرونتيا، فخر سينترا، باندورا بارفي، وسفينتان جاليون لم يتمكن جيرالت من التعرف عليهما مراسيها، وحملتها الأمواج نحو الشاطئ. كانت هذه المناورة تبدو وكأنها تصرف يائس وانتحاري، إلا أن القباطنة اضطروا إلى الاختيار بين الهلاك المؤكد في الخليج أو المحاولة الخطرة للإبحار نحو مصب النهر.

لم يكن لدى السفينتين الجاليون المجهولتين أي فرصة. لم يتمكن أي منهما من الاصطفاف بشكل صحيح، فارتطمتا بالرصيف وتحطمتا تمامًا.

فقدت فخر سينترا وأكيرونتيا القدرة على المناورة أيضًا. اصطدمتا ببعضهما البعض وتشابكتا، ثم قذفتهما الأمواج إلى الرصيف، فتمزقتا إلى أشلاء، وجرفت المياه حطامهما.

أما باندورا بارفي، فقد قفزت وتراقصت فوق الأمواج مثل الدولفين. لكنها حافظت على مسارها، متجهة مباشرة نحو مصب نهر أدالات، الذي كان هائجًا مثل مرجل يغلي.

سمع جيرالت صرخات الناس وهم يهتفون للقائد، مشجعينه على الاستمرار.

صرخت كورال، مشيرة بيدها.

كانت الموجة السابعة قادمة.

قدر جيرالت أن الموجات السابقة، التي وصلت إلى مستوى صواري السفن، بلغ ارتفاعها حوالي خمسة أو ستة قامات، أي ثلاثين إلى أربعين قدمًا. أما الموجة التي كانت تقترب الآن، حجبًا للسماء، فقد كانت ضعف ذلك الارتفاع.

بدأ الناس الفارّون من بالميرا، المتجمعون عند مقر الحراسة، بالصراخ.

عصفت بهم الرياح العاتية، وطرحتهم أرضًا، وثبتتهم على السياج الخشبي.

ارتطمت الموجة العاتية ببالميرا، وسحقتها تمامًا، محوها عن وجه الأرض.

وصلت المياه إلى السياج في لحظة، وابتلعت الناس المتجمعين هناك.

سقطت كتل الأخشاب الضخمة التي كانت تحملها المياه على السياج، فحطمت الأوتاد. انهار مقر الحراسة وجرفته المياه بعيدًا.

اصطدمت القوة الجبارة للبحر بالمنحدر. اهتز التل بعنف لدرجة أن دانديليون وموزابييك سقطا أرضًا، وكاد جيرالت أن يفقد توازنه بصعوبة بالغة.

"يجب أن نهرب!" صرخت كورال، متشبثة بدرابزين الشرفة. "جيرالت! علينا مغادرة المكان! المزيد من الموجات قادمة!"

اجتاحتهم موجة أخرى، غمرتهم تمامًا.

أولئك الذين لم يهربوا من التراس سابقًا فعلوا ذلك الآن، وهم يصرخون، يفرون إلى أعلى التل، متجهين نحو القصر الملكي.

لكن بعضهم بقي في مكانه.

تمكن جيرالت من التعرف على رافينغا وأنتيا ديريس بين الواقفين.

تعالت صرخات الناس، وأشاروا بأصابعهم.

على اليسار، كانت الأمواج تجرف المنحدر أسفل منطقة الفلل.

انهارت أول فيلا كأنها بيت من ورق وانزلقت أسفل السفح، مباشرة إلى الدوامة الجهنمية.

ثم تبعتها فيلا ثانية، ثم ثالثة، ثم رابعة.

"المدينة تنهار!" عوى دانديليون في رعب. "إنها تتفكك!"

ليتا نيد رفعت ذراعيها، تلت تعويذة، ثم اختفت.

موزابييك أمسكت بذراع جيرالت بشدة، بينما صاح دانديليون.

كانت المياه تحتهم مباشرة، أسفل الشرفة. وكان هناك أناس وسط المياه.

كان البعض يُسارع إلى إنقاذ الغرقى، يستخدمون العصي وخطافات القوارب، ويرمون الحبال لانتشالهم من الماء.

ليس بعيدًا عنهم، قفز رجل قوي البنية إلى الدوامة، وبدأ يسبح لإنقاذ امرأة كانت تغرق.

صرخت موزابييك.

لقد رأت جزءًا من سقف كوخ يطفو وسط الحطام، وعليه بعض الأطفال متشبثين به.

ثلاثة أطفال.

جيرالت نزع سيفه عن ظهره، ومدّه نحو دانديليون:

"أمسكه جيدًا!"

ثم خلع سترته وقفز في المياه.

لم يكن السباحة أمرًا طبيعيًا في ذلك الوضع، مهاراته المعتادة لم تكن مجدية وسط هذه الفوضى.

الأمواج كانت تلقي به صعودًا وهبوطًا، تدفعه جانبًا، وتضربه بالأخشاب والعوارض والأثاث الذي كان يدور في الدوامة الجهنمية.

كانت كتل الأخشاب التي تضربه تهدده بالسحق تمامًا.

وعندما تمكن أخيرًا من السباحة والوصول إلى السقف الطافي، كان قد أصيب بكدمات وجروح عديدة بالفعل.

كان السقف يهتز ويتمايل في المياه مثل دوامة تدور بلا توقف.

كان الأطفال يصرخون بصوت مرتفع وبطبقات مختلفة من الرعب.

"ثلاثة أطفال." فكر جيرالت.

"لا يمكنني حمل الثلاثة جميعهم."

شعر بكتف آخر بجانبه.

"اثنين!" بصقت أنتيا ديريس الماء، وأمسكت بأحد الأطفال. "خذ اثنين!"

لم يكن الأمر بهذه البساطة.

حاول نزع الطفل الصغير عن السقف، ثم أمسكه بإحكام تحت أحد ذراعيه.

أما الطفلة الصغيرة الأخرى، فقد كانت تتشبث بالأخشاب بقبضة من حديد، متمسكة بحياتها بكل قوتها، وكان على جيرالت أن يقاتل لفتح أصابعها.

الأمواج العاتية التي غمرتهم، وأغرقتهم تمامًا، ساعدته في النهاية.

كادت الفتاة الصغيرة أن تغرق بالفعل، وعندما أطلقت السقف أخيرًا، أمسكها جيرالت بسرعة، ووضعها تحت ذراعه الأخرى.

وفجأة، بدأ الثلاثة في الغرق.

بدأ الأطفال يصدرون أصوات اختناق، ويتخبطون في الذعر.

وجيرالت كان يقاتل للبقاء على السطح.

لم يكن يدري كيف، لكنه عاد إلى سطح الماء.

أطاحت به موجة قوية نحو جدار الشرفة، ضاربةً الهواء خارج رئتيه.

لكنه لم يُفلِت الأطفال.

كان الناس فوقه يصرخون، يحاولون مساعدته، يمدون أيديهم بكل ما يمكنهم الإمساك به. لكن بلا جدوى.

الدوامة اختطفتهم، وسحبتهم بعيدًا.

ثم اصطدم بجسد آخر.

كانت "أنتيا ديريس"، تحمل الطفلة بين ذراعيها.

كانت تقاوم، لكنه رأى أنها مرهقة تمامًا، تكافح بصعوبة لإبقاء رأسها ورأس الطفلة فوق سطح الماء.

سمع صوت ارتطام بالماء، وصوت تنفس متقطع.

كانت "موزابيك".

مزقت أحد الأطفال من ذراعي "جيرالت"، ثم سبحت مبتعدة.

رآها "جيرالت" تُضرَب بعوارض خشبية ضخمة جرفتها الأمواج.

صرخت، لكنها لم تترك الطفل.

قذفتهم الأمواج مرة أخرى نحو جدار الشرفة.

لكن هذه المرة، كان الناس مستعدين، وقد جلبوا حتى سلّمًا، وتعلقوا به، مادّين أيديهم.

رفعوا الأطفال واحدًا تلو الآخر.

رأى "جيرالت" "دانديليون" يمسك ب"موزاييك" ويسحبها إلى سطح الشرفة.

"أنتيا ديريس" نظرت إليه.

كانت تمتلك عينين جميلتين.

ابتسمت له.

ثم ضربتهم كتل الأخشاب الضخمة — أوتاد ثقيلة من السياج الخشبي — التي حملتها الموجة العاتية.

إحدى الأوتاد اخترقت جسد "أنتيا ديريس"، وسحقتها بقوة ضد الشرفة.

سعلت دمًا. كثيرًا من الدم.

ثم تدلى رأسها على صدرها، واختفت تحت الأمواج.

أما "جيرالت"، فقد أصابه وتدان: واحد في كتفه، والآخر في وركه.

كان الاصطدام عنيفًا لدرجة أنه شلّه تمامًا، وجعله يشعر بخدر كامل في لحظة واحدة.

اختنق بالماء، وبدأ يغرق.

شعر بقبضةٍ مؤلمةٍ من حديد تُمسكه، تجذبه بقوة نحو الأعلى، نحو السطح، نحو الضوء.

تلمّس من حوله، ووجد عضلة ذات رأسين صلبة كالصخر.

كان المُنقذ يضرب الماء بساقيه بقوة، يشقّ طريقه وسط الطوفان مثل "ترايتون"،

يدفع بعيدًا الأخشاب الطافية، والجثث الغارقة التي كانت تتقاذفها الدوامة.

خرج "جيرالت" إلى السطح تمامًا بجانب الشرفة.

تعالت الهتافات والصيحات من فوق. أيدٍ امتدت نحوه.

وبعد لحظات، كان "جيرالت" مستلقيًا في بركة ماء، يسعل، يلهث، ويتقيأ على أرضية الشرفة.

ركع "دانديليون" بجانبه، شاحبًا كالشبح.

وكانت "موزاييك" على جانبه الآخر، وجهها شاحبٌ أيضًا، لكنها كانت ترتجف ويداها ترتعشان.

جلس "جيرالت" بصعوبة.

"أنتيا؟"

هز "دانديليون" رأسه ونظر بعيدًا. خفضت "موزاييك" رأسها نحو حجرها.

رآها تبكي، ارتجاف كتفيها كان يكشف عن شهقاتها الصامتة.

كان مُنقذه جالسًا بجانبه. العملاق.

أو بالأحرى، العملاقة.

الرأس المحلوق، تغطيه شعيرات خشنة غير مهذبة.

بطن ضخمة مشدودة كقطعة لحم مشوي، ملفوفة بشبكةٍ رقيقة.

أكتافٌ عريضة كأكتاف مصارع.

سيقانٌ قوية، كأنها تعود لرامية قرص أولمبية.

"أنا مدينٌ لك بحياتي."

"لا تكن عاطفيًا ..." قالت قائدة الحرس، ملوحةً بيدها بازدراء. "انسَ الأمر. وعلى أي حال، أنت أحمق، وأنا والبنات غاضبات منك بسبب الفوضى التي سببتها. لذا، من الأفضل لك أن تبتعد عنّا، وإلا ستنال عقابًا قاسيًا. هل هذا واضح؟"

"بكل وضوح."

"لكن عليّ أن أعترف،" قالت قائدة الحرس، وهي تتنحنح بقوة وتهز الماء من أذنها، "أنك أحمقٌ شجاع. أحمقٌ شجاع، يا جيرالت من ريفيا."

"وماذا عنكِ؟ ما اسمك؟"

"فيوليتا،" قالت قائدة الحرس، وفجأة اكتسى وجهها بالكآبة. "وماذا عنها؟ تلك ..."

"أنتيا ديريس."

"أنتيا ديريس،" كررت، وهي تزم شفتيها. "مؤسف."

"مؤسف."

بدأ المزيد من الناس يتوافدون إلى الشرفة، وازدحم المكان. لقد زال الخطر، وأشرقت السماء، وهدأت العاصفة، وعادت الرايات لتتدلى هامدة. البحر أصبح هادئًا، وتراجع الماء. لكنه خلّف وراءه دمارًا وفوضى ... وجثثًا كانت السرطانات تزحف فوقها بالفعل.

وقف "جيرالت" بصعوبة، كل حركة، كل نفس، كان يعيد إليه ألمًا نابضًا في جانبه. كانت ركبته تؤلمه بشدة. كمّاه قد تمزقا تمامًا، ولم يستطع تذكر متى فقدهما بالضبط. كان الجلد على كوعه الأيسر وكتفه الأيمن، وربما لوحه الكتفي، متآكلًا حتى العظم. وكان ينزف من جروح سطحية عديدة.

لكن في نهاية الأمر، لم يكن هناك شيء خطير. لا شيء يدعو للقلق.

شقَّت الشمس طريقها عبر الغيوم، وألقت أشعتها المتألقة على البحر الذي بدأ يهدأ. كان سطح المنارة عند نهاية الرأس البحري يتلألأ تحت الضوء، تلك المنارة المبنية من الطوب الأحمر والأبيض، إحدى بقايا الزمن الإلفي. بقايا صمدت أمام العديد من العواصف مثل هذه. وستصمد أمام المزيد منها، على ما يبدو.

أبحرت السفينة الشراعية "باندورا بارفي"، بعد أن اجتازت مصب النهر — الذي أصبح الآن هادئًا رغم ازدحامه بالحطام الطافي — إلى عرض البحر بكامل شراعها، كما لو كانت تشارك في سباق بحري. تعالت هتافات الحشود.

مدَّ جيرالت يده لمساعدة موزايك على الوقوف. لم يتبقَّ الكثير من ملابسها، هي الأخرى. منحها دانديليون عباءته لتستر نفسها، ثم تنحنح بمعنى واضح.

كانت "ليتا نيد" تقف أمامهم. تحمل حقيبة طبها على كتفها.

"لقد عدتُ،" قالت، وهي تنظر إلى الويتشر.

"لا، لم تعودي،" أجابها ببرود. "بل رحلتِ."

حدَّقت فيه، بعينين باردتين، غريبتين. ثم سرعان ما حولت بصرها إلى شيء بعيد جدًا، بعيد جدًا عن كتف جيرالت الأيمن.

"هكذا إذن تريد أن تنهي الأمر،" قالت بصوت هادئ، خالٍ من أي انفعال. "وتترك ذكرى كهذه. حسنًا، هو اختيارك، إرادتك. رغم أنك ربما كنتَ تستطيع انتقاء أسلوب أقل تعاليًا."

"وداعًا إذن. سأذهب لمساعدة الجرحى والمحتاجين. أنتَ — كما هو واضح — لا تحتاج لمساعدتي. ولا تحتاج إليَّ."

"موزاييك!"

هزَّت موزاييك رأسها، ثم تشبثت بذراع جيرالت.

قهقهت كورال ساخرة.

"هكذا إذن؟ هذا ما تريد؟ بهذه الطريقة؟ حسنًا، هو اختيارك. إرادتك. وداعًا."

استدارت، ومضت في طريقها.

* * *

ظهر "فيبوس رافينغا" وسط الحشد الذي بدأ يتجمع على الشرفة. لا بد أنه شارك في عمليات الإنقاذ، فقد كانت ملابسه المبللة ممزقة ومعلقة عليه كالأسمال البالية. اقترب منه معاون منتبه، وناول له قبعته. أو بالأحرى، ما تبقى منها.

"وماذا الآن؟" نادى صوت من بين الحشد. "ماذا الآن، أيها المستشار؟"

"ماذا الآن؟ ماذا علينا أن نفعل؟"

نظر إليهم "رافينغا" مطولًا. ثم استقام، وعصر قبعته، ووضعها على رأسه.

"ادفنوا الموتى، واعتنوا بالأحياء. وابدأوا بإعادة البناء."

* * *

دقَّ جرس الجرسية. وكأنه أراد أن يؤكد أنه قد نجا. وأنه رغم تغير الكثير من الأمور، تظل بعض الأشياء ثابتة لا تتغير.

"لنذهب،" قال "جيرالت"، وهو يسحب بعض الأعشاب البحرية الرطبة من طوقه. "داندي‌ليون؟ أين سيفي؟"

اختنق "داندي‌ليون" وهو يشير إلى بقعة فارغة عند أسفل الجدار.

"قبل لحظة ... لقد كانا هنا قبل لحظة! سيفك وسترتك! لقد سُرقا! اللعنة على الأوغاد! لقد سرقوهما! أيها الوغد هناك! كان هناك سيف هنا! أعده فورًا! هيا! أيها السفلة! تبًّا لكم!"

شعر "جيرالت" فجأة بوهن شديد. أمسكت به "موزايك" لتمنعه من السقوط. "لا بد أن حالتي سيئة،" فكّر. "لابد أنها سيئة للغاية إذا كانت فتاة مضطرة إلى إسنادي."

"لقد اكتفيت من هذه المدينة،" قال. "اكتفيت من كل ما هي عليه ... وكل ما تمثله. فلنرحل من هنا. بأسرع ما يمكن. وبأبعد ما يمكن."

فاصل

(بعد اثني عشر يومًا)

كان صوت تدفق الماء في النافورة خافتًا، وحوضها يفوح برائحة الحجر الرطب. امتزج عبير الزهور المتفتحة مع رائحة اللبلاب المتسلق جدران الباحة، ومع عبق التفاح في الصحن الموضوع على الطاولة الرخامية. على سطح كأسين من النبيذ المبرد، تناثرت حبيبات ندى صغيرة.

جلست امرأتان إلى الطاولة. ساحرتان. لو صادف وجود شخص ذو حس فني مرهف في الجوار، يمتلك خيالًا تصويريًا وشغفًا بالاستعارات الشعرية، لما وجد صعوبة في رسم ملامحهما. كانت ليتّا نايد، بشعرها الناري المتوهج، مرتدية ثوبًا قرمزيًا وأخضر، كمشهد لغروب شمس في شهر سبتمبر. أما ينيفر من فينغيربيرج، بشعرها الأسود، مرتدية مزيجًا من الأسود والأبيض، فبدت كصباحٍ بارد من شهر ديسمبر.

"معظم الفلل المجاورة قد انهارت وسقطت أنقاضها عند أسفل الجرف،" قالت ينيفر، قاطعة الصمت. "لكن فيلتكِ بقيت سليمة. لم تفقدي حتى بلاطة واحدة من السقف. يبدو أنكِ امرأة محظوظة. أنصحكِ بشراء تذكرة يانصيب."

"الكهنة لن يسمّوا ذلك حظًا،" ابتسمت ليتّا نايد. "بل سيقولون إنه حماية من الآلهة والقوى السماوية. فالآلهة تحمي الأبرار وتحفظ الصالحين. وتجزي الخير والفضيلة."

"بالفعل. تجزي الخير ... إن أرادت وكانت بالقرب. في صحتكِ، يا صديقتي."

"وفي صحتكِ، يا صديقتي."

التفتت ليتّا لتنادي: "موزاييك! أعيدي ملء كأس السيدة ينيفر، فقد فرغ تمامًا."

تقدمت موزايك بهدوء، بينما تابعت ليتّا حديثها، متأملة خطواتها.

"بالنسبة للفيلا ... فهي معروضة للبيع. سأبيعها، لأنني ... لأنني مضطرة للرحيل. لم يعد الطقس في كيراك يناسبني."

رفعت ينيفر حاجبًا باستفسار، لكن ليتّا لم تتركها تنتظر طويلًا.

"لأنني لم أعد أحتمل هذا المكان بعد الآن."

قالتها بصوت هادئ، وهي تحدق في انعكاس الضوء على سطح النبيذ في كأسها.

"لا يمكنني البقاء هنا، حيث كل شيء يذكرني به. بحماقتي، بسذاجتي ... بلحظة كنت فيها ضعيفة."

تأملت ينيفر ملامحها للحظة قبل أن تضع كأسها على الطاولة برفق.

"جرح لم يلتئم بعد؟"

"بل لن يلتئم أبدًا."

"لقد بدأ الملك فيراكساس عهده بقرارات ملكية بحق" قالت ليتّا نايد بنبرة ساخرة بالكاد مسموعة. "أولًا: تم إعلان يوم تتويجه عطلة رسمية في مملكة كيراك. ثانيًا: تم إعلان عفو عام ... ولكن فقط عن المجرمين، بينما يظل السجناء السياسيون قابعين في الزنازين دون أي حق في الزيارة أو المراسلة. ثالثًا: تم مضاعفة رسوم الجمارك والموانئ بنسبة مائة بالمائة. رابعًا: يتوجب على جميع غير البشر والمقيمين الذين يُعتقد أنهم يضرون بالاقتصاد الوطني ويسلبون فرص العمل من أصحاب الدم النقي مغادرة كيراك خلال أسبوعين. خامسًا: يُحظر في كيراك ممارسة أي نوع من السحر دون إذن ملكي، كما يُمنع على السحرة امتلاك أي أراضٍ أو عقارات. ويجب على السحرة المقيمين في كيراك بيع ممتلكاتهم والحصول على تصريح. أو مغادرة المملكة."

"يا له من تعبير رائع عن الامتنان" تمتمت ينيفر بسخرية. "ويُقال إن السحرة هم من جعلوا تتويج فيراكساس ممكنًا. وأنهم نظموا ومولوا عودته وساعدوه على الاستيلاء على العرش."

"الإشاعات لا تخطئ" ردت ليتّا بمرارة. "فيراكساس سيدفع للمجلس بسخاء، ولكي يتمكن من ذلك، فهو يرفع الضرائب ويأمل في مصادرة ممتلكات غير البشر. والمرسوم يمسني شخصيًا؛ فلا يوجد ساحر آخر يمتلك منزلًا في كيراك. إنها انتقام إيلديكو بريكل. وعقاب لي على المساعدة الطبية التي قدمتها للنساء هنا، والتي يعتبرها مستشارو فيراكساس غير أخلاقية."

ارتشفت ينيفر رشفة هادئة من نبيذها، تتأمل صديقتها بعينين ضيقتين.

"ألا يمكن للمجلس التدخل لمصلحتك؟"

"يمكنهم، لكنهم لن يفعلوا" قالت ليتّا بمرارة. "لم يكتفوا بالمزايا التجارية والأسهم في أحواض بناء السفن والشركات البحرية التي حصلوا عليها من فيراكساس. بل يواصلون التفاوض للحصول على المزيد، وليس لديهم نية لإضعاف موقفهم من أجلي. وهكذا — بوصفي الآن شخصًا غير مرغوب فيه — سأضطر إلى الرحيل، والبحث عن أرض جديدة ... وعن مستقبل آخر."

"مع ذلك، أتصور أنكِ ستفعلين ذلك دون ندم يُذكر. كنتُ لأظن أن كيراك، تحت هذه الحكومة الحالية، لن تكون مرشحة بقوة في مسابقة 'أكثر الأماكن بهجة تحت الشمس'. ستبيعين هذه الفيلا وتشترين أخرى. في جبال ليريا، مثلًا. جبال ليريا رائجة حاليًا. الكثير من السحرة انتقلوا للعيش هناك، فالمناظر جميلة، والضرائب معقولة."

"لا أحب الجبال. أفضل البحر. لا تقلقي، سأجد ملاذًا آمنًا دون عناء يُذكر، بالنظر إلى تخصصي. النساء في كل مكان، وهن جميعًا بحاجة إليَّ. اشربي، ينيفر. نخب صحتكِ."

"تحثينني على الشرب، لكنكِ بالكاد تبللين شفتيكِ. هل أنتِ مريضة؟ لا تبدين على ما يرام."

تنهدت ليتّا بتهكم، ثم قالت:

"كانت الأيام القليلة الماضية مرهقة. الانقلاب في القصر، تلك العاصفة الرهيبة، آه ... وعلى ذلك، غثيان الصباح ... أعلم، سينتهي مع نهاية الثلث الأول من الحمل. لكن ذلك لن يكون قبل شهرين ..."

في الصمت الذي ساد، أمكن سماع طنين دبور يحوم فوق تفاحة على الطاولة.

"ها، ها" ضحكت كورال، مقاطعة السكون. "كنت أمزح. من المؤسف أنكِ لا تستطيعين رؤية وجهكِ الآن. لقد خدعتكِ! ها، ها."

رفعت ينيفر بصرها إلى قمة الجدار المغطاة باللبلاب. وظلت صامتة طويلًا.

"لقد خدعتكِ" واصلت ليتّا بابتسامة ماكرة. "وأراهن أن خيالكِ بدأ يعمل على الفور. اعترفي، لقد ربطتِ حالتي الحساسة فورًا بـ ... لا تتجهّمي، لا تتجهّمي. لا بد أن الأخبار قد وصلتكِ، فالشائعات تنتشر كتموجات الماء. لكن اطمئني، لا يوجد ذرة من الحقيقة فيها. فرصي في الحمل ليست أكبر من فرصكِ، لم يتغير شيء في هذا الصدد. وكل ما كان يربطني بويتشرك كان مجرد أعمال ومصالح مهنية. لا شيء أكثر من ذلك."

"آه."

"أنتِ تعرفين كيف يكون العامة، إنهم يعشقون القيل والقال. يرون امرأة مع رجل، وعلى الفور يحوّلون الأمر إلى علاقة غرامية. أعترف بأن الويتشر زارني كثيرًا. وبالفعل، شوهدنا معًا في المدينة. لكن، أكرر، الأمر لم يكن سوى عمل."

وضعت ينيفر كأسها، وأسندت مرفقيها على الطاولة، ثم شبّكت أطراف أصابعها معًا لتشكل قبة، ونظرت إلى الساحرة ذات الشعر الأحمر مباشرة في عينيها.

"أولًا" سعلت ليتّا قليلاً، لكنها لم تخفض نظرها، "لم أفعل شيئًا كهذا قط مع صديقة مقرّبة. ثانيًا، ويتشرك لم يكن مهتمًا بي على الإطلاق."

"ألم يكن كذلك؟" رفعت ينيفر حاجبيها. "حقًا؟ وكيف يمكن تفسير ذلك؟"

"ربما لم يعد مهتمًا بالنساء الناضجات؟ بغض النظر عن مظهرهن الحالي. ربما يفضّل من هنّ صغيرات بالفعل؟ موزاييك! تعالي هنا من فضلكِ. انظري، ينيفر. الشباب في أوج ازدهاره. والبراءة. حتى وقت قريب."

"هي؟" قالت ينيفر بنبرة متوترة. "هو معها؟ مع تلميذتكِ؟"

"حسنًا، موزاييك. اقتربي. أخبرينا عن مغامرتك العاطفية. نحن فضوليتان لسماع التفاصيل. نحب قصص الحب. خاصة القصص التعيسة. فكلما كانت أتعس، كانت أمتع."

"مدام ليتّا ..." شحبت الفتاة كالجثة بدلاً من أن تحمرّ خجلًا. "أرجوكِ ... لقد عاقبتِني على ذلك بالفعل ... كم مرة يمكن معاقبتي على نفس الخطأ؟ لا تجبريني..."

"تحدثي!"

"اتركيها، كورال" قالت ينيفر وهي تلوّح بيدها. "لا تعذّبيها. علاوة على ذلك، أنا لستُ فضولية على الإطلاق."

"أنا لا أصدق ذلك بالتأكيد" قالت ليتّا نيد مبتسمة بمكر. "لكن حسنًا، سأغفر للفتاة، فقد عاقبتها بالفعل، وغفرت لها، وسمحت لها بمتابعة دراستها. كما أن اعترافاتها المتلعثمة لم تعد تسلّيني. لنلخّص الأمر: وقعت في حب الويتشر وهربت معه. لكنه — بعد أن ملّ منها — تخلى عنها ببساطة. استيقظت ذات صباح وحدها. لم يترك وراءه سوى أغطية باردة، دون أثر، دون علامة واحدة. رحل لأنه كان عليه الرحيل. تلاشى في الهواء. اختفى مع الريح."

رغم أن الأمر بدا مستحيلًا، إلا أن موزاييك ازداد شحوبها أكثر. وارتجفت يداها.

"لقد ترك بعض الزهور" قالت ينيفر بهدوء. "باقة صغيرة من الزهور، أليس كذلك؟"

رفعت موزاييك رأسها، لكنها لم تجب.

"زهور ورسالة" كررت ينيفر.

لم تقل موزاييك شيئًا. لكن اللون بدأ يعود ببطء إلى وجنتيها.

"رسالة" قالت ليتّا نيد وهي تراقب الفتاة عن كثب. "لم تخبريني عن رسالة. لم تذكريها قط."

موزاييك أطبقت شفتيها بصمت.

"إذن لهذا السبب" قالت ليتّا بنبرة هادئة، على ما يبدو. "لهذا السبب عدتِ، رغم أنكِ كنتِ تتوقعين عقوبة قاسية، أقسى بكثير مما تلقيتِه في النهاية. لقد أمركِ بالعودة. ولولا ذلك، لما عدتِ."

لم ترد موزاييك. ولم تقل ينيفر شيئًا هي الأخرى، بل أخذت تلوّي خصلة من شعرها الأسود حول إصبعها. ثم رفعت رأسها فجأة، ونظرت إلى الفتاة في عينيها. وابتسمت.

"لقد أمركِ بالعودة إليّ" قالت ليتّا نيد. "أمركِ بالعودة، رغم أنه كان يستطيع أن يتخيّل ما قد ينتظركِ. لابد أن أعترف أنني لم أكن لأتوقع ذلك منه أبدًا."

كان صوت النافورة يتردد بهدوء، تفوح من حوضها رائحة الحجر المبلل. وكان في الجو عبق الزهور والليلاب.

"إنه لأمر يدهشني" كررت ليتّا. "لم أكن لأتوقع ذلك منه أبدًا."

"لأنكِ لم تعرفيه، كورال" أجابت ينيفر بهدوء. "لم تعرفيه على الإطلاق."

الفصل العشرون

كان الصبي العامل في الإسطبل قد تلقّى نصف تاج في الليلة السابقة، وكانت الخيول تنتظر مجهزة بالسروج. تثاءب دانديليون وحك مؤخرة عنقه.

"يا للآلهة، جيرالت ... هل علينا حقًا أن ننطلق في هذا الوقت المبكر؟ لا يزال الظلام مخيمًا ..."

"ليس مظلمًا. إنه الوقت المناسب تمامًا. الشمس ستشرق خلال ساعة على الأكثر."

"ليس قبل ساعة،" قال دانديليون وهو يتسلق سرج حصانه الأشقر. "إذن كان يمكنني أن أنام ساعة أخرى ..."

قفز جيرالت إلى السرج، وبعد لحظة تفكير، ناول الصبي نصف تاج آخر.

"إنه شهر أغسطس،" قال. "هناك أربع عشرة ساعة بين الشروق والغروب. أود أن أقطع أكبر مسافة ممكنة خلال ذلك الوقت."

تثاءب دانديليون. ولمح حينها الفرس الرمادية غير المسروجة في الكشك المجاور. هزّت الفرس رأسها، كأنها تحاول لفت انتباههما.

"لحظة واحدة،" تساءل الشاعر. "وماذا عنها؟ موزايك؟"

"لن تتابع الرحلة معنا. نفترق هنا."

"ماذا؟ لا أفهم ... هل لك أن تشرح لي ...؟"

"لا، لن أفعل. ليس الآن. لننطلق، دانديليون."

تنهد دانديليون. وحفّز جواده على التحرك. ألقى نظرة خلفه. ثم تنهد مرة أخرى. كان شاعرًا، لذا كان يحق له التنهد كما يشاء.

بدا نُزل "السرّ والهمس" جميلاً جدًا تحت نور الفجر، متألقًا في الضباب الخافت للصباح الباكر. أشبه بقلعة خرافية، أو معبدٍ غامض للحبّ السريّ، غارقًا في زهور الخطمية، متشابكًا مع اللبلاب ونباتات العشقة. استغرق الشاعر في تأملاته.

ثم تنهد، تثاءب، تنحنح، بصق، لفّ عباءته حول جسده، ودفع حصانه إلى الأمام. بسبب لحظات التأمل تلك، تأخر قليلاً. كان جيرالت بالكاد يُرى وسط الضباب.

ركض الساحر بأقصى سرعة. ولم ينظر إلى الوراء.

* * *

"ها هو النبيذ،" قال صاحب النزل وهو يضع إبريقًا خزفيًا على الطاولة. "نبيذ التفاح من ريفيا، كما طلبتم. زوجتي سألتني أن أسألكم عن رأيكم في لحم الخنزير."

"نجده بين حبات العصيدة،" ردّ دانديليون. "من حين لآخر. ليس بالقدر الذي نأمله."

النُزل الذي وصلوا إليه عند نهاية اليوم كان يحمل، كما أعلن اللافتة الملونة، اسم "الخنزير البري والأيِّل." ولكن اللافتة كانت الشيء الوحيد الذي يشير إلى وجود الطرائد، إذ لم تكن متوفرة في قائمة الطعام. التخصص المحلي كان عصيدة ممزوجة بقطع من لحم الخنزير الدهني في صلصة البصل الكثيفة.

بطبيعته المتأنقة، أدار دانديليون أنفه قليلًا عن هذه الوجبة التي اعتبرها "فلاحية أكثر من اللازم." لكن جيرالت لم يشتكِ. لم يكن هناك ما يُعيب لحم الخنزير، وكانت الصلصة مقبولة، والعصيدة معدّة جيدًا وهو أمر نادر في نُزل الطرقات، حيث غالبًا ما يتم طهي العصيدة بشكل مبالغ فيه. لقد كان بإمكانهم تناول ما هو أسوأ، خاصة أن الخيارات كانت محدودة.

أصرّ جيرالت على أن يقطعوا أكبر مسافة ممكنة خلال اليوم، ولذلك لم يرغب في التوقف عند النُزل التي مرّوا بها في طريقهم.

ولكن لم يكن الأمر مقتصرًا عليهم، فقد تبين أن "الخنزير البري والأيِّل" كان أيضًا المحطة الأخيرة لعدة مسافرين آخرين. كان أحد المقاعد الممتدة على طول الجدار مشغولًا بمجموعة من التجار المسافرين. تجار "عصريين" يفكرون بمنهج حديث — على عكس نظرائهم التقليديين — إذ لم يحتقروا خدمهم، ولم يعتبروا الجلوس معهم لتناول الطعام أمرًا غير لائق.

لكن بالطبع، كان لهذا الفكر الحديث حدوده؛ فقد جلس التجار في طرف الطاولة، بينما احتل الخدم الطرف الآخر، مما جعل "الحد الفاصل" بين الطبقتين واضحًا للعيان. وكذلك الأمر مع الأطباق: كان الخدم يتناولون عصيدة بلحم الخنزير — التخصص المحلي — مع جِعَةٍ شديدة التخفيف.

أما السادة التجار، فقد حصل كل واحد منهم على دجاجة مشوية وزجاجات متعددة من النبيذ.

على الطاولة المقابلة، تحت رأس خنزير بري محنط، كان يتناول العشاء ثنائي: فتاة شقراء ورجل أكبر سنًا. كانت الفتاة ترتدي ملابس فاخرة ورسمية للغاية، لا تشبه لباس الفتيات العاديات. أما الرجل، فقد بدا ككاتب، ولكن من الواضح أنه لم يكن ذا مرتبة عالية.

كان الاثنان يتناولان العشاء معًا وسط محادثة حيوية، ولكن من تصرفات الرجل، كان من السهل الاستنتاج أن معرفتهما حديثة وعرضية تمامًا. كان الموظف يبالغ في مجاملتها بشكل ملحّ، بوضوح على أمل أن يتطور الأمر إلى شيء آخر، بينما كانت الفتاة تتلقى محاولاته بمزيج من اللباقة والسخرية المبطنة.

على أحد المقاعد القصيرة، جلست أربع كاهنات. كنّ معالجات متجولات، يمكن تمييز ذلك بسهولة من خلال أثوابهن الرمادية والأغطية المشدودة التي تخفي شعورهن. لاحظ جيرالت أن طعامهن كان متواضعًا إلى حد كبير، شبيهًا بالشعير اللؤلؤي، ولكن بلا أي أثر للحوم أو حتى دهن اللحم.

لم تكن الكاهنات يطلبن أجرًا مقابل العلاج، إذ كنّ يعالجن الجميع بالمجان، وفي المقابل، كانت العادة تقضي بأن يحصلن على الطعام والمأوى عند الطلب. بدا أن صاحب نزل "الخنزير البري والأيِّل" كان على دراية بهذه العادة، لكنه كان يلتزم بحرفية القانون أكثر من روحه، إذ لم يكن كريمًا في ضيافته لهن.

على المقعد التالي، تحت قرون أيل ضخمة، كان هناك ثلاثة رجال محليين يتسكعون حول زجاجة فودكا الجاودار، ومن الواضح أنها لم تكن الأولى لهم هذه الليلة. وبما أنهم قد لبّوا معظم احتياجاتهم المسائية، بدأوا يتلفتون بحثًا عن تسلية.

وكما هو متوقع، وجدوا ضحاياهم بسرعة. لم يكن الحظ حليف الكاهنات هذه الليلة. ولكنهن كنّ على الأرجح معتادات على مثل هذه الأمور.

في الزاوية، كان هناك زبون وحيد. مغطى بالظلال مثل الطاولة التي جلس عندها. لاحظ جيرالت أنه لم يكن يأكل ولا يشرب. جلس بلا حراك، مستندًا إلى الجدار.

لم يتوقف الرجال الثلاثة عن مضايقاتهم، بل ازدادت تعليقاتهم وسخريتهم الموجهة إلى الكاهنات وقاحةً وفحشًا. ومع ذلك، ظلت الكاهنات هادئات برباطة جأش ولم يُبدين أي اهتمام على الإطلاق. كان غضب السكارى يتزايد بشكل عكسي مع انخفاض مستوى الفودكا في الزجاجة.

بدأ جيرالت يتناول طعامه بسرعة أكبر. لقد قرر أن يلقّن السكارى درسًا قاسيًا، ولم يكن يرغب في أن تبرد الكاشا بسببه.

"ويتشر جيرالت من ريفيا."

فجأة، اندلع لهب في الزاوية المظلمة.

رفع الرجل الجالس وحيدًا في الظلام يده، حيث راحت ألسنة اللهب تتراقص بين أصابعه. قرب الرجل يده من الشمعدان على طاولته، وأشعل الشموع الثلاثة واحدة تلو الأخرى.

سمح للنور أن يكشف ملامحه بوضوح.

شعره رمادي بلون الرماد، تتخلله خصلات بيضاء عند الصدغين. وجهه شاحب حد الموت. أنفه معقوف. وعيناه صفراء-خضراء، بحدقات عمودية شبيهة بعيني القطط.

توهّج في ضوء الشموع الميدالية الفضية المعلقة حول عنقه، والتي سحبها من تحت قميصه.

رأس قط مفترس يكشف أنيابه.

"ويتشر جيرالت من ريفيا،" كرر الرجل وسط الصمت الذي عمّ النزل.

"مسافر إلى فيزيما، على ما أظن؟ من أجل المكافأة التي وعد بها الملك فولتيست؟ ألفا أورين، صحيح؟ هل خمّنتُ بشكل صحيح؟"

لم يُجب جيرالت. لم يتحرك حتى.

"لن أسألك إن كنت تعرف من أكون. لأنك حتمًا تعرف."

"لم يبقَ الكثير منكم،" أجاب جيرالت بهدوء. "وهذا يجعل الأمور أسهل. أنت بريهن. يُعرف أيضًا بقط إيبيلو."

"أوه، أرجوك،" سخر الرجل ذو ميدالية القط "الذئب الأبيض الشهير يتنازل ليعرف لقبي؟ يا له من شرف عظيم! هل عليّ أيضًا أن أعتبره شرفًا أن تنوي سرقة المكافأة مني؟ هل ينبغي أن أُفسح لك الطريق، أن أنحني وأعتذر؟ هل عليّ أن أتصرف كما في قطيع الذئاب، أن أبتعد عن الفريسة وأنتظر، ملوحًا بذَيلي حتى ينتهي زعيم القطيع من طعامه؟ حتى يتكرم ويترك لي بعض الفتات؟"

لم يقل جيرالت شيئًا.

"لن أعطيك الأفضل،" واصل بريهن، المعروف بقط إيبلو. "ولن أشاركك. لن تذهب إلى فيزيما، أيها الذئب الأبيض. لن تنتزع المكافأة مني. يُقال إن فيسيمير قد أصدر حكمًا بحقي. لديك الفرصة الآن لتنفيذه. لنخرج إلى الفناء."

"لن أقاتلك."

قفز الرجل ذو ميدالية القط بسرعة خاطفة، حتى بدا وكأنه مجرد ظل ضبابي. سيفه، الذي كان موضوعًا على الطاولة، لمع وهو يُنتزع في حركة واحدة.

أمسك بإحدى الكاهنات من غطاء رأسها، جذبها بقوة من على المقعد، أسقطها على ركبتيها، ووضع شفرة سيفه على عنقها.

"ستقاتلني،" قال ببرود، ناظرًا إلى جيرالت. "ستخرج إلى الفناء قبل أن أصل إلى ثلاثة. وإلا فدم الكاهنة سيغطي الجدران، والسقف، والأثاث. وبعدها سأقطع حناجر الأخريات. واحدة تلو الأخرى. لا يتحرك أحد! ليس حتى بمقدار شبر!"

ساد الصمت القاتل في النزل، صمتٌ تامٌ مطبق.

توقف الجميع عن الحركة. شحب وجه الجميع. فتح البعض أفواههم دون أن يصدروا صوتًا.

"لن أقاتلك،" كرر جيرالت بهدوء. "لكن إن آذيت تلك المرأة ... ستموت."

"أحدنا سيموت، هذا مؤكد. في الخارج، في الفناء. لكن لن أكون أنا."

"سمعت أن سيوفك الشهيرة قد سُرقت، كما تقول الشائعات. وأرى أنك لم تكلف نفسك عناء تجهيز نفسك بسيوف جديدة. يا لها من ثقة مفرطة، أن تحاول سرقة مكافأة شخص آخر دون أن تُسلح نفسك أولًا. أو ربما الذئب الأبيض الشهير بارعٌ جدًا لدرجة أنه لا يحتاج إلى الفولاذ؟"

صدر صوت احتكاك الكرسي بالأرض.

وقفت الفتاة الشقراء. التقطت رزمة طويلة من تحت الطاولة. وضعتها أمام جيرالت، ثم عادت إلى مكانها، وجلست بجانب الكاتب.

كان يعرف ما هي.

حتى قبل أن يفك الحزام أو يزيل اللباد عنها.

سيف من الفولاذ الصخري، طوله الكلي أربعون ونصف بوصة، وطول النصل سبع وعشرون وربع بوصة. وزنه سبعة وثلاثون أونصة. مقبضه وحاجزه بسيطان، لكنهما أنيقان.

أما السيف الثاني، فبطول ووزن مماثلين: مصنوع من الفضة. جزئيًا بالطبع، لأن الفضة النقية لينة جدًا بحيث لا يمكن أن تأخذ حدًا حادًا. نقوش سحرية على الحاجز المتقاطع، وأحرف رونية تمتد على طول النصل.

خبير "بيرال برات" لم يستطع فك شفرتها، مما يدل على جهله.

كانت الرونيات القديمة تشكل نقشًا:

"وميضي يخترق الظلام، بريق نوري يبدد العتمة."

وقف جيرالت. واستلَّ السيف الفولاذي. بحركة بطيئة ومدروسة. لم ينظر إلى "بريهن". بل إلى النصل.

"أطلق سراح المرأة،" قال بهدوء. "في الحال. وإلا ستهلك."

اهتزت يد "بريهن"، وسال خيط رفيع من الدم على عنق الكاهنة.

لكنها لم تصدر حتى أنة واحدة.

"أنا بحاجة،" همس قط إيبلو. "تلك المكافأة يجب أن تكون لي!"

"قلت لك أطلق سراحها،" كرر جيرالت، بصوت أشد برودة. "وإلا سأقتلك. ليس في الفناء، بل هنا، في الحال."

انحنى بريهن إلى الأمام. كان يتنفس بصعوبة. عيناه تشعان بشراسة، وفمه مشوه في تكشيرة قبيحة. مفاصله، المشدودة على مقبض سيفه، كانت بيضاء كالعظام. وفجأة، أطلق سراح الكاهنة ودفعها بعيدًا.

اهتز رواد الحانة جميعًا وكأنهم استيقظوا فجأة من كابوس. تنهدات وصرخات دهشة ملأت المكان.

"الشتاء قادم،" قال "بريهن" بصعوبة. "وأنا، على عكس بعض الناس، ليس لدي مكان ألجأ إليه. كاير مورهن الدافئة والمريحة ليست لي!"

"لا،" قال "جيرالت" مؤكدًا. "ليست لك. وأنت تعرف السبب جيدًا."

"كاير مورهن لكم وحدكم، أنتم الأخيار، الأطهار، العادلون، أليس كذلك؟ تبًا لكم، أيها المنافقون. أنتم قتلة مثلنا تمامًا، لا شيء يميزكم عنا!"

"اخرج،" قال "جيرالت" بهدوء. "غادر هذا المكان وتابع طريقك."

أعاد "بريهن" سيفه إلى غمده. وقف مستقيمًا. وبينما كان يعبر القاعة، تغيرت عيناه. امتلأت حدقته السوداء بكامل قزحيته، فأصبحت عيناه أشبه بعيني قط مفترس.

"كذبٌ ما يُقال أن فيسيمير قد أصدر حكمًا عليك،" قال "جيرالت" بينما مر "بريهن" بجانبه.

"الويتشرز لا يقاتلون بعضهم البعض، ولا يتقاطعون بالسيوف. لكن إن حدث شيء آخر مثل ما جرى في إيبيلو، إن سمعت بأي شيء مماثل... فسأستثنيك من القاعدة. سأبحث عنك، وسأقتلك. اعتبر هذا تحذيرًا جادًا."

ساد صمت ثقيل في قاعة الحانة لعدة لحظات بعد أن أغلق "بريهن" الباب وراءه. كان زفير "دانديليون" المتنفس بارتياح عاليًا في الصمت. وبعد قليل، بدأ الناس بالتحرك مرة أخرى.

تسلل السكارى المحليون خارجًا بصمت، حتى دون إنهاء زجاجة الفودكا الخاصة بهم. بقي التجار، لكنهم شحبوا وصمتوا، وأمروا خدمهم بمغادرة الطاولة، على الأرجح ليؤمِّنوا العربات والخيول على وجه السرعة، خوفًا من أي خطر قد يشكله وجود مثل هذه الصحبة المشبوهة.

أما الكاهنات، فقد قمن بتضميد جرح رفيقتهن في صمت، ثم حنين رؤوسهن شاكرات لـ"جيرالت"، وغادرن القاعة، على الأرجح متجهات إلى الإسطبل، إذ لم يكن من المحتمل أن يعرض عليهن صاحب النزل أسِرّة في غرف النوم.

انحنى جيرالت ولوّح بيده للمرأة الشابة ذات الشعر الأشقر التي أعادته إليه سيوفه. استجابت للدعوة بكل سرور، متخلية عن رفيقها السابق، الكاتب، دون أي أسف، تاركة إياه بتعبير متجهم على وجهه.

"أنا تيزيانا فريفي،" قدّمت نفسها وهي تصافح جيرالت كما لو كانت رجلًا. "تشرفت بلقائك."

"الشرف لي."

"لقد كان الأمر مشوقًا، أليس كذلك؟ ليالي النزل على الطرقات يمكن أن تكون مملة، لكن الليلة كانت مثيرة. في لحظة ما، بدأت أشعر بالخوف. لكن، يبدو لي، أليس ما حدث مجرد تنافس رجولي؟ مبارزة تغذيها هرمونات التستوستيرون؟ أو مقارنة متبادلة حول من يملك الأطول؟ لم يكن هناك خطر حقيقي، أليس كذلك؟"

"لا، لم يكن هناك خطر،" كذب قائلًا. "وذلك بفضل السيوف التي استعدتها بفضلك. أشكرك عليها. لكنني أحاول جاهدًا معرفة كيف انتهى بها المطاف بين يديك."

"كان من المفترض أن يبقى الأمر سرًا،" أوضحت بحرية. "كنت مكلفة بتسليم السيوف بهدوء وسرية، ثم الاختفاء. لكن الظروف تغيرت فجأة. اضطررت إلى إعطائك السيوف علنًا، بكامل الوضوح، لأن الموقف تطلب ذلك. وسيكون من غير اللائق الآن رفض تقديم التوضيحات. ولهذا، لن أرفض الشرح، متحملة مسؤولية إفشاء السر.

"تلقيت السيوف من ينيفر من فينغيربيرج. حدث ذلك قبل أسبوعين في نوفيغراد. أنا دويمنفياندرا. التقيت ينيفر عن طريق الصدفة، عند إحدى الساحرات المعلمات حيث كنت أنهي فترة تدريبي. عندما علمت أنني متجهة جنوبًا وأن معلمتي يمكنها أن تضمنني، أوكلتني السيدة ينيفر بالمهمة. وأعطتني خطاب توصية إلى إحدى الساحرات من معارفها كنت أخطط للتدرب لديها."

"كيف ..." قال جيرالت، وهو يبتلع ريقه. "كيف حالها؟ ينيفر؟ هل هي بخير؟"

"ممتازة، على ما أعتقد،" قالت تيزيانا فريفي، وهي تحدق به من تحت رموشها. "تبدو في حالة رائعة، ومن يحسدها على ذلك؟ وبصراحة، أنا أحسدها."

نهض جيرالت وتوجه نحو صاحب النزل، الذي كاد يغمى عليه من الخوف.

"لم يكن عليك ..." قالت تيزيانا بتواضع، عندما وضع صاحب النزل بعد لحظات زجاجة من "إيست إيست"، وهو أغلى أنواع النبيذ الأبيض من توسّان، أمامهما. وأشعل عدة شموع إضافية في أعناق زجاجات قديمة.

"أنت تبذل الكثير من الجهد، حقًا،" أضافت، عندما وصلت بعد لحظات بعض الأطباق إلى الطاولة، أحدها يحتوي على شرائح من لحم الخنزير المجفف، وآخر يحتوي على سمك السلمون المدخن، وثالث يحوي تشكيلة من الأجبان. "أنت تنفق الكثير، أيها الويتشر."

"إنها مناسبة خاصة. والرفقة رائعة."

شكرته بإيماءة وابتسامة. ابتسامة جميلة.

عند التخرج من مدرسة السحر، كانت كل ساحرة تواجه خيارًا. إما أن تبقى في المدرسة كمساعدة للمعلمات الرئيسيات، أو أن تطلب من إحدى الساحرات المستقلات أن تأخذها كمتدربة دائمة. أو يمكنها اختيار طريق الـ"دويمنفياندرا".

تم استعارة هذا النظام من النقابات الحرفية. ففي العديد منها، كان على المتدرب الذي تأهل كـ"صانع رحّال" أن يبدأ رحلته، حيث يعمل في ورش مختلفة مع أساتذة مختلفين، هنا وهناك، ليعود بعد عدة سنوات ليطلب اجتياز الامتحان النهائي والترقية إلى مرتبة المعلم. ولكن كان هناك اختلافات. فبينما كان المتجولون من الحرفيين يواجهون خطر الجوع إذا لم يجدوا عملاً، فإن الساحرات اللواتي اخترن طريق الـ"دويمنفياندرا" كنّ يفعلن ذلك بإرادتهن ورغبتهن، وقد أنشأ مجمع السحرة صندوقًا خاصًا لدعمهن، ويقال إن حجمه كان كبيرًا للغاية، كما سمع جيرالت."

"ذلك الشخص المخيف كان يرتدي قلادة مشابهة لقلادتك،" قال الشاعر، منضمًا إلى الحديث. "لقد كان واحدًا من القطط، أليس كذلك؟"

"كان كذلك. لا أريد الحديث عن الأمر، دانديليون."

"القطط سيئة السمعة،" قال الشاعر مخاطبًا الساحرة. "ويتشرز لكنهم فاشلون. طفرات غير ناجحة. مجانين، مختلون وساديون. أطلقوا على أنفسهم لقب القطط، لأنهم يشبهون القطط فعلًا: عدوانيون، قساة، غير متوقعين ومتهورون. وكالعادة، جيرالت يهون من الأمر حتى لا يقلقنا. لأنه كان هناك تهديد، وتهديد خطير. إنه لَمُعجزة أنه مر دون قتال، دون دماء أو جثث. كان يمكن أن تحدث مجزرة، كما حدثت في إيلو قبل أربع سنوات. كنت أتوقع في أي لحظة..."

"جيرالت طلب منك عدم الحديث عن الأمر،" قاطعت تيزيانا فريفي، بلطف ولكن بحزم. "دعنا نحترم ذلك."

نظر إليها جيرالت بمودة. بدت له لطيفة. وجميلة. جميلة جدًا، حتى.

كان يعلم أن الساحرات يحسّنّ مظهرهن، لأن مكانتهن المهنية كانت تتطلب أن يكنّ محطّ إعجاب. لكن التجميل لم يكن كاملًا أبدًا، كان هناك دائمًا شيءٌ ما يبقى. لم تكن تيزيانا فريفي استثناءً. جبينها، أسفل خط الشعر مباشرة، كان يحمل بعض الندوب الباهتة بالكاد مرئية، ربما من الجدري الذي أصابها في طفولتها قبل أن تصبح منيعة ضده. شكل فمها الجميل كان مشوبًا بندبة متموجة أعلى شفتها العليا. شعر جيرالت بالغضب مجددًا، الغضب من بصره، من عينيه، اللتين تجبرانه على ملاحظة مثل هذه التفاصيل التافهة، التي لم تكن تعني شيئًا أمام حقيقة أن تيزيانا كانت جالسةً على الطاولة معه، تشرب من نبيذ 'إيست إيست'، تأكل السلمون المدخن، وتبتسم له.

نادراً ما رأى جيرالت أو عرف نساءً يمكن اعتبار جمالهن بلا عيوب، لكن احتمالية أن تبتسم إحداهن له كانت تساوي الصفر تمامًا.

"لقد تحدث عن مكافأة ما ..." قال دانديليون، الذي عندما يثبت على موضوع، من الصعب إزاحته عنه. "هل يعلم أحدكم ما كان يقصده؟ جيرالت؟"

"لا فكرة لدي."

"لكنني أعرف،" تباهت تيزيانا فريفي. "وأنا مندهشة لأنك لم تسمع، لأنها كانت قضية مشهورة. فقد عرض فولتيست، ملك تيميريا، مكافأة. لمن يزيل اللعنة عن ابنته التي تعرضت للسحر. لقد وخزت بمغزل وحُكم عليها بالنوم الأبدي. المسكينة، حسبما تقول الشائعات، مستلقية في تابوت داخل قلعة غارقة في أشجار الزعرور.

"حسب شائعة أخرى، التابوت مصنوع من الزجاج وموضوع على قمة جبل زجاجي. ووفقًا لشائعة ثالثة، تحولت الأميرة إلى بجعة. ووفقًا لرابعة، إلى وحش رهيب، ستريغا. نتيجة لعنة، لأن الأميرة كانت ثمرة علاقة محارم. ويبدو أن هذه الشائعات يتم اختراعها ونشرها من قبل فيزيمير، ملك ريدانيا، الذي لديه نزاعات إقليمية مع فولتيست، وهو على خلاف حاد معه وسيفعل أي شيء لإزعاجه."

"يبدو حقًا أنه مجرد تلفيق،" حكم جيرالت. "مبني على قصة خرافية أو أسطورة. أميرة ملعونة ومتحولة، لعنة كعقاب على سفاح القربى، مكافأة لمن يزيل اللعنة. مبتذل ومكرر. من ابتكرها لم يبذل جهدًا كبيرًا."

"القضية،" أضافت الدويمفياندرا، "لها بُعد سياسي واضح، ولهذا السبب منعتنا الجمعية نحن السحرة من التدخل فيها."

"سواء كانت قصة خرافية أم لا، ذلك القط اللعين صدّقها،" قال دانديليون بحسم. "لقد كان واضحًا أنه كان يسرع إلى تلك الأميرة المسحورة في فيزيما لإزالة اللعنة والحصول على المكافأة التي وعد بها الملك فولتيست. كان لديه شك بأن جيرالت متجه أيضًا إلى هناك، وأراد أن يسبقه."

"لقد أخطأ في تقديره،" ردَّ جيرالت بجفاف. "أنا لا أذهب إلى فيزيما. ولا أنوي أن أُقحم أصابعي في ذلك المرجل السياسي. هذه وظيفة مثالية لشخص مثل بريهن، الذي هو في حاجة، كما قال بنفسه. أما أنا، فلست في حاجة. لقد استعدت سيوفي، لذا لا داعي لأن أشتري غيرها. ولديّ ما يكفي من المال لأعتمد عليه. بفضل السحرة من ريسبيرغ..."

"الساحر جيرالت من ريفيا؟"

"بالفعل،" قال جيرالت، ناظرًا صعودًا وهبوطًا إلى الموظف الذي كان يقف بجواره بوجه متجهم. "من الذي يسأل؟"

"هذا غير مهم،" قال الموظف، متصنعًا الجدية ومتشدقًا، محاولًا بكل جهد أن يبدو مهمًا. "المهم هو الاستدعاء. الذي أقدمه لك بموجب القانون. أمام الشهود. وفقًا للإجراءات النظامية."

قدَّم الموظف إلى الساحر لفة من الورق. ثم جلس، ولم ينس أن يلقي نظرة ازدراء على تيزيانا فريفي.

فك جيرالت الختم وفرد الوثيقة.

"'صدر من قلعة ريسبيرغ، في اليوم العشرين من شهر يوليو، سنة 1245 بعد القيامة،' قرأ بصوت مسموع. 'إلى محكمة الصلح في غورز فيلين. المدعي: الشراكة المدنية لمجمع ريسبيرغ. المدعى عليه: جيرالت من ريفيا، الساحر. المطالبة: استرداد مبلغ ألف تاج نوفيغرادي. نلتمس، أولًا: إلزام المدعى عليه، جيرالت من ريفيا، بإعادة مبلغ ألف تاج نوفيغرادي مع الفوائد المستحقة. ثانيًا: إلزام المدعى عليه بدفع تكاليف المحكمة للمدعي وفقًا للمعايير المحددة. ثالثًا: منح الحكم صفة النفاذ الفوري.

"الأسباب: المتهم استحوذ بطريقة احتيالية على مبلغ ألف تاج نوفيغرادي من الشراكة المدنية لمجمع ريسبيرغ. وقد كان المبلغ دفعة مقدمة لقاء خدمة لم ينفذها المدعى عليه، ولم يكن ينوي تنفيذها بسوء نية ...

"الشهود: بيروتا آنا ماركيت إيكارتي، أكسل ميغيل إسبارزا، إيغو تارفيكس ساندوفال ... اللعناء."

"لقد أعدتُ إليك سيوفك،" قالت تيزيانا، وهي تخفض بصرها. "وفي نفس الوقت، حمّلتك بالمشاكل. لقد خدعني ذلك النقيب. لقد سمعني هذا الصباح وأنا أسأل عنك في ميناء العبارات. ثم التصق بي مثل علقة. الآن أعرف السبب. ذلك الاستدعاء كله بسببي."

"ستحتاج إلى محامٍ" قال دانديليون بكآبة. "لكنني لا أوصي بالمحامية من كيراك. فهي تؤدي عملها بشكل رائع ... ولكن خارج قاعة المحكمة."

"يمكنني الاستغناء عن المحامي. هل لاحظتَ تاريخ المطالبة؟ أراهن أن القضية قد نُظر فيها بالفعل، وأن الحكم صدر غيابيًا. وأنهم قد استولوا على حسابي."

"أنا آسفة،" قالت تيزيانا. "إنه خطئي. سامحني."

"لا يوجد ما يستوجب الغفران، لستِ مذنبة في شيء. وريسبيرغ والمحاكم يمكنهم الذهاب إلى الجحيم. أيها السيد صاحب النُزل! جرّة أخرى من نبيذ إيست إيست، لو تكرمت."

* * *

لم يمضِ وقت طويل حتى أصبحوا الضيوف الوحيدين المتبقين في القاعة. وسرعان ما أوضح لهم صاحب النُزل — بتثاؤبٍ مبالغ فيه — أن الوقت قد حان لإنهاء السهرة. كانت تيزيانا أول من انسحبت إلى غرفتها، وتبعها دانديليون بعد قليل.

لم يذهب جيرالت إلى حجرة النوم التي كان يتشاركها مع الشاعر. بدلًا من ذلك، طرق برفقٍ شديد باب تيزيانا فريفي. فُتح الباب على الفور.

"كنتُ بانتظارك،" همست، وهي تشده إلى الداخل. "كنت أعلم أنك ستأتي. ولو لم تفعل، لكنتُ خرجتُ للبحث عنك."

* * *

لا بد أنها جعلته ينام بسحرها، وإلا لكان قد استيقظ أثناء مغادرتها. ولا بد أنها غادرت قبل الفجر، بينما كان الظلام لا يزال مخيمًا. ظل عبيرها معلقًا في الهواء، رائحة عطرة من زهور السوسن والبرغموت. وشيء آخر ... ورود؟

كانت هناك زهرة موضوعة على الطاولة بجانب سيفيه. وردة. إحدى الورود البيضاء المأخوذة من الأصيص الذي كان يقف خارج النزل.

* * *

لم يعد أحد يتذكر ما كان عليه هذا المكان، من الذي بناه، ولمن خُصِّص، وما الغاية التي خدمها. في الوادي الممتد خلف النزل، ظلت آثار مبنى قديم، كان يومًا ما مجمعًا واسعًا وربما مزدهرًا. لم يتبقَ من الأبنية سوى أساسات متآكلة، وانخفاضات غطتها النباتات، وبعض الكتل الحجرية المتناثرة هنا وهناك. أما البقية فقد هُدِّمت وسُلبت، إذ إن مواد البناء كانت ثمينة، ولا شيء يُترك ليضيع هباءً.

دخلوا من خلال بقايا بوابة محطمة، كانت ذات يوم قوسًا مهيبًا، لكنها الآن تشبه مشنقة؛ وهو انطباع زادته فروع اللبلاب المتدلية كأنها حبل مقطوع. ساروا عبر ممر بين الأشجار. أشجار ميتة، ملتوية ومشوهة، منحنية كما لو أنها ترزح تحت وطأة لعنة جاثمة فوق المكان. قادهم الطريق إلى حديقة. أو بالأحرى إلى ما كان ذات يوم حديقة. أسرّة زهور البرباريس، شجيرات العرعر، وأغصان الورد المتشابكة، التي كانت ذات يوم مشذبة بعناية، تحولت إلى كتل متشابكة غير منتظمة من الأغصان، والمتسلقات الشائكة، والسيقان اليابسة. وسط هذا التشابك، برزت بقايا تماثيل ومنحوتات، معظمها بالحجم الطبيعي. لكنها كانت تالفة إلى درجة لم يعد بالإمكان حتى تخمين من — أو ماذا — كانت تجسد في السابق. لكن في النهاية، لم يكن ذلك مهمًا. التماثيل تنتمي إلى الماضي. لم تعد موجودة، وبالتالي لم تعد ذات شأن. كل ما تبقى هو الخراب، وهو — على ما يبدو — سيبقى طويلًا، إذ إن الخرائب خالدة.

خراب. نصب تذكاري لعالم مدمَّر.

"دانديليون."

"نعم؟"

"في الآونة الأخيرة، كل شيء كان يمكن أن يسوء، قد ساء بالفعل. ويبدو لي أنني قد أفسدت كل شيء. كل ما لمسته في الفترة الماضية، أفسدته."

"هل تعتقد ذلك؟"

"نعم، أعتقد ذلك."

"إذًا فلا بد أنه كذلك. لا تتوقع تعليقًا. لقد سئمت من التعليق. والآن، اذهب وارثِ نفسك في صمت، إن أمكن. أنا في طور التأليف في الوقت الحالي، ونحيبك يشتت انتباهي."

جلس دانديليون على عمود ساقط، دفع قبعته إلى الخلف على رأسه، تقاطع ساقيه، وعدّل أوتار العود.

شمعة وامضة، أطفأت الريح نارها،

هبّت ريح باردة محسوسة ...

وبالفعل، هبّت ريح فجأة وبعنف. فتوقف دانديليون عن العزف، وتنهد بصوت عالٍ.

استدار الويتشر.

كانت واقفة عند مدخل الطريق، بين قاعدة متصدعة لتمثال غير معروف، وبين شجيرات متشابكة من شجرة شائكة ميتة. كانت طويلة وترتدي فستانًا ضيقًا. شعرها الرمادي كان أشبه بمعطف ثعلب كورساك أكثر من ثعلب فضي. أذناها مدببتان، ووجهها ممدود.

لم يتحرك جيرالت.

"حذرتك أنني سأعود."

صفوف من الأسنان لمعت في فم الثعلبة.

"يومًا ما. واليوم هو ذلك اليوم."

لم يتحرك جيرالت. على ظهره، شعر بثقل سيفيه المألوف، ذلك الثقل الذي افتقده لشهر كامل. والذي كان يمنحه عادة راحة ويقينًا. لكن في ذلك اليوم، في تلك اللحظة، لم يكن سوى عبء.

"لقد جئتُ ..." قالت الأغوارا، عارضة أنيابها. "لا أدري حتى لماذا جئت. ربما فقط لأقول وداعًا. وربما ... لأدعها تقول لك وداعًا."

ظهرت فتاة نحيلة بفستان ضيق من خلف الثعلبة. كان وجهها الشاحب والجامد بشكل غير طبيعي لا يزال نصف بشري. لكنه كان، على الأرجح، الآن أكثر شبهاً بالثعالب منه بالبشر. التغيرات كانت تحدث بسرعة.

هزَّ الويتشر رأسه.

"لقد شفيتها ... أعدتَها للحياة؟ لا، هذا مستحيل. إذًا، لقد كانت حيّة على السفينة. حيّة. لكنها كانت تتظاهر بالموت."

نبحت الأغوارا بصوت عالٍ. احتاج للحظة قبل أن يدرك أنها كانت تضحك. أن الثعلبة كانت تضحك.

"لقد امتلكنا يومًا قوى عظيمة! أوهام الجزر السحرية، والتنانين الراقصة في السماء، ورؤى لجيوش جبارة تقترب من أسوار المدن ... ذات يوم، منذ زمن بعيد. أما الآن، فقد تغيّر العالم، وتضاءلت قدراتنا ... وصِغْرنا. صار فينا من الثعلبة أكثر مما بقي من الأغوارا. لكن، رغم ذلك، حتى أصغر وأصغر ثعالب الأغوارا تستطيع خداع حواسكم البشرية البدائية بالأوهام."

"لأول مرة في حياتي،" قال بعد لحظة، "أنا سعيد لأنني قد خُدعت."

"ليس صحيحًا أنك أفسدت كل شيء. وكمكافأة، يمكنك لمس وجهي."

تنحنح وهو يحدّق في أنيابها الطويلة الحادة.

"همم ..."

"الأوهام هي ما تفكر فيه. ما تخافه. وما تحلم به."

"عذرًا؟"

نبحت الثعلبة بلطف. ثم تغيّرت.

عيون داكنة، بنفسجية، متقدة في وجه شاحب مثلث الملامح. إعصار من خصلات سوداء كالفحم، متدفقة على كتفيها، متألقة، تعكس الضوء كريش الطاووس، تتماوج وتلتف مع كل حركة. الشفاه، رقيقة بشكل رائع وشاحبة تحت أحمر شفاهها. شريط من المخمل الأسود يزين عنقها، وعلى الشريط نجمة من حجر السبج، تتألق وترسل آلاف الانعكاسات في الأرجاء ...

ابتسمت "ينيفر". ومدّ الويتشر يده ليلمس خدها.

ثم أزهرت شجرة "الدوجوود" الميتة.

وبعدها هبّت الريح وهزّت الأغصان. واختفى العالم خلف حجاب من بتلات بيضاء صغيرة متطايرة.

"وهم." سمع صوت الأغوارا. "كل شيء وهم."

* * *

توقف "داندليلون" عن الغناء. لكنه لم يضع عوده جانبًا. كان جالسًا على قطعة من عمود مقلوب، يحدق في السماء.

جلس "جيرالت" بجانبه. يزن الأمور، يرتب الأفكار في رأسه. أو بالأحرى يحاول. يضع خططًا، معظمها غير قابلة للتحقيق. يعد نفسه بأشياء مختلفة، لكنه يشك بجدية في قدرته على الوفاء بأي منها.

"تعلم، أنت لا تهنئني أبدًا على أغنياتي"، قال "داندليلون" فجأة. "لقد ألفتُ وغنيتُ العديد منها في صحبتك. لكنك لم تقل يومًا: كانت جميلة، أتمنى أن تعيد عزفها. لم تقل ذلك قط."

"أنت محق. لم أفعل. أتريد أن تعرف لماذا؟"

"نعم؟"

"لأنني لم أرغب في ذلك قط."

"هل سيكون ذلك تضحية كبيرة؟" تساءل الشاعر، غير مستسلم. "أمر صعب جدًا؟ أن تقول: اعزفها مرة أخرى، داندليلون. اعزف بينما يمضي الزمن."

"اعزفها مرة أخرى، داندليلون. اعزف بينما يمضي الزمن."

"قلت ذلك بلا اقتناع."

"وماذا في ذلك؟ ستعزفها على أي حال."

"بالتأكيد."

شمعة مرتعشة، انطفأت النار
هبّت ريح باردة بوضوح
والأيام تمضي
والزمن يمضي
في صمت، دون أن نشعر

أنتَ معي بلا نهاية، بلا نهاية
شيء ما يربطنا، لكنه ليس بالكمال
فالأيام تمضي
والزمن يمضي
في صمت، دون أن نشعر

ذكريات الطرق والمسارات التي عبرناها
تبقى فينا بلا رجعة
رغم أن الأيام تمضي
رغم أن الزمن يمضي
في صمت، دون أن نشعر

لذا، حبيبي، مرة أخرى
دعنا نكرر القدر بانتصار
هكذا تمضي الأيام
هكذا يمضي الزمن
في صمت، دون أن نشعر

نهض "جيرالت".

"حان وقت الرحيل، دانديليون."

"أوه، حقًا؟ إلى أين؟"

"وهل يهم؟"

"نعم، بشكل عام، لا فرق."

"لنذهب."

الخاتمة

على التل الصغير، كانت بقايا المباني تلمع بلونها الأبيض، متداعية منذ زمن بعيد حتى غمرتها الطبيعة بالكامل. التفَّ اللبلاب حول الجدران، ونمت الأشجار الصغيرة من بين الحجارة المتشققة. كانت هذه الأطلال قديمًا — وهو أمر لم تكن "نيموي" لتعرفه — معبدًا، مقرًّا للكهنة الذين عبدوا إلهًا طواه النسيان.

أما بالنسبة لها، فلم يكن ذلك سوى خراب. كومة من الأحجار. وعلامة على الطريق. دليل على أنها تسير في الاتجاه الصحيح.

فما بعد التل والخراب، كانت الطريق تتفرع إلى مسارين. أحدهما اتجه غربًا، عبر مستنقع ضبابي. أما الآخر، فشق طريقه شمالًا، ليختفي في غابة كثيفة داكنة. تعمّق المسار في الشجيرات السوداء، وتلاشى في الظلمة الكئيبة، واندمج معها.

وكان ذلك هو دربها. شمالًا. عبر غابة "ماغباي" سيئة السمعة.

لم تكن "نيمويه" قلقة كثيرًا من القصص التي حاولوا إخافتها بها في "إيفالو"، فقد اعتادت خلال رحلتها على مواجهة أمور مشابهة مرارًا وتكرارًا. لكل مكان أساطيره القاتمة، ومخاطره ورعبه المحلي، كل ذلك لإخافة المسافرين وإبقائهم حذرين. لقد حذروها من الغرقى في البحيرات، وأرواح "البيريجينيا"[17] في الجداول، وأشباح "الوايت"[18] عند مفترق الطرق، والظلال الهائمة في المقابر. كل جسر ثانٍ قيل إنه عرين لترول، وكل بستان ملتف من الصفصاف الملتوي كان يُقال إنه مأوى لستريغا[19].

أصبحت "نيموي" في النهاية معتادة على هذه التهديدات، وتلاشى الخوف من تلك الرعب المألوفة. لكن لم يكن هناك طريقة لمقاومة ذلك القلق الغريب الذي كان يغزوها كل مرة وقفت فيها أمام غابة مظلمة، أو سارت في درب تحيط به التلال الضبابية، أو عبرت طريقًا يحيط به المستنقع المغطى بالضباب الكثيف.

---

17 البيريجينيا هي كائنات أسطورية في الفولكلور السلافي، وغالبًا ما تُصور كأرواح مائية تعيش في الجداول والأنهار والبحيرات. يُقال إنهنَّ جميلات وساحرات، لكنهنَّ قد يكنَّ خطيرات، حيث يُعتقد أنهنَّ يغوين الرجال ليغرقوا في المياه العميقة.

18 في عالم الويتشر، يُعتقد أن الوايت هو نوع من الكائنات التي تسكن المقابر أو المناطق المعزولة، حيث يكون مزيجًا من الروح الملعونة والجثة المتحركة. قد يكون ضحية لطقوس سحرية شريرة أو شخصًا مات بطريقة مأساوية ولم يجد الراحة بعد الموت. يُقال إن هذه الأشباح تهاجم المسافرين العابرين أو تدفعهم إلى الضياع في أماكنها الملعونة.

19 **الستريغا** هي واحدة من أكثر الوحوش شهرةً ورعبًا في عالم الويتشر وهي مخلوق ملعون يتحول من إنسان إلى وحش مخيف نتيجة تعويذة شريرة أو لعنة قوية.

والآن، وهي تقف أمام الجدار الداكن من الأشجار، شعرت بالقلق ذاته، زاحفًا كتنميل بارد على مؤخرة عنقها، جافًا شفتيها.

"الطريق معبَّدة،" كررت لنفسها، "مدكوكة بعجلات العربات، موطوءة بحوافر الخيول والثيران. فما إن بدت الغابة مخيفة؟ هذه ليست أرضًا مهجورة، بل دربٌ مزدحم إلى "دوريان"، يمر عبر آخر رقعة غابات لم تصلها الفؤوس والمناشير. يسافر عبرها كثيرون، ويمر بها آخرون، وسأمر بها أنا أيضًا. لن أخاف. أنا "نيمويه فيرتش ولدير أب غوين".

لقد نظرت إلى الخلف لترى إن كان هناك أحد يقترب. كانت تفضّل أن يكون لها رفيق في الطريق، فكرت بذلك، لكن الطريق السريع، وكأنما زاد الطين بلة، لم يكن كثير الازدحام. لقد كان ببساطة مهجورًا.

لم يكن هناك خيار آخر. تنحنحت "نيمويه"، وعدّلت الحزمة على كتفها، وقبضت على عصاها بإحكام. ثم خطت داخل الغابة.

كانت أشجار البلوط والدردار والزان العتيقة المتشابكة هي السائدة، إلى جانب بعض أشجار الصنوبر واللاركس. أما في الأسفل، فقد كان هناك شجيرات كثيفة من الزعرور، والبندق، والكرز البري، وياسمين العرائش المتشابك. كان من المفترض أن يكون المكان يعج بالحياة البرية، لكن صمتًا كئيبًا ساد الأجواء. مشَت "نيمويه" وعيناها مثبتتان على الأرض. تنهدت بارتياح عندما سمعت فجأة نقار خشب يدق بجذع شجرة عميقًا في الغابة. إذن، هناك شيء حي هنا، فكرت، لست وحدي تمامًا.

توقفت فجأة واستدارت بسرعة. لم ترَ أحدًا أو أي شيء، لكنها شعرت للحظة بوجود أحد يتعقبها. كانت متأكدة من أن هناك عيونًا تراقبها خلسة. اجتاحها شعور بالخوف، وشعرت بقشعريرة تسري على ظهرها.

أسرعت خطاها. بدت الغابة، أو هكذا خُيِّل إليها، وكأنها بدأت تخف كثافتها، وأصبحت أكثر إشراقًا وخضرةً، إذ بدأت أشجار البتولا تسود المشهد. منعطفٌ آخر، ثم منعطفان آخران، فكرت في قلق، لم يتبقَّ سوى القليل وتنتهي الغابة. سأتجاوزها، وسأتجاوز أي شيء يتربص بي هنا. وسأواصل السير.

لم تسمع حتى خشخشة، لكن طرف عينها التقط حركة مفاجئة. شكل رمادي، متعدد الأطراف، سريع بشكل لا يُصدَّق، اندفع من بين الشجيرات المورقة. صرخت "نيمويه" وهي ترى كماشة ضخمة تنطبق مثل المناجل. أرجل مغطاة بالأشواك والشعيرات. عيون عديدة تحيط بالرأس مثل التاج.

شعرت بجذبٍ حادٍّ رفعها في الهواء وألقاها جانبًا. ارتطمت على ظهرها بأغصان شجيرة بندق مرنة، تمسّكت بها، مستعدة للنهوض والفرار. لكنها تجمّدت، تراقب الرقصة الجامحة التي كانت تجري على الطريق أمامها.

المخلوق المتعدد الأرجل كان يقفز ويدور بشكل جنوني، يلوّح بأطرافه ويصطكّ بفكيه المريعَين. وحوله، بسرعة تفوق تصديق العين، حتى بدا كشبحٍ ضبابي، كان رجل يرقص بالسيوف. سيفان يلمعان في قبضته، يضربان بلا هوادة.

أول طرف، ثم الثاني، وأخيرًا الثالث، قطعت جميعها وطارَت في الهواء أمام "نيمويه"، التي كانت تحدق مرتعبة من الخوف. سيوف الرجل كانت تهوي على الجسد المسطّح للمخلوق، متسببة في رشقاتٍ من سائل أخضر لزج. بدأ الوحش يترنح ويتلوى، ثم قفز يائسًا محاولًا الهرب إلى عمق الغابة. لكنه لم يذهب بعيدًا. الرجل بالسيوف لحق به في لحظة، داس عليه، وثبّته بقوة في الأرض بضربة مزدوجة من شفرتيه. ارتعش المخلوق بعنف، جلجلت أطرافه على التربة، ثم أخيرًا استكان تمامًا.

"نيمويه" ضغطت يديها على صدرها، تحاول بشدة تهدئة نبضات قلبها المتسارعة. رأت مُنقذها يركع فوق الوحش الميت ويستخدم خنجرًا ليقتلع شيئًا من قوقعته. رأته يمسح نصلي سيفيه قبل أن يعيدهما إلى غمديهما على ظهره.

"هل كل شيء على ما يرام؟"

مر وقت قبل أن تدرك أنه كان يتحدث إليها. لكنها، في كل الأحوال، لم تكن قادرة على النطق أو النهوض من بين أغصان البندق. ولم يكن مُنقذها مستعجلًا لمساعدتها على الخروج من الأدغال، لذلك اضطرت أخيرًا إلى القيام بذلك بنفسها. كانت ساقاها ترتجفان بشدة حتى إنها واجهت صعوبة في الوقوف. أما جفاف حلقها، فقد ظل يعاندها بلا هوادة.

"كانت فكرة سيئة أن تسافري وحدك عبر الغابة،" قال مُنقذها وهو يقترب منها.

رفع غطاء رأسه، فتوهج شعره الأبيض الثلجي في عتمة الغابة المتشابكة. كادت "نيمويه" تصرخ، رفعت قبضتيها إلى فمها بحركة لا إرادية. "هذا مستحيل،" فكرت، "مستحيل تمامًا. لا بد أنني أحلم."

"لكن من هذه اللحظة،" تابع الرجل ذو الشعر الأبيض، وهو يفحص صفيحة معدنية سوداء مشوهة في يده، "سيكون من الممكن السفر عبر هذا الطريق بأمان. وما الذي لدينا هنا؟ ها! هذا الرقم كان مفقودًا من مجموعتي. رقم ثمانية. لكنني الآن صفّيت الحساب مع قلعة ويسبيرغ."

نظر إليها، وعيناه تفحصان وجهها المرتعب. "كيف تشعرين، يا فتاة؟ آه، سامحيني. فم جاف، أليس كذلك؟ لسان كأنه قطعة خشب؟ أعرف ذلك الشعور جيدًا، أعرفه. خذي رشفة."

تناولت القارورة التي مدّها إليها بأيدٍ مرتعشة.

"إلى أين نحن ذاهبون؟"

"إلى دو ... إلى دور ..."

"دور؟"

"دور ... دوريان. ما كان ذلك؟ ذلك الشيء ... هناك؟"

"عمل فني. التحفة الثامنة. في الواقع، ليس مهمًا ما كان. المهم أنه لم يعد موجودًا. لكن من أنتِ؟ وإلى أين أنتِ متجهة؟"

هزّت "نيمويه" رأسها وابتلعت ريقها. ثم تكلمت، مندهشة من جرأتها:

"أنا ... أنا نيمويه فيرخ ويلدير أب غوين. من دوريان، أنا ذاهبة إلى أنكور، ومن هناك إلى غورز فيلين. ثم إلى أريتوزا، مدرسة الساحرات في جزيرة ثانيد."

"أوه، حقًا. ومن أين أتيتِ؟"

"من قرية فيرفا. عبر غوايدو، سيبيل، بروغ، كاسترفورت..."

"أعرف ذلك الطريق،" قاطعها. "لقد سافرتِ حقًا عبر نصف العالم، أيتها النيمويه، ابنة ويلدير. ينبغي أن يُحسب لك ذلك في امتحان القبول في أريتوزا. لكن من غير المرجح أن يفعلوا ذلك. لقد رسمتِ لنفسكِ طريقًا طموحًا للغاية، أيتها الفتاة القادمة من قرية فيرفا. طموح جدًا. تعالي معي."

"حسنًا ..." كانت "نيمويه" لا تزال تمشي بتصلب. "يا سيدي ...؟"

"نعم؟"

"شكرًا لك على إنقاذي."

"الشكر لكِ. لقد كنت أبحث منذ عدة أيام عن شخص مثلكِ. لأن كل المسافرين الذين مروا من هنا كانوا في مجموعات كبيرة، فخورين ومسلحين، ولم يجرؤ عملنا الفني رقم ثمانية على مهاجمة أحدهم، لم يخرج من مخبئه. لكنكِ كنت الطُعم المثالي. رأى فريسة سهلة حتى من مسافة بعيدة. شخصًا يسافر بمفرده. وليس كبير الحجم كثيرًا. لا أقصد الإهانة."

كان مخرج الغابة، كما تبيّن، قريبًا جدًا، خلف المنعطف مباشرة. كانت فرس الرجل ذي الشعر الأبيض، وهي مهرة كستنائية، تنتظر على بعد مسافة قصيرة، بجانب مجموعة وحيدة من الأشجار.

"تبعد دوريان حوالي أربعين ميلاً من هنا،" قال الرجل ذو الشعر الأبيض.

"ثلاثة أيام من السير بالنسبة لكِ. ثلاثة ونصف، إذا احتسبنا ما تبقى من اليوم. هل تدركين ذلك؟"

شعرت "نيمويه" فجأة بنشوة غريبة، بدّدت الخمول وكل الآثار الأخرى للخوف. هذا حلم، فكّرت. لا بد أنني أحلم. لأنه لا يمكن أن يكون هذا حقيقياً.

"ما الأمر؟ هل أنتِ بخير؟"

جمعت "نيمويه" شجاعتها.

"تلك الفرس ..." قالت بصوت مرتعش من فرط الانفعال، بالكاد قادرة على نطق الكلمات. "تلك الفرس تُدعى (روتش). لأن كل خيولك تحمل هذا الاسم. لأنك ... لأنك (جيرالت) من (ريفيا). الويتشر جيرالت من ريفيا."

نظر إليها طويلاً. لكنه لم يقل شيئًا. وبدورها، لم تقل "نيمويه" شيئًا، وحدّقت في الأرض.

"ما هو العام؟"

"عام ألف وثلاثمئة ..." رفعت عينيها المذهولتين. "ألف وثلاثمئة وثلاثة وسبعون بعد الإحياء."

"إذا كان كذلك..." مسح الرجل ذو الشعر الأبيض وجهه بكُمّه "... فقد مات (جيرالت) من (ريفيا) منذ سنوات طويلة. مات قبل مئة وخمس سنوات. لكنني أعتقد أنه كان سيفرح ... كان سيفرح لو علم أن الناس ما زالوا يذكرونه بعد كل هذه السنين. لو أنهم ما زالوا يتذكرون من كان. ولماذا كان. بل حتى لو تذكروا اسم حصانه. نعم، أعتقد أنه كان سيشعر بالسعادة ... لو كان بإمكانه أن يعرف ذلك. تعالي، سأرافقكِ في الطريق."

تابعا السير. عضّت "نيمويه" شفتيها، محرجة. وقررت ألا تقول شيئًا بعد ذلك.

"أمامنا مفترق طرق والطريق السريع،" قال الرجل ذو الشعر الأبيض، قاطعًا الصمت المتوتر. "الطريق إلى (دوريان). ستصلين بأمان..."

"الويتشر (جيرالت) لم يمت!" صاحت "نيمويه" فجأة. "لقد رحل فقط، رحل إلى أرض أشجار التفاح. لكنه سيعود ... سيعود، لأن الأسطورة تقول ذلك!"

"أساطير. خرافات. حكايات شعبية. قصص وروايات. كان علي أن أحزر، نيمويه من قرية فيرفا، التي تشق طريقها إلى مدرسة الساحرات في جزيرة ثانيد. لم تكن لتجرؤي على القيام بهذه الرحلة المجنونة لولا الأساطير والقصص التي نشأتِ عليها. لكنها مجرد خرافات يانيمويه. مجرد خرافات. لقد ابتعدتِ كثيرًا عن ديارك لتفهمي ذلك."

"الويتشر سيعود من العالم الآخر!" أصرت "نيمويه"، رافضة الاستسلام. "سيعود لحماية الناس، حتى لا يسود الشر مجددًا. ما دامت الظلمة موجودة، فسيكون الويتشرون ضروريين. والظلمة لا تزال هنا!"

لم يقل شيئًا، ونظر بعيدًا. ثم أخيرًا، التفت نحوها. وابتسم.

"لا تزال الظلمة موجودة،" وافقها الرأي. "رغم التقدم الذي يُقال لنا إنه سينير العتمة، ويقضي على التهديدات، ويبدد المخاوف. حتى الآن، لم يحقق التقدم نجاحًا يُذكر في هذا المجال. كل ما فعله التقدم حتى الآن هو إقناعنا بأن الظلام مجرد خرافة باهتة، وأنه لا يوجد شيء نخافه. لكن هذا ليس صحيحًا. هناك أمور تستوجب الخوف. لأن الظلمة ستظل موجودة دائمًا، ودائمًا ما سيعيث الشر فسادًا في الظلام، سيظل هناك أنياب ومخالب، قتل ودماء في العتمة. وسيكون الويتشرون ضروريين دائمًا. ونتمنى أن يظهروا دائمًا حيثما تدعو الحاجة إليهم. مستجيبين لنداء المساعدة. مندفعين نحو من يستدعيهم. ليظهروا حاملين سيوفهم. سيف يلمع ليخترق الظلام، سيف يبعثر العتمة بنوره. قصة خرافية جميلة، أليس كذلك؟ وتنتهي نهاية سعيدة، كما ينبغي لكل قصة خرافية أن تنتهي."

"لكن ..." تمتمت، متلعثمة. "لكن مرت مئة سنة ... كيف يكون ...؟ كيف يكون هذا ممكنًا...؟"

"لا يحق لمبتدئة في (أريتوزا) أن تطرح أسئلة كهذه،" قاطعها وهو لا يزال مبتسمًا. "مبتدئة في مدرسة يُدرَّس فيها أن لا شيء مستحيل. لأن كل ما هو مستحيل اليوم قد يصبح ممكنًا غدًا. ينبغي أن يُعلَّق شعار كهذا فوق مدخل المدرسة. والتي ستصبح قريبًا مدرستك. وداعًا، (نيمويه). وداعًا. هنا نفترق."

"لكن ..." شعرت فجأة براحة غريبة، وانسابت كلماتها بغزارة. "لكنني أود أن أعرف ... أن أعرف المزيد. عن (ينيفر). عن (سيري). عن كيف انتهت تلك القصة حقًا. لقد قرأتها ... أعرف الأسطورة. أعرف كل شيء. عن الويتشرين. عن (كاير مورهن). حتى إنني أعرف أسماء كل إشارات الويتشر!"

"أرجوك، أخبرني..."

"هنا نفترق،" قاطعها برفق. "طريق قدركِ أمامكِ. وطريقي مختلف تمامًا. القصة تستمر، والحكاية لا تنتهي أبدًا. أما فيما يخص إشارات الويتشر ... هناك واحدة لا تعرفينها. تُدعى (سومني). انظري إلى يدي."

نظرت.

"وهم،" سمعت صوته قادمًا من مكان بعيد جدًا. "كل شيء مجرد وهم."

"أقول لكِ، أيتها الفتاة! لا تغفلي وإلا سُرِقتِ!"

انتفضت برأسها. فركت عينيها. ثم قفزت واقفة عن الأرض.

"هل غفوت؟ هل كنت نائمة؟"

"بل أقول!" ضحكت امرأة ممتلئة الجسد من مقعد سائق عربة. "كأنكِ خشبة! كأنكِ طفل صغير! ناديتك مرتين ولا شيء. كنت على وشك النزول من العربة ... هل أنتِ وحدك؟ لماذا تلتفتين حولك؟ هل تبحثين عن أحد؟"

"عن رجل ... ذو شعر أبيض ... كان هنا ... أو ربما ... لا أعرف حقًا."

"لم أرَ أحدًا" أجابتها المرأة. وظهرت من خلفها تحت غطاء العربة رأسَا طفلين صغيرين يراقبانها بفضول.

"أراكِ تسافرين،" قالت المرأة، مشيرة بعينيها إلى عصا (نيمويه) وحقيبتها. "أنا في طريقي إلى (دوريان). سأقلكِ معي إن شئتِ. إن كان طريقكِ يمر من هناك."

"شكرًا،" قالت (نيمويه)، متسلقةً إلى جانبها. "شكرًا جزيلًا."

"هكذا يكون الأمر!" قرعت المرأة اللجام. "فلننطلق إذن! أليس الركوب أريح من المسير على الأقدام؟ آه، لا بد أنكِ كنتِ مُنهكة لدرجة أنكِ غفوتِ واستلقيتِ بجانب الطريق مباشرةً. كنتِ نائمة، أقول لكِ..."

"...كأنني خشبة،" تنهدت (نيمويه). "أعلم. كنت متعبةً جدًا ووقعت في النوم. وما هو أكثر من ذلك، لقد كان لدي..."

"نعم؟ كان لديكِ ماذا؟"

نظرت إلى الخلف. خلفها كان الغابة السوداء. وأمامها الطريق، ممتد بين صفٍّ من أشجار الصفصاف. طريقٌ يقودها نحو القدر.

القصة تستمر، فكّرت. القصة لا تنتهي أبدًا.

"...حلم غريب جدًا."

**** تمت ****



ترجمة المؤلف:

أندريه سابكوسكي وُلد عام 1948في بولندا، درس الاقتصاد وإدارة الأعمال، لكن نجاح سلسلته الفانتازية حول الويتشر جيرالت من ريفيا جعله واحدًا من أبرز الكُتّاب في مجال الأدب الخيالي. يُعتبر اليوم أحد أشهر الكُتّاب البولنديين وأكثرهم نجاحًا على الإطلاق، حيث حققت أعماله شهرة عالمية وترجمت للغات عدة، وأثرت بشكل كبير في ثقافة الفانتازيا الحديثة.

أعماله:

The Last Wish-1 (الأمنية الأخيرة) – 1993

Sword of Destiny-2 (سيف المصير) – 1992

Blood of Elves-3 (دماء الإلفيين) – 1994

The Time of Contempt-4 (زمن الازدراء) – 1995

Baptism of Fire-5 (معمودية النار) – 1996

The Tower of Swallows-6 (برج السنونو) – 1997

The Lady of the Lake-7 (سيدة البحيرة) – 1999

Season of Storms-8 (موسم العواصف) – صدرت بالإنجليزية 2018

وعلى الرغم من أن رواية الأمنية الأخيرة "The Last Wish" نُشرت بعد رواية سيف المصير "Sword of Destiny"، إلا أنها تُعتبر أول رواية في السلسلة زمنيًا لأنها تجمع قصصًا سابقة تم نشرها بشكل متفرق.

يذكر أن سلسلة "الويتشر" أصبحت من أشهر سلاسل الفانتازيا الملحمية، وتم تحويلها إلى لعبة فيديو تعد من أنجح الألعاب على الإطلاق، ومسلسل تلفزيوني لازال يصدر على شكل مواسم حتى الآن في شبكة Netflix .